

سَعْدِي الشَّيرَازِي

شاعر الإنسانية

عصره . حياته . دهبونه "البوستان"

تأليف

دكتور

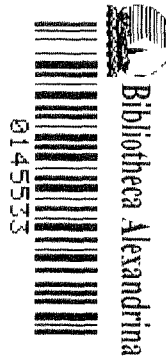
محمد موسى لهنداوي

المدرس بكلية با العلوم

جامعة فؤاد الأول

ملتزم الطبع والنشر مكتبة الخانجي

الطبعة الأولى
مطبعة الخانجي
٤ شارع نواكش (ساحات شارع الدواير)
١٩٥١



المكتبة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التعداد : _____
رقم التسجيل : _____

سَعْدِي الشَّيرَازِي

شاعر الإنسانية

عصره . حياته . ديوانه "البوسُتان"

تأليف

دكتور

محمد موسى هندأوى

المدرس بكلية دارالعلوم

جامعة فؤاد الأول

ملزم الطبع والنشر مكتبة الخانجي



General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)
Alexandria, Egypt

القاهرة

مطبعة الخانجي
٤٠ شارع فؤاد (سابقاً شارع الزواين)

١٩٥١



صورة الشاعر « سعدى الشيرازى » عن كتاب « تاريخ أدبى ايران »
عصر المغول للأستاذ « على أصغر حكمت » ترجمة عن « تاريخ
الأدب الفارسى » للأستاذ براون

الاهراء

إلى ...

العزیزین علی نفسی ، القریبین إلى قلبی .
من هیّا لی سعادة الحیاة من جُهدهما .
وخففّا عنی آلامها بالكثیر من عطفهما ،
وأغدقا علیّ فیض الحنان من قلبیهما ،
إلى والدی العزیز
وإلى روح والدتی العزیزة
إلیكما معاً أقدم هذا الکتاب .
فهو ثمرة من ثمار رعايتكما ،
ورمز الاعتراف بفضلكما .

ابنکما الوفی

محمد موسی هندراوی

بنام خداوند جان آفرین
حکیم سخن در زبان آفرین
البیت الأول من «البوستان»

فهرست الموضوعات

ص	ص
إهداء	...
تقديم بقلم حضرة صاحب الغزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك	(ج) ...
تعريف بالبحث	(م) ...
	(ف) ...

مقدمة

لمحة عن إيران ووضعها السياسي في القرن السابع الهجري	...	١	٥
الباب الأول	...	٦	١٨٠
الفصل الأول	...	٦	٥١
القرن السابع الهجري من الناحية السياسية العامة في إيران وببلاد			
الخلافة الإسلامية وكيف صوره المؤرخون ؟ ؟ .			
حال البلاد قبل الغزو	...	٦	
هجوم المغول وكيف صوره المؤرخون في مملكة خوارزم وإيران			
الشمالية ؟ ؟ ؟	...	٨	
الشاعر وتصويره لهذه الأحداث	...	١٤	
ولاية فارس بإيران الجنوبية ، وكيف صور المؤرخون مواجهتها			
للغزو	...	١٧	
الشاعر وتصويره حالة فارس في ذلك العهد	...	١٩	
المغول في أرض الخلافة ، تصوير الموقف بين هولاكو والخليفة	...	٢٠	
هولاكو وسياسته مع الخليفة	...	٢٢	
الشاعر يرثي الخليفة	...	٣٠	
الشاعر يمدح هولاكو	...	٣١	
هولاكو وسياسته إزاء بغداد ورجالها	...	٣٣	
هولاكو وسياسته إزاء مكنتات بغداد	...	٣٦	
ابن خلدون أول من قال بالقائها في النهر ، رأيه والرد عليه	...	٤٣	

ص ص
الفصل الثاني ... ٥١ - ١٠٨

الحضارة والعلوم في إيران خلال عصر المغول ، وأهم العوامل	
التي ساعدت على مسيرها	٥١
البيئة - ٥١ ، تشجيع المغول - ٥٣ ، عامل الزمن	٥٥
الانقلاب الديني وأثر الدين في توجيه الحضارة	٥٨
البوذية ونشاطها - ٥٨ ، المسيحية ونشاطها	٦١
الإسلام ونشاطه وكيف دخل المغول في الإسلام	٦٣
الأمير تكودار أول من أسلم - ٦٦ ، نكسة تصيب الإسلام والمسلمين	٧٠
غازان يسلم ويعلن الإسلام ديناً رسمياً	٧٤
مظاهر الحضارة في عصر المغول بإيران	٧٧
أولاً - الحضارة المعمارية - ٧٧ ، ثانياً - الحضارة العلمية	٨٣
العناية بالعلوم التاريخية وأهم المؤلفات فيها	٨٧
كتاب جهانگشاي	٨٩
قيمة هذا الكتاب بين المؤلفات ومدى الرجوع إليه	٩١
حياة الجويني وصلة الشاعر به وبأخيه	٩٣
خاتمة حياة المصنف ، ومصير أسرته	٩٩
السعدي وأسرة الجويني	١٠٠
الشاعر لم يرث أحداً من آل الجويني	١٠٣
رأى الأستاذ هنري ماسيه في تحليل هذه الظاهرة والرد عليه	١٠٣
تفسير هذه الظاهرة	١٠٥

الفصل الثالث ... ١٠٨ - ١٨٠

ولاية فارس وحكامها في القرن السابع الهجري	١١٠
أصل التسمية وأقسامها - ١٠٨ ، فارس في ظل الإسلام	١١٠
فارس قبيل حكومة الأتابكة - ١١٤ ، أتابكة فارس	١١٧
سنقر بن مودود - ١١٨ ، زنگي بن مودود	١١٩

- تكلة بن زنگى — ١١٩ ، سعد بن زنگى ١٢٠
 حروبه وسياسته الخارجية — ١٢١ ، إصلاحاته الداخلية ... ١٢٣
 الاضطراب فى سنة وفاته وتحديدها ١٢٤
 لماذا لم يمدح الشاعر هذا الأمير مدحاً مستقلاً ؟ ١٢٥
 بو بك بن سعد ١٢٧
 كيف تولى أبو بكر الحكم — ١٢٩ ، السياسة الخارجية فى عهده ١٣١
 السياسة الداخلية — ١٣٥ ، الحركة العلمية فى شيراز فى عهده ١٣٨
 تحديد السنوات التاريخية فى حياة أبى بكر ١٤٢
 الشاعر وأبو بكر بن سعد — ١٤٤ ، سعد بن أبى بكر — ... ١٥١
 متى ولد هذا الأمير ؟ — ١٥٥ ، مدائح الشاعر ومراثيه فى هذا الأمير ١٥٧
 محمد بن سعد وأمه تركان خاتون ١٥٨
 الشاعر ومحمد بن سعد — ١٦٠ ، رأى الأستاذ القزوينى والرد عليه ١٦٢
 الشاعر وتركان خاتون — ١٦٥
 محمد شاه بن سلغرشاه — ١٦٦ ، سلجوقشاه بن سلغرشاه ... ١٦٨
 أبش خاتون — ١٧١ ، الشاعر وأبش خاتون ١٧٤
 فارس تحت حكم المغول ١٧٥
 الأمير أنكبانو أول مندوب لإدارتها ١٧٥
 الشاعر والأمير أنكبانو — ١٧٧ ، الأمير سوغو نجاى ... ١٧٨

الباب الثانى ١٨٠ — ٢٩١

الفصل الأول ١٨٠ — ١٩٣

- أسرة الشاعر والغسوس الذى يحيط بحياته — ١٨٠ ، أجداده ... ١٨٠
 أبوه — ١٨٣ متى مات أبوه ؟ وإلى أى سن بلغ الشاعر
 حين وفاته — ١٨٦ ، أمه — ١٨٨ ، إخوته ١٩٠
 زوجاته وأولاده ١٩١

ص	ص
٢١٣	الفصل الثانى ١٩٣ — ٢١٣
١٩٤	مولد الشاعر — ١٩٣ ، عرض آراء القدماء ونتائج ١٩٤
٢٠٠	عرض آراء المحدثين ونتائج — ١٩٩ ، عرض لرأى الأستاذ إقبال ٢٠٠
٢١٠	مناقشة آرائه — ٢٠٤ ، الرد على رأى الأستاذ إقبال ٢١٠
٢٢١	الفصل الثالث ٢١٣ — ٢٢١
٢١٣	إسم الشاعر وتحقيق ما يدور حوله ٢١٣
٢٥١	الفصل الرابع ٢٢١ — ٢٥١
٢٢١	تلخيص الشاعر والخلاف حوله — ٢٢١ ، آراء القدماء ٢٢١
٢٢٣	آراء المحدثين — من قال بتخلصه بسعد الأكبر ٢٢٣
٢٢٧	من قال بتخلصه بسعد الأصغر — ٢٢٦ ، رأى الأستاذ القزوينى ٢٢٧
٢٣٠	الرد على الأستاذ القزوينى — ٢٣٠ ، رأى الأستاذ إقبال فى هذه ٢٣٠
٢٣٩	المسألة ومناقشته — ٢٣٩ ، خلاصة المسألة ٢٤٢
٢٥١	الفصل الخامس ٢٥١ — ٢٦٧
٢٦٣	رحلات الشاعر — ٢٥١ ، العلماء والأدباء الذين لقيهم الشاعر ٢٦٣
٢٦٧	الفصل السادس ٢٦٧ — ٢٧٠
٢٦٧	حياته الأخيرة ٢٦٧
٢٧٣	الفصل السابع ٢٧٠ — ٢٧٣
٢٧٠	مقبرته ومرقده ٢٧٠
٢٧٣	الفصل الثامن ٢٧٣ — ٢٧٥
٢٧٣	عقيدة سعدى ٢٧٣
٢٧٥	الفصل التاسع ٢٧٥ — ٢٨٨
٢٧٥	مؤلفات الشاعر أو كلياته — ٢٧٥ ، المنشورات ٢٧٥
٢٨٧	المنظومات — ٢٨١ اللغات التى كان يعرفها ٢٨٧
٢٨٨	الفصل العاشر ٢٨٨
٢٨٨	منزلة الشاعر ومكانته ٢٨٨

ص	ص
٤٥٦	٢٩١ الباب الثالث

ديوان « البوستان » :

٣٢٧ - ٢٩١	القسم الأول
------------------	-------------

دراسات تاريخية على البوستان :

٣٠٠ - ٢٩٣	الفصل الأول
٢٩٣	البوستان أمَلته حوادث العصر وظروف الشاعر

٣٠٤ - ٣٠٠	الفصل الثاني
٣٠٠	هل كان الكتاب يسمى البوستان أولا ؟ ؟
٣٠٣	لمن قدم هذا البوستان ؟ ؟

٣٠٨ - ٣٠٤	الفصل الثالث
٣٠٤	البوستان بين المثنويات - ٣٠٤ ، المثنويات التاريخية
٣٠٧	المثنويات الصوفية - ٣٠٥ ، المثنويات التعليمية

٣١٦ - ٣٠٨	الفصل الرابع
٣١١ - ٣٠٨	وصف أهم النسخ الموجودة من البوستان ...
٣١٣	نسخة إيران ، نسخة الهند ، نسخة تركيا ، نسخة أوروبا ، نسخة فروغى . الفروق بين النسخ

٣٢٢ - ٣١٦	الفصل الخامس
٣١٦	آبواب الكتاب وموضوعها
٣١٩ ... ؟؟	هل من فروق بين كتابي الشاعر « البوستان والگلستان » ؟ ؟

٣٢٧ - ٣٢٢	الفصل السادس
٣٢٦	طريق الشاعر في قصص البوستان - ٣٢٢ ...
	القصة من حيث الشكل ، القصة من حيث المكان ، القصة من حيث الأشخاص .

القسم الثاني

- تحليل « البوستان » ٣٢٧
 أولاً — تحليل قطع المقدمة ٣٢٧ القطعة الأولى — مدح الذات
 الإلهية — ٣٢٩ ، القطعة الثانية — مدح الرسول عليه السلام ٣٣٦
 ثانياً — تحليل أبواب الكتاب ٣٤٠
 ١ — باب العدل — جدول ٣٤١ — ٣٤٢
 قصص باب العدل التي تدور حول شخصيات تاريخية ... ٣٤٣
 قصة حميد ، قصة دارا — ٣٤٦ ، قصص ملوك الأكاسرة —
 قصة كسرى وهرمز — ٣٤٨ قصة خسرو وشيروه ... ٣٤٩
 قصة شاپور وخسرو — ٣٥١ ، قصة گرگين ... ٣٥٢
 قصة عمر بن عبد العزيز — ٣٥٣ ، قصة الحجاج ... ٣٥٥
 قصة المأمون — ٣٥٧ ، قصتا قزل أرسلان ... ٣٥٨
 قصة تكله بن زندگي ٣٦١
 الأفكار العامة في باب العدل

(أ) السياسة الداخلية :-

- شئون الرعية — ٣٦٣ ، شئون الموظفين ٣٦٦
 السياسة مع الوزراء — ٣٦٧ ، السياسة مع الموظفين ... ٣٦٩
 شئون الجيش ٣٧٠

(ب) السياسة الخارجية :-

- خصوم الدولة — ٣٧٢ ، حالات السلم والحرب ... ٣٧٤
 أمور الأجانب ٣٧٦
 ٢ — باب الإحسان ٣٧٧ — جدول
 قصص باب الإحسان — ٣٧٨ ، قصة سيدنا إبراهيم ... ٣٧٩
 قصة شبل — ٣٨٠ ، قصص حاتم — ٣٨٢ ، قصة ابنة حاتم ... ٣٨٤
 قصة بهرام ٣٨٥

(ي)

الأفكار العامة في باب الإحسان .

الدعوة إلى الإحسان - ٣٨٦ ، من يستحقون الإحسان ... ٣٨٧
الذين لا يستحقون الإحسان ٣٨٨
الدعوة إلى السعى وراء الرزق والاقتصاد ٣٨٨

٣- باب العشق - جدول - ٣٩١
قصص باب العشق - قصة المحنون ولبلى ٣٩٢
قصة محمود وإياز - ٣٩٣ ، قصة اليراع - ٣٩٥ ، قصة الفراشة ٣٩٥
الأفكار العامة في باب العشق ٣٩٧
أهل الصورة وأهل المعنى - ٣٩٩ ، عقيدة الفناء في الله ... ٤٠٢
عقيدة وحدة الوجود ٤٠٤

٤- باب التواضع - جدول - ٤١٥
قصص باب التواضع - قصة عيسى عليه السلام ٤١٦
قصة سيدنا عمر - ٤١٩ ، قصة سيدنا علي ٤١٠
قصة حاتم الأصم - ٤١٠ ، قصة لقمان الحكيم ٤١١
قصة كوشيار الحكيم - ٤١٢ ، قصة بهلول ٤١٢
قصة أبو يزيد البسطامي - ٤١٣ ، قصة معروف الكرخي ... ٤١٤
قصة ذى النون - ٤١٦ ، الأفكار العامة في باب التواضع -
الدعوة إلى التواضع - ٤١٧ ، صفات المتواضع ٤١٨

٥- باب الرضا - جدول - ٤١٩
قصص باب الرضا - ٤١٩ ، قصة النسر والحدأة ٤٢٠
قصة البعير والناقة - ٤٢١ ، تحليل الأفكار العامة في باب الرضا ... ٤٢١
القضاء والقدر - ٤٢٢ ، الجبر والاختيار ٤٢٣
٦- باب القناعة - جدول - ٤٢٤
قصص باب القناعة - ٤٢٤ ، قصة الأبدال ٤٢٥
قصة الهرة - ٤٢٦ ، الأفكار العامة في باب القناعة ٤٢٧
علاج الطمع - ٤٢٧ ، الدعوة إلى القناعة ٤٢٩

- ٧ - باب التربية - جدول - ٤٣٠
- قصص باب التربية - ٤٣١ ، قصة تكش ٤٣١
- قصة عضد الدولة - ٤٣٣ ، قصة داود الطائي ٤٣٣
- قصة الحجاج - ٤٣٥ ، قصة فريدون ووزيره ٤٣٦
- قصة بقراط الحكيم - ٤٣٨ ، قصص النساء - ٤٣٩ ، قصص الأولاد ٤٤١
- قصص الأتباع ٤٤٢
- الأفكار العامة في باب التربية - ٤٤٢ ، التربية العقلية ٤٤٣
- التربية الخلقية ٤٤٤
- ٨ - باب الشكر - جدول - ٤٤٦
- قصص باب الشكر - ٤٤٦ ، قصة طغرل ٤٤٧
- الأفكار العامة في باب الشكر ٤٤٨
- ٩ - باب التوبة - جدول - ٤٥١
- قصص باب التوبة - ٤٥٢ ، قصة جمشيد ٤٥٢
- قصة يوسف وزليخا ٤٥٣
- الأفكار العامة في باب التوبة تصوير الحياة الدنيا ٤٥٤
- الدعوة إلى العمل الصالح ٤٥٥
- التوبة والاعتذار عن العمل السيء ٤٥٧
- ١٠ - باب المناجاة - جدول - ٤٥٨
- قصص باب المناجاة ، قصة المحوسى ٤٥٨
- قصة السكران ٤٦١
- الأفكار العامة في باب المناجاة ٤٦٣
- خاتمة ٤٦٥
- الكشاف ٤٦٧
- المصادر ٤٨١
- تصويب ٤٩١

تقديم

بقلم مضمرة صاحب العزة أستاذى الجليل الدكتور عبد الوهاب غزام بك
سفير مصر بالباكستان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

— ١ —

هذا الكتاب عن الشاعر الفارسى الكبير الشيخ سعدى الشيرازى وكتابه
المنظوم « البوستان » .

وهو ثمرة طيبة من ثمرات دراسة الآداب الإسلامية الشرقية فى قسم اللغة
العربية ، ومعهد اللغات الشرقية من كلية الآداب ، من جامعة فؤاد الأول إلى
ثمرات أخرى أثمرتها الكلية فى عشرين عاماً .

أخرجت كلية الآداب فى هذه السنين كتباً قيمة ، وأبحاثاً مجدية ، عرضت
على قراء العربية صوراً من الآداب الإسلامية غير العربية وأبحاثاً فيها . وهى آداب
تصلها بالعربية صلة صلات متينة ، فهى تستمد من العربية ومنابعها وتحدث
— هى والآدب العربى — عن تاريخ واحد ، وتقرب عن عواطف متواصلة .

— ٢ —

والشيخ سعدى شاعر عظيم ، يرى بعض أدباء الفرس أنه أعظم شعراء
الفارسية ، شملت نظراته جوانب الحياة كلها ، وتجلت فى منظوماته المقاصد
الإسلامية الجليلة ، والغايات الإنسانية السامية .
هو — لا ريب — من كبار شعراء الإنسانية .

(م)

وإن البحث الأدبي ، ولا سيما تقصى مذاهب شاعر ، أو كاتب ، والتعريف بالبيئة التي أثرت فيه ، والمنابع التي أمدته ، لما يشق على الباحثين حتى في أدبهم ، دب اللغة التي يتكلمون بها ، ويتعلمون ، وينثرون ، وينظمون ، وهو — لا ريب — أشق وأصعب مجالا ، وأبعد غاية ، وأعسر منالا ، على من يدرسون أدب لغة غير لغتهم ، وقلَّ أن يمكنَّ لهم هذا إلا بعد طول الدرس ، وكثرة الممران ، مع سلامة الطبع ، وصحة النظر . ولا بد — مع هذه كلها — من الاستعانة بالباحثين من أهل اللغة أنفسهم ، فهم أبصر بلغتهم ، وأقدر على سبر أغوارها ، وإدراك دقائقها ، والتمييز بين صورها ، وألوانها ، وإحساس روائحها ، وطعومها .

فالتصدى للكتابة عن شاعر كبير كالشيخ سعدى الشيرازى ، ومنظومة كبيرة من منظوماته ، يبشر بأن خريجي كلية الآداب مولعون بالمباحث الصعبة ، مقدمون على المطالب البعيدة ، ويُبَيِّن عما بلغته دراسة الآداب الشرقية في هذه الكلية من سعة ، وعمق ، مهَّدًا للإقبال على المطالب الصعبة ، والطموح إلى الغايات البعيدة .

وقد احتمل تلميذنا الدكتور محمد هنداوى مصاعب كثيرة ، ولقى عناء كبيرا ، حين طمحت همته إلى البحث الواسع الشاق ، فاختار لرسالته الشيخ « سعدى الشيرازى » : عصره — حياته — ديوانه « البوستان »

تانع البحث سنين ؛ قرأ البوستان وكثيراً من منظومات الشاعر ، واطلع على ما كتبه أدباء إيران ، والمستشرقون في تاريخ سعدى ، وعصره ، وفي أدبه ،

وكتّاب البوستان خاصة ، ورجع إلى أهمّيات الكتب الفارسية التي يرجع إليها
في هذا الموضوع .

— ٥ —

وقد تناول في كتابه العصر الذي عاش فيه الشاعر ، وقدم له بذكر الحوادث
المائلة التي طلع بها هذا العصر ؛ حوادث الغارات المغولية على البلاد الإسلامية ،
ثم صور أحوال السياسة والحضارة في هذا العصر جهد الطاقة ، وبين آثار هذا
كله ، في معيشة الشاعر ، وفي أدبه ، وتتبع ما أشأ الشاعر في هذه الحوادث من شعر ،
وما جاء في كلامه من إشارة إليها .

وخص الإقليم الذي عاش فيه سعدى ، والدولة التي سيطرت على هذا الإقليم
في حياته ، ببحث مفصل ، فبيّن كيف نجا إقليم فارس من غارات الغول ،
وأجمل أخبار دولة آل زنكي التي أظلت فارس في ذلك العهد ، واتصل بها الشاعر
وعاش في كنفها ، ولقى من رعايتها ما جعله ينتسب إلى أحد ملوكها فيتلقب بالسعدى
انتساباً إلى سعد بن زنكي أحد ملوكها ، ويقدم البوستان إلى ابنه أبي بكر بن سعد .
وذلكم بحث أدبي ، تاريخي ، قيم ، لا يظفر به الكاتب إلا بعد جدّ ودأب .
وكذلك عن المؤلف بتاريخ الشيخ سعدى - من مولده إلى وفاته - فلما وقيّ
التاريخ حقّه ، عمد إلى « البوستان » فأطال البحث فيه ، تكلم عن نسخ الكتاب
الجديرة بالثقة ، وذكر شروحه في الفارسية والتركية ، ثم تكلم عن مقدمة
الكتاب ، وأبوابه ، وقصص كل باب ، وعدد أبيات كل قصة ، والحادثة التي
تضمنتها ، والإنسان الذي ذكرته .

وقد شق على نفسه بالتدقيق ، والإحصاء ، ووضع الجداول - فيسّر ، لكل
طالب - ثمرات هذا البوستان ، وقدّم لكل باحث مفاتيح أبوابه ، فذلّ صعباً
ويسرّ عسيراً ، فله شكر كل معني بالشيخ سعدى ، وبوستانه .

(س)

وكان الدكتور هندأوى قد اعتزم ترجمة البوستان كله إلى العربية ، ونشر الترجمة ، فعسى أن يتبع بحثه القيم عن سعدى ، والبوستان ، نشر الترجمة العربية ، ثمرة أخرى طيبة من ثمرات درس الآداب الإسلامية في جامعة فؤاد .

والله يجزيه خيراً كفاء ما احتمل من مشقة ، ولقي من عناء ، وما وقف على البحث والكتابة ، من ، فكره ، ووقته ، وماله ، ويوفقه لمتابعة البحث والتأليف . وهو ولى الهداية والتوفيق « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً » .

عبد الوهاب عزام

كراچی ۵ ربیع الأول سنة ۱۳۷۰ ھ

۱۵ ديسمبر سنة ۱۹۵۰ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بالبحث

— ١ —

تعرفتُ على هذا الشاعر الكبير منذ دراستنا في معهد اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وعرضتُ علينا نماذج من كتابه البوستان فكشفت لنا عن كثير من مواهب هذا الرجل .

وصح العزم لدى — فيما كان يقدرلى — أن أتناول هذا الشاعر ، وكتابته هذا بالدراسة والتحليل ، فأعرض لتلك النواحي السامية التي بدأنا نلمسها في دراستنا ، فكان أن صح العزم على اختياره موضوعا للدراسة للحصول على درجة الدكتوراه .

والبحث عن هذا الشاعر — بل عن أية شاعر — له منهج محدود ، لا بد أن يتناول نواحي ثلاثاً :

١ — الحديث عن العصر الذي عاش فيه الشاعر من الناحية السياسية العامة والخاصة — في الدولة والإقليم — والإلهام بالحركة العلمية في العصر ، لبيان مدى تأثير كل ذلك في تكييف حياة الشاعر ، وتأثيرها في إنتاجه .

٢ — الحديث عن الشخصية بما يتناول أطراف حياتها ، ومذهبها في الحياة ، وتحقيق ما يدور حولها من آراء وخلافات .

٣ — الحديث عن الإنتاج — كاه أو بعضه — إذا كان هذا البعض مستقلاً يمكن أن يستخلص منه أفكار الشاعر ، وآراؤه ، ومذاهبه .

(ف)

فأما الحديث عن العصر ، فقد رأيت أن هذا الشاعر ليس مواطناً في إمارة فارس وحدها ، ولا في دولة إيران كلها ، بل مواطناً عالمياً — إن صح هذا التعبير — فكان لا بد لي أن أصور حالة إيران كلها في ذلك العصر ، بل الحياة في محيط البيئة الإسلامية التي كانت تجاور إيران شرقاً ، وغرباً ، والتي كان لها صدى كبير في حياة الشاعر ، وفي تلوين إنتاجه .

ومن هنا كان لزاماً علي — في مدخل الموضوع — أن أصور بقدر الإمكان أهم الأحداث السياسية ، في تلك البيئة عامة ، وأن ألتقط هذه الصور من السكتب المعاصرة التي تصدت لهذا ، كي أرسم صورة تقريبية للحياة العامة في ذلك العصر . وكان من الواجب كذلك — حين أعالج هذا الموضوع — أن أتجنب الدخول في تفاصيل الحروب الطاحنة ، التي شنها المغول على تلك المواطن ، وأن أتجنب ذكر الأسباب والمسببات ، والخطط العسكرية ، وطريق الجيوش ، ونتائج المواقع . فان كل ذلك مما يعنى المؤرخ السياسى ويساير طبائع المنهج المألوف لديهم . أما مهمة الدارس للأدب ، أو لعصر من العصور ، من وجهة نظر الأدب فهي مهمة يسيرة في ظاهرها ، ولكنها عسيرة في داخلها . ذلك لأنه إنما يتصدى لدراسة أهم الأحداث السياسية — إن وجدت — أو الأحداث العامة ، ومدى تأثيرها في حياة الأدب ، أو في حياة الأديب ، والاجتهاد في ربط الحوادث بالإنتاج إن كان لها صدى فيه .

★ ★ ★

وبهذا مضيت في الفصل الأول ، صورت بقدر الإمكان ، حالة البيئة قبيل الغزو وحالاتها في مختلف المواطن خلال الغزو ، وتعرضت لأهم الحوادث التي حدثت وكان

(ص)

لها تأثير في إنتاج الشاعر ، وعقبت على كل ذلك بصور من شعره في كل حادثة بقدر الإمكان، وبذلت جهداً لتصحيح موقف بعض المؤرخين من حوادث المغول. في أرض الخلافة الإسلامية ، وما كانوا يسندونه خاصة إلى قائد الجيوش — هولاكو — في تحطيم الخلافة ، وفي مصير مكتبات بغداد ، وفصلت في هذا مسترشداً بما كتبه مختلفو المؤرخين من الإيرانيين القدماء ، وما كتبه بعض العرب ، والمستشرقين .

★ ★ ★

وفي فصل الحضارة ، أثبت من تاريخ المغول عند مختلف المؤرخين من الغربيين وغيرهم ، أنهم لم يكونوا أعداء للحضارة بالمعنى الذي عرف عنهم وتنبعت بعض ألوان الحضارة ، وخاصة ما كان يتصل منها بتشجيع العلوم والعلماء والنهوض بالإنتاج العلمي ، وما أحاط المؤرخين من بسطة الحياة ، حتى ظهر في هذا العصر كثير من أعلام التاريخ الذين مكنت لهم الدولة فبلغ بعضهم مناصب الوزارة .

★ ★ ★

فلما انتقلت إلى الفصل الثالث من هذا الباب ، وهو دراسة الأسرة الحاكمة في إمارة فارس ، التي كانت عاصمتها شيراز — موطن الشاعر — التزمت المنهج التاريخي التفصيلي لأعضاء هذه الأسرة ، ولكنني أفضت القول في دراسة ألوان الحياة من الوجوه الهامة ، في عصر الأمير الذي عاش الشاعر في كنفه ، وبخاصة الحركة العلمية في عهده ، ومدى تأثير لون الحياة نفسها في إنتاج الشاعر ، وحققت في هذا الفصل بعض وجوه الخلاف بين المؤرخين ، ورجال الأدب ، فيما كان يتصل بالشاعر ، وحكام هذه الإمارة .

(ق)

وكان النظر في هذا الباب جديراً بهذا كله ، ذلك لأنه يحيط بألوان أساسية من الحياة السياسية ، والحضارة ، لتشخيص حياة الشاعر وإنتاجه على ضوءها ، تشخيصاً قريباً من الصواب ، وكان التماس تأثيرها في هذا الإنتاج مما أطال النظر كذلك ، ولكنه كان لا غنى عنه .

— ٣ —

وفي الباب الثاني — وهو الخاص بحياة الشاعر نفسه — تتبعت أطراف حياته منذ مولده حتى نهايته ، وفصلت — جهد الطاقة — في كثير من الخلاف حول المسائل الهامة ، التي لا تزال موضع جدل ومناقشة ، وحاولت — في كل ذلك — أن أرسم صورة صحيحة ، أو قريبة من الصواب ، لحياة هذا الشاعر ، وتطورها ، وتأثيرها بلون الحياة التي كان يعيش فيها : في منزله ، وفي موطنه ، وفي إمارته وفي دولته ، وأخيراً في البيئة الإسلامية التي كانت تحتويه ، ويحجب بعض نواحيها والتي وجهت الطريق لكثير من الأفكار التي أخذ ينظمها في كتابه البوستان ، حتى أخرجت منه شاعراً من أكبر شعراء الأخلاق ، ومن أعظم شعراء الإنسانية بوجه عام ، تشيد بذكره — حتى اليوم — البيئة الإسلامية كلها ويشارك في الإشادة به الذين عنوا بدراسة الاستشراق في الغرب .

— ٤ —

أما الباب الثالث وهو البحث في ديوانه — أو مثنويه البوستان — فقد تخيرته من إنتاج الشاعر جميعه ، ذلك لأنه أهم كتاب يعرض للدراسة الأخلاقية ، ويوضح كثيراً من مذاهب الشاعر ، وآرائه ، فهو — وحده — جدير بالدراسة ، وقد قسمت البحث فيه إلى قسمين أساسيين .

(١) بحث تاريخي .

(ب) دراسة تحليلية .

وقد شمل البحث في الأول كل ما أمكن أن يدور حول تاريخية البوستان .
عن الباعث لهذا اللون من الشعر ، وعن تسميته ، ومكانته بين المثنويات ، وأهم
النسخ الموجودة ، والفروق بينها ، وعن أبوابه وموضوعها ، وعن طريق الشاعر
في أداء قصصه .

أما الدراسة التحليلية ، فقد كانت عوضاً عن الترجمة الصامتة . ذلك أن الترجمة
— وحدها — ترضى حاسة الأديب ، قبل أن تسد حاجة الباحث العلمي ، كما يشير
إلى ذلك أستاذنا معالي الدكتور طه حسين باشا ، فيما قدم به غزليات حافظ
الشيرازي . فالترجمة — من هذه الناحية — عمل تكميلي لا أساسي . ذلك لأننا
بصدد بحث علمي يطالبنا أن نكشف عما في طرفي الكتاب من أفكار ،
وإذا فُهمَت المقاصد من أبواب الكتاب ، كان الرجوع إلى الترجمة أمراً يسيراً ،
على أن الترجمة كانت قد تمت — بطبيعة الحال — لتكون أداة للبحث عند النظر
في ذلك التحليل ، وسأقوم — عما قريب — بعرضها على القراء فيما أشار إليه
أستاذي الدكتور عزام بك .

وقد شملت الدراسة التحليلية ، تحليل المقدمات وما تطويه من أفكار ، ثم
تحليل القصص التي تدور حول أشخاص تاريخيين أو على ألسنة الحيوان ، فيما
تضمنته أبوابه المختلفة .

وكان لا بد أن أعين حدود القصة قبل الحديث عن أفكارها أو موضوعها
ولهذا وضعتُ الجداول ، ثم اتبعتُ تحليل القصص بالإشارة إلى الأفكار العامة
التي نادى بها الشاعر في مختلف قصص الباب كله .

(ش)

والقصص التي عرضنا لتحليلها هي أقوى القصص — لا نزاع — في إثبات أفكار الشاعر وآرائه ، وإلا فكيف يهتم بأن يسند أدوارها أعظم الشخصيات الملائمة لها؟؟ كما أنها القصص التي اهتم لها الدارسون من الغرب والشرق ، بل اهتم لها المصورون العالميون ، فصوروا حوادث بعضها . كما نلاحظ ذلك في إحدى النسخ القيمة المخطوطة بدار الكتب المصرية ، والتي على بعضها توقيع المصور الإيراني الخالد — بهزاد — والتي زادت من قيمة المخطوطة فعرض فيها مبلغ خيالي بلغ ٣٠ ألف جنيه ، وقد نقلنا بعضها في هذا الكتاب .

هذه هي دراستي للموضوع ، أقدمُها اليوم ، وأقدم معها هذه الألوان التي كشفت عن الشاعر الكبير « سعدى الشيرازى » . ولعلى أكون قد وفقت في أن أقدم للقارئ الكريم — وكل ذى رغبة في التماس شئ من آثار الشاعر — صورة صادقة تحب إليه التماس الترجمة الكاملة لهذا الكتاب التي سأنشرها عما قريب ، والتي سأتابعها بدراسة وترجمات أخرى لبقية آثاره — منشورة ومنظومة — لعلى أكون قد ساهمت بنصيبى في نقل تراث أجنبي إلى لغتنا ، وإضافة ثروة جديدة إليها ، عن شاعر من كبار شعراء الإسلام . ولعلى أكون قد ساهمت بنصيبى كذلك في إحياء هذا الشاعر .

المؤلف

والله أسأله التوفيق والسداد

٢٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ هـ

٣٠ يناير سنة ١٩٥١ م

(ت)

مقدمة

لمحة عن إيران ووضعها السياسي في القرن السابع الهجري

تعتبر المنطقة التي تقع فيها إيران إقليماً قائماً بذاته ، ولهذا الإقليم مقوماته الطبيعية التي تجعل منه وحدة مستقلة ، وقد هيا له موقعه وسهولة مسالكه منذ القدم مكانة جعلته بمثابة الجسر يعبر عليه الغزاة من الشرق إلى الغرب وبالعكس . فاجتازه الإسكندر الأكبر في فتوحاته إلى الشرق قبل الميلاد ، ومضى عليه العرب في غزواتهم حتى الهند في القرن الأول الهجري ، واجتاحه المغول خلال القرن السابع الهجري ، ونفذوا منه إلى الشام وأوروبا في الغرب . أما من الناحية السياسية في مطلع ذلك القرن فقد كان ينقسم إلى قسمين أساسيين :

الجزء الشامي ، وتدخل فيه منطقة خراسان ، وكان أغلبه تحت حكم « ملوك خوارزم » وبعضه تحت حكم « الإسماعيلية » في منطقة صغيرة جنوبي بحر قزوين تسمى « بلاد الجبل » .

والجزء الجنوبي منه وأهم ما فيه « ولاية فارس » وكانت مستقلة ، وبعض ولايات أخرى صغيرة .

وكان يجاور هذين القسمين من الغرب بلاد الخلافة الإسلامية .

ويمكن أن نصور حال البلاد خلال القرن السابع الهجري بما يأتي :

كانت بلاد إيران في مستهل ذلك القرن تتمتع برخاء في العيش ، وازدهار في الحياة ، وتقدم في العلوم ، ورق في كل ألوان الحضارة . تزخر مدنها بوفرة من

أجلة العلماء ، ويتسابق حكامها وولايتها في رعايتهم ، وتهيئة الحياة رحية هائلة لهم .
وكان الموطن الإسلامى موطناً عاماً لكل مواطن فى أية بيئة من بيئاته ،
ينتقل فيها كيف يشاء ، ويحل فيها متى شاء ، تتلقاه مدنها وأهلؤها وكأنما يحل معهم
وطناً وينزل عليهم أهلاً . لا فرق فى هذا بين من كان من أبناء الشرق أو من
أبناء الغرب .

وفى أوائل هذا القرن نجىء العالم الإسلامى فى — الجانب الشرق منه —
بسيل جارف اجتاحت أقاليمه ومدنه بظهور المغول ، ومسيرهم نحو البلاد الإسلامية
الجاورة لهم .

وكانت أهم دولة اصطدموا بها فى الطريق دولة « ملوك خوارزم » وكانت
تبسط سلطانها على بلاد ما وراء النهر والجزء الشمالى من إيران ، وامتد حكمها من
سنة ٤٩١ هـ حتى سنة ٦٢٨ هـ^(١) .

وكان يقوم على حكمها السلطان « محمد شاه » حين فجأه المغول ، ولم يحتمل
هذا السلطان ضغط هجماتهم المتواصلة ، وما زال يفر من مكان إلى مكان وهم
فى أعقابهم حتى لجأ أخيراً إلى جزيرة ببهر قزوین ومات بها فى نفس العام الذى
هاجمه فيه المغول وهو سنة ٦١٧ هـ . فتولى الدفاع بعده ابنه « جلال الدين
مكبرتى » وقاد الجيوش فى بسالة وشجاعة قل أن يوجد لها نظير .

ولا نستطيع ونحن نسجل له بعض ما أثر تاريخه أن ننسى ذلك الموقف الذى
وقفه جلال الدين نفسه وتلك البطولة التى مثلها حين عيل صبره ، وضاق به الحال ،
ولم يبق إلا أن يسقط أسيراً أو قتيلاً ، فألقى بنفسه من مرتفع على شاطئ نهر
السند ، وهو على صهوة جواده ، يبغى النجاة إلى لقاء جديد ، بعد أن التقى بفئة

(١) حمد الله المستوفى . تاريخ كزیده ص ٤٨٦ طبعة جب التذكارية .

قليلة من رجاله بجيش المغول اللجب ، وأوشك أن ينتصر عليهم بهذه الجماعة ،
لولا سوء الحظ ونفاذ المقدور ، فكان عملاً فداً أقرب إلى الأسطورة منه
إلى الحقيقة^(١) .

ومع ذلك لم تحطم أعصابه هذه الحادثة ومضى يحمل نفسه بيده ، يذيقهم
العذاب ويذيقونه ، حتى قضى الله أمراً كان مفعولاً ، فتلاشت قوته وبادت
دولته سنة ٦٢٨ هـ^(٢) .

وفي الجزء الجنوبي الغربي من إيران كانت تقوم أكبر ولايات الجنوب
وهي « ولاية فارس » كان على حكم هذه الولاية في ذلك العهد أمير من
تأبكة آل سلغرهو « سعد بن زنگي » الذي حكم ما بين سنة « ٥٩١ — ٦٢٣ هـ^(٣) »
فتمكن — بعد نظره — أن يحافظ على استقلال ولايته والنجا بها بعيداً عن
ذلك الغزو المرير ، ورضى أن يحافظ على استقلاله الذاتي ، والاعتراف به مقابل دفع
الجزية لهم ، فأمن بهذا شر ذلك المصير الذي آلت إليه إمبراطورية « ملوك خوارزم » .
كان يحاور هذين القسمين من الغرب ، بقايا ممتلكات الخلافة في العراق ،
وكان يقوم عليها في ذلك الوقت « الخليفة المستعصم » . تجنب الخليفة سياسة المسالمة
وارتكب كثيراً من الأخطاء التي سنعرض لها ، مما أدى إلى القضاء على خلافته
وعلى دولته سنة ٦٥٦ هـ .

وبجانب ذلك كانت هناك ولايات أخرى بعيدة عن المحيط الذي سنعرض
له في دراستنا ، أصاب بعضها غزو المغول وطواها فيما طوى ، وكان أهمها منطقة

(١) انظر محمد المنتهي النسوي « سيرة جلال الدين منكبرتي » ص ٨٥ طبعة باريس
وانظر تصوير القصة في كتاب الأوابد للدكتور عزام بك .

(٢) ابن الأثير ج ١ ص ٢٣٥ المطبعة الأزهرية .

(٣) شيرازنامه ص ٥٢ و ٥٤ طبعة طهران .

« قلاع الاسماعيليه » في « بلاد الجبل » جنوبى بحر قزوين ، وقد أقاموا حكومتهم فى تلك المنطقة ما بين سنة ٤٨٣ إلى ٦٥٤ هـ^(١) . استطاع المغول أن يتغلبوا بدورهم أيضاً على تلك الطائفة ، حتى إذا فرغوا منها سنة ٦٥٤ هـ تقدموا إلى العراق ، فإذا انتهوا منه مضوا فى طريقهم إلى الشام حيث التحموا بالمصريين وأمرأء الشام فى عدة مواقع ، كان من أهمها موقعتان عظيمتان هما موقعة « عين جالوت » سنة ٦٥٨ هـ^(٢) . وموقعة « مرج الصفر » التى حدثت سنة ٧٠٢ هـ^(٣) . وقد كتب النصر فى هاتين الموقعتين للمصريين ، فارتد المغول على أعقابهم ، ثم تنابح الضعف عليهم ، حتى انقضت حكومتهم التى أسسوها شمالى إيران فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى .

هذا تصوير سريع لسير هذه الحركة التى استغرقت قرابة قرن من الزمن ، هو القرن السابع الهجرى من بدئه تقريباً حتى نهايته ، وأخذت جزءاً من أوائل القرن الثامن .

لكن بالرغم من هذا لم يخل عصر المغول من جانب مشرق إيران ، فسرعان ما نهض العالم من كبوته ، كما اندمج هؤلاء فى الجماعة الإسلامية بعد توطنهم بينها واتصلهم بأبنائها ، فأخذوا فى بناء الحضارة من جديد ، وارتقت العلوم فى هذا العهد ، واستخدموا كثيراً من أبناء تلك الأمة فى مناصب الدولة وكراسى الوزارة وكثيراً ما كانوا يأخذون بمشورتهم ويعملون بأرائهم ، مما كان لكل هذا تأثير كبير على العلوم والحضارة بل على الحياة العامة كذلك مما سنفصله فيما بعد .

(١) تاريخ كزیده ص ١٧٥

(٢) أبو الفداء - المختصر فى تاريخ البشرى ج ٣ ص ٢١٤ وابن الفوطى فى الحوادث الجامعة ص ٣٤٤ وان كان يجعل هذه الحادثة سنة ٦٥٩ هـ .

(٣) أبو الفداء ج ٤ ص ٥٠

عاصر الشاعر معظم هذه الأحداث ، فولد في طليعة القرن السابع الهجري ،
وشاهد ما حل بالعالم الإسلامي من تخريب ودمار ، وتحركت نفسه للكوارث التي
ألمت به ، وخاصة ما حل بالخلافة الإسلامية ، وما أصيبت به بغداد من أهوال ،
واتصل بكبار رجال الحكومات في هذا العصر ، وكان لكل ذلك أثر في مجرى
حياته وفي ألوان شعره مما سنعرض له بعد .

الباب الأول

الفصل الأول

القرن السابع الهجري من الناحية السياسية العامة
في إيران، وبلاد الخوارزمية وكيف صورته المؤرخون؟؟

حال البلاد قبل الغزو :

والرجوع إلى تصوير المؤرخين لحال البلاد في ذلك العصر يعطينا فكرة عن مدى الرخاء ، وسعة العيش وتقدم العلوم ، ورفاهية الحياة .
وينقل ابن خلكان في كتابه « وفيات الأعيان » نص خطاب بعث به « ياقوت الحموي » إلى القاضي الأكرم « أبو الحسن الشيباني » وزير حلب يصف فيه بلاد خراسان ، وما كانت عليه قبيل غزو المغول تقتطف منه قوله :
« كانت والله مورقة الأرجاء رائقة الأنحاء ذات رياض أريضة وأهوية صحيحة مريضة » ، ثم يعضى في وصف رقيق حتى يقول عنها إجمالا « وجملتها أمرها أنها كانت أنموذج الجنة بلا مين . فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ العين » .
ثم يصور فرار « السلطان محمد » منها ورحيله عنها بقوله « كم تركوا فيها من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين »^(١)

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢١٣ طبعة الحلبي .

ويشارك الجويني — عطا ملك — في كتابه « جهان گشای » « ياقوتا »
في وصفه لها كذلك قبل الغزو المغولي بقوله عنها :

« مطلع السعادة والمبرات ، وموضع المراد والخيرات ، ومنبع العلماء ، ومجتمع
الفضلاء ، ومربع العطاء ، جاء عنه في الخبر ، العلم شجرة أصلها بمكة وثمرها
بخراسان »^(١) .

ويعطينا « ياقوت » فكرة صادقة عما لقيه بإحدى مدن ذلك الإقليم وهي
مدينة « مرو » وما وجدته فيها من المكتبات الغنية ، التي كان يتردد عليها ، والتي
انتفع بها كثيراً في مؤلفاته . يرد ذكر هذا في موضعين أحدهما في كتابه « معجم
البلدان » والآخر في خطابه السابق الذي أثبت نصه « ابن خلكان » .

فأما ما ورد عنها في كتابه « المعجم »^(٢) ، ففي قوله عن مرو « إن فيها عشر
خزائن للوقف ، لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة . منها خزانتان في الجامع ، إحداها
يقال لها العزيرية ، وفيها اثنا عشر ألف مجلد ، والأخرى يقال لها الكالية وغيرها »
إلى أن يقول بعد ذلك :

« وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مثناً مجلد ، وأكثرها بدون
رهن » ثم يختم عبارته بقوله : « وأنساني حبها كل بلد وألهاني عن الصحب والولد
وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره فهو من تلك الخزائن » وكان « ياقوت » قد
تركها سنة ٦١٦ هـ^(٣) .

ويقول عنها في سياق الكلام من خطابه السابق في « وفيات الأعيان » .
وكان المقام « بمرور الشاهان » المفسر عندهم بـ « نفَس السلطان » . فوجد

(١) جهان گشای ج ١ ص ٤

(٢) معجم البلدان . مدينة مرو ص ٣٥

(٣) توفي ياقوت سنة ٦٢٦ هـ — انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٢١٤

بها من كتب العلوم والآداب^١ ، وصحائف أولى الأفهام والألباب ، ما شغله عن الأهل والوطن ، وأذهله عن كل خل صفي وسكن ، فظفر منها بضائنه المنشودة ، وبغية نفسه المنقودة ، فأقبل عليها إقبال النهم الحريص ، وجعل يرتع في حدائقها ويستمتع بحسن خلقها وخلاتها « إلى أن يقول : » وأعتقد المقام بذلك الجناب إلى أن يجاور التراب . »

وبمثل هذا التصوير الرقيق يشارك « الجويني » « ياقوتا الحموي » أيضاً في تصويره لها يبين رقيقين من الشعر في قوله :

بلد طيب ورب غفور وثرى طينه يفوح العبيرا
وإذا المرء قدم السير منه فهو ينهائ باسمه أن يسيرا

وفي عبارته « فهو ينهائ باسمه » — إشارة لطيفة إلى معنى الكلمة وتركيبها . فهي تتكون من الميم التي تؤدي معنى النهي في الفارسية و « رو » من مصدر « رقت » أي الذهاب . فعنى كلمة « مَرَوْ » لا تذهب ، وذلك إشارة إلى قوله فهو ينهائ باسمه .

هجوم المغول وكيف صوره المؤرخون في مملكة خوارزم وإيران الشمالية ؟

لا نعرض هنا لذكر أسباب هذا الهجوم بالتفصيل ، ولا للعلاقات التي كانت بينهم وبين البلاد الإسلامية المجاورة ، فلسنا في حاجة إلى ذلك ، كما أن البحث لا يدعو إليه .

ونكتفي بأن نورد ما سجله « ابن الأثير » المعاصر لهذه الأحداث في ذكر الأسباب التي دفعت المغول إلى الهجوم على بلاد « خوارز مشاه » ، ثم إلى غيرها . ففي أحداث سنة ٦١٧ هـ تحت عنوان « ذكر خروج التتر إلى تركستان ،

وما وراء النهر وما فعلوه»^(١) يقول «وكان السبب في ظهورهم أن ملكهم ويسمى چنگيزخان المعروف بتموجين كان قد فارق بلاده ، وسار إلى نواحي تركستان ، وسير جماعة من التجار الأتراك ، ومعهم شيء كثير من النقرة والقندر وغيرها إلى بلاد ما وراء النهر — بخارى وسمرقند — ليشتروا له ثياباً للكسوة ، فوصلوا إلى مدينة من بلاد الترك تسمى «أوترار» وهي آخر ولاية «خوارز مشاه» ، وكان له نائب هناك فلما وردت عليه هذه الطائفة من التتر ، أرسل إلى «خوارز مشاه» يعلمه بوصولهم ، ويذكر له ما معهم من الأموال ، فبعث إليه «خوارز مشاه» يأمر بقتلهم ، وأخذ ما معهم من الأموال وإنفاذه إليه ، فقتلهم وسير ما معهم ، وكان شيئاً كثيراً ، فلما وصل إلى «خوارز مشاه» فرقه على تجار بخارى وسمرقند ، وأخذ ثمنه منهم .

هذا ما أورده «ابن الأثير» في ذكر الأسباب ، يتضح منه — إلى أي حد — ترجع أسباب هذه الحرب إلى السلطان «محمد خوارز مشاه» . ونستطيع أيضاً أن نعتمد على ما ذكره هذا المؤرخ في تصوير هجوم المغول ، وحوادثهم في بعض المدن التي استولوا عليها ، وقد ظفرت هذه الصورة بتقدير عظيم عند كثير من المؤرخين الذين عرضوا لدراسة هذا العصر في بعض نواحيه^(٢) . ويبدو مدى تأثير تلك الصورة في نفسية «ابن الأثير» حتى أنه تردد أن يسجلها ، ولكنه أذعن أخيراً تحت مشورة أصدقائه .

وترد هذه الصورة في فصل له تحت عنوان «خروج التتار إلى بلاد الإسلام»^(٣) يقول فيه «لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة ،

(١) ابن الأثير ج ١٢ ص ١٦٦

(٢) G. Brown: A Literary His. of Persia. v. 2. pp. 427-430

Arnold: The Preaching of Islam.

انظر ترجمته «الدعوة إلى الإسلام» ص ١٩٠ للدكتور حسن إبراهيم وآخرين .

(٣) ابن الأثير ج ١٢ حوادث سنة ٦١٧ هـ .

استعظاما لها ، تاركاً لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى ، فمن ذا الذى يهون عليه ذلك ، فياليت أمى لم تلدى ، ويا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » ويذكر أنه يتردد فى ذكر تفاصيلها ، إلا أنه استجاب تحت مشورة أصدقائه ، ثم يمضى فيسجل .

« هذا الفعل يتضمن الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التى عفت الأيام والليالى عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن ، لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يداينها . »

ثم يقارن بينها وبين ما سلف من أحداث التاريخ التى أحدثت هزات عظيمة حتى عهده ، ويخص بالذكر ما فعله بختنصر بنى إسرائيل من القتل والتشريد ، وتخريب بيت المقدس ، ثم يمضى فى عرض البلاد التى تقدموا إليها ، وتم فتحها فى حياته^(١) بقوله :

« فان قوما خرجوا من أطراف الصين ، فقصدوا بلاد تركستان ، مثل كاشغر وبلاسخون ، ثم منها إلى بلاد ماوراء النهر ، مثل سمرقند وبخارى وغيرها ، فيفعلون بأهلها ما نذكر ، ثم تمر طائفة منهم إلى خراسان ، فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً ، ثم يتجاوزونها إلى الرى وهمدان وبلاد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق ، ثم يقصدون بلاد آذربيجان وأرانية ويخربونها ، ويقتلون أكثر أهلها ، ولم ينج إلى الشريد النادر . »

ومن المؤرخين المعاصرين — أيضاً — لهذه الأحداث ، والذين كان لهم مركز ممتاز فى دولة ملوك خوارزم « محمد المنشى النسوى » المتوفى سنة ٦٣٠ هـ

(١) انتهى ابن الأثير من كتابه بعد إتمام ج ١٢ حوادث سنة ٦٢٨ هـ وتوفى سنة ٦٣٠ هـ انظر ترجمة حياته فى ابن خلكان ج ١ ص ٣٤٧

وصاحب « سيرة جلال الدين منكبرتي » يعرض أيضاً باختصار صورة لهذا الغزو في قوله :

«وהל بلغك أن طائفة خرجت من مطلع الشمس ، فقطعت الأرض إلى باب الأبواب^(١) ، فعبرت بلاد قفجلن وشدت على قبائلها غارة شعواء ، وخبطتها بالسيوف خبط عشواء ، فلم تدرس أرضاً إلا نهبتها ، ولا بلداً إلا خربت ، ثم رجعت إلى صاحبها من طريق خوارزم بعد هذه الدورة سالمة غانمة ، وقد أهلكت حرث البلاد ونسلها. إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»^(٢).
ويغنيها « الجويني » عن الإطالة في التعبير بكلمات قصار ، ولكنها تدل دلالة قوية على تصوير هذه الحادثة ونتائجها . وذلك في عبارته التي أوردها على لسان أحد أبناء بخارى ، الذين فروا من هول الغزو ، وقد سئل عما شاهدته فأجاب بالعبارة الآتية :

« آمدند ، وکندند ، وسوختند ، وکشتند ، وبردند ، ورفتند^(٣) » أي جاءوا ، وهدموا ، وأحرقوا ، وقتلوا ، ونهبوا ، وذهبوا .
وهذه العبارة مقابلة تقريباً لما ذكره « ابن الأثير » في قوله من عبارته السابقة :
« فيفرغون منها ملصكا ، وتخريباً ، وقتلاً ، ونهباً » .

وظل صدى عبارة « الجويني » يتردد بين كثير من المؤرخين الذين جاءوا بعده فأشار إليها باختصار صاحب « تاريخ كزیده^(٤) » من مؤرخي القرن الثامن الهجري . وترجمها سجعاً مؤرخ عربي في القرن العاشر هو « أبو العباس أحمد

(١) مدينة تقع على الشاطئ الغربي من بحر قزوين .

(٢) سيرة جلال الدين منكبرتي ص ٢٤

(٣) جهانگشای ج ١ ص ٨٣

(٤) تاريخ كزیده ص ٥٧٤

ابن يوسف الدمشقي الشهير بالقرماني^(١) . في قوله « هجموا ، وهدموا ، وأحرقوا ، وأزهقوا ، ونهبوا ، وذهبوا » ..

ومن الظواهر التي تسترعى أنظارنا بالإضافة إلى ما تقدم من تصوير المؤرخين لرفاهية الحياة ، وازدهارها بهذه الأقاليم ، ما ذهبوا فيه مذهب المغالاة في تقدير عدد السكان فكان سكان كل من بخارى وسمرقند يجاوز المليون^(٢) . كذلك يذكر « براون » نقلاً عن « رشيد الدين » « أن الجيش الذي حاصر مدينة « خوارزم » كان تعدادة خمسين ألفاً ، قتل كل واحد منهم أربعة وعشرين سجيناً أو محاصراً^(٣) » . كما يقول آرنولد « إن جيش المغول بعد أن تحول عن هراة خرج أربعون من أهلها من مخبئهم فراراً من الموت ، وكان هؤلاء الناعسون هم البقية الباقية من سكانها الذين يربو عددهم على مائة ألف^(٤) » .

ويذكر الجويني في فصل له عن أحوال مدينة مرو يمتد إلى الثلاثين صفحة يذهب فيه إلى أن عدد القتلى في تلك المدينة بلغ مليوناً وثلثمائة ألف قتيل^(٥) . على أن هناك ظاهرة أخرى ، تلفت أنظارنا كذلك هي أنهم — منذ فتوحاتهم الأولى — كانوا يرغبون في معرفة الطبقات التي يأسرونها ، وتمييزها عن بعضها ، وإحاطة رجال الفن منهم برعايتهم الخاصة ، أما الجنود فإنهم كانوا يلقون شر المصير . يقول ابن الأثير في عبارة له « أمر جنكيز خان أن يكتبوا له أسماء تجار البلد ورؤسائه وأرباب الأموال والصنائع في جريدة ليعرضوا عليه » ثم يستطرد

(١) انظر كتابه — أخبار الدول وآثار الأول . طبع بغداد ص ٨٦

(٢) جهانگشای ج ١ ص ٩٤

(٣) G. Brown : A Literary His. of Persia. v. 2. p. 438

وجهانگشای ج ١ ص ١٠٠ — ١٠١

(٤) الدعوة إلى الاسلام ص ١٩٠ . ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين .

(٥) جهانگشای ج ١ ص ١٢٨

فى عرض ما انتهى إليه الأمر بقوله « فلما وقف على النسخ أمر أن يخرج أهل البلد منه « مرو » ولم يبق فيه أحد ، فجلس على كرسى من ذهب ، وأمر أن يحضر أولئك الأجناد الذين قبض عليهم ، فأحضروا وضربت رقابهم»^(١).

وربما جد من الأسباب — لدى المغول — ما يحملهم على المغالاة ، وارتكاب الفظائع فى الاستيلاء على المدن والتنكيل بأهلها ، وكان من أهم ذلك أن يتعرض أحد أسرائهم أو مشاهير قادتهم إلى القتل . فيذكر صاحب « سيرة جلال الدين منكبرى » ما فعلوه فى مدينة نيسابور ، وقد قتل فيها أحد أسرائهم قوله « قصدوا نيسابور فى عامتهم ، ليزيقوا أهلها نكال طامتهم ، حتى إذا قاربوها خرج أهلها مناوشين ، فأصابت صدر تفجاق اللعين نشابة تمكنت من محل سره فانتقل إلى نار الله الموقدة » .

ثم يمضى فى تعداد بعض الأساليب الحربية وأسلحتها التى استعملوها فى حصارهم لتلك المدينة مما كان معروفاً فى عصرهم وذلك فى قوله « حتى أراحوا عليهم بها فى المتاريس ، والديابات ، والجانيق ، والجلونات ، فساقوا إليها ونصبوا فى نهارهم ذلك مائتى منجنيق مكملة الأسباب ، فرموا بها واستولوا عليها بعد ثلاثة أيام » ثم يستطرد فيعرض لأسماء كثير من الأقاليم والمدن التى فتحوها فى حياته^(٢) وذلك فى قوله : « فهذا قياس مطرد فى سائر مدن خراسان وخوارزم والعراق ومازندران وأذربيجان والغور وغزنه وباميان وسجستان إلى تخوم الهند ، فلو ذكرت مفصلة لم يتغير فيها إلا اسم المحاصر والمحاصر فلا حاجة إلى التطويل »^(٣).

ويذكر « براون » أنهم فعلوا فى مدينة « باميان » مثما فعلوا بمدينة نيسابور

(١) ابن الأثير ج ١٢ ص ١٨١ . المطبعة الأزهرية .

(٢) توفى هذا المؤرخ سنة ٦٣٠ هـ .

(٣) سيرة جلال الدين منكبرى ص ٥٣ و ٥٤

بعد أن قتل أهلها أميراً مغولياً فدمروها عن آخرها حتى بقيت خالية من السكان
لمائة سنة بعدها^(١).

هذا تصوير سريع أشار إليه المؤرخون المعاصرون لهذه الأحداث ، تبين منه
إلى أى حد يصورون رفاهية الحياة فى تلك البلاد قبل الغزو ، وإلى
أى حد يصورون مآلاته تلك المدن وسكانها وكيف احتملت مرارة ذلك
الغزو الفظيع .

★ ★ ★

الشاعر وتصويره لهذه الأحداث :

لم تمض هذه الكوارث دون أن تؤثر فى نفسية الشاعر ، فعرض صداها فى
كثير من أشعاره ، تردد فى مناسبات مختلفة ، لم يعرض لها عرضاً مستقلاً .
وتصوير الشاعر لهذه الأحداث مهما يكن فى مناسباته ، أو فى أسلوبه ، يعطى
أيضاً صورة لما كان عليه العالم الإسلامى فى ذلك الوقت من اضطراب ومحن
ألمت به .

ونستطيع أن نأخذ تصويره لهذه الحوادث من أربعة مواضع :
أولاً — فى كتابه « بوستان — باب الرضا — » فى القطعة الثالثة . يعرض
الشاعر لقصة بطل من الحاربين فى مدينة « أصفهان » ، يحذثه عن شجاعته ،
وبسالته فى حرب التتار . ويورد فى الحديث بعض أسلحة الحرب وملابسهم فى
أزمانهم ، كما يصف معركة من المعارك .

يدور مغزى القطعة حول « القضاء والقدر » ، وأن القضاء إذا لم يسعف
الإنسان فلن تسعفه شجاعته وقوته ومعداته . يجرى الحديث بينهما فى سؤال الشاعر له .

G. Brown : A Literary History of Persia v. 2, p. 439. (١)

- قلت له ، أيها السيد الذي كان يصيد الأسد المصورا . . .
- ماذا حل بك حتى صرت كالثعلب الهرم . . . ؟
- تبسم ضاحكا ، ثم قال ، منذ تقائلنا مع التتر .
- أخرجت من رأسي حديث الظفر
- رأيت الأرض ، والرماح المشرعة فيها ، كأنها زرع من غاب .
- والأعلام المرفوعة فوقها كأنها نار ذات لهب .
- انهم طائفة تصرع النمر ، وفي قوة الأفيال .
- مدرعين بالحديد من رؤوسهم حتى حوافر الخيل .
- وحين لحنا الجيش يثير الغبارا .
- اكتسينا بالدروع واتخذنا قلانس المغافرا .
- وأثرنا الجياد العربية عليهم كأنها السحاب .
- وصببنا السهام القولاذية عليهم كأنها المطر .
- وصارت الأرض ، من زرقة الغبار فوقنا كأنها سماء .
- تلمع فيها السيوف والحوذات وكأنها نجوم .
- كنا نكاد نخرق الشعر بالسهام والأسنة .
- لكن لما لم يكن لنا حظ ولينا الأدبارا .
- لما كان الطالع معرضاً عنا .
- كان المجن أمام سهم القضاء كأنه لا شيء^(١) .

- (١) بدو گفتم سرور شیر گیر
بخندید کز روز جنگ تستر
زمین دیدم آئینه چون نبستان
گروهی پلنگ افکن وپیل زور
هماندم که دیدیم کرد سیاه
چو ابراسب تازی برانگیختیم
زمین آسمان شد ز کرد کبود
بتیر و سنان سوی بشکافتیم
چو طالع زما روی برهیچ بود
- چه فرسوده کردت چو رویاه ببر؟
بدر کردم آن جنگجوی زسر
گرفته علمها چو آتش در آن
در آهن سیرد وسم ستور
زره جامه کردیم و مغر کلاه
چو باران بلارگ فرو ریختیم
چو آنجم درو برق شمشیر و خود
چو دولت نبد روی برتافتیم
سپر پیش تیر قضا هیچ بسود

ثانياً— وفي مقدمة بعض نسخ « گلستان »^(۱) يصف اضطراب العالم، وتأثير ذلك في نفسه ، حتى أنه خرج من موطنه يرفه عنها ، مشيراً إلى أن العالم صار في نظره مضطرباً معقداً كأنه شعر الزنجي ، وحين كان الناس يحاربون بعضهم البعض كأنهم الوحوش الكاسرة . فإذا أمضى مدة في رحلاته عاد بعدها إلى موطنه ، فوجده تحت ظلال الأمير العادل « أبي بكر بن سعد » فرأى الحياة قد عادت إلى هدوئها ، ورأى النور قد تحررت من طباعها .

— ألا تدرى لماذا خرجت مغترباً أطوف في البلاد ؟

ولماذا أمضيت زمناً بعيداً عن الوطن والأحباب . ؟

— نزحت بعيداً حين رأيت محن الأتراك

و حين صار العالم معقداً كأنه شعر الزنجي .

— الناس — كافة — من بنوة آدم لكنهم

كالدُّباب المتعطشه للدماء بمخالبها الحادة .

— وحين عدت إلى موطني وجدت السعادة تظله .

ووجدت النور الكاسرة قد تحررت من طباعها .

— رحلت من موطني حين كان العالم في عهده الأول .

يفيض بالحن ، والاضطراب ، والشدائد .

— ثم آويت إليه حين كان يظله عهد السلطان العادل .

الأتابك أبي بكر بن سعد بن زنگي^(۲)

(۱) گلستان سعدی نسخة platts طبع لندن سنة ۱۸۷۴ م ص ۵

(۲) ندانی که من در اقالیم غربت
برون رفتم از تنگ ترکان که دیدم
همه آدمی زاده بودند — لیکن
چو باز آمدم کشور آسوده دیدم
چنان بود در عهد اول که دیدم
چنین شد در ایام سلطان عادل

چرا روزگاری بکردم درنگی ؟
جهان درهم افتاده چون سوی زنگی
چو گرگان بخوارگی تیز چنگی
بلنگان رها کرده خوی پلنگی
جهان پر از آشوب و تشویش و تنگی
أتابک أبو بكر بن سعد زنگی

ثالثاً — وفي قصيدة فارسية يرثي فيها « الخليفة المستعصم » يستهلها بيت يحذر فيه الإنسان ألا يأمن إلى الحياة ، فدورة الأيام قاسية وانقلاب الحياة مريع ، ويصور في هذا البيت « أن الإنسان مهما يبلغ خياله فلن يدرك ما حدث ، فخيال الإنسان عاجز عن إدراك تلك الفظائع التي حدثت » (١) .

رابعاً — وفي قصيدة عربية يرثي فيها « المستعصم » أيضاً ، يعرض لتلك الفتنة التي اجتاحت العالم وتنقلت فيه من قطر إلى قطر ، تأخذ منها ما يصور هذه الحوادث .

نعوذ بعفو الله من نار فتنة تأجج من قطر البلاد إلى قطر
بدا وتعالى من خراسان قسطل فعاد ركاباً لا يزول عن البدر
إلام تصاريف الزمان وجوره تكلفنا ما لا نطيق من الأصر (٢)

★ ★ ★

ولاية فارس بإيران الجنوبية وكيف صور المؤرخون مواسمها للغزو؟؟؟

كانت ولاية فارس — التي تقع إلى الجنوب الغربي من إيران — هي البلاد الإيرانية الهامة التي اجتازت هذه المحنة بسلام. ولا نعرض هنا لتاريخ هذه الولاية في هذا الفصل بالتفصيل ، فلا حاجة إليه ، وإنما نصور فقط أهم الأحداث التي حدثت ، وآراء المؤرخين فيها أثناء مجيء المغول إلى إيران ، ونرجى تفصيل تاريخها وحكامها وصلة الشاعر بهم إلى فصل آخر .

ونذكر هنا — في إيجاز — كيف اجتازت هذه الولاية تلك المحنة ، ونجت

(١) زينهار أزدورگیتی وانقلاب روزگار درخیال کس نیامد کانچنان گردد چنين
کلیات سعدی . نشر فروغی ص ٤٨٦
(٢) کلیات فروغی ص ٤١٣

من هول الغزو وبطش المغول ، ويبدو لنا أن مطامع القوم لم تكن تتحایل على الاستيلاء على الأقاليم التي تدخل في طاعتهم ، فلم يصطنعوا الحوادث من جانبهم لإدماج بعض الإمارات التي رُغبت أن تدخل في الولاء لهم .

وكان من حسن حظ تلك الإمارة أن تولى حكمها إبان الغزو أمير من أسرة « آل سلغر » التي بدأت حكمها على أنقاض حكومة السلاجقة في تلك الإمارة قبيل القرن السابع الهجري . ذلك الأمير هو الأتابك « سعد بن زنگی » .

رأى « سعد » ألا طاقة له بمقاومتهم ، وأنه إن فعل ، فلا بد من ضياعه ، وضياع ملكه كما ضاع ملك « السلطان محمد وابنه جلال الدين » ، فذهب يقدم فروض الولاء للمغول — عندما دنوا من ولايته — هو وغيره ممن كانوا على بعض الولايات الأخرى ، التي كانت تواجه الغزو بعد إمبراطورية « ملوك خوارزم » . ويذكر صاحب « جامع التواريخ » ما قام به « سعد بن زنگی » وغيره في مواجهة المغول بقوله :

« چون خبر وصول رایات جهانگیر در اطراف شایع وبستفیض گشت ، سلاطین وملوک، هرملکتی از ممالک ایران به بندگی حضرت متوجه شدند ، از روم سلاطین عزالدین ، و رکن الدین ، و از فارس سعد پسر آتابک مظفر الدین ^(۱) . »

وبهذا رسم « سعد » الطريق لمن جاء بعده لأن يدخلوا في طاعتهم . فلما تول ابنه « أبو بكر » سار على تلك السياسة التي رسمها أبوه بل توسع في رضائهم فقدم بجيش لفتح بغداد ^(۲) تحت قيادة ابن أخيه « محمد شاه بن سلغر شاه » كما أرسل لهم البعوث للتهاني بعد إتمام فتحها ^(۳) ، ودفع لهم ما التزمه من أتوات

(۱) جامع التواريخ ص ۱۵۰ . باريس نشر كاتومير .

(۲) الأستاذ قزويني — سعدی نامه ص ۱۰۵

(۳) حبيب السير ص ۱۳۰ طبعة بمبئی .

وخارج وداوم على سياسة حسن المودة ، مما دل على بعد نظره وإصابة تديره ، كما استحق — فى نظرهم — أن يلقب لقباً مغولياً هو « قتلغ خان^(١) » ومعناه « الملك المبارك^(٢) » وبهذا سلمت فارس من الحرب ، بل هيات لها تلك السياسة الرشيدة حياة هادئة مكنتها من تنظيم أمورها ، فالتجأ إليها كثير من العلماء ، وتغنى الشعراء بعهداها .

ويذكر « بارتولد » فى كتابه « تاريخ الحضارة » « أن ولايات الجنوب بايران — فارس وكرمان — سلمتا من عادية الجيش المغولى ، ودامت الحياة القديمة فى المدن الكبرى ، وخاصة فى شيراز ، فلهذا اكتسبت فارس حظوة عظيمة لم تنلها من قبل — من حيث الحضارة الإيرانية — وقد حمت الأدب الفارسى الدولة « السلغرية » التى اجتازت فتوح المغول سليمة ، والدولة « المظفرية » التى حكمت نصف قرن بعد تفرق المغول . فبأولى الدولتين ، يرتبط اسم الشيخ سعدى شاعر القرن السابع الهجرى ، وبالثانية حافظ الشيرازى^(٣) .

★ ★ ★

الشاعر وتصويره حالة فارس فى ذلك العهد :

أشرنا سابقاً إلى قطعة للشاعر فى مقدمة « گلستان » يذكر فيها كيف كان عهد فارس فى ظل أبى بكر حين عاد إليها من هجرته .

كذلك يشير الشاعر إلى ما فعله أبو بكر من مضاعفته المغول وحفظ ولايته من الدمار حتى صارت الملاذ لكل إنسان . وذلك فى كتابه « بوستان » فى قطعة يمدح بها أبابكر بن سعد ويشبه فارس فيها بأنها « كالبيت العتيق » يأمن

(١) وصاف ص ١٥٦ طبعة بمبى

(٢) الأستاذ فوزى — سعدى نامه — هامش ص ١٠٦

(٣) تاريخ الحضارة الاسلامية — ترجمة الأستاذ حمزة طاهر ص ٩٤

إليها اللاحيء ويقصدها الناس من كل فج عميق، ثم يقول إنه إذا كان «اسكندر» قد أقام سداً من الحديد والقطر بينه وبين يأجوج، فإن «أبا بكر» أقام بينه وبينهم سداً من الذهب، إشارة إلى ما كان يدفعه من أتاوة وخراج، وذلك في بعض أبيات ترجمها الدكتور عزام بك في فصل له عن «سعدى» في كتاب «قصة الأدب في العالم»^(١) وترجمتها .

فمن يبيع أمناً بهذى الفتن	فليس له غير هذا الوطن
فطوبى لباب كبيت العتيق	حواليه من كل فج عميق
لقد صد اسكندر بالحديد	وبالقطر - يأجوج - يبنى السدود
وقد فقت اسكندرا في النوب	أقمت ليأجوج سد الذهب ^(٢)

★ ★ ★

المغول في أرضه الخليفة . تصوير الموقف بين هولاكو والخليفة

وقبل تصوير ما تم بين المغول والخلافة، لا بد أن نقف عند هولاكو وحده وقفة ننظر إليها . فهذا الاسم لا يزال وقعه يدوى في آذان العالم الإسلامى، نظراً لما حيك حول شخصيته من العنف والقسوة، وما انتهى إليه مصير الخليفة والخلافة، وما أصاب بغداد وسكانها في الحصار، وما قيل عن مصير دور العلم، وخزائن الكتب، من الإحراق، أو الإغراق، أو النهب . وتحقيق هذه المسائل

(١) انظر قصة الأدب في العالم ج . القسم الثانى ص ٥٠٨ للدكتورين أحمد أمين بك وزكى نجيب محمود

(٢) گراز فتنة آید کسی در پناه	ندارد جز این کشور آراگاه
فطوبى لباب كبيت العتيق	حواليه من كل فج عميق
سكندر بدیوار روئین و سستگ	بكرد از جهان راه یأجوج تنگ
تراسد یأجوج كفر از زراست	نه روئین چو دیوار اسكندراست



صوره للقائد المغولي « هولكو » الذي قاد الجيوس في فتح
بغداد وأزال الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ
عن كتاب « العراق بين احملاين » للأساذ على العزاوى

بشيء من الاطمئنان لا شك يحتاج إلى جهد ووقت . ونحن في معرض الحديث عن المغول وسياستهم في الفتح ، وقهر المدن من جانب ، ورغبة في تصحيح موقف المؤرخين عن هولاء كـو بالذات من جانب آخر . نمضى في تحقيق هذه المسائل في شيء من التحفظ ، ولعلنا نصحح بعض الأحداث التي صورها الذين غالوا في تصوير المغول .

ولا بد أن ندخل في تقديرنا عند الخوض في مناقشة هذه الحوادث مسألة شعورية تأتي من داخل الإحساس الباطني . وهذا العامل نفسه هو الذي يسيطر ، ولعله لا يزال يسيطر كذلك ، على الكثيرين إذا ما استمعوا لهذه الحوادث دون النظر إلى تمحيصها أو إدراك نتائجها .

فالشعور العام في الموطن الإسلامي ، أن المغول كانوا قبل أن يسلموا ، قوما كفرة بالإضافة إلى ما وصفوا به من بربرية ووحشية وعنف .

فالمواطن المسلم في أى مكان حينما يستمع إلى مجرد أحداثهم العنيفة في البلاد الإسلامية ، والتي استنزمتها سياسة الفتح نفسه وحسب الانتصار — حينما يستمع المواطن إلى ما أصيب به العالم الإسلامي مها قـل — لا بد أن يتملكه شعور الألم والأسف والحزن العميق لما أصيبت به الجماعة الإسلامية في هذا العصر ، ولا بد أن يشارك أخاه — إن قريباً وإن بعيداً — هذا الشعور الحزين .

هذا بالإضافة إلى مركز بغداد نفسه الذي توارثته عن الأجيال خلال القرون الخمسة الماضية ، تتضاعف فيها منزلتها جيلا بعد جيل ، وقرنا إثر قرن . كذلك زاد شعور أبناء بغداد — في مختلف العصور — مرارة على مرارة بعد أن أبعد عنها مقر الحكم ، وبعد أن أصيبت بتلك الكوارث التي جعلت منها مدينة عادية ثانوية في البيئة الإسلامية ، وتجردت عن بهاء الملك وسطوة السلطان ، فأحس بالألم لها — ولا يزال يحسه — أبناء العالم الإسلامي وخاصة قوم العراق .

فألصافى — الشاعر العراقي المعاصر — يقول في قصيدته رثاء الخليفة و بغداد :

وقد أنخنت بغداد من بعد قتله جروح بوار جاء بالحجج الشهب
وما اندملت تلك الجروح وإنما ببغداد منها اليوم ندب على ندب^(١)

هذه العوامل كلها عندما تزدهم في خواطر الناس في البيئة الإسلامية ، لا بد أن يصيبهم الأسف العميق لتلك الأحداث التي أصابت العالم الإسلامي على يد المغول ، وضاعف من أسفه وألهب شعوره زوال حضارة حملتها بغداد عبر القرون الخمسة . هذا هو الشأن عند ما صور المؤرخون والأدباء شخصية هولاكو في أحداث بغداد . ونحن لا نتحيز له أو عليه ولكننا نقدم النصوص والوثائق ونستخلص منها النتائج التي تحتملها .

وأهم ما يمكن أن يدرس في هذا الموقف ، ويسند إلى هولاكو أمور ثلاثة :
أولاً — هولاكو وسياسته مع الخليفة .

ثانياً — هولاكو وسياسته إزاء بغداد ورجالها .

ثالثاً — هولاكو وسياسته إزاء مكنتات بغداد ونهايتها .

أولاً — هولاكو وسياسته مع الخليفة

ونحن على ضوء ما دونه المؤرخون المعاصرون لهذه الحوادث ، وما لمسناه من تصويرهم ، لا نستطيع أن نخلى الخليفة ورجال حكومته من مسئولية هذه الحوادث بقدر ما صدر من سوء تصرفاتهم أو عدم تقديرهم للمسئولية .

فالعالم الإسلامي ملتهب في أتون حرب طاحنة في الشرق منه قبل سقوط

(١) العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٢٦ — ٢٢٧ تأليف الأستاذ عباس العزاوي .
طبعة بغداد .

بغداد بثلاث قرن تقريباً ، وكلما خمدت جذوة اشتعلت أخرى ، وذلك في مملكة قوية واجهت المغول فيها جنود بواسل ، وامتدت رقعة أملاكهم أوسع مما كان له من السلطان .

ومع ذلك لم تنبه هذه الحوادث مشاعر الخليفة ، ولم توقظ غفلة رجاله ، حتى يستطيعوا أن يسلكوا سياسة أخرى غير تلك السياسة العقيمة التي وصفها المؤرخون والتي أدت إلى هذه النكبات ^(١) ، ولو تم لهم ذلك لتغير وجه التاريخ ولكن هكذا أراد الله .

وسنبين هنا أن سوء السياسة ، وسوء التدبير ، هما اللذان جريا هذه النكبات على الخلافة والخليفة ، وسنوضح أيضاً أن المغول لم تكن من سياستهم المرسومة ، ولا من سياسة هولاء كو نفسه ، أن يأخذ الخليفة والخلافة بالشدة التي صورها بعض المؤرخين ، وأن المسألة — من أساسها — لا تعدو شعوراً عدائياً نحو الفاتح المغتصب الكافر ، من جانب أولئك المؤرخين الذين لونوا هذه الحوادث ذلك التلوين القائم .

فأما السياسة المرسومة لإزاء الخليفة والخلافة فلم تكن سياسة إزالة وإفناء ، وإنما كانت سياسة مودة وسلام : وكانت هذه هي السياسة نفسها التي نهج المغول على منوالها إزاء كبار الشخصيات الإسلامية وكبار المواطنين ، فيعرف عنهم أنهم كانوا يكرمون رجال الدين أياً كان موطنهم وأياً كانت شخصيتهم ، فيذكر « الجويني » أنهم حال فتحهم سمرقند تركوا القاضي وشيخ الإسلام ، ومن تعلق بهم وقد بلغوا خمسين ألفاً ، عفوا عنهم جميعاً ^(٢) .

(١) انظر الفخري لابن طباطبا ص ٢٤٦ . المطبعة الرحمانية والحوادث الجامعة لابن الفوطى ص ٣٢ . ووصاف ص ٣٤ وما بعدها وجامع التواريخ ص ٢٢٤ إلى ٢٢٨
(٢) جهانگشاى ص ٩٤

وكذلك كان الأمر مع كبار رجال العلم ، فقد ذكر صاحب « تلفيق الأخبار » أنهم طلبوا إلى « الشيخ نجم الدين كبرى » أن يخرج ولكنه أبى إلا الاستشهاد^(١) .

أما السياسة التي رسمت لهولا كوازا الخليفة ، فتتضح مما دونه صاحب « جامع التواريخ » في تلك الخطوة التي رسمها « منكوقا آن » وبعث بها إلى القائد هولا كوا ليتزمها ، وترجمة هذه العبارة هي : « فإذا بادر خليفة بغداد بالطاعة فلا تتعرض له بأية حال من الأحوال ، فإن تكبر وعصى فألقه بالآخرين . كذلك ينبغي أن تجعل رائدك — في جميع الأحوال — العقل الحكيم والرأى السديد ، وأن تكون في جميع الأمور يقظاً عاقلاً ، وأن تحفف على الرعية من التكاليف والمطالب الشاقة ، وأن ترفه عنهم . فأما الولايات التي يصيبها الخراب فعليك أن تعيد عمارتها في الحال^(٢) » .

الترم هولا كوا السير على هذا المرسوم الواضح ، ولو أدرك الخليفة هذه السياسة وما تؤديه من نتائج طيبة لاستجاب لها . ونحن نعتقد أن هولا كوا كان يبر بوعده لو أن الخليفة اصطنع سياسة مرنة ، كالسياسة التي اتبعها حاكم ولاية فارس مثلاً ، والتي أدت إلى الإبقاء على إمارته في نجوة من هذا الخضم العنيف الذي طوى في جوفه كل الحكومات التي واجهته ، والتي عارضته قبل نجائه إلى أرض الخلافة . وبالرغم من أن هولا كوا أخذ الخليفة بالهدوء واللين ، والتزم سياسة الترفق

(١) تلفيق الأخبار ج ٢ ص ٢٣

(٢) جامع التواريخ ص ١٤٢ كاتومير ونص هذه العبارة « وأگر خليفة بغداد بخدست و طاعت مبادرت نماید ، اورا بهج وجه تعرض مرساں ، و اگر تكبر کند و دل و زبان را يك ندارد . اورا نیز بد يگران ملحق گردان ، و چنان بايد كه در همه أبواب عقل خرده بين و رای رزين را مقتدا و بيشوا سازى و در جميع احوال بيدار و هو شيار باشى و رعايارا از تكليفات و مسؤوليات ناموجه آسوده و مرفه دارى و ولايات خراب گشته را بحال عمارت باز آرى » .

التي رسمها له «قاآن»، فإن الخليفة لم يوفق إلى كسب هذه السياسة لجانبه ، وفشل في الوقت نفسه في أحكام سياسته ، وتدير أمره ، مما أدى إلى القضاء عليه وإزالة الخلافة .

فحين قدم هولاءكو منطقة قلاع «الاسماعيلية بالجلبل» والتقى بهم ، وطال عليه الأمد ، ورأى في القضاء على تلك الطائفة مصلحة مشتركة بينه وبين الخلافة — وقد كانوا شوكة في ظهرها — طلب هولاءكو من الخليفة مدداً لينجز القضاء عليهم ، لكن الخليفة لم يستجب لهذا النداء ، وتحاذل عن المعونة ، وأفسد عليه الرأي جماعة من حاشيته ، ورجال دولته ، الذين لم يكونوا ليحسنوا سياسة أو تديرا^(١) .

ولما لم يسعف الخليفة هولاءكو بما طلب في القضاء على هذا العدو المشترك ، وتجاهل الأمر . بعث إليه هولاءكو خطاباً آخر يعتب فيه عليه ويحذره مغبة العداء والمناوأة ، ويطالبه بالاستماع لنصائحه إن رغب أن يظل رئيساً في دولته ، وإلا فسيري نهايته^(٢) .

تملكت الخليفة حيرة ، واضطربت سياسته ، وتردد مشيروه ، وضيق هولاءكو الخناق عليه ، بعد أن انتهى وحده من القضاء على «الاسماعيلية» ، ولم يفد في إغرائه بذل المال سخياً ، أو إرسال الهدايا الثمينة . ثم كان أن أرسل الخليفة أخيراً — لما لم تجد هذه الوسائل جميعاً — بخطاب إلى هولاءكو ، رداً على خطابه ، يجمع فيه بين اصطناع القوة ، واتكاله على أمور لا يملك توجيهها . فالخلافة في نظره مؤيدة بنصر من عند الله يؤتية لها متى شاء .

(١) ابن العبري ص ٤٧١

(٢) العراق بين احتلالين ص ١٥٥ — ١٥٦

ويذكر صاحب كتاب «العراق بين احتلالين» نص هذا الخطاب نأخذ منه قوله «إننا مع علمنا أن هولاء كويقصد لنا السوء ، ولكنه يسأل من الواقفين على الأحوال بأنه ما من ملوك وسلاطين قصدوا السلالة العباسية ودار السلام ، إلا كانت عاقبتهم وخيمة ، مع ما كان لهم من الصلابة والقوة ، لأن بناء هذا البيت محكم للغاية ، وسيبقى أبد الدهر^(١) » .

ثم يذكر طرفاً من ألوان الخلاف الذى وقع بين بعض الحكومات السابقة وبين رجال الخلافة الإسلامية فى مختلف العصور ، ويذكر انتصار الخلافة على من حاربوها وبقائها سليمة .

والواقع — كما تصوره حوادث التاريخ — لم تستقر الخلافة فى أى عهد من عهودها أو تعيش بعيدة عن التقلبات السياسية أو مطامع الملوك المجاورين لها .

فقد أصيبت الخلافة منذ عهودها الأولى بالكثير من الضعف ، أصابها فى ذاتها ، وأصابها فى مدى سيادتها ، وظلت خاضعة لموجات تتقاذفها تيارات مختلفة كان أشدها عليها ما حدث لها فى القرن الرابع الهجرى . فقد شهد هذا العصر أشد صراع عنيف واجه الخلافة العباسية ، بعد أن قامت دولة البويهيين الشيعيين ، وتمكن الأمر لهم وأخذوا ينفسون على العباسيين — أتباع المذهب السنى — حكومتهم فى بغداد ، واحتدم الخلاف بين البيتين إلى حد أدى فى النهاية إلى ذلك الشلل الذى أصاب الخليفة «المستكفى» فى تصرفاته ، وفى مملكته ، والاستهزاء به على صورة مزرية ، وإلى استباحة قصوره ونهبها ، بل أدى الأمر إلى أكثر من ذلك فسمات عيناه بأمر الخليفة الجديد «المطيع لله» .

ولما قوى نفوذ آل بويه تنازعوا السلطان فيما بينهم ، وأصيبت بغداد على

(١) العراق بين احتلالين ص ١٦٢ — ١٦٣ .

أيديهم بأكثر مما أصاب مدينة أخرى ، فاستبيحت ، ونهبت أموال الناس ، وكان مقدار ما غنموه من الأموال المعروفة عشرة آلاف ألف دينار ألف^(١) .

على أن ضعف الخلافة فيما بعد جعلها مطمعاً لكثير من الدول الأخرى التي جاءت بعد عهد آل بويه، إلى أن قدم غزو المغول فكان سيلاً طاماً جارفاً، ساعده ضعف الخليفة وتحاذله وعدم إحكام سياسته ، تلك السياسة العرجاء التي اتبعها ، وكان من بينها انصرافه إلى جمع المال وحبسه في أحواض بلغت من الاتساع حداً يصوره صاحب « تاريخ كزنده » في قوله « إن من جعلها حوضاً بلغ خمسة أذرع في مثلها وزن كل قطعة فيه ثلثمائة مثقال^(٢) » ذلك في الوقت الذي عاش فيه كرا على الرعية ، وعلى الجند بصفة خاصة حتى منعهم أرزاقهم، وأسقط أكرهم من دساتير ديوان العرض^(٣) ، وحتى آل أمرهم إلى سؤال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق وفي الجوامع ، الأمر الذي حدا بهولاً كوعندما وقع الخليفة في يده — كما تذكر الرواية — أن يتهم عليه حين ألح الجوع به . إذ أمر بتقديم طبق مليء بالذهب ليأكل منه فلما أنكر الخليفة ذلك بقوله « كيف يمكن أن يؤكل الذهب ؟ » أجابه هولاً كوعند أن ترجمت له العبارة « إذا كنت تعرف أن الذهب لا يمكن أكله فلماذا لم تنفقه في إصلاح جيشك ورعيتك حتى تقتدي نفسك وأمتك^(٤) » .

هذه هي السياسة العرجاء التي كان يسلكها الخليفة مع هولاً كوعند رعيته . وبجانب هذا العرض التاريخي نذكر طرفاً من صفات الخليفة نفسه بما صورته

(١) ابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٣٤٥

(٢) تاريخ كزنده ص ٥٨٠

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٢٠

(٤) وصاف ص ٣٩

المؤرخون ونكتفي بما سجله «ابن طباطبا» في كتابه «الفخرى» «وابن العبري» في كتابه «مختصر الدول» ففيهما الكفاية في توضيح شخصيته ، بجانب إيضاح سياسته .
 فيقول صاحب الفخرى « كان المستعصم رجلاً متديناً ، لين الجانب ، سهل العريكة سهل الأخلاق ، خفيف الوطأة » : ثم يستدرك بقوله « إلا أنه مستضعف الرأي ، ضعيف الظن ، قليل الخبرة ، بأمور المملكة ، مطموعاً فيه ، غير مهيب في النفوس ، ولا مطلع على حقائق الأمور ، وكان زمانه ينقض أكثره بسماع الأغاني والتفرج على المسخرة ، وفي بعض الأوقات يجلس بخزانة الكتب جلوساً ليس فيه كبير فائدة ، وكان أصحابه مستولين عليه ، وكلهم جهال من أراذل العوام^(١) » .

أما « ابن العبري » فيقول وفي سنة أربعين وستمائة ببيع المستعصم يوم مات أبوه المستنصر وكان صاحب لهو وقصف ، شغف بلعب الطيور واستولت عليه النساء ، وكان ضعيف الرأي قليل العزم ، كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول ، وكان إذا نبه على ما ينبغي أن يفعله في أمر التتار. أما المدارة والدخول في طاعتهم وتوقي مرضاتهم ، أو تجهيش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق — فكان يقول — أنا بغداد تكفيني ، ولا يستكثرونها لي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد ، ولا أيضاً يهجمون على وأنا بها ، وهي بيتي ودار مقامي — فهذه الخيالات الفاسدة وأمثالها عدلت به عن الصواب ، فأصيب بمكاره لم تخطر ببال^(٢) » .

هذه السياسة المستضعفة المتخاذلة هي التي أدت إلى تلك النهاية المحتومة فقصت عليه وانتهت بزوال الخلافة .

(١) الفخرى ص ٢٤٤

(٢) ابن العبري ص ٤٤٥

أما نهايته هو فلم يجمع فيها على أمر ويكنى أن تقول إنه كان من تقاليد المغول ألا يريقوا دمًا ملكيًا^(١) . ويؤيد هذا ما أقر من فتوى أصدرها « الطوسي » في شأنه حين رغب هولاكو أن يقتله فأفتى بقوله « يقتل ولا يراق دمه^(٢) » وهي الفتوى التي أشار إليها الشاعر « الرصافي » في قصيدته التي ذكرنا سابقاً بعض أبيات منها فيقول فيها :

هنالك والطوسي أفتى بقتله قروه بقتل آدب أنجع الأدب

والآراء متضاربة بين المؤرخين لا يدرك من خلالها على أى الصور قتل الخليفة أو مات ؟ وكثير من المؤرخين المعاصرين لهذه الحادثة لا يعينون نهاية أو يجمعون على رأى ، بل منهم من تضاربت آراؤه لا يستقر على واحد منها . وهكذا يقول « أبو الفداء » « ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله ، فقل خنق ، وقيل وضع فى عدل ورفسوه حتى مات ، وقيل غرق فى دجله » وينجم العبارة بقوله : « والله أعلم بحقيقة ذلك^(٣) » .

« وابن طباطبا » لا يعين وجهاً في مقتله ، ويكتفى بقوله . « ثم استشهد المستعصم فى رابع صفر سنة ٦٥٦ هـ^(٤) » .

ويذكر « ابن العبرى » أنه قتل مع ابنه الأوسط ليلاً عندما بدأ هولاكو فى أول رحلة من رحلاته بعد الفتح^(٥) .

والأمر كذلك بين مؤرخى الفارسية لا يجمعون على رأى . فيذكر صاحب

(١) هامش السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ٤٠٩

(٢) طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٤

(٣) أبو الفداء ج ٣ ص ٢٠٣

(٤) الفخرى ص ٢٤٧

(٥) ابن العبرى ص ٤٧٥

« جامع التواريخ » أنه قتل مع ابنه الأكبر، وخمسة من خدمه كانوا يلازمونه ، وكان موتهم جميعاً في قرية تسمى « وقف^(١) » .

أما « الوصاف » فيؤيد الخلاف الكثير في نهايته ، لكنه يذهب مذهب من قال إنهم أدرجوه في لبد تجنباً لسفك دمه بالسيف ، ثم قتلوه وهو في لبد ، وإن كان يخالف جميع المؤرخين مخالفة واضحة في السنة التي قتل فيها ، فيجعل الحادث في الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٥ هـ^(٢) .

وسواء أكان من تقاليد المغول ألا يسفكوا دماً ملكياً ، أو أن مركز الخليفة نفسه كان يستدعى أن يقتل على نوع مخصوص . فإننا لا نقر رأياً بعينه في نهايته ما دنا لم نجد وحدة في الرأي بين المؤرخين على الصورة التي انتهى عليها ، وكل ما يمكن هو أن نترك نهايته مبهمه ، كما تركها بعض المؤرخين ، إن كان قد سقط الخليفة أسيراً في أيديهم ولم يهلك في الغارة وضرب المدينة ، أو لم يغرق في دجلة إن كان قد طلب النجاة فراراً

★ ★ ★

الشاعر يرثي الخليفة ويمدح هولاءكو :

كانت إزالة الخلافة العباسية ، وسقوط بغداد ، ونهاية الخليفة ميداناً فسيحاً لكثير من الأدباء يدلون فيها كل بما يعرض له .

وقد ساهم الشاعر بنصيبه في ذلك ، فأفصح عن مشاعره بقصيدتين من غرر قصائده رثى فيهما « المستعصم » والخلافة وبغداد رثاء حاراً .

(١) جامع التواريخ ص ٣٠٤ كاترير .

(٢) ورد هذا التاريخ في عبارة عربية بقوله : « وبه انتهت الخلافة العلية وذلك في الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٥ هـ » . وصاف ص ٣٩ - ٤٠ . ولعله سهو من النساخ .

وإحدى القصيدتين فارسية تبلغ ثمانية وعشرين بيتاً تضعها «كليات فروغى»
تحت عنوان «در زوال خلافت بنى عباس» فى باب المراثى وهى قصيدة
نونية مطامها :

آسمانرا حق بود گر خون بگرید بر زمین

(١) برزوال ملك مستعصم أمير المؤمنين

والقصيدة الثانية عربية من أطول قصائده ، بل لعلها أطولها على الإطلاق
سواء فى قصائده العربية أو الفارسية ، إذ تبلغ مائة واثنين وعشرين بيتاً .
ولعله رغب أن يشارك المسلمين كافة شعورهم فينشدهم قصيدة بالغة بهم الدينية
المشتركة بينهم .

وتضع «كليات فروغى» هذه القصيدة تحت عنوان «فى مرثية أمير المؤمنين
المستعصم بالله وذكر واقعة بغداد» .

ومطلع هذه القصيدة :

حبست بجفئ المدامع لا تجرى فلما طغى الماء استطل على السكر (٢)

★ ★ ★

الشاعر يمدح هولاءكو :

وقبل أن نعرض لمدح الشاعر هولاءكو ، نذكر طرفاً مما سجله فيه بعض
المؤرخين ، ونخص بالذكر مؤرخاً معاصراً من الذين أرخوا بالعزبية ، وهو صاحب
«الحوادث الجامعة» يقول عنه : «كان على الهمة ، عظيم السياسة ، عارفاً بغوامض

(١) كليات فروغى ص ٤٨٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٤١١

الأمر وتدير الملك ، فاق على من تقدم بالرأى السديد والبأس الشديد والسياسة القاهرة ، وكان يحب العلماء والفضلاء ويحسن إليهم ويحزل صلاتهم ، ويشفق على رعيته ويأمر بالإحسان إليهم ، والتخفيف عنهم ، ولم يثقل عليهم ولا كلفهم ما جرت به عادة الملوك من التكاليفات والتوزيعات وغير ذلك ^(١) .

ولعل هولاء كان — حقاً — على صفات قويمة جعلت شاعراً أخلاقياً كـ «سعدى الشيرازى» ، يعجب به ويمتدحه أيضاً بعد ماظهر له من حسن سياسته وحسن أخلاقه ، وفي نفس الزمن الذى عز عليه فيه نهاية الخليفة وبغداد فيرثيهما فى قصيدتيه السابقتين .

ففى مقال للأستاذ «محمد بن عبد الوهاب القزوينى» موضوعه «ممدوحين شيخ سعدى شيرازى» يقسمه ثلاثة فصول يجعل الفصل الثالث منه بعنوان «در ذگر ممدوحين شيخ از ملوك وأعيان خارج از مملكت فارس» ذكر فيه مرأى الشاعر فى الخليفة وبغداد ثم ينتقل إلى الكلام على هولاء كوفيمدحه لا يرثيه .

ويقول الأستاذ عن القصيدة التى يتكلم فى شأنها إنها لا يمكن إلا أن تكون فى مدح هولاء كوفسه . ومما يذهب إليه فى تدعيم رأيه أنها ترد فى نسخ أغلب الكليات تحت عنوان «در انتقال دولت از سلغريان بقوم ديگر» . وقد انتهى سلطان السلغريين سنة ٦٦٢ هـ بانتهاء حكم «سلجوقشاه» وزواج «ابش خاتون» من أحد أمراء المغول ودخول فارس تحت حكمهم . ويقول إن كل هذا تم فى عهد هولاء كوفتم يحتم رأيه بهذه العبارة القاطعة :

« پس أصلاً وأبداً جاى هيچ شك وشبهه نيست كه ممدوح شيخ در اين قصيده قطعاً وبدون أدنى ترديدى هولاء كواست ، نه آباقا ياتكو داريا أو رغون ^(٢) » .

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٥٣

(٢) سعدى نامه ص ١٥٥

والقصيدة تبلغ أبياتها خمسة وأربعين بيتاً ، وتشترك مع القصيدة الفارسية التي رثى فيها « المستعصم » في القافية أيضاً . ويعرض لمدحه حتى في مطلعها في قوله :

إين سنی برأهل زسین بود از آسمان وین رخت جدای جهان بود بر جهان (۱)
وترجمته : « هذه منة من السماء على أهل الأرض ، وتلك رحمة من الله على العالم »

ثانياً — هولاء كو وسياسته إزاء بغداد ورجالها

كانت بغداد في ظل حكم العباسيين من أكبر مدن الشرق قاطبة إن لم تكن أكبرها عامة ، فقد كانت حاضرة لعالم مترام الأطراف يهجم إليها القاصي والداني . وكانت دار علوم كما كانت دار سياسة . ونحن نعتقد — ولعلنا لا نعدو الواقع — إذا قلنا إن منزلة بغداد التي حافظت عليها ، وما كان فيها من آثار علمية ودينية ، تجعل هولاء كو — في مثل الظروف التي قدم فيها — يتبع سياسة الترفق كثيراً في حصارها ، وفي المحافظة — بقدر الإمكان — على تراثها ومخلفاتها ، تقديراً لها ، واستجابة لشعور حاشيته من رجال المسلمين .

ولعل هولاء كو كان يقوم في نفسه تقدير شخصي لتلك المدينة العظيمة التي حملت لواء المدنية والحضارة زهاء خمسة قرون ، والتي جابت سمعتها أقطار المشرق والمغرب على ألسنة التجار الذين يجوبون ربوعه ، فيجعل منها قاعدة لحكمه الجديد في مملكته العريضة .

ويرى بعض المؤرخين أن بغداد — مع فداحة الكارثة التي حلت بها — لم تلق على يد التتار مثل الذي لقيته بلاد أخرى على أيديهم ، والسبب في ذلك هو

(۱) كليات فروغی ص ۴۵۷

أن هولاء كانوا يريد أن يحتفظ ببغداد لنفسه ، وقد أمر فيما بعد بإصلاح بعض ما أفسدته جيوشه مثل إعادة بناء « جامع القصر » الذي كان من أكبر جوامع بغداد^(١) .

على أن جهود هولاء كو نفسه في الإبقاء — بقدر المستطاع — على مظاهر الحضارة وخاصة في مدينة كـبـغداد ، لا بد أن يحمله على أن يعمل لتنظيم الحياة سريعاً في تلك المدينة .

كذلك لم تكن له ميول دينية ظاهرة ، بل كان على العكس ، يستجيب لرغبات مستشاريه من المسلمين ، ولعله — في ذلك — راعي أقصى ما يمكن أن يراعيه حاكم غالب في شعب مغلوب . كذلك راعي في سياسته بعد — أن استقرت ثورة الفتح — أن يبقى على نظام الإدارة الديني والمدني على الشكل الذي كانت عليه البلاد أيام الخلفاء .. فيذكر « ابن العبري » أن هولاء كو بعد أن انتهى من أمر الخليفة قوله « ثم فوض عمارة بغداد إلى صاحب الديوان والوزير وابن درنوش »^(٢) . وفي « جامع التواريخ » أنه في نفس اليوم الذي استشهد فيه الخليفة أقيم على الوزارة الوزير « مؤيد الدين ابن العلقمي » وعلى وظيفة صاحب الديوان « فخر الدين الدامغانى »^(٣) . ويذكر « الطوسي » في ملاحقه على « جهانگشاي » « في ذكر كيفية واقعة بغداد » أن هولاء كو رجل كذلك بعد أن انتهى من أمر الخليفة وأقام الوزير ، وصاحب الديوان ، وابن در بوس بأعمالهم في بغداد ، كل منهم في عمله الذي كان له^(٤) .

(١) السلوك ج ١ ص ٤١٠ هامش .

(٢) ابن العبري ص ٤٧٥

(٣) جامع التواريخ ص ٣٠٦ كاتيرير .

(٤) جهانگشاي ج ٣ ص ٢٩٢

هذا من ناحية تنظيم العمل بالمدينة . فقد ظهر فيها كذلك مدى الروح التي قابل بها هولاء كوفتح مدينة بغداد ، ومعاملة رجالها بعد أن تم له الظفر .

أما أمر القتل وتقديرهم في بغداد فقد ظهر فيها المغالاة كثيراً عند المؤرخين حتى ذهب بعضهم إلى أنهم بلغوا ألف ألف وكسراً^(١)، أو ألفي ألف^(٢) . لكن من^٣ المحقق أن هذا العدد مبالغ فيه إلى حد كبير جداً ، خصوصاً إذا لاحظنا أن هذه هي آراء المتأخرين من المؤرخين . أما الذين عاصروا هذه الحادثة فمنهم من لم يشر — قطعاً — إلى عدد القتلى كما لاحظنا في «جامع التواريخ» و«وصاف» من مؤرخي الفارسية أو عند «أبي الفداء» من مؤرخي العربية .

وأول من أشار إليها من الإيرانيين صاحب «تاريخ كزیده» إذ جعل عدد القتلى ثمانمائة ألف^(٣) . ذاهباً في هذا مذهب مؤرخ عربي آخر هو صاحب «الحوادث الجامعة»^(٤) .

وأرجح الآراء التي تؤيدها أن القتلى — كما ذهب إليه هذان المؤرخان — لم يصلوا إلى مليون . بل من المؤرخين من يجعل عدد القتلى أقل من مائة ألف فيذكر صاحب كتاب «العراق بين احتلالين» عبارة نصها «وعلى القول إنهم يبلغون ثمانين ألفاً، كما في تاريخ «مصلح الدين اللاري» نقلاً عن «گلشن خلفا» . ثم يعقب عليها بقوله ، «ولاعبرة بقول من أبلغهم إلى ألفي ألف أو إلى ثلاثة آلاف ألف فالمبالغة ظاهرة جداً»^(٥) .

(١) الخميس في أحوال أنفس نفيس ج ٢ ص ٣٧٧

(٢) السلوك ج ١ ص ٤١٠

(٣) تاريخ كزیده ص ٥٨٠

(٤) الحوادث الجامعة ص ٣٣١

(٥) العراق بين احتلالين ص ٣٩٠

وعلى هذا فالذهاب بأن القتل بلغوا مليوناً أو مليونين أو أكثر من ذلك هو إغراق في المبالغة ، ومزيد من تلوين التاريخ باللون الأسود القاتم ، استغلالاً لهذه الحادثة ، ومرضاة لجارة شعور العداء العام ضد هؤلاء الغزاة .

ثالثاً - هولاء كو وسياسته إزاء مكنتبات بغداد

وهذه مسألة أخرى توجب الكثير من الاهتمام والتحقيق ، فقد أراد المؤرخون أيضاً أن يضيفوا صورة جديدة من الصور البشعة ، يلهب تسجيلها حساسية كل إنسان ، ليشارك الناس شعور العداء نحو هؤلاء القوم ، فيعترف بعداوتهم للحضارة والعلوم ، على الوجه الذى صوروه هؤلاء المؤرخون فى مصير مكنتبات بغداد .

ونحن مع اعترافنا — إلى حد بعيد — بقسوة الأسلوب العسكرى الذى اتبع فى غزو المدن المستعصية فى مستهل أطوار الفتح الأولى ، ومع تقديرنا لآراء المؤرخين الذين عاصروهم واعتمدنا عليهم فى تصوير غزوهم الأول أيام « چنگيزخان » على الصور التى عرضنا لها سابقاً . مع اعترافنا — بذلك وتقديرنا لهذا — يجب أن نفرق بين ما يستلزمه الغزو نفسه — من الوجهة العسكرية — من عنف وقسوة للوصول إلى الانتصار من أقرب الطرق وبأقل الخسائر ، وبين ما يسند إليهم من كراهية للمدنية أو الحضارة أو العلوم بشكل عام ، كراهية تؤدى بهم إلى إحراق الكتب عمداً بالنار ، أو إلقائها عمداً فى النهر ، على الصور التى ذهب إليها هؤلاء المؤرخون .

وسيبدو لنا — على الرغم مما يحاط به تاريخهم — أنهم كانوا يناصرون الحضارة مناصرة ساهم فيها كل فرد منهم بقدر ما امتد له السلطان ، أو طال به الحكم ، وبقدر ما اتسعت له ميوله المدنية .

ونحن هنا نعرض للتحقيق في شأن كتب مكتبات بغداد . ومصير هذه المكتبات لا يعدو إحدى ثلاث .

إما أنها أحرقت عمداً أو عرضاً ، وإما أنها أُلقيت كذلك في دجلة ، وإما أنها نهبت .

ويجب — قبل أن نخوض في تحقيق هذه المسائل — أن يُعرف أننا إنما نقصد تصحيح ما يسند للمغول فيها بدافع الفعل المتعمد المقصود لذاته ، لا الفعل الذي يقع ولا اختيار لهم فيه ، الفعل الذي يمكن أن يسجله عليهم بعض المؤرخين .

وأول وثائق القضية — التي يستند عليها — يجب أن تؤخذ عن المؤرخين المعاصرين أولاً ، أولئك المؤرخون الذين أرخوا لهذه الحوادث تاريخ مشاهدة وعيان ، وتخير من هؤلاء ثلاثة من مؤرخي الفارسية ، وثلاثة من مؤرخي العربية وكلهم ثقة عدول .

تتخير من مؤرخي الفارسية ثلاثة في ترتيب زمني معاصرهم : « نصير الدين الطوسي » في ذيله على « جهانگشای » الذي أتمه سنة ٦٧٥ هـ في حياة « عطا ملك » نفسه صاحب الكتاب ثم « رشيد الدين صاحب جامع التواريخ » الذي أتمه سنة ٧١٠ هـ وقد أدرك الكثير من الحوادث أيضاً ، وكان له و« نصير الدين الطوسي » كما كان « للجويني » من المكانة في الدولة ، والتقدير في نظر الحاكم والمحكوم ، والثقة بهم حداً بعيداً . ثم نضم إلى هذين « وصاف الحضرة » صاحب التاريخ المشهور « تاريخ وصاف » والذي أتمه سنة ٧٣٨ هـ .

وسيتبين من عرض أقوالهم في أحداث بغداد أنه لم يظهر فيها قطعاً نص يفيد تدمير المكتب عمداً بالإحراق أو بالإغراق أو حتى بالنهب .

فأما « الطوسي » فلم يشر إلى شيء من ذلك قطعاً في الذيل المنسوب إليه ،

ولا نظن أن عبارته الموجزة هي التي استندت عدم الإلمام بذلك ، فاننا نعرف مدى اهتمامه باقتناء الكتب وتقويمها ، والسفر في طلبها ، والتفتيش على ما يتصل بالرصد خاصة ^(١) . وهو يبدأ العبارة في نهاية أمر بغداد بالإشارة إلى المفاوضات بين الخليفة وهولاكو ، ثم القبض على الخليفة وأولاده وأتباعه ، حتى يقول في بغداد والإغارة عليها .

« وبعد أن فرسود تاشهزغارت كردند » ثم ينتقل مباشرة إلى الحديث عن قصر الخلافة بقوله « وبادشاه بمطالعه خانه خليفه رفت » ثم يعرض لنهاية الخليفة ، وما جرى من الحديث بينه وبين هولاكو بما صورناه سابقاً حتى يقول : « چون ازغارت فارغ شدند . بعد آزيك هفته أهل شهرمان دادند، وغنيمتها جمع كردند، وچهاردهم صفر پادشاه آذرشهر کوچ كرد، وخليفه را طلب فرمود » ^(٢) وترجمة هذه العبارة « حينما انتهوا من الإغارة أمنوا أهل المدينة بعد أسبوع، وجمعوا الغنائم، ثم رحل الملك في الرابع عشر من صفر من المدينة، وأرسل في طلب الخليفة ». فلم نبتين من هذا النص ما يشير — صراحة أو ضمناً — إلى ما أصيبت به مكتبات بغداد ، مع ما أسلفنا من الإشارة إلى قيمة الكتب في نظر هذا العالم .

أما صاحب « جامع التواريخ » فيفيض المقام هنا عن نقل كل النص الذي ورد في حصار بغداد ، لكنه يشير إشارة عامة إلى ما دمرته النار من الياوس والأخضر مستثنياً من ذلك بيوتاً معدودة ، ثم يشارك « الطوسي » في قوله بذهاب هولاكو إلى بيت الخليفة ونص عبارته .

« وچهار شنبه هفتم صفر ابتداء قتل و غارت عام بود، و لشكر بيكيار در شهر رفتند ، و ترو خشك می سوختند ، مگر خانه معدودی » ^(٣)

وترجمة هذه العبارة: وفي الأربعاء السابع من شهر صفر ابتداء القتل والإغارة العامة

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٥٠

(٢) جهانگشای ج ٣ ص ٢٩٠

(٣) جامع التواريخ ص ٢٩٨ . كاترير .

فع الجند في المدينة مرة واحدة ، وكانوا يحرقون الأخضر واليابس
بيوتاً معدودة » .

ونحن نلاحظ في هذه العبارة شيئين نشعر منهما مدى تحرى الدقة عند هذا
خ وهما :

(١) الانتقال في العبارة من الماضي المطلق إلى الماضي المستمر . الأول في فعل
تند ، أى اندفعوا . والثاني في فعل « مى سوختند » أى كانوا يحرقون .

(٢) في الاستثناء في قوله « مكرخانه معدودى » أى إلا بيوتاً معدودة .
ولكن لاندري كيف نجت هذه البيوت ؟ أكان نجاتها قصداً أو أنها
ت من البعد بحيث لم تصب ؟

هذا التحفظ في التعبير أو التزام الدقة يشعر بيقظة المؤرخ واهتمامه بتسجيل
، ما وقع ، فلو قد أصيبت مكنتات بغداد بشيء من هذا لعرض له المؤرخ فيما
من الإحراق . كذلك يذكر في نهاية هذه العبارة التي تتصل بأحداث
د قوله :

« ويدشتر مواضع شريفه شهررا چون جامع خليفه ومشهد موسى جواد عليه الرحمة
نهاى خليفه سوخته شد^(١) » وترجمتها أى — « وأحرقت أكثر مواضع المدينة
ريفة كجامع الخليفة ومشهد موسى الجواد عليه الرحمة ومقابر الخلفاء » .

فهو هناك يذكر — استدراكاً — ما نجا من الإحراق ، وهنا يخص بالذكر
ما احترق ، فلم تكن مكنتات بغداد ذات نص خاص ، بل هى مسكوت
مع ما لاحظناه من التزام الدقة في عبارته ، ولا ندري لم سكت عن الإشارة
ذلك ؟ ؟

(١) جامع التواريخ ص ٣٠٢ كاترمير .

الأنها لم تكن من الخطورة بحيث تساوى البيوت التي قال عنها إنها نجت؟؟ أم
أن الإشارة إليها—إن كانت قد احترقت—تسبب إلى سمعة المغول فتحرك الشعور
ضدهم ، وقد أشار إلى ما مس الأماكن التي تعتبر مقدسة وهي جامع الخليفة ،
ومشهد موسى الجواد ، ومقابر الخلفاء ؟ ؟

أما « الوصاف » فإنه يستطرد كثيراً على طريقته في الصناعة الشاقة ، وبالرغم
من الإفاضة في كل ما عرض له ، لم نعر على نص خاص ، أو إشارة كذلك ،
تلقى الضوء على هذه المسألة .

وفي عنوان له عن محاصرة بغداد وفتحها ونهاية الخليفة، يذكر أن الحصار حين
امتد خمسين يوماً، واستعصت عليه المدينة، أقاموا الجانيق على المرتفعات وأعلى المنازل،
وضربوها بالحجارة وقوارير النفط ، حتى صاح الأهالي بقولهم « لا طاقة لنا اليوم
بجالوت وجنوده ^(١) » .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى أمر الرسل بين الخليفة وهولاكو ، وعرض المصاهرة
بين البيتين ، ولكن المساعي في ذلك فشلت ، حتى كان يوم ٤ صفر سنة ٦٥٥ هـ ^(٢)
فكان يوماً « عبوساً قطرياً يوماً كان شره مستطيراً ^(٣) » قبض فيه على الخليفة
وأبنائه . ثم يشير إلى نهب المدينة ، ويفيض في تعداد ما نهب من مقتنيات الخليفة
خاصة ، لكنه لا يذكر بين ما نهب شيئاً من المكتبات .

كذلك يذكر أن الجيش أصاب من هذا النهب الكثير من أدوات الترف
والزينة في بيت الخليفة والنواب وأركان الحضرة ، والكثير من النقود وأصناف
الحرير الأطلس والأكسون والمعتنق ، وكذلك من موارد الصين ومصر والروم ،

(١) وصاف ص ٣٥

(٢) سبق أن أشرنا إلى أن هذا التاريخ مغاير لما اتفق عليه .

(٣) من استشهاد المؤلف نفسه ص ٣٦

وخيول العرب وبغال الشام وغللمان الروم والقفجاق ، وسرارى الترك والخطا والبربر مما لا يدخل تحت حصر .

وهكذا يمضي المؤلف في ذكر ما سلب من المدينة وقصور الخلافة ، مشيراً إلى مع الحياة المترفة التي كان يعيش عليها في قصره ، ويجهد نفسه في تعداد الأصناف التي سلبت دون الإشارة إلى ما أصاب مكتبات بغداد ، كما لاحظنا عموم العبارة التي تشير إلى استعمال قوارير النفط ، لكن لم نعرف ماذا أصيب بها ؟ ولوقد أصيبت بها المكتبات أو تعرضت للنهب لعرض لذكرها بين ما نهب من نقد أو حرير أو دواب أو غلمان .

وخلاصة هذه الآراء الثلاثة أنه لم يرد نص صريح عما أصيبت به مكتبات بغداد لا عمداً ولا عرضاً ، وسكوت هؤلاء المؤرخين عن ذكر شيء يشير إلى نهاية المكتبات يعطينا — وحده — دليلاً سلبياً على أن المكتبات بقيت حيث هي لم تصب بسوء .

ومع ذلك — وكما قلنا سابقاً — تتخير أيضاً مع هؤلاء المؤرخين ، ثلاثة غيرهم من مؤرخي العربية المعاصرين لهذه الحوادث : تتخير منهم « ابن العبري » المتوفى سنة ٦٤٨ هـ وصاحب « الفخرى » المتوفى سنة ٧١٠ هـ وصاحب « الحوادث الجامعة » المتوفى سنة ٧٢٣ هـ وهم أيضاً معاصرون لهذه الحوادث ، ويكتفي بأن نضع عباراتهم دون مناقشة فسنعرف منها أنها لم تعرض لأية إشارة لما أصاب مكتبات بغداد .

وعبارة ابن العبري « وشرع العساكر في نهب بغداد ودخل بنفسه « هولاء كو » ليشاهد دار الخليفة ، وتقدم بإحضار الخليفة فأحضره ، ومثل بين يديه ، وقدم جواهر نفيسة ولآلئ ، ودرراً معبأة في أطباق » إلى أن يقول :

« وبقى النهب يعمل إلى سبعة أيام ثم رفعوا السيف وأبطلوا السبي »^(١).

وصاحب الفخرى يقول « وأحاط الجيش ببغداد من جميع جهاتها ، ثم شرعوا في استعمال أسباب الحصار ، وشرع العسكر الخليفة في المدافعة والمقاومة إلى يوم التاسع عشر محرم ، فلم يشعر الناس إلا ورايات المغول ظاهرة على سور بغداد من برج يسمى « برج العجمى » — إلى أن يقول « وتقم العسكر السلطاني هجوماً ودخولاً ، فجرى من القتل الذريع ، والنهب العظيم ، والتمثيل البليغ ، ما يعظم سماعه جملة . فما الظن بتفاصيله ؟؟ »^(٢).

أما صاحب الحوادث الجامعة فيقول « ووضع السيف في أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر ، وما زالوا في قتل ونهب وأمر وتعذيب الناس بأنواع العذاب » إلى أن يقول في عبارة تشعر بما قاله صاحب جامع التواريخ في قوله « فلم يبق بين أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل ، كذلك نجت بعض بيوت منها بيوت النصارى ، وبيوت بعض التجار الذين تعرفوا على أمراء المغول أثناء غزوهم ، ودار الوزير ابن العلقمى ، ودار صاحب الديوان ابن الدامغانى ، ودار حاجب الباب ابن الدواخى ، وما عدا هذا فإنه لم يسلم فيه أحد إلا من كان في الآبار والقنوت ، وأحرق معظم البلد ، وجامع الخليفة ، وما يجاوره ، واستولى الخراب على البلد »^(٣).

هذه أيضاً هي النصوص التي وردت عند مؤرخى العربية في موضوع حصار بغداد وإصابة بعض بيوتها بالإحراق أو النهب . لم يرد فيها نص صريح عن مصير المكتبات إحراقاً أو إغراقاً أو نهباً .

(١) مختصر الدول لابن العبرى ص ٤٧٥

(٢) الفخرى ص ٢٤٧

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٢٩

أما تعميم النص عند بعض المؤرخين في قولهم «وأحرق الأخضر واليابس»^(١) أو «وأحرق معظم البلد»^(٢) فمع أنه لم يرد فيه ذكر لشأن المكتبات صراحة ، فلن يتسع النص لأن يفهم منه ذلك ضمناً ، وقد كان لشأن المكتبات وتقديرها عند أمثال هؤلاء العلماء مكانة ملحوظة ، بل كان لدى الكثيرين منهم خزائن كتب شخصية ، تدل على مبلغ عنايتهم بالعلوم ، وحرصهم على جمع الكتب والاهتمام بها .

فلو تعرضت المكتبات لشيء من تلك النهايات التي أصيب بها كثير من بيوت بغداد لأمكن النص عليها صراحة ، كما نصوا على غيرها ، لأن يترك الأمر احتمالاً واستنتاجاً .

فمن أين جاءت المسألة إذن ؟
ومن أول من نص عليها ؟

ابن فهدويه أول من قال بإلغائها في الزهر

رأيه والرد عليه

لقد تشككت كثيراً وأنا أحمل هذا المؤرخ تبعة السبق في هذه المسألة ، وحملني هذا على أن أتمكن من قراءة ما بين يدي من النصوص وتفهمها ، ثم رجعت إلى غير واحد من المؤرخين المعاصرين من الإيرانيين والعرب كما مضى ، وتماديت في التحري وتتبع المسألة عند غير هؤلاء من المؤرخين حتى منتصف القرن العاشر

(١) في عبارة صاحب جامع التواريخ من مؤرخي الفارسية النظر ص ٣٩ من الرسالة .

(٢) في عبارة صاحب الحوادث من مؤرخي العربية في النص السابق .

المهجري ، لعل أجد سابقاً لابن خلدون أو معاصراً له ، ممن سبقوه بها أو جاروه فيها ، فلم أجد ^(١) .

ونحن نأخذ الآن في إثبات النص ومناقشته والرد عليه . وقد جاء هذا النص في موضعين ، مع خلاف في تقدير عدد القتلى ^(٢) .

يقول « وتقبض على المستعصم فشدخ بالمعول في عدل تجافياً عن سفك دمه بزعمهم ، ويقال أن الذي أحصى فيها من القتلى ألف ألف وثلثمائة ألف ، واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على مالا يحصره العدد والضبط ، وألقيت كتب العلم التي كانت في خزائنهم بدجلة معاملة بزعمهم لما فعله المسمون بكتب الفرس عند فتح المدائن . واعتزم هولاء على إضرام بيوتها ناراً فلم يوافقه أهل مملكته » .

ونحن نناقش ابن خلدون ، ونرد عليه بما يأتي :

أولاً — لم يثبت من النصوص السابقة — المعاصرة والمواطنة — نص يعين نهاية المكتبة إحراقاً بالنار أو إلقاء في النهر ، أو حتى النهب . على أن مفهوم الإلقاء نفسه لم تحتمله أية عبارة وردت فيما عرضنا له من النصوص ، وقد سبق أن دللنا على أنها لم تصب بحريق . فأنفراد ابن خلدون بهذا النص — مع بعده زمنياً وموطناً — وعدم مجاراته غيره من المعاصرين لهذه الحوادث ، كل هذا يحتاج منا إلى تحفظ في الأخذ برأيه .

(١) رجعت إلى أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ في المختصر والمقريزي المتوفى سنة ٨٤٤ هـ في السلوك، والسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ في أخبار الخلفاء والديار بكرى المتوفى سنة ٩٦٦ هـ في الخميس .

(٢) النص المأخوذ من جزء ٥ ص ٤٣ طبع بولاق في تاريخ هولاءكو . ويرد النص أيضاً في الجزء الثالث ص ٣٧ عند ذكر خلافة المستعصم . مع الخلاف في جعل عدد القتلى ألف ألف وستائة ألف .

ثانياً — يؤخذ من هذا النص أيضاً ، أنه فيما يتصل بنهاية الخليفة ، انفراده بجديد عن أشرنا إليهم وهو قوله « شذخ بالمعاول » أى ضرب . مع موافقته بعضهم فى أنهم وضعوه فى عدل . لكنهم لم يذهبوا فى ضربه بالمعاول مذهباً يمكن أن يستمد منه ابن خلدون النص على ذلك . فالمفهوم أنه فى هذه المسائل ناقل عن سبقه ، ولم يسبقه أيضاً من قال إنهم ضربوه بالمعاول . فانفراده بالنص على هذا النوع من النهاية ، دون الاستناد إلى رأى أقدم منه يجعل فى الأخذ برأيه تخرجاً .

ثالثاً — على أن ابن خلدون فى موضوع واحد، ومناسبة واحدة — مع اختلاف موضع العبارة فى كتابه — يضطرب فى تقدير عدد القتلى ، ولا يستقر على رأى واحد . فمرة يجعلهم ألفى ألف وثلثمائة ألف ، كما فى جزئه الخامس . ومرة يرفع هذا العدد إلى ألفى ألف وستمائة ألف ، مع الاتفاق فى الموضوع نفسه ، بل فى نص العبارة نفسها، وذلك فى جزئه الثالث .

ولسنا ندرى أى التقديرين يقارب الصواب أو يجانبه ؟ ؟ ولا السبب الذى حدا به إلى هذا التناقض فى حادثة واحدة .

وقد بينا سابقاً مدى المغالاة فى تقدير عدد القتلى ، وكان ابن خلدون من أوائل الذين قالوا بهذا التقدير أيضاً ، مع مافيه من المغالاة دون أن يدرك مبلغها . وهو ما أدركه « البستانى » فى دائرة معارفه ، إذ نقل نص ابن خلدون فى دائرته برمته عند الحديث عن بغداد ، ولكنه استدرك فى نهاية العبارة كثرة القتلى فقال « ولا يخفى ما فى ذلك من المبالغة الظاهرة » .

رابعاً — إن النص جاء مخالفاً لما كان متوقفاً فيما يتصل بالكتابة ، فلو قد أثبت أنها احترقت — ولو عمداً — لجاز ذلك أكثر من أن تلقى بنهر دجلة ، وهنا موضع غرابة عملية تظهر فى إتمام هذا الفعل .

أتحمل الكتب على الأكتاف والسواعد لتلقى في دجلة ؟ أم تحمل على العربات فتساق ليقذف بها في النهر ؟

ولو تم هذا الأمر على كلتا صورتين — بين أبصار الناس وأسماعهم — لكان حديثاً جرى في الآفاق ، فكيف غاب ذلك عن المعاصرين من المؤرخين ؟ وكيف امتنعوا عن ذكره ؟ ولو قد حدث هذا — مع الإشارات التفصيلية التي فاضت بها كتبهم ، إلى ما أحرق ، وما نجا ، وما نهب — وامتنعوا عن الإشارة إليه لعدوا كاتمين للوقائع المهمة التي لو حدثت في مدينة كبغداد في مثل هذه الظروف ، لأدركها كثير من الناس ، وأدركها الخاصة والعامة ، ولكان الحادث حديثاً جرى تداوله بين الأسماع .

خامساً — وأغرب من هذا وأمعن في الغرابة أن يتهم أمتين بهذا العمل . أمة المغول وأمة العرب ، فيجعل المغول يعمدون إلى إلقاء المكتبات العربية بدجلة ، تشفياً لما أصاب مكتبات المدائن الفارسية على أيدي العرب ، فيصيب العرب والفرس معاً بإصابة تلك الحضارة المشتركة بينهما منذ خمسة قرون ، من وقت أن دخلت العربية بينهم رسمياً ، ومنذ أن كان أدبها هو الأدب الرسمي ، ثم الأدب الديني .

وهل ثبت لدى ابن خلدون — وهو يؤرخ لهذه المسألة في القرن التاسع الهجري — أن العرب فعلوا هذا بمكتبات المدائن في القرن الأول الهجري ، حتى يتجنى عليهم هذا التجنى أيضاً ؟

سادساً — ثم هذا الاضطراب الموجود بالعبارة أيضاً . وكيف يكون ذلك ؟ « واعترزم هولاءكو على إضرام بيوتها ناراً فلم يوافقه أهل مملكته » بعد أن سبقها عبارته « وألقيت كتب العلم التي كانت في خزائنهم بدجلة » كيف يكون

هذا؟ وماذا يفيد هولاكو — والفعل مسند إليه — من إحراق بناء أصبح بقاؤه — على هذا الوضع — لأمعنى له بغير ما وجد له ؟

وهل يقبل هولاكو أن يبقى على المكان وحده بعد أن خلا من الكتب؟
لاشك أن هذا الوضع — لو تم بشقيه — لدل على بربرية ووحشية وسوء تصرف ، وهذا ما لم يفهم عن هولاكو نفسه . ثم لماذا لم يوافقه أهل مملكته على إحراق المكان بعد أن خلا مما فيه . . . ؟؟ أقيمة المكان أغلى في نظرهم من قيمة ما فيه . . . ؟؟ وأين كانوا وهولاكو يأمر الجند بحملها وإلقائها في دجلة . ؟؟ وكيف إذا كان هولاكو يذعن لآرائهم ويستجيب لرغباتهم فلم يفعل في إحراق المكان ، كيف لا يهرعون إليه ويشنونه عن هذا الفعل الذي يصيبهم ويصيب العالم أجمع في مدنيته ؟ . .

سابعاً — ومن كان أهل مملكته وحاشيته الذين يذعن لأمرهم لإشخصيتين إسلاميتين هامتين من أجلة العلماء ، هما « عطا ملك الجويني ونصير الدين الطوسي » اللذان كانا من أكبر الشخصيات ومن أقرب الناس إليه ، وأوثق الناس به ، والذات بلغا من تقديره الشخصى لهما أن استجاب للأول في رغبته إيقاف ضرب « قلاع الإسماعيلية » لينقذ مكتباتها ففعل^(١) ، وبسط للآخر في الأمر فجعل له الإشراف على كل الأوقاف ، ليأخذ منها ما يشاء في سبيل القيام بمهامه العلمية ، والذي أذن له في أن يحجب جميع البلاد ليجمع كتب الرصد وغيرها مما يستفيدون منه^(٢) ؟؟

ثامناً — على أننا نستطيع أن نضيف إلى هذا ما أدركه بعض المؤرخين والنقاد في كتابات ابن خلدون التاريخية .

(١) مقدمة جهانگشای للاستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني ص . كز .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٥٠

فالمعروف أن مقدمة ابن خلدون هي خير إنتاجه ، وأروع ماصدر عنه ، وهي لاتزال حتى اليوم في الصنف الأول بين مؤلفات علم الاجتماع .

أما كتاباته التاريخية فلم تكن صحيحة المنهج ، مستقيمة الحوادث ، بل سلك فيها مسلك الجمع والاختصار أحياناً أو الإضافة أحياناً أخرى ، وقد صور الحوادث الماضية تصويراً كيفما اتفق ، وقد رأينا بعض مظاهر اضطرابه في تسجيل ظاهرة واحدة ، في مكانين مختلفين من كتابه . ومن هنا كانت مكانة تاريخه — بين كتب التاريخ — أقل من مكانة مقدمته بين كتب الاجتماع ، فبينما ترتفع المقدمة إلى الذروة ، ينخفض مؤلفه في التاريخ إلى حد يجعل الثقة به ضعيفة .

ومن هنا أيضاً كانت مكانة ابن خلدون بين علماء الاجتماع تفوق مكانته بين علماء التاريخ . والشيء الذي يمكن أن يعتمد فيه على تاريخ ابن خلدون — بشيء من الاطمئنان — هو ما كتبه عن دول المغرب في موطنه ، أو الأحداث المعاصرة له .

تاسعاً — ونستطيع أن نضيف إلى هذه الآراء مآراه بعض المؤرخين في كتابي ابن خلدون « المقدمة والتاريخ » .

يقول بارتولد في كتابه « تاريخ الحضارة الإسلامية » عن مقدمة ابن خلدون « ان المقدمة المشهورة التي وضعها لكتابه في التاريخ العام ابن خلدون الذي قام بأعمال الدولة في أفريقيا الشمالية ومصر في أواخر القرن الثامن ، هي أول كتاب من نوعه في الأدب العربي ، وتجربة وحيدة لتخليص التاريخ من القصص » إلى أن يقول في تجنب ابن خلدون للآراء الحديثة التي جاء بها في مقدمته عند تطبيقها في كتابه « ولم يستطع ابن خلدون تطبيق نظريته على الأحداث التاريخية كما حدث لكثير من أصحاب النظريات في الأزمان القديمة والحديثة . » ثم يمضي فيقول في المقارنة بين المقدمة والكتاب .

مقدمة « ابن خلدون » كمقدمة « ديودورس » تشبه جداراً مزخرفاً لواجهة جميلة،
 فاذا أخرجنا المقدمة بقي كتابه مجموعة من حوادث . فهو كجميع جامعي القرون
 الوسطى ، ينقل روايات من سبقه من المؤرخين بدون تفسير في معظم الأوقات»^(١)
 عاشرًا — ومع ذلك فهناك بعض المآخذ على ابن خلدون حتى في مقدمته ،
 ويبدو في بعض آرائه تعصبه ضد العرب ، ورأيه فيهم أنهم قوم هادمون للحضارة
 وهو الرأي الذي يأخذه عنه أيضاً بارتولد^(٢) ، ويرد عليه هذا الرأي الدكتور عزام بك
 بما ملخصه : أنه وضع العرب في جانب ، وبقية الأمم في جانب آخر ، وأقام
 المقارنة بينهم ، فلم تصلح المقارنة أساساً للمفاضلة . كذلك يرى أن ابن خلدون لم
 يلتزم السير على خطة واحدة حين نظر إلى البيئة وتأثيرها وإلى الجنس وتأثيره ،
 وخلط بين الإثنين في التأثير في الحضارة^(٣) .

هذه هي مناقشاتنا لآراء ابن خلدون والرد عليه.

والآن بعد أن حللنا الآراء التي عرض لها المؤرخون في إحراق المكتبات ، وناقشنا
 رأى ابن خلدون في إلحاقها بدجلة ، لم يبق إلا أمر واحد محل افتراض . فلنناقشه:
 ذلك هو أن المكتبات ربما قد نهبت أو امتدت إليها يد السلب ، وهذا
 إن تم — لا يتم إلا في ظرف واحد — هو الظرف الذي اشتد فيه الحصار على المدينة،
 واختل نظام الأمن ، وأفلت الزمام من أيدي القابضين عليه ، وتنصل المشرفون
 على خزائن الكتب من تحمل تبعة المحافظة عليها ، حتى لا يدفعوا أرواحهم
 المعرضة للخطر ثمنًا لها ، وفي هذا لا يخلو الناهبون لهذه المكتبات من أن يكونوا
 أحد نوعين :

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية. بارتولد . ترجمة الأستاذ حمزة طاهر ص ٥٩ — ٦٠

(٢) المصدر نفسه ص ٦١

(٣) مقدمة المصدر السابق للدكتور عزام بك ص ٦ — ٧

١ - إما أنهم جماعة يفهمون قيمة الكتب ويدركون مكانتها ، وهؤلاء قد نقلوها في تلك الظروف ليستفيدوا منها - إن تمكنوا من سلبها - في أمان وهدوء ، فلا بد من المحافظة عليها بقدر الإمكان .

٢ - وإما جماعة من الرعاع والغوغاء الذين ينتهزون دائماً فرصة اختلال الأمن ، فيمدون أيديهم إلى سلب كل ما تصل إليه أيديهم ، وهؤلاء لا بد أن يتحسسوا بأنفسهم من يدركون قيمة ما امتدت إليه أيديهم ، فيدفعونها إليهم ولو بأبخس الأثمان .

وهكذا - في كلا الحالين - ينتهي الأمر إلى أن تؤول الكتب إلى أيدي عارفيها ومقدريها ، ولا تصاب الكتب نفسها بخسارة ما ، كما لا تتعرض الحضارة والعلوم بركود ، كالركود المتوقع من حرمان الانتفاع بها على الوجه الذي صورته المؤرخون إحراقاً بالنار، أو إغراقاً في النهر .

وأسلم الآراء عندى أن المكتبة - إن كانت قد تعرضت لشيء - فإنها قد توزعت أثناء الحصار، أو نقلت بعده طوعاً لرغبات المغول . وعلى أى الحالات لم يؤثر هذا أو ذاك - قليلاً أو كثيراً - في سير موكب الحضارة على الصورة التي يصورها المؤرخون .

الفصل الثاني

الحضارة والعلوم في إيران قبل عصر المغول
وأهم العوامل التي ساعدت على سيرها

على الرغم من تلك الأحداث التي صورناها سابقاً ، والتي توضح بشكل عام بعض الجوانب التي تكشف عن خططهم في الفتح . وعلى الرغم مما أصاب الأقاليم نفسها من التخريب والتدمير ، وما أصاب العلماء من التشريد والاغتراب — على الرغم من هذا كله — كان يوجد لهؤلاء جانب لماع مشرق من الحضارة في إيران إبّان ذلك العصر .

فمن خلال النار والدمار التي خلقتها فتوحاتهم ، بزغت على العالم أنوار مشرقة في عهدهم وساهموا — بدورهم — بنصيب وافر في تأسيس الحضارة ، وعوضوا على العالم بعض ما أصابه من التدمير والتخريب . فأنشأوا الكثير من المؤسسات المدنية والاجتماعية ، وأعادوا تجديد ما اندثر منها أو تهدم ، أي كان نوعه أو الغرض منه . كذلك أخذوا يشجعون العلماء ويرعونهم رعاية لعلهم فاقوا فيها غيرهم ، وبخاصة من عاش منهم في إيران .

أما العوامل التي ساعدت على الحضارة والعلوم فهي ما يأتي :

أولاً — البيئة

ونحن إذا درسنا العوامل التي ساعدت على النهوض سريعاً من هذه الكبوة ، لانسى أن نجعل في طبيعتها ما يتصل بالبيئة نفسها . فمن المؤكد أن إيران

—بطبيعة موقعها— كانت موضع تقدير ورعاية عند هؤلاء الفاتحين ، حتى اتخذوا فيها عواصمهم دون غيرها . ومنذ القدم — وهذا الإقليم — يساهم بنصيب وافر في تأسيس الحضارة أو السير بها .

ولم تكن فتوحات المغول—على عنفها وقسوة مسلكها — لتغير كثيراً مما كان لطبيعة هذا الإقليم ، أو لما توارثه رجاله عبر القرون الطويلة ، والتي جعلت في مقدورهم هضم الحضارات المختلفة التي اتصلوا بها ، ثم وضعها في أثواب جديدة . وكثير من المؤرخين لا ينسون مبلغ الخدمات التي تؤديها طبائع الأقاليم في خدمة الحضارة أو في توجيهها . ويرى البعض أن هذا الإقليم كان من البقاع التي أمدت الإنسانية بكثير من العلوم والتي أفادت المدنية في بعض نواحيها ، كما كان لموقعه بالذات أثر في العلاقات بين الشرق والغرب .

ويذكر براون أن نظرة سريعة إلى خريطة هذا الإقليم تكفي لأن يفهم الإنسان أن تلك البقعة المتماسكة القديمة في مدينتها والتي تشغل المسافة بين الخليج الفارسي وبحر قزوين ، هي بمثابة الممر بين أوروبا وآسيا الصغرى من جانب ، وبين وسط آسيا وشرقها من جانب آخر ، مما جعل الغزاة يعبرون عليه من الشرق والغرب منذ أقدم العصور في طريقهم للفتح هنا أو هناك^(١) .

وهذه النظرة تثبت — على وجه عام — ما لهذا الإقليم من أثر في الحضارة بحكم موقعه ، فلا شك أنه استفاد وأفاد من ذلك فائدة كبيرة .

على أن سيل التتار بالرغم مما يوصف به من أنه كان طامياً جارفاً مدمراً، فإنه لم يحرق كل الزرع والشجر في إيران ، ولم يذهب بالبذور كلها من هذه الأرض

الخصبة ، فمت على الزمان بذور ، ونبتت بذور ولم تعدم إيران في عصر التار
تقدماً في العلوم والحضارة والآداب^(١).

ثانياً — تشجيع المغول

وهناك أسباب أخرى دفعت تيار الحضارة كذلك في هذا العصر ، وشجعت
على المضي فيها ، وأهم هذه الأسباب ما يرجع إلى المغول أنفسهم.

وهنا يجب أن نفرق بين جانبين : أحدهما سياسى ، والآخر مدنى . ولأجل
أن تكون أحكامنا صحيحة على ظواهر عصر من العصور ، ينبغي أن نفصل دائماً
بين الأساليب العسكرية أو السياسية ، وما تستتبعه من عنف وقسوة تدعو لها
ضرورة الغزو ، ويدفع إليها حب الانتصار ، وبين السياسة التي توجه الحركات
العالمية أو الأدبية . فكم من العصور كانت ميداناً للتخريب والتدمير كلما اقتضت
سياسة الفتح أو تثبيت السلطان ذلك . ولكنها — من جانب آخر — كانت خصبة
الإنتاج في النواحي العلمية أو في نواحي الحضارة بشكل عام.

ذلك لأن تيار الحضارة إنما يندفع في مجراه بالقوة الكامنة المتوارثة في الأمم
أو في الشعوب وطبيعة وضعها من جانب ، وبين ما ينطوى في طبائع حكامها
من جانب آخر .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الروح الكامنة في هؤلاء الفاتحين كانت — بوجه
عام — روحاً طموحة مشجعة تعمل على مسيرة الحضارة ، أدركنا إلى حد
بعيد تفسير هذا التناقض الذي تبدو ظواهره في هذا العصر ، وذلك بوجود
كثير من مظاهر الحضارة بالرغم مما وصف به عصرهم بالتدمير والتخريب .

(١) مقال للدكتور عزام بك في كتاب قصة الأدب في العالم ج ٢ ص ٥٠٧ .

ومع ذلك فكثير من المؤرخين يردون هذا إلى عوامل مختلفة :

فبرى بارتولد « أن زعم المؤرخين بأن الحياة المدنية لم تدم إلا في البلاد التي نجت من هجمات المغول زعم خاطيء » . ثم يمضى فيقول « فتحت بلاد متحضرة بأيدي قوم لم يتجاوزوا بعد درجة تقديم الإنسان قرباناً ، وضرب — أحياناً — جميع الناس بالسيوف حين الاستيلاء على المدن ، ولم ينج من الموت إلا الصناع الذين يحتاج إليهم الفاتحون على أن يكونوا أسرى » . ثم يستطرد فيقول « فالذين شاهدوا أمثال هذه المشاهد الخيفة ظنوا بالطبع أن إصلاح تلك البلاد من جديد يحتاج إلى آلاف السنين » . ويعود فيعقب على هذا بقوله : « والحقيقة أن استيلاء المغول لم يكن سيئاً إلى هذا الحد ، وأول أسباب هذا ، أن الفاتحين لم يستوطنوا هذه البلاد ، وقد اضطحب ملوك المغول مع قواتهم العسكرية — التي لم تكن كبيرة العدد — مستشارين مدنيين للاستعانة بهم في الشؤون الادارية وفي التعمير^(١) »

على أن براون يذكر لهم أيضاً جانباً آخر سلبياً أفادوا به الحضارة من طريق غير مباشر ، ذلك أنهم بهجاتهم دفعوا بالأتراك العثمانيين من مجاهل خراسان إلى القسطنطينية فتحطمت الدولة البيزنطية وتشتت اليونان وسملوا كنوزهم إلى أوروبا . ثم أنهم باحتلالهم وفتوحاتهم ، فتحو الطريق عبر آسيا أمام السياح والرحالة أمثال « ماركو بولو » . فعرفت بذلك كل مجاهل آسيا إلى أوروبا^(٢) .

وبجانب مشاركته أيضاً مؤرخى الإسلام في قولهم إن المغول كان من سياستهم أن يبقوا على الصناع والعمال^(٣) ليستفيدوا من خبرتهم في بناء الحضارة .

(١) بارتولد . تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٩٥ . ترجمة الأستاذ حمزة طاهر .

(٢) G. Browne : A Literary His. of Persia. v. 2. p. 442

Ibid

v. 2. p. 438 (٣)

فإنه أشار إلى مدى ما أحاط به هولاء علماء عصره من الإجلال والتقدير فيقول :
«إن هولاء كوخرب بغداد وعدو الإسلام- إلى حد بعيد- كان مقصداً لاثنين
من كبار الكتاب الإيرانيين في عصره، وهما الفلكي «نصير الدين الطوسي» والمؤرخ
«عطاءملك الجويني» صاحب «جهانگشای» كما أنه في عصر «غازان» ظهر كذلك
مؤرخان شهيران هما «عبدالله فضل الله الشيرازي المعروف بوصاف الحضرة» «والوزير
رشيد الدين فضل الله» ويعدان من أهم الكتاب الذين أرخوا بالفارسية في عصرهم^(١).

ثالثاً — عامل الزمن

ومن بين العوامل التي أدت إلى سير الحضارة العلمية في هذا العصر عامل
آخر يردده الدكتور «قاسم غني» في كتابه (تاريخ تصوف در اسلام) إلى الزمن .
فيرى أن استيلاء الغول ظهر تأثيره الكامل على سير الحضارة في القرون التي
أعقبت حركتهم ابتداء من القرن الثامن ، أما تأثير هذه الحوادث في نفس القرن
الذي ظهرت فيه — وهو القرن السابع — فلم تكن ذات خطر . فإنه كان خاتمة
لعصور النهضة التي سبقتها ، ولم تنقطع فيه الحركة العلمية عن سيرها ، كما أن أعلام
الأدب والتاريخ في هذا العصر، إنما هم ثمرة لمسير الحياة في القرون السابقة ، وعد
من بين هؤلاء الأعلام «مولانا جلال الدين الرومي ، والشيخ سعدى ، وعطاء
ملك الجويني ، ورشيد الدين فضل الله ، ونصير الدين الطوسي ، وياقوت الحموي
وابن الأثير ، ومحمداً المنشي النسوي»^(٢).

والدكتور «رضا زاده شفق» يوضح — في تفصيل — هذه الظاهرة ويردها
إلى عوامل مشتركة منها أن بذور الرقي العلمي والأدبي في إيران أخذت تنمو منذ
عهد السامانيين وبلغت بمضى الأيام مبلغ النضج والكمال ، وظهر في تلك المملكة

(١) G. Browne : A Literary History of Persia v. 2 p. 443

(٢) تاريخ تصوف در اسلام . للدكتور قاسم غني ص ٤٩٨

مئات من العلماء المبرزين في كل ناحية . فلما كانت حملة المغول نجت بعض الكتب اتفاقاً واحتفظ بمقدار منها في المدن بعيداً عن عبث الأيدي ، كما فر كثير من العلماء ولجأوا خصوصاً إلى الولايات الجنوبية من إيران وفر البعض إلى الهند وآسيا الصغرى .

كذلك يرى أن المغول كانوا حقيقة في بدء حركتهم يتعطشون لسفك الدماء لكنهم بعد أن توطنوا إيران واندمجوا في الناس ، وأخذوا يتقبلون أفكارهم ، تغيرت طبائعهم شيئاً فشيئاً ورغبوا — تدريجياً — في اعتناق المدنية الإسلامية والإيرانية^(١) .

ويكاد يلتقي مع هذا رأى آخر لصاحب كتاب « تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار » فقد وفق هذا المؤرخ كذلك بين ما كانوا عليه من التخريب والقتل وبين التقدم العلمى الذى ظهر فى عهدهم فيذكر « أنهم كانوا يخربون ويقتلون أول ظهورهم ، لكن لم يؤخر ذلك فى انتقاص العلوم وطرد الخلل فى المعارف والفنون ، بل العلوم والمعارف جارية بعد ظهورهم على ما هى عليه قبل خروجهم ، فان خروجهم لم يكن لمعاداة الدين ولا لبغض الاسلام والمسلمين »^(٢) .

هذه الآراء المتعددة التى نظرت إلى ذلك العصر من زوايا مختلفة ، على تباين العصور والمواطن والشخصيات التى تناولتها ، تكاد تجمع كلها على فكرة واحدة وتلتقى عند رأى واحد ، ذلك أن عصر المغول — على ما كان فيه من أحداث جسام غيرت من وجه التاريخ — لم تهدم كل أسس الحضارة بل ظلت بذورها كامنة حتى إذا تهيأت لها الظروف والوسائل أثمرت وآتت أكلها . تلك الظروف التى استمد

(١) تاريخ أدبيات إيران — للدكتور رضا زاده شفق ص ٢٥٩ سنة ١٣٢١ هـ . ش طهران .

(٢) تلفيق الأخبار ج ٢ ص ٢٣

منها جميعها بارتولد رأيته ، حين قال فى حكمه على حضارة هذا العصر عبارته :
« وإذا كان فى تاريخ إيران عهد وقف فيه الشعب الايرانى فى الصف الأول
من حضارة العالم فهو العهد المغولى ، مع أن كثيراً من العلماء يذهبون إلى أن المغول
لم يعملوا فى إيران غير تخريب الحضارة »^(١) .

ولعل بعض المؤرخين وقعوا فى هذا الاضطراب من مقايستهم للحضارة والعلوم
مع الانقلابات التى تحدث فى الأمم أو العصور ، ويقيمون لهذا نظرية تكاد تكون
متسقة — فى رأيهم — تلك النظرية التى تربط بين الحياتين السياسية والعلمية
ربطاً طردياً ، فكلمها وجدت ظروف تخريب وتدمير قاسوا عليها تأخير
الحضارة والعلوم .

لكن هذه النظرية ثبت فسادها بالقياس إلى هذا العصر . كما أن هناك ظاهرة
أخرى تؤدى إلى هدمها ، وهو ما ظهر فى القرن الرابع الهجرى فى الأدب العربى .
وذلك فيما يشير إليه الدكتور عزام بك فى قوله عند دراسته لعصر أبى الطيب
المتنبى : « لا ريب أن العلوم والآداب تنمو وتزدهر فى ظلال الأمن والرخاء
وفى رعاية الدول الرشيدة التى ترفع شأن العلماء والأدباء وتحرضهم على الجد
والاستقصاء » . إلى أن يقول ، « ولكن نمو العلوم والآداب وازدهارها ثم ذبولها
وجفافها ، يتقلب فى أطوار عديدة بطيئة لا يسير الأطوار السياسية ، فإذا نمت
العلوم فى أمة قوية لا تؤتى ثمارها إلا بعد زمن مديد ، وربما يوافق ازدهارها زمن
الضعف السياسى فى الدولة التى تمت فى ظلها » ثم ينتهى من هذا بقوله « فلا
ينبغي أن تقاس حال العلوم والآداب بالأحوال السياسية ، ولا يجوز أن تلتبس
فى التاريخ مسامرة رقى العلوم وتدليلها للقوة السياسية والضعف »^(٢) .

(١) بارتولد — تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٩٨ . ترجمة الأستاذ حمزة طاهر .

(٢) ذكرى أبى الطيب المتنبى ص ٨ — ٩ للدكتور عزام بك .

هذه الشواهد في مختلف العصور ، وبين مختلف الأمم ، وتحت ظلال مختلف الحكومات ، في مختلف الأقاليم ، تهدم الرأي الذي يربط دائماً بين الحياتين السياسية والعلمية ويدعوننا لأن نحتاط في القياس على المساوىء السياسية مساوىء في الحياة العلمية كذلك .

وإذا كنا قد لمسنا من خلال ما تقدم بعض الظواهر التي لعبت دورها في سير الحضارة في هذا العصر . فإن هناك عاملاً آخر — عارضاً — لعب دوراً هاماً في توجيه الحضارة كذلك .

رابعاً — الانقلاب الديني وأثر الدين في توجيه الحضارة

هذه مسألة توجب الكثير من الاهتمام والعناية ، ودراستنا لأطوار تاريخهم في البيئة الإسلامية كشف لنا عن كثير من ميولهم الدينية ، تلك الميول التي تقلب بينها كثير من ملوكهم وأمرائهم .

فقد ثبت أنهم — منذ أيامهم الأولى — كانوا يحترمون رجال الدين ، وخاصة المسلمين منهم ، كما احترمو العلماء ومكنوا لهم في دولتهم ، وكثيراً ما كانوا يستجيبون لرغباتهم . فيشير صاحب «جهانگشای» أنهم عند فتحهم سمرقند في عهد چنگیزخان ، دخلوا المدينة وساقوا الرجال والنساء إلى الخارج وكانوا مليوناً إلا القاضى وشیخ الإسلام والقوم الذين تعلقوا بهم ، وقد بلغوا خمسين ألفاً عفوا عنهم جميعاً^(١) .

كذلك لم يتعرضوا لإغلاق معاهد العلم أو التدخل في التوجيه الديني ، فيذكر صاحب العراق بين احتلالين قوله « لما كان الفاتح لم يتعرض للمؤسسات الدينية أيام احتلاله كان من نتائج ذلك الاحتفاظ بالمعارف والعلوم ، ومن أوضح

(١) جهانگشای ج ١ ص ٩٤

ظواهرها المدارس الكبرى مثل المستنصرية والنظامية » إلى أن يقول « فصارت خير واسطة للم شعث واستبقاء الحضارة^(١) ».

هناك إذن ظاهرة تسترعى أنظارنا هي أن المغول منذ فتوحاتهم الأولى لم يتملكهم شعور الغضب نحو المسامين أو المنشآت الإسلامية ، بل استجابوا سريعاً لإرضاء شعورهم باحترامهم وتقديرهم واتبعوا في سياستهم جانباً يرضيهم. فلم يتعصبوا لوثنيتهم أو ينتصروا لدين على دين - في طول مملكتهم وعرضها - بل أدى تسامحهم الديني إلى أن الأديان نفسها لعبت دوراً هاماً في اكتسابهم وتوجيه سياستهم ، حتى ظفر الدين الإسلامي أخيراً على تلك الأديان التي كانت تتجاذبهم .

وهذه مسألة تكاد تكون وحيدة في التاريخ العام ، ينفرد بها الدين الإسلامي وحده فلم يحدث في تاريخ الأديان أو السياسة أن انتصر دين المغلوب على دين الغالب . ويأتمام تلك الحركة كسب الإسلام كسباً جديداً عوض عليه ما أصابه ، بل أهم وأجدى من كل ما أصابه .

أما من حيث حياتهم الدينية الأولى فقد كان لهم ديانة وثنية تسمى الشامانية وكانوا مع اعترافهم بإله عظيم قاهر لا يؤدون له فروض العبادة ، وإنما كانوا يعبدون طائفة من الآلهة المنحطة وبخاصة تلك الآلهة الشريرة التي كانوا يقدمون لها القرابين والضحايا ، لما كانوا يعتقدون فيها من السلطان والقدرة على الأذى ، كما كانوا يعبدون أرواح أجدادهم التي كانوا يعتبرونها ذات سلطان عظيم على حياة أعقابهم^(٢) .

وبجانب ذلك وضع المغول لهم قانوناً يسمى « الياساق » أخذوا أنفسهم

(١) العراق بين احتلالين ص ٥٩٤

(٢) آرنولد. الدعوه إلى الاسلام ص ١٩١ توجهة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين

بتعاليمه ، ومن ثم التزموا في معاملاتهم للأمم المغلوبة ما كان يقتضيه هذا القانون .
وفضلاً عن هذا كانت معاملاتهم لأهل الأديان تنطوي على التسامح وعدم
الفرقة بين دين ودين ، بل كان من مبادئ هذا القانون كما يشير « الجويني »
أن كل من لا يعصاهم يأمن سطوتهم ، وكانوا يبذلون في إكرام رجال الدين
فيعفونهم من الالتزامات المفروضة على غيرهم^(١) .

وهكذا كان شأن المغول منذ جنكيزخان ، فقد كانت يرمى في سياسته
— كما يقول براون — إلى المساواة بين كل العقائد ولا يستميل منها جانباً دون
آخر^(٢) .

على أنه مالبث أن امتدت حركة الفتح سريعاً ، وانضوى تحت لوائهم كثير
من الشعوب المختلفة ذات الديانات المتباينة من البوذيين والمسيحيين والمسلمين .
هنا نشأ صراع عنيف بين أتباع تلك الديانات وكلهم يعمل — جاهداً —
على أن يسبق غيره في اجتذاب هؤلاء إلى جانبه^(٣) .

وقد أفادت هذه الحركة كثيراً في تطور عقلية هؤلاء الحكام إلى حد كبير
وتطور روحهم الدينية على مدى الزمن ، ذلك أن بساطة دينهم — كما يرى
آرنولد — لم تجعله يقوى على أن يقاوم طويلاً جهود هذه الأديان الكثيرة
الأنباع والأنصار ذات اللاهوت المنظم الذي يملك قوة الإقناع وسد حاجة العقل .
ومن ثم كان لاتصالهم بتلك الشعوب المتباينة ذات الديانات المنظمة وصاحبة الأنباع
الأتقوى تأثير كبير في تطور هؤلاء ، فتأثروا بمدنيات تلك الشعوب ، وخرجوا عن

(١) جهانگشای ج ١ ص ١١

(٢) G. Browne : A Literary His. of Persia v. 2 p. 440

(٣) الدعوة إلى الاسلام ص ١٩١

بربرية بداوتهم الأولى ، حين وجدوا أنفسهم جنباً إلى جنب مع هذه الأجناس ذات الديانات الراقية^(١) .

البوذية ونشاطها :

ويظهر أن البوذية كانت أسبق الديانات المختلفة إلى أحضان هؤلاء القوم واكتسابهم إلى جانبها ، فقد كان دعايتها من الشجاعة بحيث كانوا يجوبون ديارهم بل كانوا يقيمون المناظرات الدينية مع قساوسة الغول الشامانيين في حضرة چنگيزخان^(٢) .

وهكذا كان حكامهم الأول وقادتهم لا يمانعون في إقامة المناظرات الدينية ولو كان أتباع دينهم طرفاً في تلك المناظرة .

على أنهم مع ذلك كانوا لا يمانعون أن يؤلف جيشهم من أتباع ديانات مختلفة فيذكر صاحب كتاب أخبار الدول « أن عسكر چنگيزخان كان بين مسلمين ومشركين ويهود ولم يتعرض لأحد في دينه واعتقاده^(٣) » .

وقد أسرع بعض الحكام إلى الارتداد عن دين أجداده وآبائه واتخذوا ديناً غير دين قومهم ، وكان ذلك بطبيعة الحال راجعاً إلى جهود رجال الديانات المختلفة ، وقوة صلاتهم بالحكام ومكانتهم في المجتمع وكان أول شخص من تلك الأسرة خرج على دين آبائه واعتنق البوذية هو « قوييلاي خان^(٤) » .

المسيحية ونشاطها :

أما المسيحية فلم تقل جهودها وجهود أتباعها عن جهود البوذية ورجالها ، بل

(١) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام . ترجمه الدكتور حسن إبراهيم وآخرين ص ١٩١

(٢) نفس المصدر ص ١٩١

(٣) أخبار الدول وآثار الأول ص ٣٨٤

(٤) G. Browne : A Literary His. of Persia. v. 2. p. 440

كانت جهود هؤلاء تتجه إلى اكتسابهم ليكونوا إلى جانبهم ضد المسلمين — العدو المشترك — وكثيراً ما كانوا يغرونهم بكل الوسائل لاكتسابهم .
 واشترك المدنيون منهم مع رجال الدين في العمل سريعاً لانحيازهم للمسيحية .
 فكان السياسيون يرسلون القواكه والهدايا الثمينة من السفارات المسيحية المختلفة إلى بلاط المغول في قراقورم ، كما أن الرهبان والقسس واجهوا بشجاعة آلاف المخاطر والمصاعب لكي يكسبوا أكبر نصر يمكن أن يعود على كنيستهم ^(١) .
 وسرعان ما وجد المغول أنفسهم في المسيحية شريكاً يعين في القضاء على القوة المضادة التي كانت تقاوم غزوهم .

ثم ظهر عامل جديد لعب دوراً هاماً في استمالة المغول إلى المسيحية ذلك هو نشاط الحريم في البلاط المغولي . وكان هولاء كـ أول مغولي تزوج مسيحية وكانت زوجته تدعى « ظفر خاتون » ^(٢) . وكانت كما يقول آرنولد محببة إليه فعملت على استمالة زوجها نحو إخوانها في الدين ^(٣) . كذلك تزوج ابنه « آباخان » من ابنة إمبراطور القسطنطينية .

على أن هولاء كو وابنه آباخان لم يندفعوا نحو النصرانية ، لكن نشاط الحريم ظل يسود البلاط الملكي بين المغول حتى أمكنهم إدخال أبنائهم في هذا الدين .
 فيذكر براون أنه عقدت معاهدات بين المغول والمسيحيين اعترف فيها بعضهم بالمسيحية واعتنقها كثير منهم ، وبعضهم من العائلة المالكة . فهناك اثنان من خانات المغول هما « تكودار احمد وألجايتوخدا بنده » كانا في أخريات حياتهما من المسلمين المتعصبين بينما عمدا في طفولتهما وسميا باسم نقولا ^(٤) .

(١) G. Browne : A Literary History of Persia. v. 2. p. 441 .

(٢) أخبار الدول وآثار الأول ص ٣٨٦ — ٣٨٧ .

(٣) آرنولد — الدعوة إلى الاسلام ص ١٩٨ . ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين

(٤) G. Browne : A Literary History of Persia. v. 2. p. 441 .

وبالرغم من أن المحاولات لاجتذاب المغول نحو المسيحية كانت مبكرة نشيطة متنوعة ، فإن هناك كثيراً من الأسباب التي أدت إلى فشل هذه الجهود المتواصلة ، وأظهرت الأيام أن تلك الآمال لم تكن إلا سراباً خادعاً^(١) كما يصورها آرنولد . ثم يتولى بسط الأسباب التي أدت إلى فشل هذه الجهود ويرجع الكثير منها إلى الخلافات الكثيرة بين أتباع هذه الديانة من اللاتينيين والإغريق والنسطوريين والأرمن .

كذلك يرمى النسطوريين منهم — وهم الذين ظهروا أولاً في ذلك المضمار — بأنهم بلغوا درجة كبيرة من الانحطاط والجهل بكتب صلواتهم المدونة بالسريانية ، واتجارهم بالمناصب الدينية ، وعدم مبالاتهم بجمع الثروات من وراء تعليم الطقوس الكنسية ، وكانوا يؤثرون جمع المال على تعاليم الدين^(٢) .

وهكذا انتهت هذه الحركة ولم تنجح هذه التأثيرات المختلفة التي قام بها هؤلاء من التودد ، وإرسال الهدايا أو الزواج ، وامتلاء البلاط بالقسس والرهبان أو الإغراء بالعداوة المشتركة للمسلمين ، من كل هذه الحركات المفتعلة التي جاءت إليهم من الخارج لا من طبيعتهم ولا من ميولهم الروحية .

الإسلام ونشاطه وكيف دخل المغول في الإسلام ؟؟

وفي تلك العبارة النزيهة التي سطرها آرنولد يبدو كيف أن الإسلام استطاع بعد كبوته أن ينهض تلك النهضة المباركة فيتغلب بتعاليمه على أولئك الفاتحين القساة في عبارته :

« ولكن لم يكن بد من أن ينهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته

(١) آرنولد. الدعوة إلى الإسلام ص ١٩٨ ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين .

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٣

الأولى ، وأطلال مجده التالذ، كما استطاع بواسطة دعائه أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين ويمهلهم على اعتناقه ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى نشاط الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعاب أشدها لمناهضة منافسين قوين كانا يحاولان إحراز قصب السبق فى ذلك المضمار » ثم يضى فىقول « وليس هناك فى تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب ، وتلك المعركة الحامية التى قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام ، كل ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك القساة الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة والمبشرين فى جميع الأقطار والأقاليم ^(١) » .

ويبدو أن اضطراب المجتمع، وسطوة النساء، وبليلة الأفكار الدينية فى نفس المغول، قد لعبت كلها دوراً خطيراً فى هذه الحركة على العموم .

وكما تدخل حريم القصور اللائى كن يذن بالدين المسيحى فى توجيه أزواجهن أو تنصير أبنائهن ، كذلك قد لعبت المسلمات نفس الدور بل لعل المسلمات قد قمن بدور أهم وإن لم تكن فى مراكز قوية تخول لهن فرض سلطانهن على المغول .

بدأت حركتهن فى اجتذاب المغول إلى الإسلام منذ أن اتخذن سبايا للبلاد المغولى ، ومع ضعف موقفهن ، فانهن قمن بأدوار نبيلة شريفة كما يصنفها آرنولد فى قوله « لا يبعد أن تكون سبايا المسلمين قد قمن بدور هام فى تحويل المغول إلى الإسلام، ويظهر أن المرأة شغلت مركزاً من مراكز الشرف والكرامة بين المغول، ويمكن أن نأتى بأمثلة كثيرة تؤيد أنه كان لها أثر ظاهر فى الشؤون السياسية » .

وهكذا يضى فيحدثنا عن قصة يبدو فيها مدى بليلة الأفكار، واضطراب العقيدة الدينية عندهم فى الحادثة الآتية ، فى قوله « ويحدثنا ولیم بروك أنه شاهد بنفسه

(١) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام . ص ١٩١ . ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين

تأثير إحدى النساء المسلمات وكيف وقف ذلك التأثير في سبيل نشر تعاليمه الدينية» ويورد عنه القصة الآتية : « وفي عيد العنصرة أتى أحد المسلمين ، عندما أخذ في شرح تعاليم الدين في أثناء حديثه معنا ، فلما سمع عن نعم الله على الناس وعن التجسد وبعث الموتي ويوم الحساب ومحو الخطايا عن طريق التعميد ، رغب في أن يعمد ، ولكن بينما كنا نعد العدة لتعميده ، امتطى صهوة جواده على حين غفلة ، قائلاً إنه لا بد من أن يذهب إلى داره لاستشارة زوجته^(١) .

ونحن لانستطيع أن نقض أبصارنا عن عامل آخر له أهميته بجانب ذلك . فالبيئة التي يسودها سلطان المغول إذ ذاك بيئة إسلامية ، تدب فيها روح الإسلام وتعم مبادئه بين أركانها ، وترتبط العلاقات الاجتماعية والروحية بجانب العلاقات السياسية في تلك البيئة ، ويأتلف أقوامها مع الحكام نتيجة للمعاملات العامة .

على أن المغول أنفسهم قد هيأوا لأهل تلك البيئة سلطاناً مدنياً وسياسياً بجانب ما كان لهم من النفوذ الروحي ، فرأينا كيف وفقوا في اختيار جماعة يلتقون إليهم زمام الأمور السياسية والإشراف على أقاليم بذاتها ، وكيف اختاروا للمناصب الخطيرة في الدولة — وهو منصب الوزارة — أفراد أسرة إسلامية هي أسرة الجويني ، يستوزرونهم ويقيمون منهم حكماً على أهم إقليم إسلامي في ذلك الوقت وهو العراق العربي ، بعد زوال الخلافة تقديراً للشعور الإسلامي العام .

وقد نجحت هذه الأسرة في الفترة التي أشرفت فيها على الحكم والسلطان نجاحاً باهراً ، وأدت خدمات جليلة للعالم الإسلامي وللحضارة الإسلامية بصفة خاصة لانستطيع أن ننساها ، كذلك خففوا من الأهوال التي لحقت بالعالم الإسلامي ، وفتحوا صدور الحكام على حب الرعية ، وهيأوا عقائدهم للدخول في الإسلام .

(١) آرولد الدعوه إلى الاسلام ص ٢٠١ هامش .

ومن بين ذلك لانتطيع أن ننسى جهود رجال الدين المسلمين الذين اتصلوا بالحكام، وتوثقت الصلة بينهم حتى أسلسوا عقائدهم لتفهم الدين الإسلامى والدخول فيه فأنطاعوا لهم بعد أن تبين أنه دين الطبائع لادين الصنائع .

الأمير « تكودار » أول من أسلم

ظلت هذه العوامل تعمل فى البيئة المغولية مجتمعة طوال حياتهم الأولى . وظل المغول أنفسهم فى تلك البيئة الدينية القلقة تتبلبل أفكارهم، وتضطرب عقائدهم وتتجاذبهم الموجات المختلفة، حتى انتهى الأمر أخيراً بأحد سلاطينهم إلى اختيار الدين الإسلامى . ذلك هو الأمير تكودار^(١) الذى تسمى بالسلطان أحمد .

ولم يطل العهد بعيداً حتى جعله غازان ديناً رسمياً للدولة فى إيران — مقر حكومتهم — وإن كان ذلك بعد مدة أصابت الإسلام والمسلمين نكسة شديدة ، ما بين فترة السلطان أحمد وفترة غازان والتى بدأت بحكم أورغون .

أما كيف تم ذلك ؟ فيمكن أن نلخصه فيما يأتى :

تجمعت فى الفترة بين عهدى هولاكو والسلطان أحمد كل العوامل التى أدت إلى ارتداد السلطان أحمد عن دينه المسيحى واختياره الاسلام ، بالرغم من أنه تنصر فى طفولته وتعهد باسم « نقولا » .

وفى وثيقته إلى « قلاوون » سلطان مصر، يتضح كثير من البواعث التى حملته على اختيار هذا الدين . ونحن لانسجل هذه الوثيقة بتمامها فلا حاجة إليها هنا ، ويمكن أن يرجع إليها فى الكتب التى سجلتها^(٢) ، ولكننا نكتفى فقط

(١) لايجمع المؤرخون على اسمه المغولى قبل الاسلام فيقول وصف بهذا الاسم ص ١٠٥ ويقول صاحب التواريخ إن اسمه تاكودار ص ٦٠ . كاترمير بينما يشير أبو الفداء إلى أن اسمه بيكدارج ص ٤٨ ص ١٨
(٢) وصف ص ١٠٥

بتسجيل مقدماتها القيمة لنرى في استهلاكها كيف تخير السلطان أحمد الدين الإسلامي — وكيف استطاع رجال الدين الرسميين بمراكزهم الدينية وحسن تمثيلهم لهذه المراكز أن يكسبوا إلى جانبهم هؤلاء الحكام الذين تتجاذبهم الديانات المختلفة ؟ .

تلك الوثيقة التي جعلت كتاب الغريبين أنفسهم يشعرون بمدى التغيير الظاهر الذي نشأ على طبيعة المغول فيذكر آرنولد مشيراً إلى ذلك .

« وإن من يدرك تاريخ المغول ليرتاح عندما يتحول فجأة من قراءة ما اقترفوه من الفظائع ، وما سفكوه من دماء ، إلى أسمى العواطف الانسانية ، وحب الخير التي أعلنت عن نفسها في تلك الوثيقة التاريخية ، التي كتبها « تكودار أحمد » إلى سلطان المالك في مصر ، والتي يدهش الانسان لصدورها من مثل ذلك المغولي ^(١) » .

وقد حمل هذه الرسالة إلى قلاوون أكبر شخصية قضائية في الدولة لدى السلطان أحمد وهو « قطب الدين الشيرازي » أفضى القضاة ^(٢) وجعل معه رسولا آخر هو « الأتابك بهلوان » كما يبدو فيها مدى اعترافه بفضل شيخ الاسلام وتقديره له ، فإنه حبيه إلى هذا الدين . يقول في المقدمة :

« أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى بسوابق عنايته ونور هدايته ، قد كان أرشدنا في عنفوان انصبا ، وريعان الحداثة ، إلى الإقرار بربوبيته ، والاعتراف بوحدايته ، والشهادة لمحمد عليه أفضل الصلاة بصدق نبوته ، وحسن الاعتقاد في أوليائه والصالحين من عبادته وبريته ، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره

(١) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام ص ٢٠٠

(٢) أبو الفداء ج ٤ ص ٧ . ووصاف ص ١٠٥

للإسلام . فلم نزل نميل إلى إعلاء كلمة الدين وإصلاح أمور الإسلام والمسلمين ، إلى أن أفضى — من أئبنا الجيد وأخينا الكبير — نوبة الملك إلينا ، فأفاض علينا من حلل أطفاه ولطائفه ما حقق به آمالنا فى جزيل آلائه وعوارفه ، وجلي هدى المملكة علينا وأهدى عقيلتها إلينا . » .

هذه هى المقدمة ويبدو منها أن هدايته للإسلام كان بمحض العناية الإلهية ، وأن ذلك كان منذ ريعان حياته ، كما كان يتجاوب فى نفسه قبل الإسلام الميل إلى إعلاء كلمة الدين ، وإصلاح أمور الإسلام والمسلمين ، حتى تسلم مقاليد الأمور فكان ذلك من فيض الله عليه .

ثم يشير إلى الدور الذى قام به شيخ الإسلام بقوله « وقد عرضنا على مارأينا من دواعى الصلاح ، وتنفيذ ما ظهر لنا من وجه النجاح ، إذ كان شيخ الإسلام قدوة العارفين ، الذى هو نعم العون لنا فى أمور الدين ، فأصدرنا هذا الكتاب رحمة من الله لمن وعاه ، ونقمة على من أعرض وعصاه » .

وفى الخطاب جانب سياسى لاداعى للإفاضة بالحديث عنه ، ولكن الذى يعيننا الإشارة إليه هنا، أن هذا الخطاب لم يؤد الغرض منه بين السلاطين ، فاستمرت الحرب بين الدولتين ، ولم يحسم الخلاف بينهما إلا الحديد والنار على الرغم من اشتراك الدولتين فى دين واحد .

وفى رد السلطان قلاوون على السلطان أحمد يتضح كيف فشلت بينهما الوسائل لإيقاف الحرب . وقد ناقش السلطان قلاوون فى رده وثيقة السلطان أحمد وعرض أغراضها الواحد تلو الآخر وأخذ يرد عليها ردوداً مفحمة .

يقول بعد المقدمة « فإنه ورد الكتاب الكريم المتلقى بالتكريم المشتمل على النبأ العظيم من دخوله فى الدين ، وخروجه عن خالف من العشرة الأقربين . ولما

فتح هذا الكتاب فاتح الخبر المعلم المعلم ، والحديث الذى صح عند أهل الاسلام وأصح الحديث ما روى عن مسلم . توجهت الوجوه بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى فى أن يثبتته على ذلك بالقول الثابت « ويمضى فى الخطاب إلى أن يقول « والحمد لله على أن شرح صدره للاسلام وألهمه شريف الالهام ، فحمدنا الله أن جعلنا من السابقين الأولين إلى هذا الحل العالى المقام وثبت أقدامنا فى كل موقف اجتهد أو جهاد^(١) » .

وفى هذا الخطاب أيضاً ردود على الجوانب السياسية فى خطاب السلطان أحمد كشف عن سوء العلاقات بينهما ولم يفد شيئاً فى إيقاف الحرب أو تخفيف أعبائها بل كان رده جذوة جديدة فى أتون تلك الحرب .

فقد تلقف السلطان قلاوون آخر عبارات خطاب السلطان أحمد وهى قوله إليه « وإن غلب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمة، ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة فيه، شكر الله مساعينا ومهد عذرنا . وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . والله الموفق للرشاد والسداد، وهو المهيمن على البلاد والعباد وحسبنا الله وحده » .

تلقف قلاوون هذه الخاتمة ورد عليها بما يشعر بمدى الغيظ فى نفسه، وذلك فى قوله « وأما الاستشهاد بقوله تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» فما على هذا النسق من الود ينسج ، ولا على هذا السبيل ينبج ، بل لفضل التقدم فى الدين حقوق تراعى وإفادات تستدعى » .

ثم يختم إليه خطابه بآية قرآنية أخرى تتقدمها عبارته « سمعنا المشافهة التى حثت لسان أفضى القضاة قطب الملة والدين ، وكان منها ما يناسب ما فى هذا الكتاب من دخوله فى الدين وانتظام عقده فى سلك المؤمنين ، وما بسطه من عدل

وإحسان وسيرة مشهورة بكل لسان ، فالمنة لله عليه في ذلك فلا يشينها ولا يشيها منه بامتنان ، وقد أنزل الله على رسوله في حق من امتن بإسلامه «قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ان كنتم صادقين .»

وهكذا تغلبت الروح السياسية وحب التوسع على كل رغبة في وقف القتال ولم يستند العالم الإسلامي من انتقال أحد سلاطين المغول إلى الإسلام ، بل استمر حب التوسع الاستعماري يستولى على نفوسهم ولم يحسم ما بينهما من خلاف إلا الحديد والنار كما أسلفنا .

نكسة تصيب الإسلام والمسلمين

لم تمتد الحياة طويلا بالسلطان أحمد فقتل بعد عامين من حكمه فقد تولى عام ٦٨١هـ وقتل عام ٦٨٣هـ ، وقد فشل في سياسته من جميع النواحي ، فلم يوفق في إيقاف الحرب بينه وبين المصريين مع هذا التحول الجديد ، ولم يفكر في بسط سلطان هذا الدين وجعله ديناً رسمياً ، وهي الحركة البارعة التي تمت — فيما بعد — على يد غازان ، فأمن بها الانقلابات السياسية التي تستتر وراء الخلافات الدينية .

فكان إسلام السلطان أحمد وحده دون أن يحكم هذه الحركة أو ينميها باعثاً على الثورة عليه ، أضف إلى ذلك أن نظام تولية العرش عندهم لم يكن وراثياً بل كان لمن يقع عليه الاختيار من بينهم^(١) ، أو لمن يكتب له الظفر من بين العصاة .

فلما أعلن السلطان أحمد إسلامه استغل أورغون ابن أخيه هذه الحركة واتهمه بخيانة شريعة آبائه وسلوكه سبيل العرب الذين لم يعرفهم أحد من أسلافه^(٢) .

وانتهى الأمر بأن اتفق جماعة من الأمراء — وأبناءؤه من بينهم — مع أورغون خان وقتلوه^(٣) .

(١) كانت ولاية السلطان أحمد نفسه بالاختيار الذي تم بينهم — وصاف ص ١٠٥

(٢) آرنولد . الدعوة إلى الإسلام ص ٢٠٥

(٣) وصاف . ص ١٣٥ وآرنولد ص ٢٠٠

عادت الأمور الدينية بعد قتل أحمد إلى ما كانت عليه قبل إسلامه، بل اشتط الملوك منهم في معاملتهم للمسلمين، وأصر خلفاؤه الثلاثة^(١) الذين تولوا الحكم بعده على وثليتهم، وانتهز المسيحيون الفرصة ليلعبوا دوراً جديداً في صرف الأسرة الحاكمة عن الدين الإسلامي^(٢) واستؤنف الصراع العنيف بين الأديان الثلاثة وخاصة بين الدينين القويين الإسلام والمسيحية .

وامتد هذا النزاع طويلاً مدى عصر «أورغون وكيخاتو ويبدو» وهو قرابة اثنتي عشرة سنة، استطاع الإسلام في خلالها — على الرغم من قسوة مآلقاته أبناءه — أن يصمد خلال تلك التيارات العنيفة، وانتهى هذا الصراع آخر عهد السلطان يبدو، وكانت رأسه ثمناً لكرهيته للإسلام وميله إلى المسيحية^(٣) .

أما أعنف هذه الفترات وأقساها على الإسلام وأشدها محنة لأبنائه، فهي فترة أورغون التي أصيب فيها المسلمون والعالم الإسلامي بنكسة عنيفة في خلال حكمه الذي امتد قرابة ثمانى سنوات .

فبعد أن استقر الأمر له وقتل السلطان أحمد، وتفرغ لتنظيم مملكته، غالى في الاستبداد وأقصى المسلمين عن المناصب التي يشغلونها في القضاء والمالية، كما حرم عليهم الظهور في بلاطه^(٤)، ومنعهم من التدخل في أمور الجيش^(٥)،

(١) نذكر هنا ثبناً يبين سنى حكم ملوك المغول في إيران منذ هولاكو حتى نهاية القرن

هولاكو ٦٥٦ — ٦٦٣ هـ	آبافا ٦٦٣ — ٦٨١ هـ
تكودار ٦٨١ — ٦٨٣ هـ	أورغون ٦٨٣ — ٦٩٠ هـ
كيخاتو ٦٩٠ — ٦٩٤ هـ	بيدو ٦٩٤ — ٦٩٥ هـ
غازان ٦٩٥ — ٧٠٣ هـ	مجددأبند ٧٠٣ — ٧١٦ هـ

(٢) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام ص ٢٠٠

(٣) G. Browne : A Literary His. of Persia v. 2. p. 444

(٤) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام ص ١٩٦

(٥) وصاب ص ٢٤١

بل بالغ في مظاهر العنف والاستبداد فأطاح بأسرة الجويني — كباراً وصغاراً — على صورة بشعة، وأسرف في النكاية وأمعن فيها، فولى إدارة الدولة رجلاً يهودياً هو « سعد الدولة اليهودي » . فأصاب القوم حسرة مريرة وانطوت نفوسهم على الكراهية والبغض لهذا العهد ، وذلك الانقلاب الشنيع ، وتمكنت الحفيظة من نفوسهم للحاكم ورجاله إلى حد كبير .

ولم تكن أسرة سعد الدولة هذا ذات أصل — بالإضافة إلى يهوديته — بل كان أبوه في مبدأ أمره دليلاً بسوق الصناعة بالموصل ^(١) .

وقد بسط أورغون يده في شئون الدولة حتى دون الرجوع إليه ، بعد أن وثق به فارتفع شأنه وعلا نجمه ، وأذعن لأمره جميع لأمرء والحكام ، وأدخل كثيراً من أفراد أسرته في إدارة حكومات الأقاليم فأُسند إدارة مدينة دار السلام إلى أخيه فخر الدولة، الذي كان يضرب به المثل في الجهل ، وجعل فارس تحت إمرة أخيه شمس الدولة ، ولو لم تكن خراسان و بلاد الروم تحت إشراف أمراء المغول أنفسهم اطمع في أن يولى عليها بعض جهاله كما يذكر الوصاف ^(٢) .

ولم يقتصر الأمر على مد السلطة لأسرته، بل عمل على اتساع نفوذ طائفة من بني جلده . فقد استغل اليهود مركز سعد الدولة وتغلغلوا في الحكومة ، وتورطوا في ذلك إلى حد أحفظ الناس عليه .

وقد تنذر بعض فضلاء بغداد بذلك وأشار إلى هذه الأمور بقوله ^(٣) :

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ١٨ وانظر :

G. Browne : A Literary His. of Persia v. 3 p. 32

(٢) وصاف ص ٢٣٧

(٣) نفس المصدر ص ٢٣٨ . وانظر :

G. Browne : A Literary His. of Persia. v. 3 p. 32

يهود هذا الزمان قد بلغوا مرتبة لا ينالها فلك
الملك فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك
يامعشر الناس قد نصحت لكم تهودوا قد تهود الفلك
فانتظروا صيحة العذاب لهم فعن قليل ترونهم هلكوا

ولم يسعد الحظ طويلا « سعد الدولة » فأصابته نكبة أودت بحياته سريعا
وشرب من الكأس التي طالما جرعها غيره ، فتوفي من أمد له في السلطان وهو
« أورغون » . وفي أعقاب وفاته قتل سعد الدولة .

وفي تلك النهاية يقول أحد الشعراء قصيدة على وزن القصيدة السابقة ورويها
يرد عليها . نظمها الإمام العادل زين الدين علي بن صاعد ^(١) الواعظ الدمشقي .
يقول في مطلعها :

نحمد من دار باسمه الفلك هذى اليهود القروء قد هلكوا
وفي نهايتها يشير إلى تلك القطعة المتقدمة بقوله :

هجومهم أبتغى بهجوم جناب خلد يزينا البرك
رغما لمن قال في قصيدته تهودوا قد تهود الفلك

جاءت فترة قصيرة بعد عهد أورغون تولى فيها « كيخاتون بن أباقا » وامتد
حكمه أربع سنوات ، ثم جاء بعده ابن عمه « بيدو » وقصر حكمه فلم يجاوز بضعة
أشهر ، وقد اجتاز العالم الإسلامي فترتيهما في أمن ودعة وخاصة فترة كيخاتو ،
إذ لم يكن له اتجاه ديني يرمى إليه ويسلك في سبيله سياسة عنيفة ، بل اشتهر بشيء
من العدل وحسن السياسة يفسره هذان البيتان اللذان قيلا تصويراً لعهد :

(١) و صاف . ص ٢٤٦ - ٢٤٧ . وانظر :

G. Brown : A Literary His. of Persia v. 3 p. 34

فكأنما الجود الذى عم الورى لما تضاعف عدله لم يخلق
أعدى على أسد الشرى إنصافه يلتقى فرائسه بقلب مشفق^(١)

لكن القوم تأمروا عليه وقتلوه لأنه رمى بالفسق والفجور^(٢). فاذا جاء عهد
« بيدو » أثر الدين المسيحى . وجهد فى وضع العقبات فى سبيل انتشار الإسلام
بين المغول ، فحرم على كل شخص أن يدعو لذلك الدين أو أن ينشر عقائده بينهم^(٣).
كانت هذه الفجوة التى حدثت بين عهد السلطان أحمد وعهد غازان الذى
تولى بعد « بيدو » ميدانا للصراع العنيف بين الديانات من جديد ، وكان الدين
فى ذاته سبباً لأن يدفع القوم إلى التخلص من السلطان الحاكم ، فقد كان يرجع
إلى هذا السبب قتل السلطان أحمد بسبب غيرته على الإسلام وتحيزه إليه ، كما كان
قتل « بيدو » بعد ذلك باثنتى عشرة سنة بسبب كراهيته للإسلام وميله إلى المسيحية^(٤).

غازان يسلم ويعلن الاسلام ديناً رسمياً

حين أقدم حكم غازان ، أشرق على العالم — من جديد — نور الإسلام إذ مكن له
هذا الحاكم من عدوان بقية الأديان عليه أو منافستها له وجعله دين الدولة الرسمى .
أما كيف أسلم غازان ؟ وكيف مكن لدينه ؟ وكيف جعله ديناً رسمياً ؟ فإننا
نفرد له كلمة فيما يأتى :

بالرغم من هذه الموجات المتعارضة لم تستقر الحياة الدينية على وضع خاص
حتى أيام غازان . ولم يكن غازان نفسه بمنأى عن هذه التيارات ، فاتجهت عقيدته
أيام شبابه إلى اختيار البوذية قبل اعتناقه الإسلام^(٥) ، وقد ولاه أبوه أورغون

(١) و صاف . ص ٢٦٧

(٢) أبو الفداء ج ٤ ص ٣٢ . و و صاف ص ٢٦٨

(٣) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام ص ٢٠٠

(٤) G. Browne: A Literary His. of Persia v. 2. p. 444.

(٥) آرنولد الدعوة إلى الاسلام . ص ٢٠٠

خان هو وأخاه « خر بنده »^(١) على خراسان وجعل مشيرها أميراً كبيراً هو الأمير « نوروز » .

وخلال إقامته بخراسان — أيام كان على دين الوثنية — عمل كثيراً على تشجيع ذلك الدين ، فشيد عدة معابد للبوذية في خراسان ، وكان يسير كثيراً بمصاحبة الكهنة الذين ينتمون إلى هذا الدين ، والذين كانوا قد وفدوا إلى فارس في جماعة كبيرة منذ بسط المغول سلطانهم في هذه البلاد^(٢) .

فلما أسند العرش إلى « بيدو » احتدم النزاع بينه وبين غازان ، فجمع هذا قوماً ممن دخلوا في طاعته من أقربائه وسار إلى قتاله ، فلما بلغ بيدو ذلك سار للقائه . ولما التقى الجمعان أدرك غازان أن لا قبل له بمقاومته ، فرأسله واصطالحا ، وعاد غازان إلى خراسان^(٣) .

وخلال هذه الأحداث لعبت شخصية أخرى دوراً هاماً في السياسة والعقيدة ذلك الدور الذي مثله « نوروز » في تهيئة السبيل إلى اعتلاء غازان العرش ، والقضاء بمعونته على كل العقبات التي اعترضته ، وتهيئته من جانب آخر إلى اعتناق الإسلام^(٤) .

وقد مالاً نوروز غازان وناداه بلقب الأمير ، وتنبأ له بأنه سيظهر لحماية عقيدة الإسلام ، وإعادتها إلى سابق مجدها ، كما أعلن له أنه إذا اعتنق الإسلام أصبح حاكم بلاد الفرس^(٥) ، على أن هذا التأثير إن يكن قد جاءه من الخارج وبدافع سياسي ، فنحن لا نستطيع أن ننسى ما كان يتجاوب في نفسية هذا الأمير من

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ١٨

(٢) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام . ص ٢٠٠

(٣) أبو الفداء ج ٤ ص ٣٣

(٤) وصاف . ص ٣١٦

(٥) آرنولد — الدعوة إلى الاسلام ص ٢٠١

القلق في عقيدته الدينية ، وأنه كان من الذين يفكرون دائماً في المسائل الدينية ، بل لم يكن من البساطة وسهولة الانقياد بحيث يتحول من دين إلى دين ، ومن عقيدة إلى عقيدة لجرد عامل خارجي أو دافع سياسي .

وبهذا يشير آرنولد في قوله « إن غازان كان بطبعه يميل إلى تقلب نظره في المسائل الدينية ، لأنه درس عقائد الأديان المختلفة المنتشرة في زمانه ، واعتاد أن يقيم مناظرات مع أئمة كل من هذه الأديان » ثم يمضي آرنولد في الرد على الذين اتهموا غازان أنه إنما دخل الدين الإسلامي استجابة لإلحاح بعض الأمراء والمشايخ وتوسلاتهم بهذا التساؤل الذي يليه .

« ويسأل من يتصدى للدفاع عن عقيدة غازان الوثنية . أى شعور خطير يمكن أن يثير اهتمام حاكم في مثل هذه القوة والنفوذ فيلهمه تبديل دينه ؟ بل قل اهتمام أمير قام أسلافه الوثنيون بغزو العالم ^(١) . »

على أنه ما كاد غازان يعلن إسلامه الرسمي في يوم مشهود، من أبصار الناس وأسماعهم، حتى اهتزت له من جديد أفئدة القوم، وأيد الله دينه بنصر من عنده، وأدخل فيه جنوده وأتباعه ومن رغب فيه . وقد بلغوا كما يذكر « وصاف » مائتي ألف ^(٢) . ولسان حاله كما يتمثل « قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

وكان أول عمل لغازان بعد إسلامه أن وطد للعقيدة الإسلامية الجديدة بين قومه وشعبه ، فجعله الدين الرسمي للدولة . بحيث أصبح خلفاؤه من بعده يدينون كذلك بالإسلام .

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٢٠٠

(٢) وصاف ص ٣١٧

مظاهر الحضارة

في عصر المغول بإيران

ونحن لا نتبع كل ألوان الحضارة وآثارها في عصرهم ، بل يكفي أن نشير إلى اهتمامهم بنوعين منهما :

١ — الحضارة المعمارية . ٢ — الحضارة العلمية .

أولاً — الحضارة المعمارية

والشيء الذي يسترعى النظر ، ويسجل لهم بكثير من التقدير ، أنهم كانوا محبين للتعمير ، ويكاد يذهب القدماء والمحدثون إلى ذلك ، فقد رأينا الكثيرين من المؤرخين يقولون عنهم — منذ فتوحاتهم الأولى أيام چنكيزخان — إنهم أبقوا على الصناعات والفنانين ومهرة العمال الذين كانوا يجدونهم في المدن المفتوحة ، ثم يبعثون بهم إلى بلادهم الأصلية ليواصلوا هناك إنتاجهم تحت إشرافهم ورعايتهم .

لم يكن هذا قاصراً على شخص منهم دون شخص ، بل كان ذلك شبيه سياسة عامة ساروا عليها منذ عهدهم الأول .

ومع أن چنكيزخان — موحد أسرة المغول — لم يكن على ثقافة تشهد له بسابق الاطلاع على حضارات الأمم أو ثقافتها . لكنه — كما تشير الروايات — كان على حظ وافر من النبوع الفكري ، وسرعة الاستجابة لكل ما يستفاد منه .

فيذكر صاحب « أخبار الدول » عنه أنه « كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه أسس بفكره قواعد لو أدركه الاسكندر ودارا لما وسعهما إلا اقتفاء أثره ، كما اخترع لنفسه قواعد في الملك ، وأمر عقلاء مملكته أن يصنعوا له خطأً وقلماً فصنعوا له قلم المغول ، ورتبوا له كتاباً سماه الياسق الكبير ^(١) » .

ويظهر أن موطنهم الأصلي كان يستهويهم كثيراً إلى حد أنهم كانوا يشفقون على حياة الفنانين والصناع أو أرباب الحرف بوجه عام حتى لقد يرحلونهم إلى تلك البقاع النائية — حيث موطنهم الأصلي — مهما بلغ عددهم . فيذكر « سيد أمير علي » أنهم في مدينة سمرقند بعد أن أباحوها وقتلوا سكانها أبقوا على ثلاثين ألفاً من أمهر صناعها ^(٢) وأرسلهم جڭيز إلى أبنائه في الشمال والشرق . ثم يمضى فيوضح القصد من ذلك في قوله « وهو عنايتهم بتجميل مسقط رأس الغازي » .

وقد احتملت بلاد مملكة « خوارزم شاه » وخراسان كثيراً من هذا العناء ، فالذين نجوا من أبنائها حرموا من الحياة فيها . فيذكر « الجويني » أنهم حين قدموا مدينة خوارزم ، وتم لهم فتحها ، أرسلوا أرباب الحرف من بنينا إلى بلاد المشرق ، وهناك — كما يقول — مواضع كثيرة من تلك الجهات عامرة بأهل خوارزم ^(٣) .

وكانت هذه الاتجاهات تسير لدى المغول وكأنما تتم في شكل سياسة عامة . فيذكر بروان أن المغول إذا أبقوا على حياة أحد من سكان مدينة أذعنت لهم ، فإنما ليستفيدوا من مهارته ^(٤) أو ليستخدموه ضد أبناء جنسه في ميدان القتال .

(١) أخبار الدول وآثار الأول ص ٣٨٤

(٢) سيد أمير علي — مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي — ص ٣٣٧ ترجمة الأستاذ رياض رأفت .

(٣) جهانگشاي — ج ١ ص ١٠١

(٤) G. Browne : A Literary His. of Persia v. 2 p. 434 (٢)

ومع هذا فقد أدت هذه الحركات العنيفة أيضاً إلى أن يفر — خوف الأسر وسوء المعاملة — كثير من الصناع والعلماء من وجه الغول إلى الجهات التي يمكن أن يحتضروا بها . فكما ذكرنا سابقاً لجأ بعضهم إلى الولايات الجنوبية من إيران واستظلوا بحكامها ، كذلك قد هرب كثيرون منهم إلى الأفطار التي تقع في الغرب من حركتهم ووفد إلى مصر وغيرها من الأفطار الإسلامية كثير من الصناع والفنانين ^(١) .

أما المنشآت التي يمكن أن تسند إليهم في مملكتهم أو داخل الممالك الإسلامية فنشير منها إلى ما عرض له بعض المؤرخين :

فيذكر صاحب «جهانگشای» — أن قاً آن حينما انتهى من حروبه مع الخطا شيد عاصمة له تعرف «بقرقورم» أحضر لها الصناع وأرباب الحرف من بلاد الخطا وبلاد الإسلام ، وجعل لها بضعة أبواب . أحدها خاص بالملك ، والثاني لأولاده والثالث للخواتين ، والرابع للعامة ^(٢) .

وبجانب ذلك كانوا يشيدون بعض ما فيه مظاهر الترف والراحة لأنفسهم فقد طلب قاً آن أن تقام له عاصمة أخرى يأوى إليها في الربيع ، فشيدها له المهندسون السامون وأطلق عليها «قرشى سودى» يصفها الجوينى أنها بقاء جميل مرتفع ، زين بأنواع النقوش الجميلة ، وأعدت فيها الفرش ، وهي له فيها عرش ، وشقت إليها قنوات المياه ^(٣) .

على أن حظ العائير الإسلامية لم يكن بأقل من حظ العائير الأخرى . بل اعل الاهتمام بها كان كثيراً ، فقد جدد ما اندرس منها أو أصابته يد التدمير ، كما

(١) الدكتور زكى محمد حسن — الفنون الإيرانية ص ٢٩ طبعة دار الكتب الثانية .

(٢) جهانگشای ج ١ ص ١٩٢

(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٩٣

استحدثوا الكثير منها . فيذكر صاحب جامع التواريخ ، أن أورغون أعاد تجديد مكان يسمى « باغ منصوريه » بعد أن درست وعفت آثارها (١).

ويشير الجويني أنه بالغ في تجميلها حتى كانت الجنان تغير منها، وحتى كانت مضرب المثل في جمالها عند الشعراء فتغنوا بها (٢).

على أن سياسة التعمير كانت في ميولهم حتى منذ وثنيتهم الأولى ، ولم يفرقوا في هذه السياسة بين دين ودين ، فكانوا يبادرون بتجديد ماخر به أيديهم سواء أكان من العماير الدينية أو المنشآت العامة ، فيذكر الجويني وينقل عنه صاحب جامع التواريخ أن هولاء كو بلغ مكاناً يسمى « خبوشان » وكان عاصمة أصابها التخریب ، وتوقفت عنها موارد المياه ، وتهدمت جدر المسجد الجامع بها . ولما كانت من رغبات الملوك — كما يقول الجويني — الميل إلى التعمير ، عرض عليه أمر هذه المدينة ، فأصغى لرأيه وأمر أن يعاد تجديدها وعمارته ، وإقامة الأسوار بها ، وخفض عيش الرعية ، كما أن كل ما أنفق عليها كان من خزائنه الخاصة ، ولم تتحمل الرعية شيئاً منها، فعاد إليها أهلها بعد أن هجروها سنوات (٣).

وقد ساهمت السيدات أيضاً في إقامة المنشآت ، بل بالغن في تقدير شعور الرعية

(١) جامع التواريخ ص ١٨٢ . كاترمير .

(٢) جهانگشای ج ٣ ص ١٠٤ - ١٠٥

(٣) جهانگشای ج ٣ ص ١٠٥ . ونص عبارته «واز آنجا کوچ بود، تا بخبوشان رسیدند وآن قصبه ایست که از اول خروج لشکر مغول تا این سال معطل وخراب مانده بود، وبنیه واماکن آن یباب گشته، وتمامت کاریزها بی آب شده چنانکه بیرون دیوارهای مسجد جامع دیوار برپای نبود . و بیشتر از آن سکان و رعایای آن ربعی از آن قصبه را بیع کرده بودند. چون هوس و میل پادشاه بعمارت خرابیها مشاهده افتاد، قضیه این قصبه عرضه داشتم. پادشاه آن سخن را اصغافرمود ، وبتأسیس عمارت کاریز و رفع آبیه و نصب بازار و خفض عیش رعایا و جمع ایشان یرلیغ داد. چنانکه هرچه در عمارت آن صرف می شد از خزانه نقد فرمود تا بر رعایا حمل نیفتد... »

فأمرن ببعض المنشآت العلمية والدينية . فيذكر عن أم هولاء ، وكانت تسمى « سرقنتي » أنها شيدت مدرسة عالية مشتملة على ثلاث طبقات ببخارى وقت عليها أوقافاً لاتعد ولا تحصى مع ميلها إلى النصرانية على ما قيل وفوضتها إلى الشيخ « سيف الدين البخارزي »^(١) .

أما المنشآت العامة فقد عني بها تجديداً أو إنشاء ، ففي دائرة المعارف الإسلامية مادة تبريز ، أنه أنشئ بها في عهدهم مسجد ومدرستان ، إحداها للشافعية والأخرى للحنفية ، وبيارستان ومرصد كالموجود بمراغة . ومكتبة ومكان للدواوين ، ومكان يسكن فيه المشرفون على هذه المنشآت ، وصهرمج لشرب المياه ، وحمامات مزودة بالماء الساخن ، وحسبت أوقاف تبلغ جملتها مائة تومان من الذهب للاتفاق منها على المنشآت^(٢) .

وهكذا كانوا يبذلون في إرضاء الناس ، وإرضاء أصحاب المذاهب المختلفة في العقيدة الإسلامية . كذلك يذكر عن السلطان « خدابنده » أنه عندما أسلم كان يأخذ في جميع أسفاره خيمتين يدرس في إحداهما على المذهب الحنفي والأخرى على المذهب الشافعي ، وتسميان بالمدرسة السيارة ، وكان طعام الطلبة ووظائفهم من مطبخه وخزائنه ، وكان يخدم بنفسه الشيخ علاء الدين السمناني^(٣) .

وقد اهتم الجويني كثيراً بالتخفيف على الرعية والمساهمة فيما يعود عليها من وسائل الترفيه والرعاية . ففي أحداث سنة ٦٧٠ هـ يذكر صاحب الحوادث الجامعة أن علاء الدين الجويني أمر بعمارة موضع في شهر جعفر من أعمال واسط سماه

(١) تلفيق الأخبار ج ٢ ص ٢٤

(٢) مادة تبريز ص ٥٤٥ من الترجمة .

(٣) تلفيق الأخبار ج ٢ ص ٢٤

« المأمّن » وبنى فيه ديواناً وجامعاً وخاناً وحماماً وسوقاً ، وانتقل إليه خلق كثير . كذلك كانت زوجته تساهم في إنشاء العماير والمدارس ، فقد ذكر هذا المؤلف في حوادث سنة ٦٧١ هـ أن المدرسة التي أمرت بإنشائها قد تكاملت في تلك السنة ووقفها على الطوائف الأربع ^(١) .

على أنه إذا كان حظ المنشآت الدينية والمنشآت الاجتماعية — التي تعيد حياة المجتمع الإنسانى — كبيراً اهتم به كثير من ملوكهم ووزرائهم ، فإن المنشآت الأثرية والمنشآت العلمية لم يكن حظها بأقل من ذلك .

فقد كانت العماير الإسلامية تعرف بضخامتها وعظمتها ، ونالت القباب التي تحتوى الأضرحة كثيراً من عناية سلاطين الإسلام في مختلف الدول ومختلف العصور ، فقبرة محمود بن سبكتكين في غزنه والسلطان سنجر السلجوقي في مرو قبل هذا العصر كانتا من أكبر العماير الإسلامية وأخفهما وأروعها .

فاذا امتد الزمن إلى عهد المغول فقد مكن لسلاطينها من بسطة الحياة والترف والرخاء ما جعلهم ينفقون بسخاء على تلك العماير والمنشآت .

فيذكر عن غازان أ. هـ سنة ٦٩٩ هـ عقد العزم على أن يتخذ مدينة « شام » مقراً لراحته الأبدية ، فشىد بها بناء أكثر ارتفاعاً من الكسنبند الذي ابتناه السلطان سنجر في مرو ، وكان يعتبر — حينذاك — أكثر الأبنية ارتفاعاً في العصر الإسلامى ^(٢) .

وننتهى من هذا إلى الإشارة بما ذكره الدكتور زكى محمد حسن فيما يتصل بحركة المغول وتأثيرها على فن العمارة بقوله :

(١) الحوادث الجامعة — ص ٣٧٢

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ص ٤٥٥ من الترجمة .

« والواقع أن التخريب الذى ينسب إلى غارات المغول ، بولغ فى نتائج بعض المبالغة . فقد حدث حقيقة أن كسدت صناعة البناء وتهدمت عمائر كثيرة وهاجر الصناع والفنانون إلى آسيا الصغرى وإلى مصر » ويمضى فى عبارته إلى أن يقول : « ولكن ما فعله المغول وتيمور وخلفاؤه فى سبيل الفن وتشجيع الفنانين يجعلنا نغض الطرف عما حدث فى حروبهم الأولى من تدمير واضطهاد ^(١) » .

ثانياً — الحضارة العلمية

كانت حركة المغول فى أولها — كما صورنا سابقاً — مثاراً لهجرة القوم من أوطانهم فراراً من هول الغزو وخشية أن يقعوا طعمة للسيف والقتل ، ورأينا أن هذه الحركة دفعت فى طريقها كثيراً من العلماء والحققين ورجال الأدب إلى الفرار من موطنهم والاتجاء إلى الدول التى يظنون الاحتماء بها .

كذلك قلنا إن بعض الولايات الإيرانية — وخاصة الجنوبية منها — حافظت على سيادتها ودخلت فى طاعة الغزاة . وأمنت هول الغزو وشره ، وكانت بمثابة الحرم الآمن لجأ إليها الكثيرون من رجال العلم والأدب ، وكانت أهم هذه الولايات هى ولاية فارس التى كان على حكمها « سعد بن زنگى » واستخلفه عليها ابنه « أبو بكر » فى طلائع تلك الحركة .

أما من حيث روح الغزاة أنفسهم بالنسبة لكبار الشخصيات والمبشرين فى الدول التى فتحوها وخاصة بایران ، فإنها كانت روح مسالمة ، سلكت فى الإبقاء عليهم منهجاً سليماً لا غبار عليه ، وبهذا فتحو الطريق أمام موكب الحضارة

(١) الشون الابرائية — للدكتور زكى محمد حسن — ص ٣٠ طبعة دار الكتب .

ليسير في الاتجاه الذى رسمته له الظروف ، وكثيراً ما كانوا يستجيبون لرغبات كبار الشخصيات ، حتى فى أخرج الظروف وأشق المواقف .
ومنذ أيامهم الأولى ، وهم يعملون على الاندماج فى الجماعة الإسلامية ، ويتخيرون من بينهم رجالاً يقومون بتوجيه شئون الدولة .

فهذا « فآن » ولما تستتب الفتوحات بعد أو يستقر له الفوز ، نراه ينصح « أورغون خان » — وقد ولاء شئون الدولة — أن ينتخب جماعة لمعونه فى تدبير شئونها . فتم اختياره على ثلاثة هم ابنه المسمى « كراى ملك » ، واحد بيتكجى — الكاتب — والصاحب علاء الدين عطا ملك ^(١) .

ثم تظهر مع الأيام شخصية علاء الدين ، ويبدو نفوذه عند الحكام والقادة فينصاعون لمشورته ويأخذون بأرائه ، فقد أذعن له هولاء كو عند فتح قلاع الاسماعيلية فى إنقاذ المكتبات ، كما أسلفنا ، وقام بنواح كريمة للتخفيف عن الرعية وساهم بنصيبه فى إذكاء الحياة العلمية .

وبالرغم مما أصيب به هذا العصر من أحداث ، شهد وفرة من أجلة العلماء الذين برعوا فى مختلف العلوم والفنون ، سواء أكانت من العلوم النظرية أو العملية أو المدنية ، وهذا يدل على أن البيئة نفسها ، وحسن معاملة الحكام للرعايا والعلماء بصفة خاصة ، كانت تهيء لهذه السكثرة التى نلاحظها ، طيب الحياة وحسن الإنتاج .
وبما لاشك فيه أن بعض العلوم قد نالت رعاية الحكام لها أسبق من غيرها ، وهى العلوم التى تتصل بالحياة العملية ، فقد اتجه همهم — بادئ ذى بدء — إلى التعمير والإنشاء ، وتشجيع العلوم التى تساعد عليها .

(١) جامع التواريخ ص ١٦٤ . كاترير .

ويذكر بارتولد أنهم لم يبالوا بالعلوم الدينية — بالطبع — قبل الاسلام ،
ولكنهم اجتهدوا لإنهاض حياة المدن، وترقية الصناعة والتجارة، مراعين في ذلك
منافعهم، الخاصة وقاموا بحماية العلوم ذات الخطورة العملية كالطب والرياضة
والهيئة^(١) .

كما يجاريه في هذا الرأي تقريباً — مؤرخ شرقي آخر هو صاحب كتاب
« تلفيق الأخبار » فيشير إلى أنهم كانوا منكبين على العلوم والفنون خصوصاً
الرياضيات منها ، وذلك قبل فراغهم من فتح البلدان^(٢) .

أما المنشآت العلمية التي تشير إلى هذا النوع من العلوم العملية ، والتي ظهرت
مبكرة في عهد هذه الدولة ، فهو المرصد الإيلخاني الذي أنشأه هولاكو بمدينة
مراغه ، وذلك بمعونة العالم الرياضي « نصير الدين الطوسي » وجماعة معه^(٣) .

كان نصير الدين قبل التقائه بهولاكو يعمل لدى الاسماعيلية في قلعة « آلموت »
في خدمة رجل من رجالهم ، فلما فتحت القلعة حضر بين يدي هولاكو ، وبذلك
يشير صاحب « الحوادث الجامعة » بقوله « لما فتحت آلموت خرج نصير الدين
محمد الطوسي وكان في خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلي ، وحضر بين
يدي هولاكو فخطب عنده وأنعم عليه ، فعمل الرصد بمراغه سنة ٦٥٧ هـ »^(٤) .

ويلتقي هذا المؤرخ مع صاحب « تاريخ كزیده » في أن الرصد عمل بمعونة

(١) بارتولد — تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٩٥ . ترجمة الأستاذ هزة طاهر .

(٢) تلفيق الأخبار ص ٢٣ من الجزء الثاني .

(٣) تاريخ كزیده ص ٥٨١ . وعبارته . أز آثار هولاكو خان زيج خاني است
كه خواجه نصير الدين الطوسي ، باتفاق مؤيد الدين عروصي وفخر الدين اخلاطی
ودبيران قزوینی ساخته است .

(٤) الحوادث الجامعة ص ٣٤١ .

بعض الشخصيات التي تنسب إلى جهات مختلفة ، ويتفقان كذلك على تسمية بعضها فيذكر في أحداث سنة ٦٥٧ هـ قوله « وفيها وضع نصير الدين الطوسي الرصد بمراغه، وعين فيه جماعة منهم المؤيد العروضي من دمشق ، والفخر المرائي من الموصل والفخر الأخطاطي من تفليس ، والنجم ديران القزويني ، ومحيي الدين المغربي ، وكانوا يتولون عمله إلى أن انتحر في سنة ٦٧٢ هـ » (١) .

وقد امتدت سطوة هذا العالم ، ويمكن له من القيام بعمله ووضعت تحت تصرفه أوقاف كثيرة كان يديرها بنفسه ، وأخذ يحوب البلاد ليجمع ما يفيد الرصد من الكتب . ففي حوادث سنة ٦٦٢ هـ يشير هذا المؤلف إلى أن نصير الدين وصل بغداد لتصفح الأحوال والنظر في أمور الوقوف ، والبحث عن الأجناد ، ثم انحدر إلى واسط والبصرة وجمع من الطرق كتباً كثيرة لأجل الرصد (٢) .

كذلك قام هذا العالم بكتابة ذيل على كتاب « جهانگشاي » للجويني ، ضمنه حوادث سقوط بغداد ونهاية الخليفة . وهو من خير ما يرجع إليه في تلك الحادثة ، نظراً لمعاصرته لها ، ولوجوده فيها ، ولمركزه العلمي والاجتماعي .

وبجانب ذلك نهض بعمل آخر يدل على براعته في الرياضة والعلوم ، فقد عمل مقابلة بين الشهور العربية والشهور المغولية ، وأثبتها في جدول قائم بذاته ابتداء من سنة ٥٩٩ هـ وهي سنة جلوس چنگيزخان حتى مائة سنة بعد ذلك مما جعل الأستاذ القزويني يشير إلى مبلغ أهميته وقيمه (٣) .

وقد برع هذا المؤلف بجانب ذلك في كثير من العلوم المختلفة ، في الإلهيات والطبيعات والمنطق والفلسفة والأخلاق . فيذكر ابن العبري هذا بقوله :

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٥٠

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤١

(٣) تعليقات جهانگشاي ج ١ ص ١٠٣ . للاستاذ القزويني .

« وفي هذا التاريخ (٦٧٥ هـ) توفي خواجه نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب الرصد بمدينة مراغه . حكيم عظيم الشأن في جميع فنون الحكمة ، واجتمع إليه في الرصد جماعة من الفضلاء والمهندسين ، كان تحت حكمه جميع الأوقاف في جميع البلاد التي تحت حكم المغول ، وله تصانيف كثيرة منطقيات وطبيعيات وإلهيات اقليدس والمجسطي ، وله كتاب أخلاق بالفارسية في غاية ما يكون من الحسن ، جمع فيه نصوص أفلاطون وأرسطو في الحكمة العملية . »

ثم يمتدح في هذا إلى أن يذكر بعضاً من فضلاء عصره بقوله « وكان من الفضلاء في زمانه نجم الدين القزويني ، منطقي عظيم صاحب كتاب العين ، ومؤيد الدين العروضي ، وفخر الدين الراعي ، وقطب الدين الشيرازي ، ومحيي الدين المغربي . ومن الأطباء المشهورين فخر الدين الأخرطاطي ، وتقي الدين الحشائشي ^(١) . »

العناية بالعلوم التاريخية وأهم المؤلفات فيها

لقد علم التاريخ عناية كبيرة من الحكام ، وتفتحت الحياة لرجال التاريخ كما تفتحت صدور الحكام لهم ، وتقلب أغلبهم في كثير من المناصب الرفيعة ، وابتسم لهم الحظ ، ونال بعضهم مركز الوزارة ، وتمكن هؤلاء بحكم مناصبهم في الدولة أن يشاهدوا الأحداث ، وأن يلموا بها إلمام عيان ، كما تفتحت لهم أبواب خزائن الكتب وزودوا بكل ما يطلبون ليقوموا بأعمالهم العلمية على الوجه الذي يرتضيهم .

وهناك كثرة ملحوظة من الكتب القيمة التي ألفت في ذلك العصر — القرن السابع الهجري — والتي تعتبر عمدة المراجع التاريخية باللغة الفارسية فيما دار خلاله من حوادث ، وهي في ذاتها دليل فاطح على ما كان عليه سادة الحكم من رغبة صادقة في تشجيع العلم ، والتوسع على العلماء ، وإبلاغ بعضهم أسمى المناصب .

(١) ابن العبري ص ٥٠١

وقد أشار كثير من مؤرخي الآداب الذين عرضوا للحديث عن هذا العصر إلى هذه الظاهرة في معرض كلامهم على الحركة العلمية .

فيذكر الدكتور عزام بك في الفصل الذي كتبه عن حالة الأدب في عصر المغول عبارته « والذي يثير إعجاب المؤلف في هذه الحقبة . التأليف التاريخي وحده ، فقد عني التتار بتسجيل أخبارهم وتدوين مآثرهم وتعريف الناس بسير آبائهم ، فألفت كتب في التاريخ هي أحسن ما أنتجه عصر من عصور إيران » (١)

بل كانت هذه الظاهرة موضع غرابة كذلك عند الأستاذ القزويني . ففي مقدمته على جهانگشای يقول « ومن الغريب أن فن التاريخ في عهدهم نال رواجاً ملحوظاً ، وارتقى رقياً عظيماً ، ودونت فيه أحسن الكتب التاريخية » (٢) .

وبمثل هذا يذهب الدكتور رضا زاده شفق في كتابه « تاريخ أدبيات إيران » في قوله « إن بعض فروع العلوم — وخاصة ما يتصل منها بفن التاريخ — قد كان لها شأن عظيم » (٣) .

وقد ذكر الأستاذ القزويني في مقدمته على « جهانگشای » أهم الكتب التاريخية التي ظهرت في هذا العهد ، وجعل في مقدمتها ذلك الكتاب ، وكتاب « جامع التواريخ » وكتاب « وصال » وكتاب « تاريخ گزيده » وغيرها . ثم يخص بالذكر الثلاثة الأولى ويفاضل عليها كتاب تاريخ جهانگشای (٤) .

(١) قصة الأدب في العالم ج ٢ ص ١٣٥ . للدكتورين أحمد أمين بك وزكي نجيب

(٢) جهانگشای ج ١ ص د من المقدمة .

(٣) تاريخ أدبيات إيران . للدكتور رضا زاده شفق ص ٢٥٩ . سنة ١٣٣١ هـ . ش . طهران

(٤) مقدمة جهانگشای ج ١ ص ٥ .

وعبارته : « شك نیست كه مهترين ائين كتب على الاطلاق سه كتاب — يعني جهانگشای وجامع التواريخ ووصاف — و تاريخ جهانگشای برآندوی زمانا — و شاید رتبة — سمت تقدم دارد » .

ولما كان لهذا الكتاب — كما أشار الأستاذ القزويني — مكانته العلمية بين مؤلفات هذا العصر . فإننا سنخصه بكلمة ، ونشير إلى شيء من تاريخ حياة صاحبه .

وليس يحملنا على هذا مكانة الكتاب بين غيره من الكتب فحسب ، بل هناك كثير من المزايا التي لم تتوفر لغيره من الكتب التي ألفت في ذلك العصر ، كما أن هناك كثيراً من الاعتبارات التي تحملنا على أن نفرّد كلمة لصاحبه وذلك لما يأتي :

١ — إن صاحبه — كما أشرنا — دخل في وظيفة المغول مبكراً وتنقل في مملكتهم بحكم مركزه ، وشارك في مشاهدة كثير من الوقائع ، والتقى بكثير من الشخصيات في رحلاته ، وجمع الكثير من المعلومات عن تاريخهم .

٢ — يعتبر هذا الكتاب أنفُس وأيسر الكتب التاريخية ، وهو خير مثال للأدب المنشور في ذلك العصر بجانب قيمته العلمية ، فؤلفه أديب بارع جمع إلى مكانته العلمية ، بساطة التعبير وسهولة الأداء ، والابتعاد عن الأسلوب المزخرف ، الذي أصيب به غيره من المتأخرين عنه أمثال الوصاف . ولهذا يعتبر ذلك الكتاب أهم نموذج للنثر في عصره .

٣ — لقد عاصر مؤلفه شاعرنا — سعدى الشيرازي — الذي نؤرخ له وتلاقيا ، كما كانت بينهما مودة مما سنعرض له . كذلك كان للشاعر مدائح فيه وفي أخيه شمس الدين .

ولهذا كان جديراً بأن نفرّد له ولمؤلفه كلمة دون غيره .

كتاب جهانگشای :

وهذا الكتاب نشره الأستاذ القزويني « في سلسلة واجب » وقدم له ، يقع في ثلاثة مجلدات تشمل النواحي الآتية :

١ — المجلد الأول :وفيه ديباجة طويلة ، وفصل فى عادات المغول وقوانينهم القديمة ، ثم فصل فى القوانين التى وضعها چنگيز والتى تعرف باسم « الياسا » ثم يتحدث المؤلف عن تاريخ چنگيز وخروجه وفتوحاته فى بلاد ما وراء النهر وإيران ، وإزالة مملكة خوارزمشاه وغيرها ، ثم فصل فى تاريخ ابنه أوكتاي قا آن وابنه كيوك خان . وينتهى بفصلين مختصرين عن حياة جوجى وجفطاي ابنى چنگيز

٢ — المجلد الثانى : ويشرح فيه مباشرة فى تاريخ ملوك خوارزم ويبسط الكلام فيما يتصل بسلطينهم الأخيرين ، وخلال هذا الفصل يأتى على شىء من تاريخ ملوك الترك الكفار فى بلاد ما وراء النهر وتركستان ، وملوك الترك المسلمين ، وفى آخر هذا المجلد يعرض لتاريخ حكام المغول وولاتهم على إيران من عهد أوكتاي قا آن إلى مجيئ هولاكو .

٣ — أما المجلد الثالث فيبدأ بتاريخ منكوقا آن الذى تولى سنة ٦٤٩ هـ . ثم تفصيل حركة هولاكو على بلاد إيران وقعه الاسماعيليه ثم يبسط الكلام فى تاريخ اسماعيلية « آلموت » حتى انقراضهم على يد هولاكو .

وهناك ملحق يتصل ببعض نسخ المجلد الثالث فى شرح واقعة بغداد كتبه « نصير الدين الطوسى »

ولصاحب جهانگشاى رسائل أخرى —بالإضافة إلى كتابه المذكور —فله رسالة تسمى « تسليه الاخوان » ضمنها تصوير الحن التى أصابته من وشاية اصطنعها « مجد الدين اليزدى » ثم رسالة أخرى لا يعلم عنوانها ألفها بعد الرسالة الأولى ، وهى متممة لها .

ويذكر الأستاذ القزوينى أن منها نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس وذلك فى مقدمته على جهانگشاى .

وبالإضافة إلى هاتين الرسالتين له بعض مكاتبات ورسائل ضمن مجموعة من رسائل « منتخب الدين بديع » الكاتب الجويني .

قيمة هذا الكتاب بين المؤلفات ومدى الرجوع اليه

أثبت الأستاذ القزويني في مقدمته على جهانگشای كثيراً من الكتب العربية والفارسية التي رجعت إلى هذا الكتاب والتي استعانت به في كثير من موضوعاته وفصوله .

فمن نقلوا عنه من العرب « أبو الفرج غريغوريوس بن هرون الطيب المالطي المعروف بابن العبري » المتوفى سنة ٦٨٥ هـ . وهو من النصاري يعقوبيين المقيمين بمراغه ، والذين كانوا معاصرين لعطاء ملك الجويني ، وله تاريخ عام مطول بالسريانية ويقول عن مؤلف جهانگشای إنه عديم النظير ، كما يذكر أن كل ما يتصل بتاريخ الخوارزمشاهيين والاسماعيلية والمغول — مما أثبتته في كتابه — مأخوذ من جهانگشای ، وكذلك في مؤلفه الآخر بالعربية المسمى « تاريخ مختصر الدول » الذي اختصره من مؤلفه الكبير السرياني .

ومن أخذوا عن جهانگشای من مؤلفي العربية « ابن طباطبا » الذي ألف كتابه « الفخرى » سنة ٧٠١ هـ واقتبس منه عدة فقرات في كتابه .

وهناك كتاب آخر بالعربية يقع في عشرين مجلداً « لشهاب الدين أحمد بن فضل الله الكاتب الدمشقي » المتوفى سنة ٧٤١ هـ . يسمى « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » نقل في الجزء الثالث منه عدة فصول من جهانگشای مترجمة إلى العربية ومنها فصل بعنوان « ذكر خروج چنگيزخان وابتدای انتقال دولت ومملکت ملوك جهان بدو » وفصل آخر بعنوان « ذكر أبناء چنگيزخان » مطابقاً لما في مسالك الأبصار .

أما الكتب الفارسية فمنها كتاب « رشيد الدين فضل الله » وزير غازان وأولجايتو. المسمى « جامع التواريخ » وقد ضمنه محتويات الأجزاء الثلاثة من جهانگشای ، وبعض المواضع نقلها باختصار ، مثل تاريخ المغول في خراسان وإيران ، وأحياناً يبسط الكلام كما في تاريخ چنگيزخان منذ بدأت حياته حتى شرع في فتوح البلاد الغربية ، وتاريخ أولاده وأحفاده .

والكتاب الثاني الذي أخذ عن جهانگشای بالفارسية هو كتاب « الوصاف » لمؤلفه « عبد الله بن فضل الله الشيرازي » نلخص في مجلداته الثلاثة كتاب جهانگشای من أوله إلى آخره ، وجعل الجزء الرابع من كتابه ملحقاً له ، ويصرح المؤلف نفسه في ديباجته أن كتابه ذيل لجهانگشای ، وقد شرع فيه حيث انتهى جهانگشای أي من سنة ٦٥٥ هـ وامتد حتى سنة ٧٢٨ هـ .

ويشيد « الوصاف » كثيراً في ديباجة كتابه بكتاب جهانگشای ومؤلفه ويقول في مقام التواضع :

وما أنا إلا قطرة من سحابة ولو أننى صنفت ألف كتاب
كذلك يقول الأستاذ القزويني إن هناك بعض الكتب الأخرى التي أخذت
عن جهانگشای .

منها كتاب « البناكتي » المسمى « روضة أولى الألباب في تواريخ الأكابر والأنساب » ومؤلفه أبو سايان داود بن أبي الفضل البناكتي ألف في حدود
سنة ٧١٧ هـ .

ثم كتاب « روضة الصفا » ويقع في سبعة مجلدات ، وهو في تاريخ الإسلام وتاريخ إيران وخاصة تاريخ المغول والتموريين حتى أواخر عصر السلطان أبي الغازي حسين بيقر ، ومؤلفه محمد بن خاوندشاه المعروف « بميرخواند » المتوفى سنة ٩٠٣ هـ .

كذلك أخذ عنه « غياث الدين خواندمير » صاحب « حبيب السير » الذى ألف فى عصر الدولة الصفوية ، وهو تاريخ عام مشهور ، سجل الحوادث من البدء حتى وفاة الشاه « اسماعيل الصفوى » ويقع فى ثلاثة مجلدات ، وتوفى المؤلف سنة ٩٤١ هـ .

حياة الجوينى وصند الشاعر به وبأخيه

اعتمدنا فى عرض حياة هذا المؤرخ الأديب على ما كتبه أيضاً الأستاذ القزوينى فى مقدمته على جهانگشای . بالإضافة إلى ما أمكن الرجوع إليه من المراجع التى سيرد ذكرها . ونحن ننتبع أهم الأحداث فى تاريخ حياته ، وتاريخ أسرته متجنبيين الاستطراد الذى لا يحتمله هذا الفصل .

كانت أسرة الجوينى إحدى الأسر القديمة المشهورة بایران . تناوبت الأعمال الهامة وتوارثتها ، فى دول السلاجقة وملوك خوارزم والمغول ، وأسندت وظيفة صاحب الديوان — وهى إدارة الشؤون المالية — إلى كثير من أفراد تلك الأسرة ، وبهذا عرف أغلب أفرادها بصاحب الديوان .

وقد ظفر بعض أعضاء هذه الأسرة بمناصب فى الدولة أعلى من ذلك ، كما كان الحال مع شمس الدين محمد ، أخى علاء الدين صاحب جهانگشای . فقد أسند إليه آباقا ابن هولاكو وظيفة (الوزير الأعظم) وجعله صاحب الكلمة المطلقة ، وكان أيسر أعماله ما يتصل بالديوان ، لكنه عرف أيضاً (بصاحب الديوان) .

وهكذا كان الشأن مع علاء الدين نفسه ، فانه بعد أن أسندت إليه إدارة حكومة العراق العربى عقب زوال الخلافة . كانت له — بطبيعة الحال — أعمال الديوان أيضاً فى تلك الولاية ، فاشتهر كذلك بصاحب الديوان .

أما نسب هذه الأسرة فيعود إلى الفضل بن الربيع — صاحب خلفاء بنى العباس — وكان هو وأبوه من قبل ، قد فوضت إليهما الحجابة والوزارة .

وأما أجداد الجويني فانهم اتصلوا بالملوك المعاصرين لهم من الخوارزمشاهيين والسلاجقة . اتصل جده الثاني — لأبيه — بالسلطان تكش بن إيل أرسلان ، وشاهد الحرب التي وقعت بينه وبين السلطان طغرل آخر سلاطين السلاجقة بولاية جوين .

كذلك اتصل خال جده هذا بالسلاجقة . وكان يسمى « منتخب الدين بدیع » كان من مشاهير كتاب عصره المقر بين كثيراً للسلطان سنجر ، وجعله رئيس ديوان الإنشاء في حكومته ، وكان له دالة على هذا السلطان ، يحضر معه مجالس شرا به ويتندر وإياه كثيراً ، ويحكمون من هذا أنه لما وقعت الحرب بين السلطان سنجر وبين آتسز ، وقع الشاعر المشهور رشيد الدين الطواط شاعر آتسز في يد رجال السلطان سنجر ، وكان الطواط قد هجاه هجاء لاذعاً ، فلما قبض عليه ورفع الأمر إلى السلطان تعرض له خال الجويني هذا مستشفعاً .

وكان السلطان قد أقسم ليقطعن الطواط إلى سبعة أقسام ، فقال للسلطان بهذه المناسبة ، إن الطواط طائر ضعيف لا يمكن تقطيعه إلى سبع قطع ، فلو تفضلت فأصدرت أمرك بأن يقطع قطعتين ، ضحك السلطان سنجر وعفا عنه .

وكان جد الجويني — عطا ملك — يسمى شمس الدين محمداً . يشغل أيضاً في بلاط السلطان محمد الخوارزمشاهي ، وأسندت إليه أعمال الديوان في عهده ، وفي عهد ابنه جلال الدين .

أما أبوه بهاء الدين محمد ، فكان ملازماً لحكام المغول وعما لهم ، وأسندت إليه أيضاً وظيفة صاحب الديوان ، وكثيراً ما كان ينوب عن حكام المغول في خراسان

وجميع 'بلاد الغربية عندما كانوا يذهبون لمقابلة الحاكم العام في موطنهم الأصلي وفي سنة ٦٣٣ هـ بعث في رسالة إلى أوكتاى قاآن، فأكرم وفادته وبالغ في احترامه وأسند إليه وظيفة صاحب الديوان في عموم المملكة .

وفي سنة ٦٥١ هـ بلغ بهاء الدين الستين من عمره ، فعزم على أن يقضى بقية حياته بعيداً عن أعمال الديوان . لكن لما كان الأمراء لم يرغبوا في اعتزاله العمل عزم على الذهاب إلى العراق ، فلما بلغ أصفهان توفى في تلك السنة .

أما عطا ملك صاحب جهانگشای . فقد ولد سنة ٦٢١ هـ ، وقد اضطلع بعمل الديوان والكتابة — كما يذكر عن نفسه — قبل أن يبلغ سن العشرين . ثم انتظم في سلك الكتاب الخصوصيين للأمير أورغون الذى تولى شئون الجانب الغربى قرابة خمسة عشر عاماً من سنة ٦٤١ هـ إلى سنة ٦٥٤ هـ وهى السنة التى قدم فيها هو لا كولا إلى إيران، وكان تحت قبضة حكمه كل البلاد التى فتحت غرب نهر جيحون . وكانت علاقة علاء الدين بالأمير أورغون فى مدة إدارته علاقة طيبة وكثيراً ما كان يصطحبه فى أسفاره أو فى ذهابه إلى حاضرة ملكهم ، وكان يقوم دائماً فى تلك الأسفار بعمل الكاتب الخاص .

وقد بكر فى اصطحابه له إلى عاصمة ملكهم بينما كان لا يزال فى السابعة عشرة من عمره ، وهناك فى « قراقورم » العاصمة أمضى عطا ملك عاماً ونصف عام فى بلاط منكوقاآن ، — وكما يقص عن نفسه — لقى من مشورة أصدقائه وتشجيعهم له أن ينهض بكتابة مؤلف يقيد فيه آثار المغول وتاريخهم ، ينسخ به آيات القياصرة ويمحو به روايات الأكاسرة^(١) .

ويبدو أن المؤلف أحجم عن القيام بهذا الموضوع ، ولكنه تحت مشورة أصدقائه وإلحاحهم نهض بهذا العبء ، خاصة بعد أن تهيأت له ظروف لم

(١) المقدمة ص كه .

تتكامل لغيره ، فإنه أمضى ما يقرب من عشرة أعوام بين بلاد المغول والممالك التي فتحوها ، ورأى بعينى رأسه كثيراً من الوقائع الهامة ، وتجمعت له — فى الوقع — سبل التعرف على أخبارهم وحوادثهم سماعاً أو عياناً ، ولهذا بدأ يقيد معلوماته وملاحظاته ، وشرع فى تأليف كتابه سنة ٦٥٠ هـ وانتهى منه سنة ٦٥٨ هـ .

أما فى عهد هولاكو فقد ظلت له أيضاً مكاتته ، وكثيراً ما كان يصاحبه فى حركاته ، وينتقل معه خلال حروبه وخاصة حروبه ضد الاسماعيليه ، وكانت له أيد بيضاء فى إنقاذ مكبتاتهم ، كما أنقذ ما فيها من آلات الرصد والآلات الأخرى .

وبعد أن أبقي على المصاحف النفيسة منها ، وبعض الكتب الهامة ، وما فيها من آلات علمية ، ترك بقية ما فيها من كتب الاسماعيليه التي تتصل بأصول مذهبهم أو فروعه عرضة للنهب أو التدمير . لكنه أنقذ منها كتاباً وحيداً هو الذى يتصل بتاريخ حسن الصباح نفسه المسمى « سرگذشت سيدنا » والذى أثبت المؤلف مختصره فى كتابه المجلد الثالث ، ومنه خلاصة أكثر تفصيلاً فى كتاب « جامع التواريخ » وضعها صاحبه فى المجلد الثانى فى تاريخ اسماعيليه « آلموت » وهذه الخلاصة التي اشتمل عليها الكتابان المذكوران لا نظير لها فى غيرها من الكتب الأخرى .

كذلك صاحب هولاكو فى فتح بغداد ، بعد أن فرغ من قلاع الاسماعيليه واتجه إليها سنة ٦٥٥ هـ . وفى سنة ٦٥٧ هـ فوضت إليه حكومة بغداد كما يصرح المؤلف فى رسالته « تسليه الاخوان » وظل عطا ملك بقية مدة هولاكو على حكومة بغداد . فلما توفى هولاكو سنة ٦٦٣ هـ وتولى بعده أباقا جعل ممالك بغداد وفارس إلى « سوغونجاك أغا » من أمراء أسرته الكبار ، وجعل على بغداد علاء الدين الجويني نيابة عن « سوغونجاك » .

وخلال مدة حكم آباقا (٦٦٣ هـ - ٦٨٠ هـ) التي امتدت ثمانية عشر عاما كان علاء الدين يدير شئون حكومة بغداد مستمداً سلطته من سوغو نجاى .

وجه علاء الدين جميع همته — خلال تلك الفترة — إلى تعمير البلاد ، وراحة الرعية ، وألقى عن كاهل الفلاحين والمزارعين كثيراً من الأعباء المالية ، وبذل جهداً مشكوراً فى إنشاء القرى وإصلاح المزارع وشق القنوات ، ولم يمتد الخراب الذى أصاب بغداد والعراق العربى — بسبب حروب المغول — كثيراً . فسرعان ما دبت الحياة فيها من جديد ، وارتد إليها العمار ، واشتغل الناس بالزراعة وتضاعف دخل العراق ، وعمرت البلاد حتى صارت أكثر رخاء منها أيام الخلفاء .

وقد امتدت حكومة علاء الدين على بغداد أربعة وعشرين سنة ، أمضى ست سنوات منها فى عهد هولاكو من سنة ٦٥٧ هـ إلى سنة ٦٦٣ هـ ، وقرىباً من ثمانية عشر عاما فى سلطنة آباقا حتى سنة ٦٨٠ هـ ، ثم قرابة عام واحد فى عهد السلطان أحمد . وخلال هذه المدة وشى به كثير من أعدائه انتقاماً منه ، وقد آتت هذه الوشايات ثمارها فقصت على الكثيرين من أسرته .

نذكر من بين هذه الوشايات ما دبره صاحب الفخرى المعروف «بأبى الطقطقى» . كان من مشاهير رجال المال بالعراق واستأجر بعض الأملاك بدون أجر ، فحصل بذلك على ثروة طائلة واتسع أمره شيئاً فشيئاً ، فأرسل خطاباً إلى آباقا خان يطلب عزله علاء الدين من حكومة بغداد . فأرسل «شمس الدين الجوينى» وزير المملكة الأعظم بهذا الخطاب إلى أخيه «علاء الدين» ببغداد وكتب له أيضاً خطاباً أرفقه معه ، أثبت فيه هذين البيتين :

كم لى أنبه منك مقلة نأثم يبدى سبانا كلما نهته
فكأنك الطفل الصغير بمهده يزداد نوما كلما حركته

أما الوشاية التي حيكت قبيل وفاته فقد كانت عنده من الأهمية بحيث ألف فيها رسالة خاصة سماها « تسلية الاخوان » . وعمل رسالة أخرى تعتبر ذيلًا للرسالة الأولى كتبها قبل أن تفجأه المنية بشهور .

دبر تلك الوشاية شخص يسمى « مجد الملك اليزدي » . كان من أهل يزد ، يعمل أبوه وزيراً لحكامها من الأتابكة الذين عرفوا بأتابكة يزد ، واتصل مجد الملك ببهاء الدين محمد بن شمس الدين الجويني في أصفهان فاختره لبعض الأعمال الهامة . لكن سرعان ما وقعت الواقعة بينه وبين أفراد هذه الأسرة وأخذ يوغر صدر المغول عليهم ، ولحق على علاء الدين أخباراً ، فأشاع عنه أنه اتصل بملوك مصر . لم تؤد هذه الوشايات إلى النتيجة المطلوبة في نظر مجد الملك ، فافتعل مكيدة أخرى ، وأخذ يشيع عنه أنه يحصل من أموال بغداد كل سنة ما يقرب من مائتي ألف دينار لم يرسل شيئاً منها إلى الخزانة العامة .

لكن هذه المكيدة لم تؤت ثمارها أيضاً ، فأخذ يحيك غيرها كذلك ، وما زال مجد الملك يفتعل المكائد ويدبر المؤامرات لعلاء الدين وأسرته حتى أوقعه أخيراً سوء طويته فيما كان يدبره لهم من القتل فقتل ، ثم قطعوه إرباً وأرسلوا بكل عضو من أعضائه إلى قطر من الأقطار كما يشير الوصاف إلى ذلك (١) .

كذلك يذكر صاحب «الحوادث الجامعة» في أحداث سنة ٦٨١هـ أن السلطان تكودار أحمد بعد أن جلس على العرش أعاد الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين إلى منصبيهما ، بعد أن أبعدا عنهما بتأثير وشاية مجد الملك ، وسلم هذا إلى الصاحب علاء الدين فقتله قتلة شنيعة ، إذ أرسلت أطرافه إلى البلاد وسلخ رأسه وحمل إلى بغداد (٢) .

(١) وصاف ص ١٠٩

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤١٩

خاتمة حياة المصنف ومصير أسرته :

أما نهاية المصنف فانه بعد جلوس السلطان أحمد بن هولاكو وقع خلاف شديد بينه وبين ابن أخيه أورغون بن آباقا بن هولاكو .

وكان شمس الدين وأخوه علاء الدين من ألزم الناس بالسلطان أحمد ومدبري أمور مملكته ، ولهذا حنق عليهما أورغون ، وكثيراً ما كان ينسب وفاة أبيه آباقا إلى تدبير شمس الدين . إذ يقال إنه مات مسموماً ، وكان هذا أيضاً سبباً في مضاعفة البغضاء عليهم .

وفي سنة ٦٨١ هـ قدم أورغون من خراسان إلى بغداد . فلما بلغها طلب جميع ما تحت يد علاء الدين ، وكان لهذا نائب يسمى « نجم الدين الأصغر » مات حديثاً في بغداد ، فأصدر أورغون أمراً حتى يخرجوه من المقبرة ويلقوه في الطريق .

فلما بلغ الخبر علاء الدين تألم كثيراً وأصابه صدام توفى به ، ودفن في الرابع من ذى الحجة سنة ٦٨١ هـ في بلدة تسمى « مغان » ثم جرى به إلى تبريز فووري التراب في مقبرة « جرنداب » وقد أسعفته المنية قبل أن يشارك بقية أفراد أسرته نهايتهم المشؤومة . فانهم شربوا كأساً مريرة في نهاية محزنة بعد ذلك بقليل .

فأخوه شمس الدين — الوزير الأعظم — منذ أواخر عهد هولاكو وابنيه آباقا وتكودار — أى ما يقرب من اثنين وعشرين عاماً — لقي حتفه المشؤوم هو وأبنائه بأمر أورغون سنة ٦٨٣ هـ

كذلك قتل حفيده على بن بهاء الدين بن شمس الدين في « كاشان » ، ويعتبر مدفنه مزاراً من المزارات التي تقصد ، وأصيب أخوه « على » بعلّة الصرع فمات بها عندما سمع بتلك الكوارث ، كذلك قبضوا على منصور بن علاء الدين في نفس السنة واستشهد على جسر بغداد .

وفي سنة ٦٩٣هـ وصل تبريز صاحب « تاريخ وصاف » ، وزار مقابر الأسرة في « جرنداب » مترحماً عليهم ، وأثبت في تاريخه وصفاً مؤثراً لخاتمة شمس الدين وأبنائه الأربعة يحيى وفرج الله ومسعود وأتابك ، وابن أخيه وبقية أفراد أسرهم وذلك في قصيدة ثبت منها ما يأتي :

يا جرنداب من مقابر تبريز	ز سقاك الحيا الملت الهامى
فلقد أطبقوا ثراك على	غر وجوه ، على حدود كرام
ضم شمساً مقرونة بعلاء	ونجوماً حكمت بدور التمام
سبعة قد بكت عليهم نجوم	سبعة في ضيائها والظلام
فرج الله ، ثم يحيى ، ومسعود	وهرون ، منجد المستضام
وأبوهم محمد ، قد تقضوا	وجميع قتلى بحد الحسام
وشجاني مشوى عطا ملك	صاحب ديوان ملك دارالسلام
فعلى تلکم القبور تحايا	مردفات من ربنا بالسلام ^(١)

ويتمثل وصاف كذلك بهذه الأبيات عندما مر بمقبرة علاء الدين .

عطفنا ، فحيتنا مساعيه إنها	عظام المساعى ، لا العظام البواليا
مررنا به فاستوقفتنا رسومه	كما استوقف الروضُ الأطباء الجواريا
وقفنا فأرخصنا الدموع وربما	تكون على سؤم الغرام غواليا
ولما تجاهشنا البكاء ولم نطق	عن الوجد إقلاعا ، عذرنا البواكيا ^(٢)

السعوى وأسة الجوينى

كان الشاعر على صلوات قوية بالصاحبين ، علاء الدين وأخيه شمس الدين ، وهناك كثير من القصائد فى مدحهما ، وبجانب ذلك يذكر الرواة قصصاً ترمى إلى صلاته بهما ومدى تقديرهما له .

(٢) نفس المصدر ص ١٤٢

(١) وصاف ص ١٤٣

فأما ما يدور حول قصته مع علاء الدين ، فإنه أرسل لعامله بشيراز عشرة آلاف دينار ليسامها للشيخ — وكان إذ ذاك في معتكفه بمدينة — فلما بلغ الرسول شيراز كان العامل قد قضى نحبه لعدة أيام مضت ، فعاد الرسول ثانية ، ويقال إن الشيخ بعث بآيات إلى علاء الدين فهم منها أنه لم يسمع بأمر الرسول والمال ، وبلغ الخبر شمس الدين الجويني ، فبعث إلى أخيه علاء الدين ليرسل بخمسين ألف أخرى مشفوعة بالرجاء في قبولها ، لينفق منها الشيخ على ما يراه من وجوه الخير بشيراز .

تسلم الشيخ المال الذي أرسل إليه ، وجعل منه رباطا بقلعة قهندز (١) ومن هذا القبيل أيضاً قصة يسندها الرواة إلى شمس الدين نفسه ، فيقال إنه بعث إلى الشيخ بخمسة دینار مع غلام ، فاختلف الغلام منها خلال الطريق مائة وخمسين ، فأدرك الشيخ ذلك فكتب إلى شمس الدين يرمز إليه بقوله :

« خواجه تشریف فرستادی و مال مالت فزون باد و خصمت ایمال
هر بدینساریت سالی عمر باد تا بمانی سیصد و پنجاه سال »
ومعناها « بعث لي مولاى خلعة ومالا . فليزد الله في مالك ، ويهلك أعدائك
وليمد في عمرك بقدر دنائرك ، فتعيش ثلثمائة وخمسين عاماً » .

أدرك شمس الدين أن المال الذي أرسل إل الشيخ قد نقص ، وعرف مقدار ما أخذ منه ، وتقول الرواية إنه ترضى الشيخ واعتذره .

وقصة أخيرة تشير إلى تكريم الشيخ وإجلاله من الصاحبين معاً ، ذلك أن الشيخ حينما عاد من أحد أسفاره إلى الحج في طريقه إلى تبريز ، اتفق أن رآهما قادمين في الطريق في صحبة آباقا ، فلما رآياه على بعد ، ترجلا في الحال ، وانحيا أمامه ، وقبل يديه ورجليه ، كما أظهرها بالغ السرور بأقائهما . تعجب آباقا من ذلك وسألهما .

(١) کلیات فروغی ص ٤٢

من الشيخ ؟ فأجاباه إنه أبوهما ، ولما كان قد عرف أن أباهما توفي أنكر عليهما ذلك ، فقالا له إنه أبوهما وشيخهما « سعدى الشيرازى » . فسأله آباقا نصيحة ، فقال له الشيخ « إنك لا تستطيع أن تحمل من الدنيا إلى العقبى شيئاً سوى الثواب أو العقاب، وأنت مخير بين الأمرين ، فطلب إليه آباقا نظم هذا المعنى شعراً ، فنظم الشيخ فى الحال بيتيه :

« شهى كه حفظ رعيت نگاه میدارد حلال بادخراجش كه مزد چو با نیست
وگرنه راعى خلق است زهر مارش باد كه هرچه میخورد او جزیه مسلمان نیست »

ومعناها « إن المليك الذى يحافظ على الرعية ، ليكن حلالاً له ما يأخذه من الخراج ، فان لم يكن راع لها ، فليكن سماً زعافاً ما يأخذه من جزية المسلمين » .

بكى آباقا حين سمع هذين البيتين ، وسأل الشيخ عدة مرات ، هل أنا راع أم لا ؟ فيرد الشيخ إذا كنت راعياً فالبيت الأول ، وإلا فالبيت الآخر .

ويذهب الأستاذ القزوينى إلى أن هذه القصص يبدو عليها أثر الوضع والانتحال ، ولا تخلو فى وقائعها من المبالغة الظاهرة .

وسواء أصحت القصص أم لم تصح ، فإنها لم تغير شيئاً من وقائع صلة الشيخ بالصاحبين ، فصلته بهما ثابتة قوية ، إذ أسندت إليهما أكبر أعمال الدولة فى حكومة المغول ، وعرفا بالعدل والإنصاف ، وأقاما كثيراً من المنشآت الخيرية ، واهتما بأمر الرعية اهتماماً بالغاً ، وكانت مكانتهما فى البيئة الإسلامية فى المحيط الذى يعيشان فيه مكانة لا تدانيها مكانة ، شهد بها الكثيرون ممن عاصروهم أو أروخوا لهم .
وصلة الشاعر بهما تبدو من مدائحه فيهما ، وهذه المدائح من غرر ما نظمه الشاعر فضلاً عن كثرتها كثرة ملحوظة^(١) .

(١) أنظر مدائحه « فى علاء الدين » فى الصفحات الآتية من كليات فروغى ٤٣١ ، ٤٣٩ ، ٤٥١ ، ٤٦٠ ، فى قسم القصائد وص ٧٣٨ فى قسم البدائع وأنظر مدائحه فى شمس الدين فى الصفحات الآتية من النسخة المذكورة .

٤٤٤ ، ٤٦٥ ، ٨١٥

وأنظر سعدى نامه . قزوينى ص ١٥٥ - ١٦٠

الشاعر لم يرث أحدا من آل الجويش :
رأى هنرى ماسيه فى تحليل هذه الظاهرة والرد عليه :

وهذا شىء يستلقت النظر إلى حد ما ، ويدعو إلى التساؤل . ذلك أن
الشاعر على مبلغ صلتته بأسرة الجوينى وحرصه على مدحهم ، ومع امتداد الحياة
به ، ومشاهدته ما حل بهم من تعذيب وتشريد وقتل ، مع كل هذا ، لم يثبت
لشاعر — قطعاً — شىء فى رثائهم .

ألم يدرك الشاعر هذه المأساة ؟ ألم تهز حادثتهم مشاعره ؟ ألم يؤثر له مرث
فى غيرهم أو مدائح بعد عهدهم ؟ .
كل هذا يدعو إلى التفكير .

وقد ذهب الأستاذ « هنرى ماسيه » فى تحليله لهذه الظاهرة مذهباً لآراء
معه . ونحن نعرضه ونناقشه .

يرى أن الشاعر إما توفى قبل وفاة عطا ملك الجوينى ونزول النكبة بأخيه
وأبنائه ، وإما كانت وفاته بعد هذه الحوادث بقليل ، تلك الحوادث التى حدثت
ما بين سنة ٦٨١هـ وسنة ٦٨٣هـ وبهذا يعلل سكوت الشاعر عن رثاء هذه الأسرة .
ونحن نثبت — أولاً — النص الذى ورد فيه هذا رأى منقولاً عن دائرة
المعارف الإسلامية فى موضوع « سعدى الشيرازى » . ثم نرد عليه . ونأخذ بعد
ذلك فى تحليل هذه الظاهرة بما يعن لنا . وبما يرتبط بحوادث العصر ، وتاريخ
الشاعر نفسه .

As in S'a di's works there is no allusion whatever to the tragical
death of both the brothers, D. Juwaini (1282 — 1283) Massé thinks that
the Poet have died before, or very shortly after these events.

ونحن نرد على هذا رأى بالأمور الآتية :

. أولاً — ثبت عند الرواة أن الشاعر توفى بعد نكبة الجوينيين . فعلاء الدين .

توفى سنة ٦٨١ هـ كما أسلفنا . وشمس الدين وأولاده وأبناء علاء الدين أصيبوا بالكارثة سنة ٦٨٣ هـ .

ثانياً — مع اختلاف الرواة في تحديد وفاة الشاعر ، فإنهم جعلوها بعد هذين التاريخين بثمانى سنوات على أقل احتمال ، وباننتى عشرة سنة على أبعد احتمال ، ويشير إلى هذا الأستاذ عباس إقبال في قوله : « در خصوص أيام حیات سعدی امر محقق اینکه او در یکی از سنوات ٦٩٠ با ٦٩١ یا ٦٩٤ هـ فوت کرده » (١) وسنرى فيما يأتى عند التعرض لحياة الشاعر نفسه ، أن هناك شبه اتفاق بين المؤرخين على رأى الذى يقول بوفاة الشاعر سنة ٦٩١ هـ . وهو الرأى الذى قال به دولتشاه (٢) .

ثالثاً — ثبت من مدائح الشاعر أنه عرض في إحداها لمدح أحد ولادة شیراز سنة ٦٨٦ هـ — ذلك هو — كما يقول الأستاذ القزوينى — مجد الدين أسعد الرومى . والذى ظل في منصبه حتى ٦٨٨ هـ . ويستمد هذا من عبارة لصاحب « شیرازنامه » . يقول الأستاذ القزوينى في عبارته : « مجد الدين بن أسعد رومى بتصریح صاحب شیراز نامه (٣) ، در سنه ششصد و هشتاد و شش ، یعنی در اواسط عهد اورغون بچکومت شیراز منصوب شد ، و تاسنه ششصد و هشتاد و هشت در آن وظیفه باقى بود (٤) » .

يثبت من هذا أن الشاعر مدح أحد الحكام في عهد أورغون خان وأن الحياة قد امتدت به حتى تلك السنة . وهذه القصيدة التى نظمها سعدى في مجد الدين مطلعها :

« جهان برآب نهادست وزندگی برباد غلام همت آنم که دل بدونهاد »

(١) عباس اقبال — سعدى نامه ص ١٦

(٢) تذكرة الشعراء — دولتشاه ص ٢٠٩ . طبعة ليدن .

(٣) شیراز نامه ص ٧٢—٧٣ (٤) سعدى نامه ص ١٤٦

يثبت من هذا — في غير تردد — أن الشاعر توفي بعد هذه السنوات
كما رأينا ، وكما ذكره الرواة ، وجرت به وقائع حياة الشاعر .

تفسير هذه الظاهرة :

يمكن تحليلنا لهذه الظاهرة بالأمور الآتية ، مستمدة من منطق الحوادث ،
ومن طبيعة الشاعر نفسه .

أولاً — في هذا التاريخ ما بين سنة ٦٨٣ هـ و ٦٩٠ هـ وقع العالم تحت تأثير
تلك السياسة العنيفة التي اتبعها أورغون ورجال حكومته في الولايات الإسلامية ،
وعصفت بالعالم الإسلامي في ذلك المحيط تلك العواصف المريعة ، وأصيب بتلك
النكسة القاتلة التي أشرنا إليها سابقاً ، والتي بدأت بحكم أورغون في أعقاب مقتل
السلطان أحمد ، فكمت الأفواه ، واحتبست الأنفاس في الصدور ، وانطوت
القلوب على لوعة حرى .

فلم يتمكن الشاعر من أن يعرض إحساسه . ولم يحبس المدامع بجفنيه حسب
كما صور رثاءه للخليفة ، ولكنه هنا حبس أنفاسه في صدره أيضاً ، ولم يستطع هو أو
غيره — تحت ظلال هذا الإرهاب — أن ينبس ببنت شفة في قوم قضى عليهم
الحاكم العام بمثل تلك النهاية ، وإلا كان معادياً للحكومة الرئيسية فيعرض نفسه
لشدائد لا طاقة له باحتمالها .

ثانياً — ويمكن بالإضافة إلى هذا العامل قولنا إن الشاعر كان في هذا الوقت
— من أخريات حياته — معتكفاً في شيراز لا يساهم بالكثير أو بالقليل في مجرى
السياسة العامة في الدولة وتصوير ما يجد فيها من الحوادث ، وكان موطن التوجيه
السياسي العام في غير شيراز ، بل في غير فارس نفسها ، فاعتكف الشاعر في تلك
الظروف ، ورضى أن يقبع في عقر داره ، يستمع للأحداث العامة في الدولة دون

أن يفصح عنها أو يعبر عن رأيه فيها ، وإن كان هذا لم يمنع من اتصاله الضيق ببعض الحكام الذين كانوا في فارس أو شيراز نفسها ، الذين رأى فيهم أنهم يؤدون خدمات جليلة لموطنه .

ثالثاً — يلاحظ كذلك أن الشاعر كان مقلاً في مدائحه ، وكان مقلاً أكثر من ذلك في مراثيه ، وكان المدح كما يقول الشاعر مخالفاً لطبعه . يقول عند ما أقدم على مدح حاكم شيراز « أبي بكر بن سعد » حاكم ولايته الذي هز مشاعره ، وقدم له كتابه البوستان مشيراً إلى أن المدح ليس من طبعه .

« مرا طبع أزين نوع خواهان نبود سر مدحت پادشاهان نبود »

ومعناه « ليس لي طبع الراغبين في هذا النوع ، وهو أن أمدح السادة الملوك » .

رابعاً — ونحن يمكن أن نقسم مراثيه — على قلتها — إلى نوعين :

نوع رثى فيه أشخاصاً داخل موطنه من رجال حكومة الأتابكة الذين عاصروهم ، أو من الولاة الذين تولوا أمرها من أبناء وطنه تحت إشراف حكومة المغول .

ونوع رثى فيه جماعة خارج موطنه ، في الموطن الإسلامي العام .

فمن النوع الأول رثاؤه لأبي بكر بن سعد ، وابنه سعد بن أبي بكر ، ووزيرها فخر الدين أبي بكر (١) ومرثية أخيرة لرجل من عطاء شيراز يسمى عز الدين أحمد بن يوسف (٢) .

هذه هي مراثي الشاعر في أشخاص حكموا شيراز أو كانوا ذوي صلة بحكومتها . أما مراثيه في أشخاص خارج شيراز فلم توجد له مراث — قطعاً — في غير الخليفة المستعصم في مرثيته اللتين أشرنا إليهما سابقاً .

ومن المعروف أن نهاية الخليفة طوت معها نهاية الخلافة أيضاً في حادثة هزت

(٢) المصدر نفسه ص ١٦١

(١) سعدى نامه ص ١٣٢—١٣٣

جوانب العالم الإسلامي كله ، فتناول الشعراء والأدباء—كل في موطنه—هذه الحادثة وأظهروا شعورهم نحوها بما فاضت به قرائحهم ، وكانت مساهمة « سعدى » في رثائه للخليفة مشاركة منه للشعور الإسلامي العام من جانب ، وإظهاراً لما يكنه نحو الخلافة وموطنها بغداد من جانب آخر . فيبدو في هاتين المرثيتين مدى شعوره بالمرارة أيضاً على بغداد ، وفقدانها سطوة الملك وبهاء السلطان ، وهى المدينة التى كان لها فى نفسه أ كبر الذكريات حيث تناول فيها علومه الأولى .

وهكذا نرى الشاعر مقلاً فى مراثيه ، فلا غرابة ألا يرثى أحداً خارج موطنه غير الخليفة ، ولا مبرر أن نلتمس لهذا بعض الأسباب التى تجانب الواقع ، إن كان لا بد لنا أن نعلل سكوت الشاعر عن رثائه لهذه الأسرة .

الفصل الثالث

ولاية فارس ومطامرها في القرن السابع الهجري

أصل التسمية وأقسامها :

تشمل هذه التسمية منطقة في إيران ، تقع إلى الجنوب الغربي منها فيما يجاور الخليج الفارسي ، وحوض الدجلة والفرات . وترجع هذه التسمية إلى عهد الدولة الأسطورية الأولى ، التي تسمى بالپيشدادية ، إذ يقال إنها أخذت من « فارس ابن طهمورث ^(١) » أحد ملوكها .

ومن المؤرخين من يرجعها إلى اسم « بهلوان سام بن نوح ^(٢) » ثم استخدمت هذه الكلمة فيما بعد للدلالة على المملكة نفسها ^(٣) .

وكانت مملكة فارس قديماً ، تمتد من نهر جيحون حتى حوض نهر الدجلة والفرات ^(٤) ، ثم قصرت دلائلها على الولاية الجنوبية الغربية .

وكانت هذه الولاية تمتد مائة وخمسين فرسخاً في مثلها، بشكل مربع التكوين. يتأخم ركنها الشمالي أصفهان وكورها ، والشرقي كرمان وكورها ، والجنوبي المحيط الهندي ، والغربي خوزستان وكورها ^(٥)

وكان لهذا الإقليم مكانته منذ القدم ، ففيه نشأت الدولة الأولى ، وفيه

(١) حاشية الشاهنامة العربية ج ١ ص ٢٠ للدكتور عزام بك وانظر أحسن

التقسيم ص ٤٢١

(٣) فارس نامه ص ١١٩-١٢٠

(٢) شیراز نامه ص ١٤

(٥) فارس نامه ص ١٢١

(٤) شیراز نامه ص ١٥

ظهرت الحضارة القديمة ، وفيه اتخذت أول عاصمة وهي اصطخر فارس ، ولا تزال فيه حتى الآن معالم تلك الحضارة القديمة . وتطور الزمن بهذا الإقليم فحكته دول قبل الإسلام . كان آخرها دولة آل ساسان ، فلما جاء الإسلام أشاد به كثير من المؤرخين .

ويذكر « ابن البلخي » حديثاً عن النبي عليه السلام قوله « لو كان هذا العلم معلقاً بالثرى لئله رجال من فارس^(١) » . ويرى صاحب شيرازنامه هذا الحديث على رواية أخرى بجعل كلمة الدين بدل العلم^(٢) .

ويورد صاحب « نزهة القلوب » قوله عليه السلام « إن الله خير بين خلقه من العرب قريشا ومن العجم فارساً^(٣) » .

والأمر لا يقف عند هذا في تمجيد أبناء ذلك الإقليم ، بل يذهب بعض المفسرين إلى أن القرآن وردت فيه إشارات إليه وإلى أبنائه في مواضع مختلفة ، فالآية « بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد » يرى بعض المفسرين أنها تشير إلى اعتداء اليهود على سيدنا زكريا ويحيى بالقتل ، فأرسل الله عليهم « كودرز الأشكاني » من أبناء فارس . كما يرى بعضهم أيضاً في قوله تعالى « سستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » أن ذلك إشارة إلى أبناء فارس^(٤) .

ويذكر ابن البلخي عن النبي عليه السلام — وقد سئل — لماذا هلك عاد وثمود ومن جاراتهم سريعاً وامتد ملك الفرس مع عبادتهم للنار ؟ فقال « لأنهم عمروا البلاد وعدلوا في العباد^(٥) » .

(٢) شيرازنامه ص ١٥

(١) فارس نامه ص ٧

(٤) شيرازنامه ص ١٥

(٣) نزهة القلوب ص ١١٢

(٥) فارس نامه ص ٥

أما أقسامها فيذكر « البشارى » فى كتابه « أحسن التقاسيم » أنها تحتوى ست كور. هى — من ناحية خوزستان — فى حدها الغربى كما يأتى: « أرجان . أرد شیرخره . داراب جرد . شیراز . شاپور . اصطخر ^(١) » لكن ابن البلخى يجعلها خمس كور. هى: « اصطخر . دارابجرد . أرد شیرخوره . شاپور خوره . قباد خوره ^(٢) » ويأخذ عنه هذا التقسيم صاحب « شیرازنامه ^(٣) » وصاحب « نزهة القلوب ^(٤) ». هذه هى أقسام فارس وكورها التى ذهب إليها المؤرخون .

فارس فى ظل الاسلام :

منذ عهد الإسلام الأول وعيون المسلمين تتطلع إلى فتح هذا الإقليم ، كما كانوا يرسلون إليه الكثير من الناس للتعرف على أحواله . فى عهد الحجاج أرسل من قبله — حين كان على العراق — من ينقل إليه أخباره ، فلما عاد وصفه بقوله « جبال ورجال وفيه من كل بلد بلد ^(٥) ».

وكانت الجيوش العربية قبل أن تدخل فارس تعسكر فى موضعين : أحدهما بالكوفة شمالاً ، والآخر بالبصرة جنوباً ، ونفذت الجيوش التى كانت تعسكر فى البصرة إلى فتح البلاد المجاورة لها ، ففتحت البحرين وعمان ومكران وكرمان وفارس وخوزستان ، وكانت هذه البلاد من مضافات البصرة ^(٦) .

وبدخول الإسلام بلاد فارس أقيمت بها المساجد ، وهدمت أبنية الكفر ^(٧) ومهد الفتح أمام السياح والمؤرخين فدخلها كثير من المسلمين ، كما كانت نقطة ارتكاز اتسع منها الفتح شرقاً إلى الهند وأواسط آسيا .

ويشبه « المقدسى » طبيعتها وجوها بإقليم الشام . إذ يقول عنها حين سئل

(٢) فارس نامه ص ١٢١

(٤) نزهة القلوب ص ١١٣

(٦) فارس نامه ص ١٢٠

(١) أحسن التقاسيم ص ٤٢١

(٣) شیراز نامه ص ١٥

(٥) فارس نامه ص ٤

(٧) شیراز نامه ص ١٧

كيف وجَدَتْ فارس؟ . يجيب « وجدتها أشبه الأقاليم بالشام ، لأنها تجمع أضداد الثمار ، وبها جروم ، وسرود (١) ومعتدلات وجبال مشجرة عامرة ، وعسل وزيتون ، وبركات ، لم أرها بعد الشام إلا بفارس » ، ثم يمضى فيقول « إلا أنه معدن الجور والفساد ، حار الأطراف ، بارد السرود ، ورسوم المجوس به ظاهرة ، وأكثر الضياع مقطوعة (٢) » .

شيراز :

في هذا الإقليم الجنوبي الغربي قامت — وسطه تقريباً — مدينة جديدة إسلامية ، نقلت إليها دفة الملك بعد العاصمة القديمة اصطخر ، تلك العاصمة التي ظلت حاضرة الإقليم حقبة طويلة من الزمن .

ففي عهد عبد الملك بن مروان — حين كان الحجاج عامله على العراق — جعل أخاه محمداً بن يوسف نائباً عنه في إدارة هذا الإقليم ، فأسس مدينة شيراز (٣) ومن الآراء ما يجعل هذه المدينة أقدم في تاريخها من ذلك ، إذ يقال إن « شيراز ابن فارس » هو الذى بناها قديماً ، وإنما مصرها المسلمون حين فتحوا الإقليم واستطابها الملوك فبنوا بها (٤) .

ويذكر صاحب « شيرازنامه » أن ملوك العجم القدماء كانوا يظنون مكانها صومعة سليمان ، ومن هذا كانوا يتفاءلون بها (٥) .

ويزعم بعض المؤرخين أن السبب الذى دفع « محمداً بن يوسف الثقفى » إلى بنائها أنه رأى فى المنام جماعة من أهل الكرامة تهبط فى مكانها ، وقالوا له سيظهر فيها آلاف من رجال التصوف ، وستكون منبعاً للحكمة والطهارة ، كذلك يقال إنه

(١) الكلمة معربة عن گرم بالفارسية بمعنى حار . وسرد بمعنى بارد .

(٢) أحسن التقاسيم ص ٤٢١ (٣) فارس نامه ص ١٣٢

(٤) أحسن التقاسيم ص ٤٢٣ (٥) شيراز نامه ص ٢٠

رأى فى منامه يخطط دائرة فى مكانها ، ولهذا استدعى المهندسين وأمرهم أن يقيموا بناء شيراز^(١) . ومن الآراء ما يجعل عمارتها قد جددت على يد « محمد بن القاسم ابن عقيل » ابن عم محمد بن يوسف الثقفى سنة ٧٤ هـ^(٢) .

وظلت عمارت هذه المدينة تزيد على الزمن، وفى عهد عمر بن عبد العزيز أنشئ بها بعض المساجد ، وأسس بها عمر بن الليث مسجداً سماه المسجد العتيق^(٣) .

فلما انتقل ملك المدينة إلى الديلمة زادت عمارتها كثيراً ، وأول من غلب عليها ، « على بن بويه » فلما توفى تولى بعده ابن أخيه « عضد الدولة » الذى تبناه من قبل^(٤) ، وفى عهده ذاع صيتها وانتشر خبر رفاهية الحياة بها فى جميع الأقطار فقصدها كثير من الناس ، وجلب إليها كثيراً من رجال الجيش وأقامهم بها حتى ضاق اتساعها ، فأنشأ خارجها مكاناً سماه « گردنآخسرو »^(٥) يصفه صاحب شيرازنامه « أنه كان مدينة كبيرة أقام وسطها سوقاً بلغ ما يحصل منه سنوياً ستة عشر ألف دينار ، كانت ترسل إلى ديوان عضد الدولة » ، ولم يبق من ذلك المكان حتى عهد صاحب شيرازنامه — شيئاً ، وكان العامة يطلقون على مكانه « سوق الأمير »^(٦) .

وفى عهد « صمصام الدولة بن عضد الدولة »^(٧) رأى أن يقيم عليها سوراً ، لكن صاحب « مراصد الاطلاع » يقول إن الذى بنى هذا السور هو « أبوكاليجار » ويجعل طوله اثنى عشر ألف ذراع وعرض حائطه ثمانية أذرع^(٨) .

أما أحسن أبنيتها ، فدار شيدها عضد الدولة يصفها « المقدسى » وصفاً يدل على مقدار عظمتها ، يقول : « وبنى بشيراز داراً لم أر فى شرق ولا فى غرب مثلاً ، ما دخلها عامى إلا افتتن بها ، ولا عارف إلا استدلل بها على نعمة الجنة وطيبها ،

- | | |
|-----------------------|-----------------------------|
| (١) شيرازنامه ص ٢١ | (٢) نزهة القلوب ص ١١٤ |
| (٣) شيرازنامه ص ٢٤ | (٤) أحسن التقاسيم ص ٤٤٩ |
| (٥) فارس نامه ص ١٣٢ | (٦) شيراز نامه ص ٢٥ |
| (٧) نزهة القلوب ص ١١٤ | (٨) مراصد الاطلاع ج ٢ ص ١٣٩ |

وخرق فيها الأنهار ، ونصب عليها القباب ، وأحاطها بالبساتين والأشجار ، وحفر فيها الحياض ، وجمع فيها المرافق والعدد ، وسمعت رئيس القراشين يقول « فيها ثلثمائة وستون حجرة ودارا » .

ثم يصف خزانة الكتب التي بها بقوله « وخزانة الكتب على حدة ، عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ، ولم يبق كتاب صنف إلى وقته - من أنواع العلوم كلها - إلا وحصله فيها . . والدفاتر فيها منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرسات ، فيها أسامي الكتب لا يدخلها إلا وجيه ، وطُفَّت في هذه الدار كلها أسفلها وعلوها » ، وهكذا يمضي « المقدسى » في عبارته إلى أن يختتمها بقوله : « وأظنه بناها على ما سمع من أخبار اللجنة » (١) . ثم تناوب شیراز الضعف وأصبحت - آخر عهد الديلمة - بأحداث جسام قضت على رونقها وبهائها (٢) ، وأدت إلى تخريب كثير من عمائرها (٣) .

فإذا انتقلت الولاية إلى حكم السلاجقة ، ظلت كذلك عاصمة الإقليم نفسه ، وقد بدأ هؤلاء حكمهم فيها سنة ٤٥٨ هـ . وبقيت تحت حوزتهم خمسة وثمانين عاما ، حتى تولى أمرها « الأتابكة السالغريون » فاستقلوا بالولاية ، وأقاموا حكومتهم في عاصمتها .

ولما حل السلاجقة أعادوا تجديد ما خرب منها ، كما وجهوا عنايتهم أيضاً إلى الإنشاء ، فأقاموا المدارس ، وأوقفوا عليها كثيراً من الخيرات (٤) .

فلما انتقلت هذه الولاية إلى حكم الأتابكة سنة ٥٤٣ هـ ، أخذ شأنها في عهدهم يعلو شيئاً فشيئاً ، وبلغت ذروتها في عهد « أبي بكر بن سعد »

(٢) فارس نامه ص ١٣٣

(١) أحسن التقاسيم ص ٤٤٩

(٤) شیراز نامه ص ٢٤

(٣) شیراز نامه ص ٢٦

وسنعرض إلى الكلام على مكانتها العالمية في عهد هذا الأمير ، ومدى ما كانت عليه من الرخاء وسعة العيش وأمن الحياة ، بالإضافة إلى ما بيناه سابقاً — من وصف الشاعر لها في عهده ، ووصفه هذا الوطن بالحرم الآمن يحج إليه الناس من كل فج عميق .

ونضيف إلى هذا ما قاله فيها صاحب « شيراز نامه » شعراً ^(١) :

بها يسكن الطبع النفور ويفتدى بآنس من قلب المقيم قريعها
يحن إليها كل قلب كأنها يشاد برنات القلوب ربوعها
فكل ليالى عيشها زمن الصبا وكل فصول الدهر فيها ربيعها

فارس قبيل حكومة الأتابكة

انتقلت فارس إلى أيدي السلاجقة منتصف القرن الخامس ، بعد أن كانت تابعة لحكومة آل بويه ، إذ انتزعها منهم السلطان « ألب أرسلان السلجوقي » سنة ٤٥٨ هـ ^(٢) . وبقيت فارس يتولى شئونها نواب عن السلطان الحقيقي مدى خمسة وثمانين عاماً ، تقلد الحكم فيها ستة حكام هم : « فضلوويه شبانكاره ، وركن الدين خمارتگین ، والأتابك جاولی ، والأتابك قراچه ، والأتابك منكويرس ، والأتابك بزابه » ^(٣) .

وكان « فضلوويه » حاكماً معيناً من قبل الديلمة ، فلما انتقل حكم فارس إلى السلاجقة أقر على البقاء في الولاية ، حاكماً عليها في عهد السلطان « ألب أرسلان السلجوقي » . ولكن سرعان ما اضطرت الأمور بينهما ، فسار إليه نظام الملك

(٢) و صاف ص ١٤٨

(١) شيراز نامه ص ٢٢

(٣) حبيب السیر ص ١٢٧

ليرده عن عصيانه ، فتحصن فضلوويه بقلعة اصطخر ، فحاصره بها نظام الملك وقتله فيها . وفي هذا يقول الشاعر :

فضل من الله العزيز ونعمة كُفَّت فضول البغي من فضلون^(١)
وبانقضاء أيامه على فارس انتهت سلطة الديلمة وبدأ سلطان السلاجقة .

فلما انتقل الملك إلى هؤلاء ، تخيروا جماعة — ممن كانوا يقومون في بلاطهم ببعض الوظائف — إلى إدارة الأقاليم التي دخلت في حوزتهم ، وكان من بين هؤلاء رئيس أسرة الخوارز مشاهيين المسمى « آنوشنگين » فقد كان تركي الأصل يعيش في بلاط السلاجقة ، ولده ملكشاه ولاية خوارزم ، ومنه تأسست أسرة « ملوك خوارزم »^(٢) ومنهم أيضاً « تغ تگين » ملوك تكش السلجوقي مؤسس أسرة الأتابكة في دمشق^(٣) .

ويلاحظ أن أغلبية ولاية السلاجقة على فارس كانوا يلقبون « بالأتابك » ابتداء من جلال الدين الجاوى . فهو أول من لقب به من نوابهم^(٤) ، وكل من خلفه على الحكم من النواب تمتع به كذلك .

فما معناه ؟ وهل له علاقة بتلك الأعمال الإدارية ؟ وكيف اتسع حتى سمعنا عن انتشاره بين حكام الولايات المختلفة في طول إمبراطورية السلاجقة وعرضها ؟ .
الكلمة تركية الأصل « أنا » بمعنى الجد أو الأب . وكلمة « بك أو بيك » لقب أو رتبة . ويفسر ابن الأثير هذه الكلمة « بالأمير الوالد » ومن عبارته في « نظام الملك » على لسان « ملكشاه » قد رددت الأمور كلها ، كبيرها وصغيرها

(١) شیراز نامه ص ٣١٩ (٢) تاريخ گزيده ص ٤٨٦

(٣) مقدمة شیراز نامه — ص . ل .

(٤) وصاف ص ١٣٨ وحبيب السير ص ١٢٧

إليك ، فأنت الوالد ، وحلف له وأقطعه إقطاعاً زائداً على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك ، وخلع عليه ولقبه ألقاباً من جملتها « أتابك » ومعناه « الأمير الوالد »^(١) ، فظهر من كفايته ، وشجاعته ، وحسن سيرته ، ماهو مشهور .

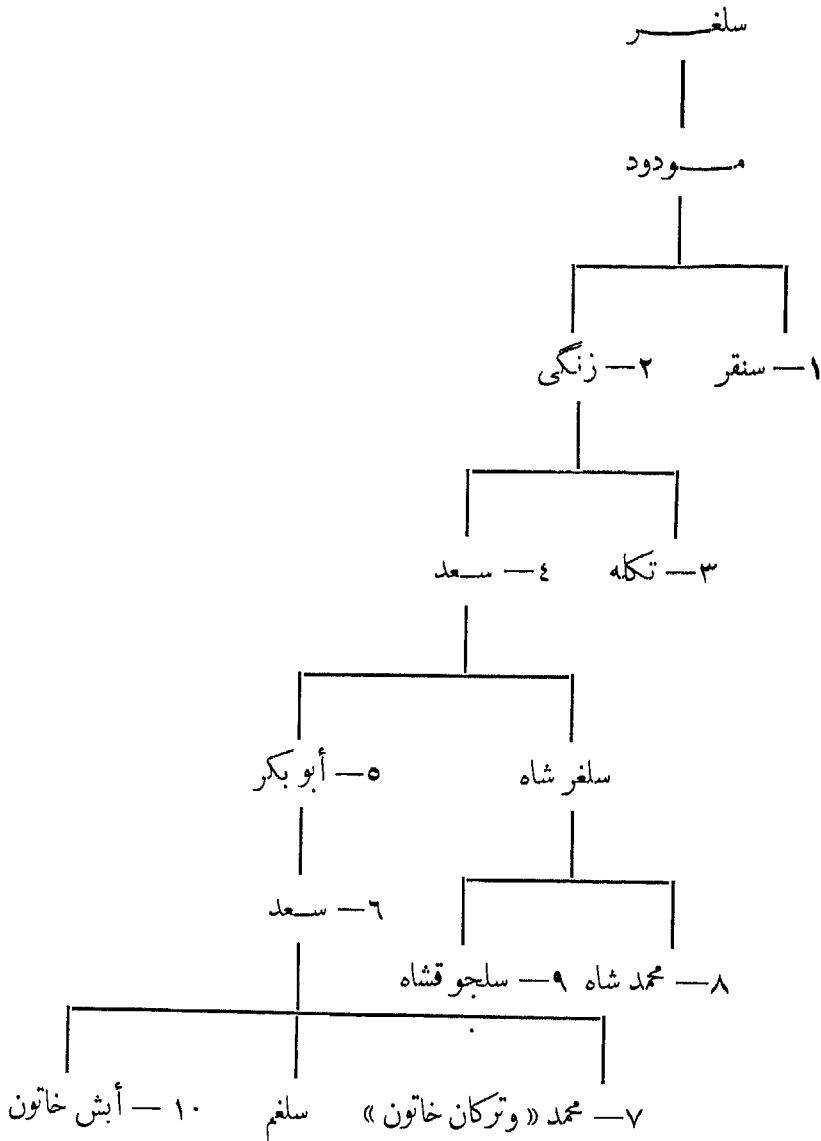
واستعملها المؤرخون المحدثون من الإيرانيين بمعنى « نائب السلطنة » فيذكر الأستاذ « بهمن كرمي » في مقدمته على كتاب « شيراز نامه » أن السلاجقة لم تكن لهم حراية بالأمور الإدارية . وإنما كانوا يوصفون بالشجاعة والقوة لا بحسن السياسة ، وذلك راجع إلى حياتهم البدوية . فاختار كل واحد منهم في إدارة شئون مملكته جماعة ممن يطمثون إليهم ، من مماليكهم الأوفياء ، وأغلب هؤلاء المماليك كانوا ممن وفدوا من بلاد القفجاق . ثم يمضى فيقول :

« فلما زال عصر السلاجقة الكبار ، وضعف ولاية العهد بعدهم عن إدارة شئون الدولة ، وجزئت دولتهم ، رفع مماليك السلاجقة كل واحد من الأمراء إلى كرسى السلطنة ، وجعلوا يديرون دفة الأمور عنهم باسم « نائب السلطنة » أو باسم « أتابك » . وبعد مدة ، تقلص حكم السلاجقة ، فاستولوا هم على السلطان واستقلوا في ولاياتهم »^(٢) .

(١) ابن الأثير ج ١ ص ٣٣ . المطبعة الأزهرية . (٢) مقدمة شيراز نامه ص ل .

أُتَابِكَةُ فَارِس

نستطيع أن نصور أعضاء بيت الأتابكة — الذين نعرفهم تاريخياً —
بهذه الشجرة . وندل على ترتيب من حكم منهم .



ن بلاد القفقاق ، ترجع إلى قبائل تركمانية الأصل .
 ٥٠٠ : حينما أدركها الضعف والانحلال^(١) . ويجعل
 ١٠٠ : التركمانين خمسين ألفاً ، تفرقوا في
 ملغر » وأبناؤه وأتباعه . نزلوا بخراسان ، ونشروا
 والاضطراب ، حتى اضطر السلاجقة أن يضموه
 صب الحجابة ، ثم نزع هو وأولاده وأتباعه إلى إقليم

كان بين ابنه « مودود » وبين الأتابك « بزابة » صداقة . رغب هذا في
 الرحيل إلى أصفهان ، فاستدعى « مودودا » ليقبمه على فارس مكانه ، ولكن « بزابة »
 لقي حنقه بعيداً عن فارس . فطمع هذا في الملك وشجعه عليه ضعف السلاجقة .
 وانتهى الأمر بأن حوّل السلطان لأسرته^(٢) .

١ — سنقر بن مودود : ٥٤٣ — ٥٥٨ هـ

تولى الحكم سنة ٥٤٣ هـ وارتفع شأنه ، وهو أول من وضع تاج السلطنة على
 رأسه من أعضاء هذه الأسرة^(٣) ، وسار في الرعية بالعدل والإنصاف ، ووقعت
 بينه وبين حاكم خوزستان مصادمات عنيفة انتهت بانتصاره عليه . وكان من
 منشأته بشيراز رباط سمي باسمه . وكذلك شيد مسجداً يعد من أهم مساجد شيراز^(٤)
 يعتبره صاحب تاريخ كزیده من مساجد الجمع^(٥) . وكانت وفاته سنة ٥٥٨ هـ
 وامتدت حكومته أربعة عشر عاماً .

(٢) حبيب السير ص ١٢٧

(٤) وصاف ص ١٤٩

(٦) تاريخ كزیده ص ٥٠٥

(١) وصاف ص ١٤٨

(٣) شيراز نامه ص ٤٨

(٥) شيراز نامه ص ٥٠

٢ — زنگی بن مودود: ٥٥٨ — ٥٥٧١

ما كاد يستولى على العرش حتى ائتمر به بعض رجال أسرته ، لإقصائه عن الملك ، وتتويج أحدهم المسمى « ألب أرسلان ^(١) » .

لكن المؤامرة افتضح أمرها قبل أن يتمكنوا من تنفيذها ، فراسل « أرسلان ابن طغرل » وطلب منه النجدة ، فأسغفه بها ، وسأله أن يقره على البقاء في الملك فأجابه إلى ذلك ^(٢) .

وكان من منشأته بشيراز ، تجديد مزار الشيخ « أبي عبد الله محمد بن الخفيف الشيرازي » ، وأقام بجانبه رباطاً أوقف عليه أوقافاً كثيرة ، وامتد حكمه أربعة عشر عاماً ، وتوفي سنة ٥٧١ هـ ^(٣) .

٣ — تكله بن زنگی: ٥٧١ — ٥٥٩١

تولى العرش بعد أبيه ، عقب وفاته ، وثار عليه أحد أتاكبة آزر بيجان المسمى « جهان بهلوان » إذ انتهز فرصة خلو شيراز من الجيش ، فاتجه نحوها وأعمل القتل في أهلها . لكن الأتابك « تكله » تغلب عليه وهزمه ^(٤) . كذلك خرج عليه ابن عمه « طغرل بن سنقر » وجمع جيشاً ، وقدم به شيراز ، لكن الحرب لم تدم طويلاً بينهما ، فأسره « تكله » وقضى على ثورته ^(٥) .

ويقال إنه تخير شخصية عظيمة من رجال فارس ليسند إليها منصب الوزارة ، ذلك هو « أمين الدولة الكازروني ^(٥) » ، وأطلق يده في تدبير شئون الدولة . كان هذا الرجل مشهوراً بالتقوى والصلاح ، فأنشأ رباطاً ومدرسة اشتهرت بمدرسة « آميني » ^(٦) أقامها قرب المسجد العتيق .

(٢) تاريخ گزیده ص ٥٠٥

(٤) وصال ص ١٥٠

(٦) حبيب السیر ص ١٢٨

(١) شیراز نامه ص ٥١

(٣) حبيب السیر ص ١٢٨

(٥) شیراز نامه ص ٥١

وقد بسط تكله العدل في ولايته ، حتى امتدحه أحد الشعراء المسمى
« عز الدين السحرة » بقصيدة جاء فيها :

لعمر المعالي إن « تكلة » قد حوى من الملك ما لم يحو منه أعاجبه
فأين أنوشروان منه وعدله وأين سليمان النبي وخاتمته
تفرد بالآفاق « تكلة » شاهنا فلا من يحاربه ، ولا من يقاومه^(١)
وكانت وفاة تكلة بن زنگي سنة ٥٩١ هـ ، وامتد حكمه عشرين عاماً .

٤ — سعد بن زنگي : ٥٩١ — ٦٢٣ هـ

كان سعد من الشجاعة ، والقوة ، وسعة الحيلة ، والمران السياسي ، ما جعله
يمكن لدولته الناشئة ، بل يمد نفوذه ، وفتوحاته إلى غيرها . تولى شئون الدولة
وهي مقبلة على قحط ألم بها ، لم تشهده مثيلاً من قبل ، حتى اضطر الناس أن
يأكلوا كل ما يمكن أكله ، ثم أعقبه وباء كبير أهلك كثيراً من الناس^(٢) .

وقد واجهته أحداث خارجية ، اضطر لأن يخوض غمارها لينقذ إمارته من
هولها . ففي سنة ٦٠٠ هـ أغار عليه الأتابك « أزيك بن بهلوان » مع شخص
آخر يسمى « كلجه »^(٣) . وقصدا شيراز ، وأعمالاً فيها غارة شعواء ، وفتكا
بأهلها . وفي هذا يقول الشاعر « عز الدين بنجره » :

ألا هات السلاف ولا تشجبه فقد زج الأسى في القلب زجه
وضاق عليّ من أسف إهابي لعمرى ! طرت لو صادفت فرجه
لعلّي ان طربت ذهب غما تعال الناس من فتكات كلجه
أطال غلابنا وجنى أذانا وأتلف مالنا من غير حجة

(٢) تاريخ غزيرة ص ١٠٦

(١) شيراز نامه ص ٥١

(٣) وصال ص ١٥٢

وقائلة إلام يكون نحسى فقلت إلى بلوغ السعد برجه^(١)

على أنه لم تكد فارس تنفّس من هول هذه الغارة ، حتى فوجئت بغارة أخرى سنة ٦٠٢ هـ ، شنها عليها السلطان « غياث الدين بن السلطان محمد خوارزمشاه » . كان أبوه قد ولاء « كرمان » في حياته فاشتهر بسلطان كرمان ، ثم ذهب أول عهده إلى العراق وانضم إليه جماعة من أتباع أبيه هناك ، واتفق معهم على حرب « الأتابك سعد » واتجهوا نحو فارس ، وهزم الأتابك ، وعانت إمارته من تخريب « غياث الدين » الأمرين ، ثم عاد عنها^(٢) .

حروبه وسياسته الخارجية :

يعد أن اجتازت إمارته تلك الحن ، التي واجهته في مستهل توليته العرش ، وجه عنايته إلى تدبير شئونه ، ثم أخذ يمهّد للفتوحات الخارجية ، فاستخلص « كرمان وسيرجان » ونصب على حكومتها ابن أخيه « عماد الدين زبدان »^(٣) . ولما انتهى من ذلك ، اتجه أيضاً نحو العراق ، واستولى على أصفهان ، لكنه التقى في تلك الجهة بشخصية مارست الخطوب وعركتها . ذلك هو السلطان « محمد خوارزمشاه » ووقعت بين الإثنين مصادمات قوية ، أبدى فيها « سعد بن زنگي » من البسالة وضروب الشجاعة ما جعل السلطان محمداً يعجب به أيما إعجاب .

وفي إحدى الحروب — سنة ٦١٤ هـ — عزم الأتابك على لقاء جيش « السلطان محمد » بنفسه ، فاتجه نحو الري على رأس سبعائة فارس ، فانهزم جيش السلطان ، وفي تلك الحرب أبدى « سعد » من الأقدام والجرأة ما أدهش « السلطان محمداً » ، فأمر جيشه ألا يصيبه بسوء — إن تمكنوا منه — وإنما يحملونه

(١) و صاف ص ١٥٣ (٢) حبيب السير ص ٨٨

(٣) شیراز نامه ص ٥٢ ويذكره و صاف باسم محمد بن زيدان ص ١٥١

إليه أسيراً ، فلما وقع في أيديهم ، حملوه إلى « السلطان محمد » ، فأكرم وفادته ، وأعز جانبه ، ورحب بمقدمه (١) .

وانتهى الأمر بين الجانبين ، بأن طلب السلطان عقد الصلح بينهما ، ويتزوج ابنه « جلال الدين » من ابنة سعد « ملك خاتون » (٢) ويدفع ثلثي خراج فارس إلى السلطان ، فأجابه سعد إلى ذلك (٣) .

لكن هذه الأمور لم ترض ابنه « أبا بكر » فدبر الأمر في غيبة أبيه ، مع جماعة ممن التفوا حوله ، من الأعيان والأمراء ، فآلبهم على أبيه ، وطلب منهم البيعة فبايعوه ، فلما أحس سعد بذلك ، عاد إلى فارس يؤازره جيش من الخوارزمشاهيين — حلفائه الجدد — فامتنع الابن من تسليم البلاد إلى أبيه وجمع المساكر ، وخرج للقائه . فلما تراءى الجمعان ، انحازت عساكر فارس إلى صاحبهم ، « الأتابك سعد » وتركوا ابنه في خاصته ، ومع ذلك حمل على أبيه ، فلما رآه أبوه ، ظن أنه لم يعرفه . فقال له أنا فلان ! فقال — إياك أردت (٤) ! وانتهى الأمر بهزيمة أبي بكر ، وأخذ أسيراً ، فزج به في قلعة « سفيد » (٥) كما يذهب إلى ذلك صاحب « شيراز نامه » ، وفي قلعة « اصطخر » كما يذهب إلى ذلك صاحب « تاريخ و صاف » (٦) .

فلما قضى الأمر وقى « سعد » بعهد « السلطان محمد » (٧) ، ولسان حاله — كما يقول و صاف — « إذا قلت في شيء نعم ! فآتمه فإن نعم دين على المرء واجب » (٨) .

أما سياسته نحو المغول ، فأهم ما قام به أنه جنب إمارته ذلك السيل الجارف ، الذي بدأ يظهر من ناحية المشرق ، في زحفهم نحو الغرب ، فحين تراءى إلى

(٢) شيراز نامه ص ٥٢

(١) و صاف ص ١٥٣

(٤) ابن الأثير ج ١٢ ص ١٤٦

(٣) و صاف ص ١٥٤

(٦) و صاف ص ١٥٤

(٥) شيراز نامه ص ٥٣

(٨) و صاف ص ١٥٤

(٧) حبيب السير ص ١٢٩

أسماع الناس خبر قدومهم مظفرين ، سارع هو إلى إعلان الطاعة مع بعض أمراء الولايات الأخرى . وهذا ما ذكره صاحب « جامع التواريخ »^(١) « وأشرنا إليه سابقاً »^(٢) في تصويرنا لحالة فارس ، وكيف واجهت غزو المغول ، وذلك في الفصل الأول .

اصلاحاته الداخلية :

على الرغم من الحروب الخارجية ، والفتن الداخلية ، التي منيت بها فارس في عهده ، فانه وجه همه كثيراً إلى تنظيم الأمور الداخلية ، فاختار لإدارة البلاد معه وزيرين هما « ركن الدولة صلاح الكرمانى وأبو نصر أسعد »^(٣) . وكان الأخير ممن يجيدون قرص الشعر بالعربية والفارسية . وكثيراً ما كان « سعد » يرسله على رأس بعثات سياسية بينه وبين السلطان محمد الخوارزمشاهى ، فكان هذا يكرم وفادته ويحله ، كما كان يقارضه الشعر^(٤) . كذلك وجه الأتابك همه نحو التعبير ، فأنشأ كثيراً من العائز الدينية ، والعسكرية ، والمدنية .

أنشأ الجامع الجديد بشيراز ، وهو المشهور بـ « جامع نو » ، ويقال عنه إنه لم يكن فى جميع بلاد فارس والعراق وأغلب الأقاليم ، مسجد أوسع منه ، فانه كان يعد أكبر من مسجد الكوفة ، الذى أسسه الإمام على ، والمشهور أنه أكبر المساجد بالبلاد العربية^(٥) فى ذلك العصر . كذلك أقام الأسواق العامة ، وشيد الحوانيت ، وبنى — على الطريق إلى تبريز — رباطاً يسمى رباط « شهر الله » وأوقف عليه القرى والمزارع والبساتين والحمامات^(٦) .

كذلك احتاط للناحية العسكرية ، فأنشأ سوراً عظيماً يحيط بشيراز مكان السور الذى أنشأه « جلال الدين الجاولى » والذى كان قد تهدم^(٧) .

(١) جامع التواريخ ص ١٥٠ كاترير

(٢) انظر ص ١٨ سابقاً

(٣) حبيب السير ص ١٢٨

(٤) ووصاف ص ١٥٠-١٥١

(٥) شيراز نامه ص ٥٤

(٦) ووصاف ص ١٥٥

(٧) شيراز نامه ص ٥٤

الاضطراب في سنة وفاته وتحديدها :

وهناك خلاف بين المؤرخين في تحديد سنة وفاة سعد ، يشير إليه الأستاذ القزويني في مقاله «ممدوحين شيخ سعدى شيرازي» ، ويناقش الآراء التي عرضت لهذا . وهو يأخذ بالرأى القائل بأن وفاته كانت سنة ٦٢٣ هـ لا سنة ٦٢٨ هـ .

ونحن نلخص رأيه فيما يقول — توفي « سعد بن زنگي » سنة ٦٢٣ هـ ، كما يذهب إلى ذلك صاحب « جامع التواريخ » ، والوصاف ، وروضة الصفا ، وحبيب السير » ، وليست وفاته سنة ٦٢٨ هـ كما يذهب إلى ذلك صاحب « تاريخ كزیده » ويتبعه صاحب « لب التواريخ » و« جهان آرا » — وهنا يشير الأستاذ القزويني إلى أنه كان قد جارهم في هذا الرأى ، في مقدمته لكتاب « المعجم في معاني أشعار العجم » ، ولكنه يجعل ذلك من قبيل السهو ، وهذا في عبارته :

« وما نيز در کتاب المعجم في معاني أشعار العجم بمتابعت ایشان همین قول را نقل کرده بودیم ، بدون شك سهو واضح است » .

ثم يرمى رأى صاحب « تاريخ كزیده » بالفساد والبطلان ، بما سنعرض له فيما بعد ، ونواصل هنا مناقشته لهذا الرأى ، وتدليله على عدم صحته بقوله :

١ — إن ابن الأثير أثبت في حوادث سنة ٦٢٥ هـ أن صاحب بلاد فارس وقد عينه بالاسم وهو الأتابك « أبو بكر بن سعد » قد عاون « جلال الدين منكبرتي » في حربه مع المغول . وذلك دليل على أن « سعدا » كان قد توفي قبل ذلك .

٢ — يصرح الوصاف أن « عميد الدين أسعداً الأبرزي » وزير « سعد ابن زنگي » وصاحب القصيدة المشهورة « بالشكنوانيه » والتي مطلعها :

من يبلغن حمامات ببطحاء ممتعات بساسال وخضراء

قد زج به أبو بكر في السجن ، هو وابنه ، بعد وفاة « سعد » ، وقد توفي « عميد الدين » المذكور سنة ٦٣٤ هـ . وهذا دليل كذلك على وفاة « سعد » قبل هذا العام .

٣ — يصرح الوصاف أيضاً، أن أبا بكر فتح جزيرة « كيش » وقتل آخر ملوكها يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الآخر سنة ٦٢٦ هـ ، و بديهي أن هذه الحادثة — التي عينت باليوم والشهر والسنة — برهان واضح على أن هذه السنة، هي إحدى سنوات حكم « أبي بكر » . فكيف يكون أبوه قد توفي سنة ٦٢٨ هـ . كما ذهب إلى ذلك صاحب « تاريخ كزیده » ؟ ^(١) .

انتهى تلخيص رأى الأستاذ القزويني ، ورده على صاحب « تاريخ كزیده » وبهذا يمكن التأكد من وفاة « سعد بن زنگي » في سنة ٦٢٣ هـ ، كما ذهب إليه صاحب « جامع التواريخ » و « وصاف » . وهما — من حيث الزمن — أسبق من صاحب « تاريخ كزیده » وكذلك — من حيث الثقة — أحق بالاطمئنان . وسنعود لمناقشة رأى آخر جاء به صاحب « تاريخ كزیده » في موضع — تخلص الشاعر — والذي اعتمد عليه أيضاً الأستاذ القزويني ، وذلك في دراستنا لحياة الشاعر في الباب الثاني .

وقد اتخذ « سعد بن زنگي » طرته هذه العبارة « وارث ملك سليمان ، مظفر الدنيا والدين سعد بن أتابك زنگي » وكان توقيع « الله بس » ^(٢) . ويرى صاحب حبيب السير أن « تخلص الشاعر » مأخوذ من اسم هذا الأمير ^(٣) .

لماذا لم يمدح الشاعر هذا الأمير مدحاً مستقلاً ؟

كانت حياة الشاعر الأولى ، في عهد هذا الحاكم ، فقد تفتحت عيناه على حكم يبسطه « سعد بن زنگي » على فارس . وفي شيراز ، أخذ يدرج الشاعر إلى الحياة العامة ، يتناول من أساليب المعارف الموجودة في عصره ، ما قدر له تناوله ، بين

(١) سعدى نامه ص ١٠٢—١٠٣ (٢) وصصاف ص ١٥٥

(٣) حبيب السير ص ١٢٨

أهله ومعالمه . وشاء القدر أن يموت أبوه ، وهو لا يزال فتى صغيراً غرض الأهاب .
وتشير بعض الروايات ^(١) ، إلى أن أباه كان في رعاية هذا الحاكم ، الذى أظل الفتى
برعايته كذلك بعد وفاة أبيه .

فلما تفتحت الحياة للشاعر ، وتناول من التحصيل والمعارف ، قدراً يمكنه من
قرض الشعر ، كانت نفسه أعز عليه من أن يجعل شعره وسيلة للارتزاق ،
أو التزلف فيتقرب للملوك والحكام من طريق الشعر .

وعلى الرغم من أن الشاعر لم ييكر في إنشاد القصائد ، التى يمدح بها الناس ،
أو لم تمكنه الحياة أن يكون شاعر مدح ، فإن هذا لا يعنى ألا يكون الشاعر مبكراً
في ألوان الشعر الأخرى ، أو في نظم الشعر بوجه عام . فكلياته تجمع الكثير من
ألوان الشعر ، وهى — فى مجموعها ، وموضوعها ، وكثرتها — تدل دلالة واضحة على
أن الشاعر بكر فى النظم منذ وقت يسمح له بإنشاد هذا القدر الضخم من الشعر .
ومع ذلك فلم يعرض الشاعر — قصداً — لمدح « سعد بن زنگى » — حاكم فارس —
فى صدر حياته الأولى ، وإن كان قد مدحه — عرضاً — فى المواضع التى
سنعرض له .

ولا يصعب علينا تفسير هذه الظاهرة ، إذا لاحظنا هذه الاعتبارات الآتية :

١ — نلاحظ أنه لم ينشد شيئاً من القصائد فى لونه المدح أو الرثاء ، حتى
حدود الخمسين من عمره تقريباً . فإنه كان يزهد فى هذا النوع . كما أشرنا
إلى ذلك سابقاً . وكانت أول مدائحه ، ما قاله يمدح فيها « أبا بكر بن سعد » فى
مقدمة كتابه « بوستان » .

وأول مرثيه مارثى فيها الخليفة « المستعصم و بغداد » وكان تاريخ تقديمه
« البوستان » سنة ٦٥٥ هـ وقصائده فى الخليفة سنة ٦٥٦ هـ .

(١) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ٢٠٢ طبعة ليدن .

٢ — كذلك يمكن أن يقال ، إنه في الوقت الذي تفتحت فيه حاسته الشعرية ، في عهد « سعد بن زنگي » قد عاف الحياة المضطربة في فارس ، ورحل عنها إلى غيرها ، يخفف عن نفسه ، كما سنعرض إلى ذلك . فحتى موطنه الذي درج فيه لم يربط نفسه به ، ولم يعبأ بكثير أو قليل مما يدور فيه ، وقد بدأت رحلاته في أواخر عهد هذا الأمير .

٣ — يرى الأستاذ القزويني أن « سعدى » في سنة ٦٢٣ هـ — وهي السنة التي توفي فيها سعد بن زنگي — كان لا يزال شاباً في حدود العشرين أو فوقها بقليل ، ومن البديهي — في رأيه — أنه في تلك السن لم ينضج شعره ، كذلك لم يكن من الشهرة بحيث يستطيع معاشرته الملوك والكبراء ^(١) .

هذا ما يفسر لنا — إلى حد ما — تلك الظاهرة ، وهي عدم وجود مدائح للشاعر في « سعد بن زنگي » مستقلة . وهي الظاهرة التي أخذ منها بعض رجال الأدب أن « سعدى » لم يتخلص باسم هذا الأمير ، وإنما كان تخلصه مأخوذاً من اسم حفيده « سعد بن أبي بكر » وسنشير إلى ذلك عند الكلام على تخلصه . ومع ذلك فهناك بعض المواضع التي عرض فيها الشاعر لمدح هذا الأمير ، لكنها تجيء في ثنايا مدائمه لابنه « أبي بكر بن سعد » ^(٢) .

٥ — أبو بكر بن سعد : ٦٢٣ — ٦٥٨ هـ

لو أردنا تمثيل حياة هذه الأسرة ، لكانت أشبه بخط ، يكون مثلثاً . تبدأ إحدى نقط القاعدة عند أول حاكم منها ، وهو « سنقر » ثم يأخذ هذا الخط في الارتفاع — تدريجياً — حتى يبلغ القمة في عهد « أبي بكر » . إذ يعتبر عصره

(١) سعدى نامہ ص ١٠٤

(٢) انظر کلیات فروغی ص ٢٤٢ ، ٣٠٥ وسعدی نامہ ص ١٠٢ — ١٠٥

فى الحقيقة العصر الذهبى لهذه الأسرة . ثم يأخذ شأنها فى الانخفاض ، حتى تنتهى إلى عهد « أبش خاتون » وهى النقطة التى ينتهى عندها الخط الذى تصور به حياة تلك الأسرة .

والواقع أن هذا الأمير — كما قدمته معظم الكتب — يعتبر على قمة أمراء الأتابكة من حيث طول الحكم ، واستقرار النظام ، واتساع نطاق الفتوحات ، وتشجيع العلماء ، وكثرة المنشآت .

ونحن نشير إلى طرف مما سجله بعض المؤرخين فى التعريف به . فصاحب « شيراز نامه » يقول :

« أتابك أبو بكر چراغ دودمان سلغرو واسطه قلاده سلطنت بود ، بحكم وراثت واستحقاق على الاطلاق در خطه فارس مالك تاج وتخت گشت . وكوكب دولت در عهد او باوج ارتقاء واقتران يافت . »

إلى أن يقول :

فالدين مستبشر ، والمجد مبهج والعرف منهمر ، والملك مفتخر^(١)

ويذكره « محمد بن قيس » فى كتابه « المعجم فى معايير أشعار العجم » عبارة مستفيضة ثبت منها ما يأتى :

« خدواند پادشاه معظم ، خاقان أعظم ، مالك رقاب الأمم ، مولى ملوك العرب والعجم ، أعدل ولاية العالم ، أكمل رعاة بنى آدم ، مظفر الدنيا والدين ، غياث الاسلام والمسلمين » إلى أن يقول : « وارث ملك سليمان السلطان الأعظم أتابك أبو بكر بن سعد^(٢) » .

ويرى الأستاذ القزوينى أن كلمة « أبا بكر » اسماله وليست كنية^(٣) . كذلك يذكر « الوصاف » أنه لقب بلقب « قتلغ خان » وهو لقب تركى ، استحققه

(١) شيراز نامه ص ٥٥ (٢) المعجم فى معايير أشعار العجم ص ٨

(٣) سعدى نامه ص ١٠٦

من « فا آخان » حين دخل في طاعة المغول ، ودفع ما التزمه اليهم ، وعبارته « والتزام خراج وأتاوات نمود ، قا آن سيورغاميشي را يرليغ بالقب قتلغ خان أرزاني داشت » (١) .

ومعنى « قتلغ خان » كما يفسرها الأستاذ القزويني « قتلغ بمعنى مبارك وسعيد » « وخان بمعنى ملك » فمعناها « الملك السعيد » (٢) . ويسجل بعض المؤرخين اسمه مقروناً بهذا اللقب . فيؤرخ له صاحب « شيرازنامه » تحت عنوان « ذكر أتابك مظفر الدين خان أبو بكر بن سعد بن زنكي بن مودود السلغرى » (٣) .

أما كلمة « مظفر الدين » فهي لقب عرف به جميع ملوك السلغريين ، من أولهم حتى آخرهم ما عدا أش خاتون (٤) .

كيف تولى أبو بكر الحكم ؟

عرفنا سابقاً أن أبا بكر — حين رأى أباه قد انهزم في حربته مع السلطان محمد الخوارزمشاهي ، وتنازله عن ثلثي خراج فارس ، وقبوله زواج ابنته من جلال الدين — حين رأى ذلك ، عقد العزم على الخروج على أبيه ، في جمع من حاشيته ، وخواصه لكن الأمر انتهى بانتصار أبيه عليه ، وزجه في السجن ، فأمضى فيه سبع سنوات (٥) .

فلما دنا الأجل من أبيه ، فكر فيمن يخلفه على الأمر ، فأرسل في طلب ابنه « أبي بكر » فمك إيساره ، وجيء به ، فتولى شئون فارس ، كما يذكر صاحب « شيرازنامه » .

(١) وصف ١٥٦ (٢) سعدى نامه ص ١٠٦

(٣) شيراز نامه ص ٥٥ — ووصاف ص ١٥٥

(٤) سعدى نامه ص ١٠١ (٥) شيراز نامه ص ٥٥

ولكن مؤرخاً آخر ، هو صاحب « جامع التواريخ » ويأخذ برأيه الأستاذ « القزويني » يذكر أنه كان بين وفاة أبيه وتوليته بضعة شهور ، وأنه ظل حبيساً في قلعة « سبيد » ، فلما قضى « سعد بن زنگي » ، أخفى أمر وفاته ، وزيره « غياث الدين اليزدي » ، وبعث سراً من أطلق أبا بكر من سجنه ، وجيء به بين يدي الأمراء ، والجيش ، فأعلن لهم أن « الأتابك سعدا » . قد مات ، وأنه استخلف على الولاية ، ولي عهده « أبا بكر » فرضح هؤلاء للأمر ، وأعلنت امارته (١) .

أما تاريخ ولادته ، فلم يعلم على وجه التحديد ، لكن لما كان قد بلغ السابعة والستين عام وفاته ، كما يصرح بذلك « رشيد الدين » (٢) وكانت وفاته في الخامس من جمادى الآخر سنة ٦٥٨ هـ ، كما يذهب إلى ذلك أيضاً نفس هذا المؤرخ وغيره (٣) ، فلا بد أن يكون مولده في حدود سنة ٥٩١ هـ .

ولما كان عهد « أبي بكر » هو أزهى العصور وأطولها ، إذ يبلغ ستة وثلاثين عاما ، وعاش في عهده الشاعر ، واستظل برعايته ، بعد أن عاد إلى موطنه ، فإننا نورد كلمة لمظاهر الحياة في عهده ، ونقسم الكلام فيها إلى مايتأتى :

١ — السياسة الخارجية .

٢ — السياسة الداخلية .

٣ — الحركة العلمية .

(١) سعدى نامه ص ١٠٧

(٢) جامع التواريخ ص ٣٣ طبع بلوشه وسعدى نامه ص ١٠٧

(٣) شيراز نامه ص ٦١ — ويجعل وفاته في جمادى الأولى سنة ٦٥٨ هـ . وبهذا يذهب صاحب « تاريخ گزيده » أيضاً وإن لم يذكر الشهر . ص ٥٠٨

أولا - السياسة الخارجية

كان « سعد بن زنگي » قد صانع الخوازمشاهيين ، والمغول من بعدهم ، وأدرك - ببعد نظره - ألا حيلة له لمقاومة هذا الطغيان ، فدخل في طاعتهم ، وقبل أن يتمكن بالاستقلال الذاتي - داخياً - وأن يدفع لهم الجزية ، إبقاء على إمارته ، وبهذا سلمت الإمارة من غارة المغول ، كما رسم بهذه الخطة الطريق لابنه من بعده ، فسار عليها ، وبهذا ظل عرشه في مأمن من تقلب الأحداث ، ووجه همه إلى الإصلاح الداخلي ، الذي كانت ولايته محتاجة إليه أشد الاحتياج نظراً لما قاسته من أهوال الحروب والتخرب في الفتن المتتالية ، التي انتابت الولاية بأجمعها ، وخاصة في الحرب التي نشبت بين أبيه وبين « أزبك بهلوان » وبينه وبين « السلطان محمد وابنه غياث الدين^(١) » . وهي الحروب التي أسلفنا الإشارة إليها في عهد أبيه .

وكان دخوله كذلك في تحالف مع المغول ، خطوة موفقة ، أمنت على إمارته ، ووطدت له الحكم ، قهياً لوجه الإصلاح الأخرى ، التي تطلبتها ولايته . ويشير المؤرخون إلى أن تصافيه مع المغول ، كان حركة بارعة ، دلت على بعد نظر وإصابة رأي . فيذكر «وصاف»^(٢) :

« وير كمال عافيت أندشی ، واصابت تدبير او این نكنه دبلی قاطع أست ، كه چون با دشاه گیتی ستان چنگیزخان برملوك وممالك مالك شد ، وعالميانرا آثار بأس وسطوت لشكر تبار معلوم گشت ، اظهار ايلي كرد وتنسقات وعرضات درصحبت برادر زاده خود تهمتن ، ببندگی قا آن فرستاد ، والتزام خراج وأتاوات نمود . قا آن سیور غامیش را برلینج بالقب قتلغ خانی أرزانی داشت ، وسلطنت ممالك موروث بروی مقرر فرمود » .

(١) شیراز نامه ص ٥٦

(٢) وصاف ص ١٥٦

على أن الأمر لم يقف « بأبي بكر » في مصانعة المغول إلى هذا الحد ، بل نراه يبالغ في ذلك مبالغة ملحوظة . فقد أمد جيش المغول حين حصاره بغداد بجيش من قبله — وهو الأمير المسلم ، السني المذهب ، المتفق مع الخليفة الإسلامي ، في دينه ومذهبه — أرسل جيشاً تحت إمرة ابن أخيه « محمد شاه ابن سلغر شاه ^(١) » فلما تم الفتح لهولاكو ، عاد فأرسل ابنه « الأمير سعداً ابن أبي بكر تهنئته ^(٢) » .

لكن هذه السياسة ، التي رسمها سعد ، وانتهجها أبو بكر ، ومضى عليها خلفاؤه من بعده ، إن كانت قد أمتتهم على البقاء في الحكم ، إلا أنها فتحت الباب على مصراعيه للتدخل الأجنبي الذي أصابها من المغول في توجيه السياسة العليا للدولة . فشعر الأمراء من بعده أن المغول لا بد من اعترافهم بمن يتولى شأن الإمارة ، وستبدو هذه الظاهرة فيمن خلفه ، فإن الذين جاؤا بعده كانوا ولاية ضعافا ، قصر عهدهم ، وطال نزاعهم ، مما أدى إلى التدخل الفعلي من المغول ، وتوجيه السياسة حسب ما تمليه رغباتهم ، إلى أن قضى نهائياً على سلطان الأتابكة أيام « أبش خاتون » .

وبعد أن مكن « الأتابك أبو بكر » لإمارته في الداخل ، واستتب له الأمر ، وصانع المغول ، وأمن غائلتهم ، وجه همه نحو توسيع رقعة بلاده ، وكان الجانب الغربي من ولايته مطمح أنظاره . ذلك أن الجانب الشمالي كان يجاور مملكة الخوارز مشاهيين ، وقد بدأ يدخلها المغول من الشمال ، منحدرين من الشرق ، والجانب الجنوبي منها ، يحيط به ساحل المحيط الهندي ، والجانب الغربي بلاد العرب ، لا يفصلها عنها إلا ذلك الخليج الضيق خليج فارس .

كان بهذا الخليج عدة جزر متناثرة ، على القرب من شاطئيه ، ذات غلات

(١) سعدى نامه ص ١٠٥

(٢) حبيب السیر ص ١٣٠

قيمة ، يتولى شئون الجزء الشرقى منها ، أسرة قديمة تعرف بأسرة « بنى قيصر » .
ويتولى الجانب الغربى بعض أمراء العرب .

رغب « أبو بكر » فى ضم هذه الجزر إلى إمارته ، وامتدت مطامعه إلى عبور الخليج الفارسى ، والاستيلاء على البحرين ، وعلى بعض الجزر القريبة منها . فبدأ فتوحاته بالتوجه إلى جزر الجانب الشرقى ، فى الخليج الفارسى ، وكانت أسرة « بنى قيصر » تشرف على إدارة جزيرة قرب الشاطئ تدعى جزيرة « قيس^(١) » وكانوا يتولون أمورها منذ أيام الديلملة . فإذا كان عصر الأتابكة بفارس ، كانت حكماها على وفاق ، وحسن جوار ، مع أمراء تلك الأسرة . ففي عهد « سنقر بن مودود » بدأوا يرسلون الرسل من قبلهم لتقديم فروض الولاء .

فإذا كان عهد « أبى بكر » أسند أمر هذه الجزيرة إلى رجل منهم يدعى « ملك سلطان بن قوام الدين بن تاج الدين بن شاه بن جمشيد » . لم يرض بالإذعان لأبى بكر ، وشق عصما الطاعة عليه ، فجرد أبو بكر جيشاً ، واستولى على الجزيرة بأكملها ، فأضيفت إلى ممتلكات فارس^(٢) .

كان هذا إيذاناً بفتح بقية الجزر الموجودة بالشاطئ الشرقى ، فلما سقطت جزيرة قيس ، وجه فتوحاته إلى جزيرة أخرى تدعى « كيش » ، وقتل آخر ملوك أسرة « بنى قيصر » المسمى « ملك سلطان » واعمل القتل والتنكيل فى أتباعه ، وقد سقطت هذه الجزيرة فى الثانى عشر من جمادى الآخر سنة ٦٢٦ هـ^(٣) .

لكن القائد الذى تولى فتحها وكان يسمى « سيف الدين أبا نصر علياً بن

(٢) وصاف ص ١٧٥

(١) وصاف ص ١٧٠

(٣) المصدر نفسه ص ١٧٥

تقباد « أراد اغتصاب الملك لنفسه ، فى تلك الجزيرة ، فأعلن العصيان على الأتابك ، إلا أنه لم يظفر بذلك . وتم الأمر لأبى بكر على هاتين الجزيرتين ، بل على جميع بلاد الساحل الشرقى فى سنة ٦٢٨ هـ .

لم تقف مطامع أبى بكر عند استيلائه على جزر الجانب الشرقى ، من الخليج الفارسى ، بل امتدت مطامعه إلى الاستيلاء على جزر الجانب الغربى كذلك ، وكانت هذه الجزر تابعة لأمرأء من العرب .

بدأ بفتح جزيرة تسمى « أوال » وتشتهر « بالبحرين » ، وقضى على أميرها المسمى « محمداً بن محمد بن أبى ماجد ^(١) » ثم فتح « القطيف » وتم له ذلك فى يوم الجمعة الثانى من ذى الحجة سنة ٦٣٣ هـ ^(٢) . ولما انتهى من فتحها أقام عليها أميرين عربيين هما « عصفور بن راشد بن عمير ومانع بن على بن ماجد ابن عمير » وقبلأ أن يؤدى الجزية له سنوياً ، وبلغ مقدارها اثنى عشر ألف دينار مصرية ^(٣) .

شغلت هذه الفتوحات كثيراً من حكم « أبى بكر » فقد بدأت سنة ٦٢٦ هـ وانتهت سنة ٦٣٣ هـ . وقد أدى فتح هذه الجزر إلى علو منزلته ، وارتفاع شأنه ، وتناقل الناس سطوته على امتداد المحيط الهندى من خليج البصرة ، حتى سواحل الهند ، كما يقول « وصاب » .

بل يقول « صاحب حبيب السير » إن بعض بلاد الهند كانت تذكر اسمه فى الخطبة ^(٤) ، وبهذا تشير طرة توقيعه التى أثبتها « الوصاب » كما يأتى « وارت ملك سليمان ، عادل جهان ، سلطان البر والبحر ، مظفر الدنيا والدين أبو بكر » . وكان توقيعه « الحكيم لله ^(٥) » .

(٢) حبيب السير ص ١٣٠

(٤) حبيب السير ص ١٣٠

(١) وصاب ص ١٧٩

(٣) وصاب ص ١٧٩

(٥) وصاب ص ١٧٨

ثانياً — السياسة الداخلية

اشتهر «أبو بكر» باليقظة، والحذر، وحسن اختيار الناس، وبلغ من حرصه على الإشراف بنفسه على أمور الدولة، أن كلف وزراءه وعماله الرجوع إليه . في كل الأمور — صغيرها وكبيرها — وكان يحاسبهم بنفسه ، في أوقات فراغه ، وكل من ثبت إهماله في عمله رفعه منه ^(١) .

كان أبوه في عهد حكمه قد استوزر رجلا يسمى «ركن الدين صلاحا الكرمانى» . لكن لم تطل وزارته كثيراً، إذ ضعفت الثقة به ، فعزل ^(٢) فولى بعده «الصاحب السعيد عميد الدين أسعداً الأبرزى» . فلما انتقل الحكم إلى أبي بكر، أبعده عن الوزارة ، إذ أحاطت به الشكوك والتهم ، وثبت عليه أنه كان متصلاً مع خصوم أبيه ، وهو السلطان «محمد خوارزمشاه» . كما سمع عن قصيدة له مدح فيها السلطان على خلعة نالها من أمير المؤمنين ، جاء فيها قوله :

وقيت الردى ، يا من بأفعاله غدا
لواء المعالى والحامد عاليا
وأضحى به روض الشرائع ناضراً
وأمسى به صدر الممالك حاليا
صوارمك البيض البواتر غادرت
ديار الأعادى ، مقفرات خواليا
غدا لمعاليك الزمان مواليا
مطيعاً ، وأبناء الزمان ، مواليا
وجاءتك من دار الخلافة ، خلعة
بعلياك ، نالت مفخراً ، ومعاليا
كذا القطرات النازلات من السما
• إذا ما حللن البحر ، صرن لآليا ^(٣)

أحس «أبو بكر» من خلال تلك القصيدة أن الشاعر في إشارته للخوارزمشاهى ، يسئ إلى أولياء نعمته . فإذا عرفنا أن الحرب كانت بين الأسرنيين وأن أبا بكر غضب على أبيه ، بسبب قبوله شروط الصالح الفادحة ، وأنه نفر من

(١) وصاف ص ١٥٧

(٢) حبيب السير ص ١٢٩

(٣) وصاف ص ١٥٦

تنفيذها ، وشق عصا الطاعة على أبيه ، حتى ألقى في غياهب السجن ومكث به
سبع سنوات

إذا عرفنا كل ذلك ، أدركنا — إلى أى حد — كان مبلغ تأثير هذه
القصيدة في نفس أبي بكر ، وخاصة في مثل عبارته «غدا لمعاليك» فاحتمد الغضب
بنفس أبي بكر ، ولم يجد بداً من أن يزج بهذا الوزير في السجن ، ومعه ابنه «تاج
الدين محمد» في قلعة «شكنوان» . فنظم في ذلك رباعية بعث بها إلى «أبي بكر» ،
كى يخلصه من هذا السجن هي :

« اى وارث تاج وملكى وأفسر سعد بخشای خدای راجان و سر سعد
بر من كه چونام خویشتن تا هستم همچون ألف ایستاده ام بر سر سعد» (١)

فلما استقر في السجن ، أنشد قصيدة عربية مشهورة مطلعها .

من يبلغن حمامات بيطحاء ممتعات بسلسال وخضراء

وتعرف هذه القصيدة « بالشكنوانية » نسبة إلى القلعة التى حبس فيها ، فلما
تعمد عليه الورق والمداد لكتابتها ، أملاها على ابنه ، فنقشها على الحائط حتى حفظها ،
وظل الوزير بالسجن حتى توفى سنة ٦٢٤ هـ ، وبعد وفاته ، أخرج ابنه ، فروى
القصيدة على « صفى الدين أبى الخير بن أبى الفتح السيرافى » ابن خال الصاحب
السعيد الوزير (٢) .

أما وزراء الذين عينهم بنفسه فكثيرون ، يذكر صاحب « شيرازنامه » أن
أشهر هؤلاء الوزراء هو الأمير « مقرب الدين أبو المفاخر مسعود » والأمير « فخر
الدين أبو بكر » ، وكان « أبو المفاخر مسعود » محل تقدير واحترام من مشايخ
عصره ، ومن أشهر آثاره مدرسة عالية ، أقامها بالسوق ، واشتهرت « بمدرسة مقرب »

(٢) ووصاف ص ١٥٦

(١) شيرازنامه ص ٥٧

ثم أقام بالقرب منها ، رباطا متصلا بالمسجد العتيق بشيراز ، وأنشأ بجوار الرباط ، داراً للحديث ، وأخرى للعلاج . كما شيد سبيلا للشراب ، لم يكن له مثيل في شيراز علواً واتساعاً ، ووقف على تلك المنشآت أوقافاً كثيرة ^(١) .

ويذكر صاحب « تاريخ كزیده » أنه كان رجلاً حسن الطوية ، خبيراً ، لم يبلغ شخص آخر ما بلغه من المنزلة في عهده ، وكل إليه « أبو بكر » تربية أولاده وخواتينه . ^(٢)

أما الوزير الأمير « فخر الدين أبو بكر » فقد أمضى عهده كذلك ، في إقامة المنشآت الهامة ، فابتنى على مقربة من باب قصر الأتابك ، مسجداً جامعاً ، وأقام بجواره رباطاً ، وداراً للحديث وداراً للعلاج ^(٣) ، وجعل الجميع في مكان واحد .

ويشير الأستاذ القرويني إلى اسمه كاملاً في قوله « الأمير فخر الدين أبو بكر ابن أبي نصر الحوایجی » ويقول عنه إنه كان أول أمره ممن تخيرهم « أبو بكر » لتدبير شئون مأكله ، ومن هذا كانت نسبته « الحوایجی » ثم ابتسم له الخط ، وارتقى حتى نال الوزارة ^(٤)

وهذا الوزير هو الذي مدحه الشاعر « سعدی » في مقدمته على « الغلستان » بعبارة جاء فيها

(أمير كبير ، عالم عادل ، مؤيد مظفر منصور ، ظهير سرير سلطنت ، وبشير تدبير مملكت ، كهف الفقراء ، ملاذ الغرباء ، مربى القضاة ، محب الأتقياء ، افتخار آل فارس يمين الملك ...) ^(٥) .

كذلك يقال إنه رثاه بقصيدته التي مطلعها .

« وجود عاربتی دل در نشاید بستم همانکه مرهم جان بود دل بنیش بخست » ^(٦)

(١) شیراز نامه ص ٥٩ ، (٢) تاریخ کزیده ٥٠٧

(٣) وصفان ص ١٦٠-١٦١ (٤) سعدی نامه ص ١٣١

(٥) کلیات فروغی ص ٧٨ (٦) سعدی نامه ص ١٣٢

أما الأتابك « أبو بكر » نفسه ، فيجمع المؤرخون على أنه لم يترك وجهاً من وجوه الإصلاح ، إلا نهض به ، فقد وجه همه في الإصلاح الداخلى ، إلى جميع نواحي الحياة ، سواء ما كان يتصل منها بالحياة الدينية ، أو العلمية ، أو الاجتماعية ، أو السياسية . فابتنى المساجد ، وشيد المدارس وأقام المستشفيات ، وأصلح القرى ، وغرس الحدائق العامة ، واعتنى بالمزارع ، وأقام الطواحين ، وشيد الأربطة ، كل ذلك في جميع نواحي فارس ، وحبس عليها الأوقاف الكثيرة لينفق منها ^(١) .

ثالثاً — الحركة العلمية في شیراز في عهد أبى بكر

يبدو أن الروح الدينية كانت متغلغلة في نفس هذا الأمير إلى حد كبير ، فبالرغم من أنه ألقى في السجن وزيراً استوزره أبوه من قبل ، وألقى به ابنه كذلك ، فإن هذا التصرف كان لما رآه فيهما من خصلة النفاق الوضيعة ، ولأن تدبير أمور الدولة يحتاج إلى الاستعانة بمن يخلص له النصيح ، ويصدق المشورة ، فكان هذا هو الباعث الذى حدا به إلى إلقاء الرجل وابنه في السجن .

وقد بالغ « أبو بكر » في احترامه لرجال الدين إلى حد الإسراف ، بل إلى حد كراهيته للعلوم الأخرى المنطقية والفلسفية ، وكراهيته لرجالها كذلك . وسنفسر هذه الظاهرة في نفسية هذا الأمير ، لعلنا ندرك منها كيف تكيفت حياته الشخصية ، بل الحياة العامة في شیراز عاصمة ملكه ؟ بل لعلنا ندرك أخيراً — كيف أوحى هذه الحياة الدينية ، التى طمح إليها « أبو بكر » — إلى شاعر مثل « السعدى » أن يساهم فيها ، فينظم هذا النوع من شعره الأخلاقى التعليمى . لعل فيه ما يسد هذه الرغبات الطموحة إلى هذا التوجيه ، ولعل فيه كذلك ما يعالج هذه الأوضاع الاجتماعية ، التى آلت إليها الحياة العامة في ذلك العصر ؟ .

(١) وصصاف ص ١٥٧ وتاريخ كزیده ص ٥٠٨ وحبيب السير ص ١٢٩
وشیراز نامه ص ٦٠

أما تربية « أبا بكر » الأولى فإنها كانت بين أحضان رجال الدين ، وقد حُبب إليه أبوه معاشرته هذه الطائفة ، واحترامها ، بل كان يحضر به — وهو لا يزال يافعاً — مجالس العلماء . وكانت فارس — إذ ذاك — تزخر بالكثير من العلماء الدينيين ، والمتصوفة على الإطلاق ، وظهر فيها — بوجه خاص — في هذا العهد طائفة كبيرة من هاتين الجماعتين ، وكان رجالهما محل تقدير الحكام ، وملتقى رعايتهم وإكرامهم .

وكانت فارس في عهد أبيه « سعد بن زنگي » تحتضن كثيراً من الشخصيات العلمية ، وكانت شیراز خاصة قبلة أنظارهم ؛ ومن كبار العلماء الذين كان يحلهم ويحضر مجالسهم ، مصطحباً ابنه « أبا بكر » معه العارف ، العالم « روزبهان » المتوفى سنة ٦٠٦ هـ يذكره صاحب « شیراز نامه » بعبارة كلها تقدير وإجلال ، مشيراً إلى احترام « سعد وابنه أبا بكر » له . وحضورهما مجالسه .

« شيخ شيوخ الزمان ، سيد جلساء الرحمن ، شطاح فارس سيدان ، أبو محمد روزبهان . ابن أبي نصر البجلي ، مقتدای أرباب طريقت ، وپیشوای أصحاب حقیقت بود ، درفتون . علوم نظیر ندانت » إلى أن يقول :

« وأتابك سعد وأتابك أبو بكر بن سعد كه در آن عصر بسلطنت وایالت مملكت فارس اختصاص داشتند ، بمحاورت ومعارضت آن حضرت مستبشر ومفتخر بودندی » (١)

فإذا عرفنا أن « أبا بكر » ولد في حدود سنة ٥٩١ هـ وأن هذا الشيخ توفي سنة ٦٠٦ هـ ، وأنه خلال هذا الزمن ، لم يتجاوز الخامسة عشر ، أدركنا مبلغ حرص أبيه على توجيهه إلى تلك الناحية ، وأدركنا كذلك مبلغ حبه لطائفة رجال الدين بوجه خاص .

لازمته هذه الروح الطيبة ، نحو طائفة رجال الدين مدى حياته . ففي

(١) شیراز نامه ص ١١٦

سنة ٦٢٢ هـ حينما كان في السجن ، على إثر الخلاف بينه وبين أبيه ، أرسل خطابا إلى الشيخ « عز الدين زركوب » يلتمس الدعاء له . كما طلب إليه أن يبلغ قدوة الأبدال « نجيب الدين » ليكتب إليه دعاء . فكتب الدعاء المطلوب ، وختمه بتلك العبارة « يا لطيف أدركنا بلطفك الخفي » وقد طلب إليه أن يكررها في اليوم ألف مرة ^(١) .

فلما تولى شئون فارس ، واستوى على العرش بعد أبيه ، جعل احترام طائفة رجال الدين نصب عينيه ، واجتهد — كما يقول صاحب « حبيب السير » — في نصرة الدين الحق ، وإحياء علوم الدين ، وبذل جهداً في ذلك لم يجعل لعلوم الحكمة والفلسفة في أيامه شأنًا ، وفضل العباد والمتصوفة ، على غيرهم من رجال العلم ورجال الافتاء والمدرسين ^(٢) .

كذلك يشير « الوصاف » إلى أنه بالغ في رعاية الدين الإسلامي ، وازدهار شعائره ، وإحاطة رجاله ، إلى حد أربأ أصحاب العلوم الطبيعية والفلسفية وعبارته . « وتاحدى در تقويت دين مهدى ، و اظهار شعار اسلام مبالغت نمود ، كه در زمان او هيچ آفريده ، بظاهر در علم حكيمات وجدليات ومنطق ، كه ميزان سعى است شروع نيا راست كردن » ^(٣) .

بل لعله بالغ في ذلك إلى حد كبير ، فأساء معاملة الموجودين منهم ، في عصره وأكرههم على الهجرة من شیراز ، في قول « الوصاف » أيضاً .

« لا جرم چند افراد از ائمه نامدار و علما بزرگوار بواسطت نسبت علم حكمت إزعاج كرد ، وقهرا وجبرا از شیراز إخراج ، از آن جمله امام صدر الدين محمود الأشنهي ، والامام العلامة توده پشته ، ومولانا عز الدين ابراهيم القيسى (٤) »

ويؤيد هذا ما ذهب إليه أيضاً صاحب « شیرازنامه » ، في الفصل الذي

(١) شیرازنامه ص ٥٩ (٢) حبيب السير ص ١٢٩

(٣) وصاف ص ١٥٦ (٤) وصاف ص ١٥٨-١٥٩

كتبه عن الأئمة والعلماء الذين عاصروا أبا بكر، يذكر من بينهم «خواجه
أمام الدين جارى المكنى بأبى نصر» وكان أستاذاً «لأبى بكر» لا نظيره
فى العلوم الشرعية، ماهراً فى العربية إلى أن يقول .

«وبنا بر آنچه غالب فن أو علوم شرعى بوده، در خاطر أتابك أبو بكر نشانده
بود، كه گروهى علما كه بعلوم حكمت وأصول مهارق دارند، بخلافت سنت
وجامعت درس ودور ایشان مى گذرد، وعوام شیراز را اضلال میکنند، أتابك
أبو بكر باخراج ایشان از شیراز حكم فرمود. از آن جمله صدر الدين أثنى استحضار
واستبصاراً وبكليات علوم عقلی، چون بياض نهار أضافت بمنت استفنادانت ودد علم
إلهيات وطبيعيات وهندسة وهيئة وجدليات وأدبيات سعى فرموده بود، واين جمله
درس گفتى، وامام شهاب الدين توده بشتى، وبولانا عز الدين قيسى وجهى أرائمه
ديگر هم از اين مقدمات از شیراز تبعيد فرمود» (۱).

ومن كبار الشخصيات الدينية التي عاصرت «أبا بكر» ونالت إعجابه،
وتقديره القاضي «جمال الدين أبو بكر بن يوسف بن أبى نعيم المصرى». تخيره
أبو بكر ليتولى منصب قاضى القضاة بفارس كلها، وكان من تصانيفه شرح
مقامات الحريرى. يقول عنه صاحب «شیراز نامه» .

«أتابك أبو بكر عظيم معتقد سيرت حسنه وآداب وأخلاق مرضيه أو گشت .
وچون فضائل وكمالات باطريق أخلاق حميده جمع داشت، منصب قاضى القضاة
فارس را بر او مسلم فرمودند» (۲).

وقد مدح بعض الشعراء هذا القاضى بقوله :

بضاعتى المزجاة مولای فاقبلن فأت عزير المصر بل أوحد العصر
وأوف لنا كیل العناية مفضلاً يزد لك ربى بسطة الجاه والقدر (۳)

يتضح من هذا أن فارس فى عهد الأمير «أبى بكر» كانت تغلب عليها روح
دينية صوفية، وقد مكن لرجال الدين، والصوفيين فى حياته، وبالغ فى إكرامهم

(۱) شیراز نامه ص ۵۷-۵۸ (۲) شیراز نامه ص ۱۲۶

(۳) وصاف ص ۱۵۸

وتقديرهم ، فكان يحضر دروسهم ، وكان يطلب دعاءهم ويسأل رضاهم . بل بالغ في احترامهم وتقديرهم إلى حد جعله يصفى لمشورتهم ويبدد غيرهم من رجال العلوم النظرية .

تحديد السنوات التاريخية في حياة بى بكر

يهمنا هنا ، في تدوين عصر هذا الأمير ، أن نشير — بقدر الإمكان — إلى تحديد السنوات التاريخية لأهم المسائل في حياته ، لنعرف مدى ارتباط الشاعر به .

عاصر الشاعر عهد هذا الأمير كله ، وأدرك السنوات الأخيرة من عهد أبيه « سعد بن زنگى » كما عاصر ابنه « سعداً بن أبى بكر » وسندرك من هذا التحقيق ، بعض المسائل الغامضة في حياة الشاعر نفسه ، مما سنضطر إلى الكلام عليها في موضعه .

ويبدفنا إلى هذا ما نلاحظه من الاضطراب الذى يتصل بحياة الشاعر وصلاته بهؤلاء الأمراء مما وقع فيه المؤرخون قديماً وحديثاً . وأخص هذا الاضطراب ما يدور حول تحديد مولده ، وتعيين تخلصه ، وهل كان مأخوذاً من « سعد ابن زنگى » أو من حفيده « سعد بن أبى بكر » ؟ .

والسنوات التى أثبتها المؤرخون «لأبى بكر» — على قلتها — يمكن أن يستمد منها باقى تواريخ الأحداث الهامة فى عصره ، والتى لم يسجل تاريخها .

وليس هناك كبير خلاف بين المؤرخين فيما ذهبوا إليه من التحديد لبعض المسائل ، اللهم إلا ما يتصل بزمان توليته ، ، وقد أشرنا إلى ذلك الخلاف سابقاً . وانتهينا إلى الأخذ بالرأى الذى قال بأنه تولى سنة ٦٢٣ هـ ، وهو الرأى الذى اعتمده أيضاً الأستاذ القزوينى عند الكلام على سنة وفاة أبيه ، وتجنينا الرأى

القائل بأن وفاته كانت سنة ٦٢٨ هـ للأسباب التي بسطها الأستاذ القزويني نفسه .
ولكن يبدو أن هناك خلافاً آخر في سنة وفاته ، وإن كان هذا الخلاف
هيناً عن الخلاف في سنة ولايته، ذلك أنه لا يعدو من الفرق الزمنى عاماً واحداً .
فيجعل صاحب « شيرازنامه » وفاته في جمادى الأولى سنة ٦٥٨^(١) ، بينما يجعل
« وصال » هذا التاريخ سنة ٦٥٩ هـ^(٢) دون تحديد للشهر ، وإن كانا يلتقيان
بعد ذلك ، في تحديد مدة حكمه وسنه حين أدركته المنية ، فيجمعان على أن حكمه
امتد ستاً وثلاثين عاماً ، وأنه توفي في سن السبعين .

« ورشيد الدين » وهو معاصر له ، يلتقي مع صاحب « شيرازنامه » في سنة
وفاته ، ويختلف عنه فقط ، في تحديد الشهر ، فيجعله جمادى الآخر من العام
نفسه^(٣) . ولكنه يذهب في مدة توليته السلطان مذهباً مخالفاً للثنتين ، فهو يرى
في شيء من دقة التحديد ، أن مدة سلطنته هي أربعة وثلاثين عاماً وستة أشهر
واثنا عشر يوماً^(٤) . فكان وقت جلوسه على العرش كان في أحد الجُماد بين
سنة ٦٢٣ هـ .

أما سنه وقت وفاته ، فإن « رشيد الدين » يخالف كذلك ماذهب إليه
« وصال » وتبعه في الرأي صاحب « شيرازنامه » . فبينما يجعلان وفاته في سن
السبعين يجعل « رشيد الدين » سنة وفاته في السابعة والستين .

ونحن — من جانبنا — نميل إلى الأخذ برأى « رشيد الدين » فإنه معاصر

(١) شيرازنامه ص ٦١

(٢) وصال ص ١٨٠ . ويشير الأستاذ القزويني إلى أن ساوردي نسخة « بمبي »
مخالفة لبعض النسخ الخطية من كتاب وصال . ويرى أن ذلك من سهو النساخ .
فإن أغلب المؤرخين يجمعون على أن سنة وفاته هي ٦٥٨ هـ . أنظر تعليقات ص ١٠٧
من سعدى نامه .

(٣) سعدى نامه ص ١٠٧ (٤) نفس المصدر ص ١٠٦

تماماً لعهد أبي بكر، مما ساعده على تحرى الدقة فى التحديد الزمنى ، باليوم والشهر والسنة .

وانستطيع بهذا أن نستخلص سنة ولادته على وجه قريب من الدقة . فإنه لما كان قد توفي سنة ٦٥٨ هـ فى سن السابعة والستين فإن سنة ولادته تكون سنة ٥٩١ هـ .

وبجانب هذه السنوات — التى أشار إليها المؤرخون — نستطيع أن نستخلص السنوات التى وقعت فيها بعض الأحداث الهامة فى عصره ولم يشر المؤرخون إلى تحديدها . ونحن نعرف أنه كان سجيناً حتى سنة ٦٢٣ هـ حين وفاة أبيه ، وكان قد أمضى فى هذا السجن — كما يقال — سبع سنوات ، فكان القبض عليه حدث سنة ٦١٦ هـ . ولما كان هذا الأمير قد ولد سنة ٥٩١ هـ فكأنه قاد تلك الثورة ، وهو فى سن الشباب الطموح ، الذى يأبى على نفسه قبول الهزيمة والاستكانة . وعلى ذلك يكون وقت قيادته لتلك الثورة فى حدود الخامسة والعشرين ، وهو نفس السن المناسب لإدراك خطورة المؤامرة التى ذررها ، كما أنه السن الذى يستطيع فيها أن يستحوذ على ثقة رجال الدولة والأمة معاً ، وخاصة فى مثل هذه المواقف التى تحتاج إلى رفع علم العصيان وإلى المغامرة والكفاح .

الشاعر وأبو بكر بن سعد

أهم شخصية اتصل بها الشاعر ، وارتبطت حياته بحياته ، فى كثير من مراحلها . وقد امتدت مدة حكمه بفارس إلى ما فوق الثلاثين عاماً . والشاعر قد عاصر هذا الأمير ، واكتملت له حاسته الشعرية فى عهده ، وانقاد له العنان ، فنضج شعره ، وسرى فى الآفاق ، حتى وصف نفسه بأنه حاز قصب السبق فى البلاغة ، فى عهد «أبي بكر» .

« كه سعدى كه كوى بلاغت ربود در أيام بوبكر بن سعد بود
والقطعة التى يمتدح فيها هذا الأمير ترد فى « البوستان » تبلغ سبعة وأربعين

بيتاً كما في كلييات فروغى . وقد تضمنت هذه القطعة عدة أغراض هامة ، تنقل
فيها الشاعر من غرض إلى غرض ، ومن وصف إلى وصف .

ويجدر بنا أن نلم بها ، فنحللها ونشير إلى أغراضها . وترد هذه القطعة بعد
مقدمة في مدح الذات الإلهية ، وقطعة في مدح الرسول عليه السلام ، وأخرى
في سبب نظم الكتاب .

وفي مطلع القطعة يذكر الشاعر أن طبيعته لم تألف هذا النوع من مدائح
الملوك والوقوف بأبوابهم . لكن إن كان ذلك المدح على غير طبيعته ، فإنما
اندفع إليه لغرض آخر ، هو تأريخ حياته الشخصية مع حياة الأمير الذى كان
معاصراً له .

وإذا كانت الحياة قد جمعت بينهما ، في بلد واحد ، وعصر واحد ، فلا أقل
من أن يذكره الشاعر حتى يدرك الناس أن « سعدى » — وقد حاز قصب السبق
في البلاغة — كان في عهد الأمير « أبى بكر بن سعد » . هذه هي أغراض الأبيات
الثلاثة الأولى من المطلع .

« مرا طبع أزين نوع خواهان نبود	سرسدحت پادشاهان نبود
ولى نظم كردم بنسام فلان	مگر باز گویند صاحب دلان
که سعدی که کوی بلاغت ربود	در آیام بو بکر بن سعد بود »

وفي ثنايا هذه القطعة كثير من الأوصاف ، وكثير من الأغراض . يتنقل
فيها الشاعر من وصف إلى وصف ، ومن غرض إلى غرض . وأحياناً توجد
مناسبة لهذا الانتقال ، وأحياناً لا توجد ، وكثيراً ما يعود الشاعر إلى غرض سبق
الكلام عليه .

وسنعالج الكلام عليها من حيث الوحدة بينها في الغرض ، لا من حيث
ترتيب الأبيات فيها .

والشاعر نفسه يدرك أن صفات الأمير متعددة بحيث لا يحتمل كتابه هذا احتواءها أو يتسع لها ، بل لعل الأمر — لو عرض له بما يليق — لاحتاج إلى كتاب آخر بجوار هذا الكتاب . يبدو ذلك من بيتيه :

« برون بينم أوصاف شاه از حساب ننگجد درین تنگ میدان کتاب
گر آنجمله را سعدی انشا کند مگر دفتری دیگر املا کند »

ونحن نستطيع بعد ذلك أن نقسم — بوجه عام — الأوصاف التي عرض لها الشاعر إلى ثلاثة :

- ١ — أوصاف سياسية تعرض سياسة هذا الأمير في إدارته لدفة الحكم ، وحسن تدبيره لها ، وما كان لهذه السياسة من أثر ظاهر ، في داخل مملكته وخارجها ، حتى استقر فيها النظام ، وساد الأمن بين ربوعها ، وانتشر فيها العدل .
- ٢ — أوصاف اجتماعية كمنّت في طوايا الأمير ، ونشئ عليها ، وكان لها أثرها الظاهر في حياته الشخصية ، وحياة الذين أحاطوا به في قصره أو إمارته .
- ٣ — أوصاف عامة ودعاء لهذا الأمير في ختام القطعة بأن يؤيد الله ماسكه ويثبت قواعده ، ثم مدح لأبيه ، وترحم عليه .

ولنأخذ الآن في عرض ما تقدم على النحو الذي ذهبنا إليه في التقسيم وعلى نفس الترتيب :

١ — الأوصاف السياسية

ويظهر أن سياسة الرعية — بشيء من العدل والمطف ، والنظر في شؤونها بما يحفظ الحياة بينها هادئة مطمئنة — كان ذلك أمنية من الأمن التي تعتلج في النفوس القلقة المضطربة ، يرد لها طمأنينتها ، ويسكن من خوارها على ماتلقى من خشونة الحياة وعنف السياسة .

كانت هذه أمنية النفوس في تلك الأيام التي سادت فيها المحنة من جراء الغزوات المتتالية بفارس ، ومحنة الغزو المرير الذي منيت به الجماعة الإسلامية عامة في هجوم المغول .

ولعل ما فطر عليه هذا الأمير من حب الرعية وسياستها بما يطمئنها كان دافعاً لهذا الشاعر أن تتحرك مشاعره . فينشد هذه القطعة وغيرها في هذا الأمير ، وكلها تموج بأوصاف العدل ، والقضاء على الظلم ، والعمل بقدر ما في وسعه لإراحة الرعية . ولعل الشاعر لم نفتحه هذه اللفتة الطيبة ، في أن يضرب المثل بشخصية إسلامية كبيرة اشتهرت بالعدل بين الرعية ، ذلك هو سيدنا «عمر بن الخطاب» بل كانت منه لمحة لطيفة في التقابل بين «أبي بكر الأمير» «وعمر الخليفة» في هذا البيت ، مشيراً إلى عدله وحسن رعايته .

«جهانبان دين پرور داد گر نیاسد چو بوبکر بعسد از مر»

فإذا ما نلّه «بعمربن الخطاب» في عدله ورعايته للدين . يأخذ بعد ذلك في التحدث عن مظاهر هذا العدل ، في مواضع مختلفة من القطعة . لا يكاد يشعر بالمناسبة إلا وينفذ منها ، للتحدث عن هذا العدل ، وفي صورة جديدة .

وهو يصور عدله أولاً تصويراً عاماً ، بأن الإنسان لا يرى في عهده محنة وليس من يشكو ظلم القوة :

«نبینی در آیام او رنجسہ ای کہ نالد زبیداد سر بنجہ ای»

بل لعل العدل في عهده عدل لا نظير له ، عدل يستقر فيه الأمن . وتهدأ فيه النفوس الجازعة ، وتسكن الخواطر الملعة ، أفلا يكفي أن يكون العدل مبسوطاً ، حتى لو ضل الابن — في هذه الولاية — بعيداً عن أبيه ، لا طمأن كل منهما على نفسه ، و بعد الخوف عنه ؟.

« چنان سایه گسترده بر عالمی که زالی نیندیشد از رستمی »^(۱)

وبهذا يتغنى الشاعر بعدل الأمير، غناء يدفعه، بل يدفع كل من يستطيع الحديث، إلى التحدث عنه، وإلا فليعدم لسانه.

« زبان آوری کاندیرین امن و داد سیاست نگوید زبانش مباد »

فهو بهذا يشهد بنفسه على ما في تلك الولاية من العدل بالرعية، والأمن في ربوعها، بل ينكر على من يستطيع الكلام ولا يتكلم بأن يجرمه الله نعمة الكلام.

وبجانب صفة العدل — التي تغنى بها الشاعر — وصّفه أيضاً بحسن التدبير، وبعد النظر. وإذا كان الشاعر قد استطاع أن يجد القياس في مماثلته في صفة العدل « بعمر بن الخطاب » فإنه كذلك استطاع أن يعقد مشابهة له، في هذه الصفة بما فعله « الإسكندر الأكبر » في قوله مشبهاً له في سياسته مع المغول:

« سکندر بدیوار رویین و سنگک بکرد از جهان راه یاجوج تنگک
ترا سد یاجوج کفر از ست نه رویین چودیوار اسکندرست »^(۲)

هذا بعض ما يصور به الشاعر عدل الأمير، وحسن تدبيره، وذلك من الصفات السياسية.

۳ - الأوصاف الاجتماعية

أما صفاته الاجتماعية، فنحن نقدم منها — أولاً — صفة عامة. يذكره فيها بقوله إن العالم لا يذكر مثله عاقلاً، عريق الأصل، منذ كان الوجود.

چنوئی خردمنسد فرخ نرثاد ندارد جهان تاجهانست یاد

(۱) ضرب الشاعر مكشّل الأب « زال » ومثل الابن « رستم » وكلاهما بطل من أبطال الإيرانيين القدماء كناية عن مطلق أب وابن.

(۲) يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى قصة بأجوج وبأجوج في سورة الكهف « قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ؟ »

وإذا كان يوصف بذلك الأصل النبيل ، فقد بلغ — مع هذا — حداً من التواضع يشيد به الشاعر إشادة طيبة . فمع أن تاجه ، يكاد يلمس السماء ، في علو ورفعة ، فإن رأسه لا تزال — من التواضع — على الأرض .

«كله كوتسه برآسمان برين هنوز آز تواضع سرش بر زمسين»
وبجانب ما يذكر له من التواضع ، فإنه كذلك بار بالضعفاء والمعوذين . لم يعرض له مهموم في حياته ، إلا خفف آلامه ، وسكن خواطره ، وهو في هذا مدفوع بحبه للخير . لا ينبغي جزاء ولا شكورا .

«نديدم چنين گنج وملك وسرير . كه وقفت بر طفل ودرويش وپير
نيامد برش دردناك از غمي كه نهاد بر خاطرش سرهمي»
وهكذا كان للأمير من حذبه على الضعفاء ، ورعايته للمعوذين ، ذكر جميل يسرى في الآفاق ، لا تخفى عنه خافية ، وينتشر صيت كرمه في الحياة الدنيا .

«نه ذكر جهيلش نهان ميروند كه صيت كرم درجهان ميروند»
هذا الكرم الذي حدا بالشاعر أن يفاخر به ، ويشيد بمآثر الأمير ، حتى كأنه بحر في العطاء ، وكنز في السخاء . . . لا ! بل إن البحر والكنز يستمدان وجودهما من وجوده .

«زهى بحر بخشايش و كان جود كه مستظهر ند آز وجودت وجود»
وهناك صفة أخرى استلزمها الظروف العامة ، التي كان يجتازها العالم الإسلامي إذ ذاك ، فكثير من الناس كانوا يفتشون عن مأوى يلجأون إليه ، ويأمنون فيه على أنفسهم وأرواحهم ، من تلك النكبات التي واجهتهم في حرب المغول .

فإذا كان الأمير باراً برعيته ، كريماً على أهلها ، عطوفاً عليهم ، فلن ينسيه ذلك أن يحمي ذمار اللاجئين إليه . وهكذا وجدوا فيه وفي إمارته ، الأمان والنجاة

والملاذ . بل وجدوا فيها الحرم الآمن . وهو في هذه الصفة لا ينسى المقايسة أيضاً
بين تلك الإمارة وعاصمتها « شيراز » وبين « البيت العتيق » :

« گرازفته آید کسی در بنسگاه ندارد جز این کشور آرا مگاه
فطوی لباب کبیت العتیق حوالیه من کل فج عمیق »

٢ - الأوصاف العامة والدعاء للأمير :

وفي ختامها . يعرض الشاعر — إجمالاً — بيتاً ، يذكر فيه أن هذه الإمارة
بلغت حظاً من حسن الإدارة . وترتيب أمورها واستقرار نظامها ، مما لا نظير له
في غيرها — حديثاً وقديماً — حتى مملكة « فريدون » التي كان يضرب بها
المثل ، فيما سارت عليه من العظمة والقوة والجلال .

وهكذا يمضي الشاعر في تعداد عظمة هذا الأمير ، وبيان نواحيه الطيبة ،
ويعرض لنا صوراً مختلفة مما كان عليه ، من عدل وحسن تدبير ، ومن تواضع
وكرم ، وحسن رعاية لمن يقصده من اللاجئين .

والشاعر يعمد إلى تقوية هذه الصور التي يوردها ، بضرب الأمثلة المتكررة
في كل ما يعرض له من المعاني . وفي ختام هذه القطعة يسند الشاعر إلى نفسه
العجز والتقصير على أنه مهما أوتي من فصاحة أو بيان ، فلن يستطيع أن يوفيه
شكراً على ما بدا من سياسته العادلة ، ومكارمه الكثيرة .

ولهذا لم يبق أمام الشاعر — أخيراً — إلا أن يختمها برفع أ كف الضراعة
لله وحده ، فهو الذي يستطيع أن يوفيه ما هو أهل له من جزاء ، فليكن الله معيناً
له وراعياً . . .

« فروماندم از شکر چندین کرم همان به که دست دعا گسترم
جهانت بکام و فلک یار باد جهان آفرینت نگهدار بساد »

وبهذا يمضي الشاعر في الدعاء للأمير استجابة لعجزه عن الوفاء بما يستحقه
من شكر ومن تقدير .

وأخيراً ينتقل الشاعر — من هذا كله — إلى مدح والد الأمير ، والترحم عليه . هذا الوالد الذي لم تذهب ذكراه من الدنيا ، لأنه أنجب ولداً هو خير الأبناء وأحسنهم .

«نرفت أزجهان سعد زنگی بدرد که چون تو خلف نامبردار کرد»
و بعد أن يترحم على والد الأمير، في بيتين آخرين يمدح الشاعر الفرصة مناسبة للانتقال، إلى مدح الخفيد، وهو «سعد بن أبي بكر» في قوله :
«گر از سعد زنگی مثل ماند و یاد فک یاور سعد بن بویگر باد»
هذه هي القطعة التي يقدم بها الشاعر هذا الأمير للناس، والتي أخذ منها بعض رجال الأدب أن الشاعر قدم كتابه «البوستان» لهذا الأمير.
وفي الكتاب عامة يردد الشاعر — في مواضع مختلفة منه — أوصافاً لهذا الأمير، تدور حول العدل، والكرم أيضاً. تأتي في بعض قطعه من بابي العدل، والإحسان في ذلك الكتاب^(١).

وهناك بجانب هذا مواضع وردت في كتابه الآخر «الگلستان» عرض فيها لذكر هذا الأمير^(٢).

أما القصائد التي نظمها الشاعر فقد ورد فيها قصيدتان في رثائه خاصة^(٣) كما ورد ذكره عرضاً في قصيدتي رثاء الخليفة^(٤).

٦ — سعد بن أبي بكر ١٨ يوماً من سنة ٦٥٨ هـ

رأينا كيف صور المؤرخون عهد أبيه من قبل، وأن عصره — بإجماعهم — كان أزهى العصور. بلغت الدولة القمة في عهده، من حيث الاستقرار،

(١) کلیات فروغی . بوستان ص ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٣٨٦

(٢) کلیات فروغی ص ٧٥ ، ١٩٣ ، ٧٩٩

(٣) المصدر نفسه ص ٤٨٣ ، ٤٨٥

(٤) المصدر نفسه ٤١٤ ، ٤٨٦ وانظر سعدی نامه — قزوینی ص ١٠٥ — ١١٠

والإتساع ، والإينشاء ، والتعمير . ومن حيث الحياة العلمية ، حتى عد عصره بحق العصر الذهبي .

والواقع أنه ما كاد يموت « أبو بكر » حتى حل الضعف والانحلال بالدولة ووقف الإنشاء والتعمير . بل وقف النمو في جميع نواحي الحياة ، وأخذت الحياة السياسية وغيرها ، تتدهور بعد عهد « أبي بكر »

وكان مرد هذه الأمور راجع — في كثير من الأحيان — إلى قصر عهد أمرائها ، من جانب ، وإلى الفتن الداخلية — التي نشبت بين الأمراء وأولياء العهد للوثوب إلى كرسى الإمارة — من جانب آخر ، بل إن بعض الأمراء كان من صغر السن ، والضعف بحيث تدخلت السيدات في الولاية عليهم ، وإدارة شئون الإمارة بأيديهم .

وبجانب هذه العوامل لاننسى أن نذكر أن السياسة التي رسمها المغول في شئون هذه الإمارة ، بدأت قبل هذا . لكن نفوذهم أخذ يقوى في الإمارة على حساب ضعف حكامها ، ومد هؤلاء أيديهم للمغول ، يلتصقون السلطة ، وتثبيت العرش .

وكما ضعف نفوذ الأمراء ، قوى نفوذ المغول ، حتى انتهى الأمر أخيراً بانتقال الحكم إلى أيديهم أيام « أبش خانون » . فولوه بعض أمرائهم ، أو بعض من يتوسمون فيه حسن الإدارة ، وصدق الإخلاص لهم .

وسيتضح ذلك مما سيأتى ، ابتداء من عهد هذا الأمير . وهذا ما تصور عبارة « وصاف » .

« وأزآن تاريخ تا امروز روزن بلا فراخ تر ميشود ، وعقده أسور مشكل ميگردد »

و يتمثل بهذا البيت في تصوير تلك الحالة .

«لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا مضى سليمان وانحل الشياطين»^(١)
ونلاحظ أنه بعد أن تولى «سعد بن زنگى» عرش الإمارة بعد أخيه «تكلة»
جعل تولية العرش ورثة تقليدية فى بيته ، فاستحضر ابنه «أبا بكر» وفك أساره
من السجن ، وجاء به ليتولى عرش الإمارة بعد أن كان قد سجنه تأديباً له على
خروجه عليه .

وسواء أكانت شخصية «أبى بكر» ساعدت على توليته العرش ، فوثب
إليه بجدارة ، أو أنه لم يكن له مزاحم قوى ينافسه السلطان ، فإنه تولى العرش
بعد أبيه ، وكان عليه — هو أيضاً — أن يمهّد الأمر لابنه «سعد بن أبى بكر»
ولهذا أخذ يعدّه إعداداً يفتح له الطريق للوصول إلى العرش والجدى به إليه ،
إن فاجأته المنية ، دون أن يرتب له الأمر .

كان أبو بكر يسير على سياسة حسن الجوار مع المغول ، منذ تولى عرش
الإمارة ، وكان كثيراً ما يرسل الجيوش ، أو الوفود تلو الوفود ، وعلى رأسها أحد
أمراء البيت ، لتساهم فى الفتوح ، أو فى تقديم فروض الولاء للفاطميين . ورأينا أنه
أرسل ابن أخيه «محمد شاه بن سلفر شاه» لمساعدة هولاء كوفى فتح بغداد .

وقد بكر أبو بكر فى توجيه ابنه كذلك نحو هذه السياسة ، ولعله انتظر عليه
— فقط — حتى يمكن أن يتوسم فيه القيام بمثل هذه المهام ، فيجعله على رأس
الوفود لتقديم التهانى ، أو إظهار الولاء لهولاء كوفى .

وأول مرة ظهر فيها سعد على مسرح الحوادث ، كان فى تهيئة أبيه له ، بعد
أن اجتاز عهد الصبا ، وافتتح عهد الشباب ، فأرسله على رأس وفد إلى هولاء كوفى
ليهنئهم على فتح آخر قلاع الإسماعيلية سنة ٦٥٤ هـ^(٢)

(١) وصاف ص ١٨١

(٢) سعدى نامه — الأستاذ القزوينى — ص ١١٢

ومنذ ذلك العام — وكلما دعت المناسبة — كان أبوه يرسله إلى بلاط المغول
لتمثيله في تقديم التهاني ، أو مزوداً بالمال المتفق عليه أتاوة عن إمارته . فلما انتهى
هولاًكو من فتح بغداد، أرسله أبوه في السابع من شعبان سنة ٦٥٦ هـ ليمثله
في تهنئته بهذا الفتح ^(١) ، فاستقبله هولاًكو ، استقبلاً حسناً ، وأعز جانبه
وأكرم وفادته . فلما تم الأمر لهولاًكو واتجه نحو الغرب يواصل فتوحه ، وبلغ
بلاد اللور وأتم فتحها سنة ٦٥٨ هـ كان سعد قد أرسل — من قبل أبيه أيضاً —
على رأس وفد لتهنئة هولاًكو ، مزوداً كذلك بالهدايا النفيسة التي بعث
بها أبوه ^(٢) .

وفي أثناء عودته بالطريق سمع ب وفاة أبيه ، وانتقال مقاليد الأمور إليه ،
ولكن القدر لم يمهله بعد وفاة أبيه أكثر من ثمانية عشر يوماً ^(٣) ، إذ مرض وهو
في الطريق . أصيب بزحاف واستسقاء ففضى نحوه ، دون أن يصل حتى إلى
« شيراز » نفسها ، وكانت نهايته بمدينة تسمى « طبرتو » من أعمال آزر بيجان .
كان أبوه وهو في حياته قد بادر بزواجه مبكراً ، فعقد له على فتاة من بيت
ملكي آخر هي « ترکان خاتون » ابنة أتابك يزد « قطب الدين محمود شاه »
وكانت كما توصف سيدة ذات سياسة وتذير ، لم تكد تسمع ب وفاة زوجها ، حتى
عملت على نقل جثته إلى « شيراز » ودفنته بالمدرسة العضدية التي أنشأها .

وينقل صاحب شيراز نامه عن « ابن الجوزي والثعالبي » أن الحاكم السادس
في الدولة الإسلامية ، ليس له نصيب وافر من الحكم . ويوردون من هذا القبيل
« الحسن بن علي » في الخلفاء ، « ومحمد الأمين » في حكم آل عباس ، ويجعل هو

(١) جامع التواريخ — ص ٣٢٢ — كاترير

(٢) شيراز نامه ص ٦١ وسعدى نامه ص ١١٢

(٣) وصاف ١٨١ ويذكر صاحب تاريخ كزیده أنها اثناعشر يوماً ص ٥٠٨

على هذا القياس حكم « سعد بن أبي بكر^(١) » فإنه لم يظفر بأكثر من أيام محدودة ويقال إنه بالرغم من هذا قد ضربت السكة باسمه^(٢) بمجرد وفاة أبيه ، ونودي به في المساجد أميراً ، في المدة القصيرة التي أعقبت أباه ، وقبل حضوره إلى شيراز . لكن هذه أعمال تقليدية تمت في غيبتها بحكم التقاليد الموروثة .

متى ولد هذا الأمير ؟

والتحقيق التاريخي في حياته القصيرة ، نعتمد فيه على ما سجله المؤرخون . وعلى ضوءه نفترض بقية التواريخ للأحداث الهامة في حياته ، كي نحدد — بقدر الإمكان — تاريخ مولده ، ومدى حياته بالتقريب ، لنذكر منها هل يمكن أن ترتبط حياته بحياة الشاعر نفسه ؟ وهل بلغ سنّاً يمكن أن يحمل رجلاً في سن الشاعر ومنزله بحيث يجعل تخلصه مأخوذاً من اسم هذا الأمير . . . ؟ ؟

ويمكننا بالرجوع إلى بعض التواريخ ، التي حدثت في حياة أبيه ، أن نذكر منها التواريخ الهامة في حياته الشخصية ، فقد ذكرنا سابقاً أن المؤرخين في شبه اتفاق جعلوا وفاة أبيه ، في أحد الجماديين سنة ٦٥٨ هـ ، وأنه توفي بعد أبيه بثمانية عشر يوماً ، فالفرق بين تاريخ وفاة الابن ووفاة الأب لاتعدو أياماً قصاراً .

والمؤرخون كذلك يقولون إنه أنجب من زواجه ولداً هو « محمد بن سعد » وكان لا يزال صبيّاً ، لا يتمكن من إدارة دفة الأمور بنفسه ، فأشرفت عليه أمه « ترکان خاتون^(٣) » . وكانت ذات ذكاء وفطنة ، يصفها وصاف بقوله :

« زنی رای زن بافطنت و فن بود ، بنظم ملک پادشاه و مصالح قیام نمود . و رعایت رعیت را در کنف راحت و رفاهیت بداشت ، و اطراف بر و بحر را بدین صنعت از ضیعت و اتلاف مأمون الساحة گردانید^(٤) » .

(١) شیراز نامه ص ٦١

(٢) شیراز نامه ص ٦٢

(٣) و صصاف ص ١٨١

(٤) سعدی نامه ص ١١٣

ولسنا نستطيع أن ندرك كم من الزمن عاش هذا الصبي ، وإن كنا قد عرفنا أنه لم يبلغ سن الرشد بعد ليستطيع تولى العرش بنفسه ، ولكن الأستاذ القزويني ، يذكر أنه حين وفاة «سعد» كان ابنه «محمد» في الثانية عشرة . وكان له أيضا ابنتان — كبرى وتسمى «سلغم» وصغرى وتسمى «أبش خاتون» — ولكنه لا يحيلنا على المصدر الذي استقى منه هذا القول وإن كنا نأخذ بهذا الرأي أيضا فهو في السن التي لم تمكنه من القيام بشئون الدولة دون الإشراف عليه .

وهناك بجانب هذا ، تاريخ آخر عرض له المؤرخون في مجرى حياته ، وهو إرساله لأول مرة على رأس بعث إلى هولاكوليتهنثه ، نيابة عن أبيه بعد فتح آخر قلاع الإسماعيلية سنة ٦٥٤ هـ .

ونستطيع أن نفترض بعض الوقائع وأن نقيس عليها الزمن المناسب لها فلعلنا نصل إلى شيء في معرفة سنة ولادته ، وبالتالي مدى حياته ، ولننظر للمسألة من الوجوه الآتية :

أولا — رأينا أن أول سنة ظهر فيها على مسرح الحوادث كانت سنة ٦٥٤ هـ فإذا يمكن أن يكون قد بلغ من السن في ذلك الوقت . . . ؟ يمكن أن نقدر سنه إذ ذاك في حدود الخمسة والعشرين عاما . وهي السن اللائقة للقيام بمثل هذه المهمة في مثل بلاط «هولاكو» فيكون مولده — حسب هذا التقدير في حدود سنة ٦٣٠ هـ . وسنه عند وفاته سنة ٦٥٨ هـ لا تتجاوز الثلاثين .

ثانياً — وهذا تقدير مناسب ، إذا لاحظنا أيضا تقدير المؤرخين لسنه ، فينقل الأستاذ القزويني عن صاحب «مزارات شيراز» في ترجمة حياة هذا الأمير أنه كان في عنفوان شبابه عند وفاته ، إذ يعلق على عبارة هذا المؤرخ «وكان ملكا شابا جميلا» بقوله :

« واضح ميسود كه وي در عنفوان جوانی (١) »

وهذا ما يقربنا من صحة الافتراض السابق الذى انتهينا فيه إلى أن هذا الأمير قد توفى وهو فى حدود الثلاثين . وأن ميلاده كان فى حدود سنة ٦٣٠ هـ .
ثالثاً — يضاف إلى هذا ما يؤخذ أيضاً من أوصاف الشاعر له ، فى مدحه حال حياته ، وراثته له عند وفاته ، فإنه لم يتخط فى كلا الناحيتين مرحلة الشباب .
فأما وصفه فى « البوستان » فيرد فى قطعة تحت عنوان « مدح سعد بن أبى بكر بن سعد » . ترى « كليات فروغى » وبعض نسخ « البوستان » أنها فى مدح هذا الأمير . وترى غيرها أنها فى مدح ابنه « محمد شاه » . لكن كثيراً من الوقائع تؤيد أنها فى الأب وليست فى الابن . وسنعرض لذلك عند مدائح الشاعر فى ابنه « محمد شاه » .

ومطلع هذه القطعة بيت يوصف فيه بالشباب السعيد الحظ المشرق الضمير :
جوان جوانبخت روشن ضمير بدولت جوان ويتديير پير « (١) »
ونحن نعرف أن البوستان قدم لأبى بكر سنة ٦٥٥ هـ . وعند وفاته ، قد رثاه الشاعر أيضاً بقصيدة وصفه فيها بالشباب كذلك فى بيته الآتى :
« پس ازسرك جوانان گل مماناد پس ازگل درچن بلبل مخواناد » (٢)
فهو فى نظر الشاعر نفسه لم يتخط سن الشباب حين وفاته سنة ٦٥٨ هـ .
وعلى ذلك يكون تقديرنا لسنة الثلاثين عند وفاته تقدير مقارب للحقيقة .

مدائح الشاعر ومراثيه فى هذا الأمير :

كان نصيب هذا الأمير من ذكر الشاعر له نصيباً لا بأس به ، وإن لم يبلغ نصيب أبيه ، ولعل أهم ما خلد به الشاعر اسم هذا الأمير هو كتابه « الكاستان » الذى قدمه له فى حدود سنة ٦٥٦ هـ بعد أن قدم « البوستان » لأبيه فى العام الذى سبق .

(١) كليات فروغى ص ٢٢٥ (٢) كليات فروغى ص ٤٨١

ويشير الشاعر — في مقدمته لهذا الكتاب — إلى ذلك بعد عبارة منشورة بقوله البيت الآتي :

«على الخصوص كه ديباجهٔ همايوتش بنام سعد أبوبكر سعد بن زنگيست^(١)»
هذا هو الموضع الذي ورد فيه ذكر لهذا الأمير من كتاب «الگلستان».

وقد أشرنا سابقاً إلى أن هناك قطعة في الكتاب الثاني «البوستان» يختلف فيها الرواة . فيقول بعضهم إنها في مدح الأمير «سعد بن أبي بكر» ولي العهد ، بينما يجعلها الآخرون في مدح «محمد بن سعد» . وقلنا إن القطعة في مدح الأب وليست في مدح الابن .

وبجانب المواضع التي عرض فيها لمدحه في كتابيه «البوستان والگلستان» هناك مواضع أخرى ينتقل فيها إلى الحديث عنه ، وذلك في مرثيتين من مرثي أبيه^(٢) .

أما مرثيته الخاصة فرثيتان : إحداها تقع في باب المراثي ، والأخرى في باب الترجيعات من كليات فروغی^(٣) .

٧ — محمد بن سعد وأمه ترکان خاتون : ٦٥٨ — ٦٦١ هـ

تلقت أمه وحدها هول الصدمة في أبيه ، ونفذت إلى الحكم وصية على ابنها الذي لم يتجاوز الثانية عشرة ، كما أسلفنا ، وكان أول عمل اتجه إليه ذهنها ، أن بعثت إلى «هولاكو» بالوزير «نظام الدين أبي بكر» لتقديم فروض الطاعة والولاء^(٤) . ليقرأها على تصرفها في توريث ابنها عرش الإمارة بعد أبيه تحت إشرافها .

(١) كليات فروغی ص ٧٨ (٢) كليات فروغی ص ٧٠٦، ٤٨٦، ٤٨٣

(٣) كليات فروغی ص ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٥ وسعدی نامه . قزوینی ص ١١٠، ١١٥

(٤) وصاف ص ١٨١

ويبدو أن أهالي شيراز لم يستقبلوا هذا الوضع من جانبهم بالرضا والقبول ، فتشاءموا من ذلك^(١) . وكانت سياسة «هولاكو» نفسها ترمى إلى إقرار السياسة التي يتفق عليها مادامت لم تؤد إلى قلاقل ، أو اضطرابات ذات خطورة . وكان أن أقرها على ما فعلت ، وسمح لها أن تصرف شؤون الدولة وصية على ابنها .

ويذهب صاحب « حبيب السير » مذهباً مناقضاً تمام المناقضة ، لما ذهب إليه « الوصاف » في الناحيتين . فيرى أن الاختيار تم بين أكابر « شيراز » على تولية ابنها العرش تحت وصايتها ، وأقر « هولاكو » ذلك ، كما يرى أن الوزير « نظام الدين أبا بكر » أراد إفساد الأمر عليها لدى « هولاكو » ، فتوجه من نفسه بالهدايا وإعلان الطاعة — طمعاً في الملك — لكنه لم يفلح فيما ذهب إليه^(٢) . وسواء أكان الأمر هذا أو ذاك ، فإنها تولت الحكم مباشرة ، بعد وفاة زوجها في نفس الشهر . ومن المصادفات أنه في الشهر نفسه خطب لثلاثة من حكام الأناطقة . خطب في أوله « لأبي بكر » ، فلما توفي خطب لابنه « سعد » فلما توفي خطب لابنه « محمد » .

وكأنما خلقت « ترکان خاتون » لتواجه النكبات في زوجها وابنها ، بل في حياتها شخصياً ، فلم تمتد حياة ابنها طويلاً . فما كادت تمهد له الأمر ، ويستقر الحكم في أيديها ، حتى توفي وهو لا يزال صبيّاً إثر سقوطه من سطح القصر في شهور سنة ٦٦١ هـ^(٣) بعد سنتين وسبعة أشهر من تاريخ ولايته ، فدفتته أمه بجوار أبيه ، وهي تتمثل بهذا البيت :

« این چه باداست کزو غنچه نشگفته بریخت

وین چه سیل است که بر کند زین شمشاد(٤) ،

(١) وصاف ص ١٨٢

(٢) حبيب السير ص ١٣٠

(٣) وصاف ص ١٨٢

(٤) شيراز نامه ص ٦٧

الشاعر ومحمد بن سعد

نشير هنا إلى خلاف بين نسخ من « البوستان والسكليات » عامة في قطعة يسندها بعض الرواة إلى الشاعر في مدح « سعد بن أبي بكر » . ويسندها الآخرون إليه في مدح « محمد بن سعد » .

وتتفق النسخ جميعها ، في أن نهاية القطعة السابقة لها والتي قالها الشاعر في مدح « أبي بكر بن سعد » هو هذا البيت :

« گر از سعد زنگی مثل ماند و یاد فک یاور سعید بو بکر باد »

ثم يأتي الخلاف في عنوان القطعة وفي مطلعها .

فأما الذين ذهبوا إلى أن القطعة في مدح « سعد بن أبي بكر بن سعد » فقد جعلوا مطلعها :

« جوان جوانبخت روشن ضمیر بدولت جوان وبتد بیر بیر (۱) »

وأما الذين أثبتوها في مدح « محمد بن سعد » فقد جعلوا مطلعها :

« آتابک مجد شهری نیک بخت خداوند تاج و خداوند بخت (۲) »

ثم كان البيت التالي ، لهذا البيت ، هو الذي تقدم ، والذي أثبتته بعض النسخ مطالعاً للقطعة . وتمضي بقية القطعة في مجموع النسخ ، على رواية واحدة ، فالخلاف فقط في العنوان ، وفي بيت المطلع .

ومن الحق هنا ، أن نقف للفصل في هذه المسألة بما يعن لنا . ونحن نميل إلى أن نجعل هذه القطعة في مدح الأمير « سعد بن أبي بكر » . وليست في مدح ابنه « محمد بن سعد » وذلك للأسباب الآتية :

١ — أن جميع النسخ تجمع على أن نهاية القطعة التي امتدح فيها الشاعر « أبا بكر بن سعد » هو هذا البيت :

(١) كليات فروغی ص ۲۲۴ (٢) بوستان Graff ص ۲۵

« گراز سعد زنگی مثل ماند و یاد فلك ياور سعد بوبكر باد »

وفي نظرنا ، أن الشاعر أراد أن يهییء الذهن للحديث عن هذا الأمير ، فمن المناسب أن يكون الانتقال إلى مدحه ، لا إلى مدح إبنه .

٢ — لو كانت هذه القطعة في مدح الأمير « محمد » لكان الانتقال إليه بعد مدح جده الثاني « سعد بن زنگی » وجده الأول « أبي بكر » فيه تجاهل لأبيه « سعد بن أبي بكر » . والمقام هنا أنسب لأن يكون الانتقال في المدح إلى « سعد » الابن لا إلى « محمد » الحفيد .

٣ — أن الوصف الذي ورد في مطلع هذه القطعة وخلالها ، مناسب لأن يكون في « سعد » من أن يكون في « محمد » . فان الأوصاف التي وردت في المطلع ، تدل على أنه شاب سعيد الحظ ، مشرق الضمير ، فتي في الدولة ، وشيخ في التدبير . هذا هو تفسير البيت الأول الذي عرض لوصف الأمير مطلقاً ، دون أن يشير إلى من هو هذا الأمير . ؟؟ سوى أن بعض النسخ تجعل عنوان القطعة في مدح « سعد » وفي الأخرى يمدح « محمداً بن سعد » مع إضافة البيت الذي يشير إلى اسمه .

ونلاحظ أن هذه الأوصاف التي وردت في مختلف النسخ ، تناسب — إلى حد بعيد — أن تكون في « سعد » لا في ابنه « محمد » . فانه كان فتي ، عهد له أبوه بالقيام بالكثير من المهام ، ومنها سفارته إلى بلاط المغول . وأنه كان في تلك السن ، قد بلغ مبلغ الرجال ، فأشرف على الثلاثين ، لا مبلغ الفتیان فحسب . في الوقت الذي لم يكن فيه « محمد » — حين إنشاد البوستان — على فرض أنه تم إنشاده دفعة واحدة وانتهى سنة ٦٥٥ هـ — لم تكن سن « محمد » إذ ذاك تتجاوز السابعة ، فانه قد توفي سنة ٦٦١ هـ وهو في سن الثانية عشرة ، فلم يبلغ مبلغ الفتوة ،

حتى ولا مبلغ من يتولى شئون الإمارة بنفسه بعد وفاة أبيه ، وبالتالي لم يأت عملا يستحق المدح .

رأى الأستاذ القزويني والرد عليه

على أن الأستاذ القزويني ، يذهب إلى تأييد الرأي القائل ، بأن هذه القطعة في مدح « محمد بن سعد » وذلك — في نظره — للأسباب الآتية :

١ — إن الشاعر بعد أن أتم « البوستان » سنة ٦٥٥ هـ أضاف إلى ذلك الموضوع ، هذه الأبيات في عهد سلطنة « الأتابك محمد ٦٥٨ هـ — ٦٦١ هـ ^(١) » .

٢ — كما يرى أن عنوان هذه القطعة ، في نسخة شاهدها — يؤرخ نسخها سنة ٧٦٧ هـ — تحت هذا العنوان « ستايش أتابك محمد بن سعد بن أبي بكر » ويذكر استطراداً أنه في جميع النسخ الأخرى ، يكتب عنوانها أيضاً بنفس هذه العبارة ، أو بمضمونها .

٣ — ثم يذهب في تأييد هذا الرأي كذلك إلى أن البيتين الآتين صريحان في مدح الأتابك « محمد » نفسه وهما .

« صدف را كه بينی زدر دانه بر نه آن قدر دارد كه يك دانه در
تو آن در مكنون يك دانسه كه پيرايسه سلطنت خانه »

ومعناها « إن الصدف الذي تراه ممتلئاً بحب الدر ، ليست له تلك القيمة ، التي تحتويها حبة واحدة . وأنت تلك الحبة الوحيدة ، التي هي كالدر المكنون ، زينة لبيت السلطنة » .

فيرى الأستاذ أن هذين البيتين ، إشارة إلى الابن الوحيد لأبيه ، حيث أنه . في الواقع — كان محمد هو الغلام الوحيد لسعد بن أبي بكر

(١) سعدى نامه ص ١١٦

ونستطيع بعد إجمال آراء الأستاذ أن نرد عليها — بالإضافة إلى ما أوردناه سابقاً — بالأمور الآتية :

١ — يرى الأستاذ أن الشاعر أضاف بنفسه، عدة أبيات — بعد أن أتم «البوستان» سنة ٦٥٥هـ — في عهده سلطنة « محمد شاه » التي انتهت سنة ٦٦١هـ . ومع تسليمنا بإمكان الإضافة على النسخة التي تمت في عهد « أبي بكر » أبياناً أو قطعاً أخرى ، وبالتالي بأن « البوستان » تم على دفعتين . فإن الخلاف الذي بين النسخة التي أخذ عنها الأستاذ وغيرها من النسخ الأخرى ، التي جعلت القطعة في مدح « سعد بن أبي بكر » ليس في الأبيات جميعها ، لكنه في بيت واحد هو الذي جعل في مطلع القطعة ، مشيراً إلى اسم الأمير « محمد » .

والقطعة كلها تبلغ ثمانية أبيات — كما أورها الأستاذ القزويني — يتردد فيها وصف للأمير يصح أن ينصب على « سعد بن أبي بكر » أو على « ابنه محمد » . فالخلاف بين النسخ ليس في القطعة كلها ، ولكن في البيت الأول ، وليست الإضافة التي أضيفت ، في مطلع القطعة ، يقع غيرها في عموم الأبيات ، وليس بين النسخ خلاف في هذا .

٢ — إن النسخة التي اعتمد عليها الأستاذ القزويني في تأييد رأيه ، لا يقوى الاعتماد عليها أنها تؤرخ سنة ٧٦٧هـ . فهي نسخة متأخرة — من حيث الزمن — عن النسخة التي عثر عليها مخطوطة بخط « علي بن أحمد بن أبي بكر البيستوني » والتي كان تاريخها سنة ٧٢٦هـ^(١) .

فهذه النسخة أسبق من النسخة التي اعتمد عليها الأستاذ القزويني . كما يقال

(١) انظر بدايع شيخ سعدى . طبعة كاوياني نشر . ت . إيراني . سنة ١٣٠٤ هـ ص ٥٠ . ومقدمة كليات فروغى ص ٨ .

إنها عن نسخة بخط الشاعر نفسه . وهذه النسخة هي التي نشرت بإيران أخيراً ،
وقام بنشرها الأستاذ فروغى .

٣ — البيتان اللذان ذهب الأستاذ القزوينى فى تأييد رأيه عليهما ، واللذان
أشرنا إليهما سابقاً ، لا ينصان صراحة على الأمير « محمد » . فمن الممكن أن
ينصب معناهما على أبيه كذلك ، فهو أيضاً درة وحيدة فى بيت السلطنة . وإذا كان
الأمير « محمد » يعتبر وحيداً فإن أباه كذلك يعتبر وحيداً أيضاً ، ولم تشر كتب
التاريخ ، أو التراجم إلى أن « سعداً » كان له إخوة آخرون من أبيه « أبى بكر » .
ولو قد كان له ، لأمكن أن ينازع السلطان لهذا الحفيد الصغير الضعيف ، الذى
أسرعت أمه فى احتضانه ، والوصاية عليه .

فالبيتان صالحان كذلك لأن يكونا فى « سعد » نفسه لا فى « محمد » الأمير .

٤ — وبجانب هذه المناقشة — إذا نظرنا إلى البيت الذى يشير إلى اسم
محمد — لأحسننا بأنه قلق فى موضعه ، مقحم بين موضعين ، مضطرب الصلة
بما قبله وبعده ، يشعر معناه بالافتعال كذلك .

ويبدو هذا الاضطراب ، فى الانتقال المفاجئ من مدح الجسد إلى مدح
الحفيد ، وفى عدم انسجام معنى البيت الذى بعده على الأمير محمد . فهو يقول .

« جوانبخت روشن ضمير بدولت جوان وبتدبير پير »

كيف ينسجم هذا الوصف فى فتى لم يبلغ الحلم بعد ؟؟ وكيف يكون هو
نفسه شيخاً فى التدبير ، بينما لاتزال الوصاية جاثمة على صدره ، لا يفارق قصره
إلا فى رعاية الرائدین ؟؟

فالمسألة من هذه الوجوه جميعاً ، تؤيد صحة القطعة فى « سعد بن أبى بكر »
وليست فى « ابنه محمد » .

أما تفسير مجيء بعض النسخ بهذا البيت في طليعة القطعة ، فأمر سهل رده .

ولسنا نسلم بأن الشاعر بنفسه هو الذى وضع هذه القطعة ، ولا هذا البيت وحده ، ولكننا نسند ذلك إلى عبث الرواة ، وتلاعب النساخ . وأنهم ليعانى الأدب والعلم من أمرهم الشيء الكثير !

ونشير إلى ما ورد عن هذا الأمر فى مقدمة « كليات فروغى » . فهو يقول ، « إنه فى مدى السبعائة سنة التى مضت بعد وفاة الشاعر ، ظهرت نسخ كثيرة من الكليات ثبت فيها أغلاط كثيرة ، إما من طريق السهو ، أو من طريق التصرف ، الذى كثيراً ما كان يقع عمداً ^(١) » .

الشاعر وتركان خاتون

مع هذه الأدوار العظيمة ، التى لعبتها فى توجيه سياسة الإمارة ، وفى إدارة دفة الأمور ، فان حظها من مدائح الشاعر ، لم يكن كثيراً ، كما أنه تجاهل وفاتها أيضاً فلم يكن له مرث فيها .

ونشير — بجانب ذلك — إلى أن الشاعر كان يتحرج كثيراً فى ذكر اسمها ، أو حتى وضع عنوان صريح لقصائده فيها ، وإنما كان يؤخذ من مفهوم العبارة أنها فى مدحها . وليس يصعب علينا تفسير هذه الظاهرة .

وقد أشار الأستاذ القزوينى إلى أن صمت الشاعر عن ذكر اسمها لم يكن

(١) كليات فروغى ص ٣ وانظر مدائحه الأخرى فى كليات فروغى ص ٤٧، ٥٥٤ -

وانظر سعدى نامه قزوينى ص ١١٥ - ١١٩

اتفاقاً ، بل كان قصداً ، اقتضاه موقف التحدث عنها ، تمشياً مع قواعد اللياقة والاحترام ، مع سيدة السلطنة في ذلك العصر .

فكما أن العادة جرت على أن تكنّ مستورات بأشخاصهن عن العيون ، فكذلك ينبغي أن تكون أسماءهن ، مستورة عن الأسماع كذلك .

ولهذا نجد الشاعر يعمد إلى وصفها بأوصاف لائقة تشير إليها ، ولا تفصح عنها . ولعل ذلك هو الذى أوحى أيضاً إلى بعض النساخ والرواة ، أن يضعوا لها العناوين اللائقة .

فأما الشاعر فكان يكنى عنها ، بوصف رقيق لائق ، وهو كلمة « حرم » وفى المواضع التى رغب فى التحدث عنها ، كان يشير إليها مستخدماً هذه الكلمة ، مسبوقة بالإضافة كما فى « أهل حرم ^(١) » أو متبوعة بصفة كما فى « حرم عفت وعصمت ^(٢) » .

وقد أوحى الكناية عنها الرواة والنساخ أن يضعوا عناوين مناسبة كمثلى « وله فى الحرم المعصوم » أو « وله فى الستر العالى ^(٣) » أو ما حول ذلك .

٨ — محمد شاه بن سلغر شاه : ٨ أشهر من سنة ٦٦١ هـ

لعل السياسة التى سلكها هذا الشاب — مع ما كان له من التقدير العظيم فى نظر أبى بكر أيام حياته ، وحتى فى نظر هولاء كو ، لما كان يبيديه من البسالة والشجاعة فى مساعدتهم فى الحرب — ولعل سلوكه الشخصى ، وانحرافه عن الدين وتجنبه ، سياسة المسالمة ، التى كان ينبغي أن يأخذ بها « ترکان خاتون » . لعل مسلكه فى كل ذلك ، أدى إلى قصر حكمه ، وبالتالى إلى القبض عليه وإرساله ، إلى بلاط « هولاء كو » على النحو الذى سنورده .

(١) كليات فروغى ص ٤٨٥ (٢) نفس المصدر ص ٦٤٧

(٣) انظر سعدى نامه . قزوینی ص ١٢٤، ١١٩

أخذت « ترکان خاتون » تتدخل فى توجيه شئون الإمارة، وتلعب دوراً هاماً فى تدبير الأمور، وتشرف بنفسها على معالجة الحوادث، التى تواجه الدولة. فدبرت الأمر بينها وبين رجال الدولة، بعد وفاة ابنها على تولية « محمد شاه بن سلغرشاه »^(١). وكانت قبل ذلك قد زوجته كبرى بناتها « سلغم »^(٢). وكان عمه « أبو بكر » يلهج فيه كذلك الرجولة والهمة. فعرفنا أنه قد دبر له جيشاً، ومضى به ليساعد « هولاكو » فى فتح بغداد، فأبدى فى تلك الموقعة، شجاعة وقوة مراس، أعجبت « هولاكو » إلى حد بعيد^(٣).

لكن يبدو أنه ركب رأسه، وامتلاً غروراً، حين قبض على زمام الأمور بنفسه، وانصرف عن تدبير شئون الدولة، وصرف وقته بين اللهو واللعب، وأسرف فى ذلك إلى حد أغضب أمراء الدولة، وعلى رأسهم « ترکان خاتون » نفسها التى كان لها الفضل الأكبر، فى وصوله إلى العرش.

ثم حدث أن طلقت منه ابنتها « سلغم » وزوجتها من ابن خالها الأتابك « يوسف شاه بن علاء الدولة » أتابك يزد^(٤). وهكذا وقع هذا الشاب فى خطأين عظيمين، خطأ شخصى فى مجونه، وتجنبه روح الدين، وتظاهره بذلك. وخطأ سياسى، فى تجاهله شخصية ترکان خاتون، فلم يظفر بتأييد الشعب، أو أبناء البيت المالك على السواء، بالرغم من ماضيه المجيد.

ولهذا دبرت « ترکان خاتون » الأمر مع بقية الأمراء، وقادت ضده حركة محكمة، أدت إلى القبض عليه، وخلعه عن العرش، وإرساله إلى « هولاكو ». أسيراً، وظل فى أسرهِ حتى توفى فى نفس السنة التى تولى فيها وهى سنة ٦٦١ هـ. وكانت مدة حكمه لا تزيد على ثمانية أشهر^(٥).

(٢) سعدى نامه ص ١١٩

(٤) سعدى نامه ص ١١٩

(١) وصاف ص ١٨٣

(٣) وصاف ص ١٨٣

(٥) حبيب السبر ص ١٣١

وهكذا انتهى بعيداً عن موطنه محروماً من تقدير الشعب له ، ومحروماً كذلك من تقدير الشاعر ، فلم يكن له فيه قصائد مدح أو ثناء .

٩. — سلجوق شاه بن سلغر شاه : ٧ أشهر من سنة ٦٦٢ هـ

كان سلجوق شاه — كما يصوره التاريخ أيضاً — شاباً طموحاً ، ولكنه ضل الطريق كذلك ، كما ضل أخ له من قبل . هو « محمد شاه » وإن كانت أساليب الضلال مختلفة بعض الاختلاف ، فالأول تجنب سياسة المصانعة مع ترکان ، والثاني رأى أن يأمن غدرها فابتنى بها أولاً ، ثم غدر بها أخيراً .

والأول ارتكب سياسة الجون والاستهتار ، فنفر منه الشعب ، وثار ضده حتى قبض عليه ، وأرسل إلى هولاء كواسيراً ، فقتل نخبه هناك . والثاني صانع المغول ، كما صانع ترکان ، ولكن على دخل وضلال ، فكما قضي على « ترکان » ركب رأسه كذلك ، وسار في الطريق حتى النهاية ، فتخلص من عمال المغول ، ورعاياهم في « شيراز » قتلاً وغدراً مما نفرهم منه ، وجعلهم يعلنون الحرب عليه ، حتى وقع آخر الأمر أسيراً ، ولم يدم حكمه أكثر من بضعة أشهر كأخيه .

هذا مجمل لقصته ، أما تفاصيل حياته ، فيقال إن أمه ، من بيت ملكي آخر هو بيت السلاجقة ^(١) ، ولعل في اختيار هذا الاسم ما يشعر بذلك ، وكان أكبر من أخيه « محمد » بعام واحد ^(٢) . وفي أيام « محمد بن سعد » كان قد زح في السجن بقلعة اصطخر ^(٣) . فلما تولى أخوه أمور الدولة ، انتهز هو هذه الفرصة ، وبعث إليه برباعية يسترضيه بها ، ويذكره بحالهما ، وما بينهما من فروق ، ويطلب إليه أن يفيكه من سجنه ، في رباعيته الآتية .

(١) حبيب السير ص ١٣١ (٢) سعدى نامه ص ١٢٤

(٣) حبيب السير ص ١٣١

« درد وغم و بند من درازی دارد عیش و طرب تو سر فرازی دارد (۱) »
برپرد و مکن تکیه که دوران فلک دربرده هزار گونه بازی دارد (۲) »

كانت شخصية « ترکان خاتون » لا تزال هي المسيطرة على الموقف ،
والقابضة على زمام الأمور ، خلال تلك الأحداث التي حلت بفارس . فقد
شغلت حياتها جزءاً من حياة « سعد بن أبي بكر » بعد زواجها به ، وظلت مشرفة
بنفسها على إدارة شئون الدولة ، أيام ابنه « محمد » ، وتشارك في توجيه السياسة
العليا أيام « محمد شاه » .

فلما آل الحكم إلى « سلجوق شاه » بعد فكه من السجن ، قدم إلى
شيراز ، فاستبشر أهاليها بقدومه ، وتوليته ، وكان أول عمل قام به رغبته أن
يأمن جانب « ترکان خاتون » ، فتزوجها (۳) لكن عهده — على قصره — كان
مليئاً بالأحداث الهامة في حياة هذه الدولة . لم يطل الوفاق بينه وبين زوجته ،
فعمل على التخلص منها ، فقتلت واحتزرت رأسها (۴) ، لكن هذه الحادثة جرت
عليه نكبات أخرى من الداخل ومن الخارج .

غضب عليه بعض الأعيان فأجهز عليهم (۵) ، وغضب عليه أهل ترکان
— أمراء يزد — وشكوه إلى هولاكو (۶) ، فلما أحس بغضبه عليه ، ركب رأسه
وأعلن العصيان ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل جمع رجال المغول بشيراز ،
وقتلهم جميعاً مع زوجاتهم ، وأتباعهم ، وأحرق دورهم (۷) .

عندئذ أعد « هولاكو » جيشاً كثيفاً لتأديبه ، وأمر عليه « التاجو

(۱) في شيراز نامه كلمة دنوازی بدل سرفرازی ص ۶۲ .

(۲) (۳) وصف ص ۱۸۳ نفس المصدر ص ۱۸۴

(۴) شيراز نامه ص ۶۳ (۵) حبيب السير ص ۱۳۱

(۶) شيراز نامه ص ۶۳ (۷) سعدی نامه . قزوینی . ص ۱۲۴-۱۲۵

وتيمور^(١)» ولحق بهما أمراء الأطراف كذلك^(٢). وتكون جيش عام من المغول، والمسلمين، من نفس بلاد فارس وتوابعها، فكان هذا الجيش يمثل جهات مختلفة من أصفهان وبلاد اللوز ويزد وكرمان^(٣).

أعد « سلجوق شاه » من جانبه العدة للقاء هذا الجيش، ولكي يأمن على ثروته وأمواله، حل كل ما في خزائنه^(٤)، لتكون تحت متناول يده إذا اقتضى الأمر.

وكأنما أحس أن لا طاقة له بالمقاومة ففر إلى ساحل عمان^(٥)، ونزل ببلدة تسمى « خورشيف »^(٦) وأعد العدة للهرب بالسفن، لكن « التاجو » تبعه حتى اضطره أن يعود إلى « كازرون ». فلما التقى الجمعان، اعتصم « سلجوق شاه » بمسجد الشيخ « أبي اسحق الكازروني »^(٧)، ولجأ معه في هذا المسجد، جيش كفيف من بني خوئلته - أترك السلاحقة - كما انضم إليه أهالي كازرون^(٨). أحاط المغول بالمسجد، وقذفوه بالحجارة، والسهم، وقطع الأخشاب. وكان بين رجال « سلجوق شاه » أحد القواد الأبطال المسمى « مينكلي بيك ». كان من خواصه، شجاعاً قوياً. ضرب الأمر بينه وبين « سلجوق شاه » ليهجمما بشدة على المغول، فلعلهم يرتدون عن هذا الحصار، لكن « سلجوق شاه » مانع في الأمر، بدعوى أنه لا يملك القدرة على سرعة الحركة لبدانته^(٩).

عندئذ جمع « مينكلي بيك » ما استطاع حمله، من الخزانة وانقض على المغول، هو وأبناؤه، وبعض أتباعه، انقضاض الأسود، حتى فتحوا في جبهتهم

(١) وصاف ص ١٨٦

(٢) شيراز نامه ص ٦٣

(٣) وصاف ص ١٨٦

(٤) سعدى نامه . قزوینی ص ١٢٥

(٥) حبيب السير ص ١٣١

(٦) وصاف ص ١٨٦

(٧) نفس المصدر ص ١٣٢

(٨) وصاف ص ١٨٩

(٩) حبيب السير ص ١٣٢

نمرة ، نفذوا منها إلى الخارج . لكن أتابك يزد « علاء الدولة أخا ترکان خاتون »
تعقبه . فلما أدركه ارتد إليه « مينكلي بيك » وطلب إليه أن يعود ، وإلا عرض
نفسه ، ورجاله للهلاك . لكن الأتابك اغتر بكثرة ما لديه من الرجال والأعوان
فلم يستمع لهذا النصيح ، فعطف عليه « مينكلي » وقذفه يسهم ألقاه على الأرض ،
وفر هو غائماً إلى البصرة ومنها إلى مصر . وأمضى بها بقية عمره (١) .

أما مصير « سلجوق شاه » فقد اقتحم المغول عليه المسجد ، وأعملوا في رجاله
السيف ، حتى قبضوا عليه ، وحملوه إلى قلعة « سفيد » فزج فيها ، حتى توفي
سنة ٦٦٢ هـ (٢) بعد حكم لم يدم أكثر من سبعة أشهر ، انطوت خلالها هذه
الأحداث الجسام .

وقد كان — لشجاعته وبنالته — محل تقدير عند الشاعر فمدحه بقصائد
كثيرة (٣) .

١٠ — أبش خاتون : ٦٦٢ — ٦٨٥ هـ

كانت الأحوال بعد سلجوق شاه ، تؤذن بغروب شمس هذه الأسرة ، فإلى
جانب الأحداث الهامة ، التي أدت إلى القتل والسفك ، والتي انتهت بالحرب
— كما صورنا — كانت هناك عوامل أخرى ، أدت إلى كثرة تغلغل نفوذ المغول
عن ذى قبل .

انتهت بانتها « سلجون شاه » أفراد هذه الأسرة من الرجال ، الذين
يتولون العرش ، ولم يبق من سلالة الأتابكة ، إلا « سلغم وأبش » ابنتا سعد
ابن أبي بكر من زوجته « ترکان خانون » وكانت سلغم الكبرى قد تزوجت من

(١) حبيب السير ص ١٣٢ (٢) شيرازنامه ص ٦٤

(٣) کلیات فروغی ص ١٤١، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤١٦ وانظر سعدی نامه . تزویینی ١٢٤ — ١٣٧

« محمد شاه بن سلغر شاه » كما أسلفنا ثم انتقلت بعده إلى ابن خالها ، فاتجهت أنظار المغول إلى أختها « أبش خاتون » . وكان قلب « منكوتيمور بن هولاكو » يرنو إليها .

ويقع الخلاف بين المؤرخين في الوقت الذي زفت إليه فيه ، ويعرض صاحب « حبيب السير » إلى هذا الخلاف ، فيذكر عن صاحب « روضة الصفا » أنها حين انتهاء عهد « سلجوق شاه » كانت تحتة فعلا . كما يذكر عن صاحب « تاريخ كزیده » أنها زفت إليه سنة ٦٦٣ هـ بعد سنة من حكمها ^(١) .

ويؤيد الأستاذ القزويني الرأي القائل بأنها كانت قد زفت إليه قبل توليتها العرش ^(٢) ، فلما أعلنت ولايتها ، خطب لها ، وضربت السكة باسمها كذلك ^(٣) . ويشير « الوصف » إلى أن الحكم كان — منذ ذلك الوقت — اسمياً في أيدي الأتابكة وواقعياً في أيدي المغول .

ولكن يرى أن المدة التي أمضتها بشيراز ، قبل زواجها ، كانت مدة طويلة . ما بين سنة ٦٦٢ هـ وسنة ٦٧٢ هـ أشرفت فيها على دفة الحكم ، وهي بقاعدة الدولة . ولم تذهب إلى بلاط المغول إلا في حدود سنة ٦٧٢ هـ في حجة الأمير « سوغونجاك » لتتصل بزوجها « منكوتيمور بن هولاكو » ^(٤) .

وسواء أذهبت مبكرة إلى بلاط المغول ، أم بقيت تدبر دفة الدولة بشيراز ، فإن الأمور — في حقيقتها — كانت بأيدي عمال المغول وموظفيهم . وقد امتد حكمها مدى اثنين وعشرين عاماً من سنة ٦٦٢ هـ إلى سنة ٦٨٥ هـ . ومن المحقق أنها أمضت المدة ما بين سنة ٦٧٢ هـ إلى سنة ٦٨٢ هـ بأزر بيجان في بلاط المغول .

(٢) سعدى ناسه ص ١٢٧

(١) حبيب السير ص ١٣٢

(٤) وصف ص ١٩٧

(٣) شيرز ناسه ٦٤

اجتازت في تلك الفترة بقية عهد حكومة «هولاكو» وابنيه «آباقا وتكودار»
وقدرا من حكم «أورغون خان» تقلبت عليها، وعلى دولتها، فيها أحداث
جسام وخطوب .

ففي مطلع حكمها، ثار عليها رجل يسمى «سيد شرف الدين إبراهيم» ادعى
أنه من الأشراف، واغترب بعض حياته، في نواحي خراسان، ولكن شيراز
استهوته فجمع طائفة من التركمانين، وانتمر معهم على نزاعها السلطان، والاستيلاء
على الدولة، واتجه بهم نحوها، لكن جيش المغول ترصد له، حتى إذا أشرف
على شيراز أوقع الهزيمة به، في مكان يسمى «بل كوار»^(١) وانتهت تلك
المؤامرة سنة ٦٦٦ هـ .

وفي سنة ٦٨٠ هـ فجعت في زوجها «منكوتيمور»^(٢). أصابته ضربة قاتلة،
تلقاها من المصريين الذين التحم بهم في أرض الشام، فلما توفي زوجها، أذن لها
«تكودار أحمد» الذي كان إذ ذاك على عرش المغول، في العودة إلى بلادها،
فعدت إليها في حدود سنة ٦٨٢ هـ .

فلما أشرفت على المدينة، فرح أهاليها بعودة أميرتهم إليهم، فهرعوا جميعاً
لاستقبالها، وعطلت الأسواق، وأقفلت الحوانيت وانتشر المطربون في شوارع
شيراز، يغنون القوم ويطربونهم، وأمضت شيراز شهراً كاملاً وهي غارقة في
مظاهر البهجة والسرور^(٣).

لكن أيام السعادة لم تطل بها وبقومها، فلم تسكد تعود إلى موطنها، حتى
أخذت توجه بنفسها أمور الدولة، متناسية وجود ممثلي المغول في إمارتها. فأغضب

(٢) سعدى نامه ص ١٢٨

(١) شيراز نامه ص ٦٤

(٣) سعدى نامه ص ١٢٨

ذلك أولى الأمر وأحفظهم عليها . أضف إلى ذلك أن السياسة العليا في دولة المغول ، قد تغيرت عندما آل الأمر إلى « أرغون خان » بعد عهد « تكودار » القصير . والذي ساد فيه الاستبداد ، والظلم ، واضطهاد الناس ، وتشريد رجال الدولة ، وقتل كبارها ، كما أسلفنا الإشارة إلى ذلك .

فتغيرت — تبعاً لهذا — سياسة الدولة العليا مع الولايات الخاضعة لها ، ونصب « أورغون » حاكماً جديداً لفارس يدعى « السيد عماد الدين أبو يعلى » . إذ كان من المقربين إليه ، فلما قدم فارس ، لم يكثر « بأبش خاتون » فوَقعت الخصومة بينه وبينها ، فأسرت العداء له مع جماعة من خواصها حتى انتهى الأمر أخيراً بأن قتله بعض مماليكها ، في سوق شيراز سنة ٦٨٣ هـ ونهبوا قصره^(١)

فلما سمع « أورغون » بذلك أرسل الرسل والأعوان في طلبها ، مع خواصها وحملوها عنوة إلى معسكره مهانة ذليلة ، وقتل من ثبت الجرم عليهم ، فلما أمضت « أبش » سنة وبضعة أشهر ، بين يدي المغول ، توفيت هناك سنة ٦٨٥ هـ ودفنت في « جرنداب » بتبريز^(٢) . وبعد مدة أحضرت جثتها ابنها من « منكوتيمور » التي تدعى « كردوجين » ودفنتها بالمدرسة العضدية التي كانت قد أنشأتها أمها من قبل ، والتي كان فيها مدفن أبيها وأخيها محمد . وبموتها انتهت أسرة السلغريين . بفارس ، وانتقلت فارس من مملكة يدير شؤونها حكام من أبنائها إلى مجرد ولاية تابعة ، يعين لها حاكم وموظفون من قبل المغول .

الشاعر وأبش خاتون

كان حظ أبش من مدائح « سعدى » أقل بكثير من حظ أمها « ترکان خاتون » . وإذا كان « سعدى » قد تخرج في التصريح باسم أمها ، فإنه أيضاً

(١) سعدى نامه ص ١٢٩

(٢) وصاف ص ٢٢٢

تخرج في ذكر اسم ابنتها ، ولعل الشاعر — مع ذلك — لم يجد لها ما تستحق أن تمتدح به فيكثر من مدحها كما أكثر من مدح أمها .

فبالرغم من أن السلطان امتد في يدها ، أو بقيت هي تمثل السلطان مدى اثنين وعشرين عاماً . وأصبحت فارس بالكثير من الأحداث في عهدها ، وكانت بطبيعتها تدفع الشاعر إلى الحديث عنها ، فانه — مع هذا — صمت ولم يذكر شيئاً . وكل ما يعرف من هذا الموضوع غزلية لم تعرف فيها شخصية المدوح ، ولم تتضح صفاته أو أعماله ، حتى يمكن الحكم عليها فيمن قيلت .

وكل ما يدل على أنها قيلت في « أبش خاتون » عنوان وضع لها في بعض النسخ « وله في مدح أبش بنت سعد » وفي بعضها الآخر بعنوان « ذكر باد شاه إسلام أليك أبش عليه الرحمة (١) » .

وهذا العنوان الأخير مأخوذ مع القطعة بالتصوير الشمسي وأثبت النص الأستاذ القزويني في مقاله « ممدوحين شيخ سعدى شيرازى » في مواجهة صفحة ١٣٠ من « سعدى نامه » . ويدل هذا العنوان إلى حد بعيد على عبث النساخ وعدم تدقيقهم حتى اضطر الأستاذ القزويني أن يشير إلى ذلك ويصححه (٢) .

فارس تحت حكم المفل

الأمير أنكيانو أول مندوب لادارتها

عرفنا — سابقاً — أنه بعد وفاة « سليحوق شاه » آخر أمراء الأتابكة ، لم يوجد من تلك الأسرة سوى « أبش خاتون ابنة سعد بن أبي بكر » . فوليت العرش سنة ٦٦٢ هـ وبقيت حتى سنة ٦٨٥ هـ .

(١) سعدى نامه . قزويني ص ١٣٠ (٢) نفس المصدر ص ١٣٢

وكانت فارس في عهدها خاضعة — بالاسم — للاتابكة، وبالفعل تحت نفوذ المغول، فتولى إدارة شئونها من قبلهم بعض نوابهم، ودخلت فارس بعد موت « أبش » تحت حكم هؤلاء النواب، إلى أن انقضى عهد المغول نهائياً في إيران. كان أول من تولى من أمراء المغول إدارة هذه الولاية، الأمير « انكيانو » عهد إليه بالأمر « أبا قاخان بن هولاكو »، ونصبه — على جميع فارس سنة ٦٦٧ هـ. وكانت فارس — إذ ذاك — تضرب الفوضى في أطناها، ففسدت الأمور، واختل نظام الأمن، وعاث اللصوص وقطاع الطرق في البلاد.

وكان الظروف أوحث إلى من بيدهم الأمر إلى اختيار الأمير « انكيانو » فكان يجمع بين الهيبة والقوة، مع عدل وذكاء وكياسة. فرد الأمن إلى نصابه، وقضى على أيدي الطامعين المعتدين (١).

لكن شدة بطشه، وسطوته، أوغرت صدور جماعة من أكابر فارس. فلجأوا إلى « آباقا » ورفعوا إليه شكايته، مقرونة بالكثير من الوشايات المحكمة. إذ أسندوا إليه أنه يسلك في حكمه سياسة غير رشيدة من التبذير والتخريب، ولم يكتفوا بذلك، بل بالغوا في الأمر، وكان الفرصة قد واتتهم فاغتتموها، ودبروا وشاية محكمة.

ذلك أنهم رفعوا إلى الحاكم العام أن حب السلطان قد استهوى « انكيانو » وتمكن من نفسه، ووجدوا الدليل على ذلك بين أيديهم.

كان الأمير « انكيانو » قد ضرب السكة في عهده على ولاية فارس، ونقش عليها — تحت اسم المليك — علامة تشير إليه، فرفعوا قطعة منها إلى الحاكم العام، فعزله وبعث به — بعيداً — في سفارة طويلة شاقة، إلى بلادهم أواسط آسيا (٢).

(١) سعدى نامه. قزوینی ص ١٣٤ (٢) نفس المصدر ص ١٣٤

ولا يعلم على التحقيق مدة حكومته بفارس . لكن تاريخ محي خلفه إلى
شيراز كان سنة ٦٧٠ هـ (١) . فكان حكومته على فارس كانت حوالى أربع
سنوات من سنة ٦٦٧ هـ إلى سنة ٦٧٠ هـ .

الشاعر والأمير أنكيانو

ولم تنقطع صلات الشاعر بحكام فارس ، وعملها بعد أسيرة الأتابكة ، فقد
اتصل بالكثيرين منهم ، وبخاصة من كان فى نظره محل تقدير وإعجاب .
والشاعر فى قصائده ، التى يمتدح بها هذا الأمير ، يجعلها ميداناً يعرض فيه
الكثير من النصائح ، والمواعظ ، وعدم الاعتماد على الدنيا . فهو فيها — كما
فى غيرها — من القصائد الأخرى ، التى كان يمتدح فيها الملوك أو الحكام ،
يقيم من نفسه مرشداً هادياً ، وناصحاً أميناً ، لم ينزلق إلى التزلف ، أو المدح المزيف .
ولعل الظروف نفسها ، التى انصل فيها بهذا الحاكم ، كانت توحى إليه
بهذا المسلك أكثر من ذى قبل . فقد تبدلت الأمور ، وزالت دولة ، وحلت
محلها دولة أخرى . زالت دولة إسلامية ، وخضعت البلاد لحكم أجنبى ، وولى
شئون البلاد حكام غير مواطنين ، وغير إسلاميين كذلك .

فلا أقل من أن يعرض الشاعر مدائح ، فى ثوب جديد ، يطوى خلاله
النصيحة والموعظة ، وخاصة أنه فى ذلك الوقت ، كان قد عمّر وبلغ مرتبة تحول
له أن يكون الناصح الواعظ أكثر من ذى قبل .

أما المواضع التى ردد الشاعر ذكره فيها فهى أربعة . أحدها نثر فى مقدمة
الكليات (٢) ، وثلاث أخرى وردت شعراً فى بعض قصائده (٣)

(١) شيراز نامه ص ٦٥ وانظر وصاف من ص ١٩٣—١٩٥

(٢) كليات فروغى ص ٦٥ (٣) نفس المصدر ص ٤٤٨ . ٤٤٥ ، ٤٨٨

الأمير سوغونجاك

تولى بعد الأمير أنكيانو، وهو أيضاً من مشاهير أمراء المغول، قد انتدب للإشراف على شئونها سنة ٦٧٠هـ، لكن سرعان ما ترك الأمر لغيره بعد أن دبر أمور المملكة. فوزع الإدارة بين ثلاثة: اثنان من أمراء المغول، هما «بولغان وتونياق»، وآخر من رجال شيراز نفسها، هو من عرف — بعد — بالأمير «محمد بك»^(١). ولقد استمر هذا يقوم بنصيبه في تدبير ما أسند إليه من شئون الإمارة مدى سبع سنوات، حتى سنة ٦٧٧هـ إذ قتل في الحرب التي وقعت بين الشيرازيين وجيش «تكو دار أحمد» فكان بين القتلى.

ويلاحظ أن الشاعر بعد عهد الأمير «أنكيانو» بفارس لم يمدح أحداً من حكام المغول سواء من الذين تولوا شئون الإمارة أو كانوا من الحكام الكبار، فلم يظفر بمدائحهم من رجالهم سوى «هولاكو وأنكيانو».

وكل من عرض الشاعر لمدحهم كانوا من الذين يتخيرون لإدارة بعض الأعمال بشيراز من قبل المغول. أو من الذين كانوا من أعيان الإمارة^(٢) لانبجاجة إلى ذكركم، ونحيل القاريء على ما كتبه الأستاذ القزويني بشأنهم^(٣)

حكومة فارس في آخر القرن السابع الهجري

امتد حكم سوغونجاك ومن تخيرهم لإدارة شئون إمارة فارس حتى نهاية عهد أورغون خان سنة ٦٩٠هـ.

وابتداء من هذا التاريخ، حتى نهاية عهد المغول بإيران، ولى الأمر بحكومة فارس — من قبل آخر ملوكهم — رجل يعرف «بالمالك السعيد جمال الدين إبراهيم الطيبي»^(٤)

(١) شيراز نامه ص ٦٥ (٢) نفس المصدر ص ٦٥

(٣) انظر سعد نامه ص ١٣٨ وبابها (٤) شيراز نامه ص ٧٣

تولى شئون الحكومة ابتداء من سنة ٦٩١ هـ فى مستهل عهد كىخاتو ،
وأمضى هو وأولاده من بعده ، مدة فى حكم ولاية فارس من قبل المغول ، تنتهى
سنة ٧٢٥ هـ .

وكما كانت الأحوال آخر عهد ملوك المغول بإيران ، تؤذن بأفول نجم هذه
الأسرة ، كذلك كانت الأحوال بإمارة فارس تؤذن بأفول نجمها كذلك ، فقد
تبدلت الأحوال كثيراً بهذه الإمارة ، وإن كان « جمال الدين » قد أبدى كثيراً
من القوة فى تصريف شئونها ، وامتدت سلطته ، فكان يتخير من قبله بعض
النواب لإدارة شئونها .

ولما توفى سنة ٧٠٦ هـ كان قد ترك خلفه أولاداً . من أقوام شخصية الملك
الأعدل « عز الدين عبد العزيز » .

ولى الحكم بعد وفاة أبيه ، واستمر فيه حتى عهد « أبى سعيد » ، وقد ظهرت
خلال حكمه بعض ثورات ، كانت ترمى إلى إبعاده عن الإمارة ، لكنه تغلب
عليها وختمت حياته سنة ٧٢٥ هـ ، إذ قتل أثناء وجوده بتبريز ، فجاء به إلى
شيراز ، ودفن بجوار أبيه .

توزع الملك بعده جماعة من إخوته ، كان أظهرهم « شمس الدين محمد ^(١) »
لكن أيامه لم تطل كثيراً ، فاستولى كل واحد من بقية الأخوة على ناحية من
نواحي فارس ، وتبادلوا أمور الولاية بينهم حتى ضعفت سلطتهم . وبهذا انتهت
الأيام الأخيرة فى حكومة فارس سنة ٧٢٥ هـ كما تقدم .

ولم يظهر فى ذلك العهد القصير شىء يذكر من العائز أو الآثار ، وهكذا
قضى على تلك الإمارة التى لمع تاريخها فى عهد أسرة السلغريين .

(١) شيراز نامه ص ٧٥

البَابُ الثَّانِي

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

أُسرة الشاعر والغوصم الذي يحيط بجياد

لم يُقدَّر لشخص من الأشخاص — حين يولد — أن اسمه سيلمع أو سينخفض ، وأن حظه في الحياة سيكون ذا شأن أو لا شأن له ، وأن توفيقه في الإنتاج سيكون ذا خطورة أو لا قيمة له .

ولم تكن وسائل تقييد الحوادث في تلك العصور — مما يتعلق بكثير من الأفراد — من الدقة والنظام بحيث يمكن الاطمئنان إليها . على أنه بجانب ذلك لم تخل حياة أبناء الكبراء من اهتمام وعناية ، فدونت كثير من حوادثهم الهامة ، وبهذا أمكن التعرف على بعض تواريخ تتصل بحياة الذين يرتبطون بهم أو يعاصرونهم .

لكن — مع ذلك — تبقى كثير من الحوادث مبهمة غامضة مرهونة بالظروف التي تحيط بها ، كما أن النتائج التي ينتهي إليها — من تلك الناحية — ليست حاسمة في تاريخ الأشخاص ، بل لعل الكثير من النتائج التي ينتهي إليها — مع ما يبذل فيها — ضلال عن الحقيقة ، ومجافاة عن الصواب .

وليس إلا السبيل الوحيد ، وهو أن تلتقط حياة الأشخاص من آثارهم التي يتركونها ، أو مما يكتب عنهم بعد عصرهم .

فاذا أضفنا إلى ذلك أن وسائل الكتابة والنسخ في العهود السابقة ليست هينة ، ظهرت لنا مشكلة أخرى . فالكثير من التصحيف ، والكثير من الرواية يبعثان على الكثير من الضلال كذلك في الذهاب إلى رأى دون رأى ، أو تأييد وجهة نظر دون أخرى .

وشخصية « سعدى الشيرازى » بالرغم من خطورتها في الحياة الأدبية والاجتماعية ، وبالرغم من المركز الجليل الذى شغلته—منذ اندمجت في الحياة العامة ودخلت في الجماعة الأدبية— بالرغم من هذا ، لم تنج من كثير من الصعوبات ، بل لعل حياتها أحيطت بصعوبات تفوق ما أحاط بغيرها ممن على شاكلتها .

تبدو هذه الصعوبات الكثيرة فيما ورد عنها من مختلف الآراء ، لا في مذهبها في الحياة ، ولا في آرائها التى تلقيت عنها ، بل كذلك فيما يدور حول ما كان يمكن الفصل فيه ، مثل مولده ونشأته وبعض ألوان حياته

يبدو هذا الخلاف حول مولده ، أكان قبل القرن السابع الهجرى أو فى مستهلها ؟ كذلك يقع خلاف آخر حول اسمه شخصياً ، أهو « مشرف الدين » أو « مصلح الدين » أو غير هذا وذاك ؟ كذلك يقع الخلاف كثيراً حول تخلصه ، أينسب إلى « سعد بن زنگى » أم إلى « سعد بن أبى بكر » ؟ .

كذلك يقع الخلاف فى قصصه ، ورحلاته ، والأشخاص الذين اتصل بهم ، والأما كن التى رحل إليها .

أقصصه واقعية فى موضوعها وأشخاصها وأما كنها ؟ أم خيالية أريد بها استخراج عبرة أخرى خافية غير مكشوفة . . . ؟ أم هى خليط بين هذا وذاك .. ؟ كل هذه الأمور التى كان يمكن الفصل فيها بسهولة ، لاتزال — حتى الآن — منار خلاف وجدال كبير بين الكثيرين من رجال الأدب والنقد قديماً وحديثاً مما سنعرض له فى موضعه .

والذين درسوا الشاعر دراسة تقوم على النقد والتحليل واجهوا هذه المشاكل وأحسوا بها وسجلوها .

فالأستاذ « عبد العظيم خان الكركاني » الذي نشر « الكلستان » كتب في مقدمته أن تاريخ الشاعر مجهول مشكوك فيه ، ولا يمكن بطريق التحقيق ، أن نعلم عن حياته وأيام تحصيله ، وأسفاره الطويلة ، والأشخاص الذين اتصل بهم شيئاً صحيحاً^(١) . وليس ذلك إلا لأن ما كتب عن الشاعر ، في كتب التذاكر والتاريخ — على ما يذهب إليه الأستاذ — مشكوك فيه ومحل شبهة^(٢) .

على أن الغربيين ، ممن عرضوا لدراسة الشاعر ، يرون كذلك المشاركة في هذا الرأي الذي ذهب إليه « الكركاني » .

فقد ذكر الأستاذ « آربري Arbery » أن الثقة ضعيفة بالأخبار التي ترتبط بالشاعر، رغم تعدد أخباره ، وكثرة ما ترجم له ، وخاصة فيما يتصل باسمه وحياته^(٣) .

والقصص — نفسها — التي تدور عليها كتبه — كما يرى « الكركاني » بعضها موضوع لا يتصل بالواقع ، وكذلك أحداث حياته ، كانت أيضاً مبهمة مجعولة ، والشاعر نفسه لم يتحدث عن حياته ، بطريق كامل أو بشكل واف^(٤) .

وعلى ذلك نسير في طريقنا نستخلص حياة الشاعر من بين تلك الآثار المتباينة المتضاربة . فان قدر لنا أن نرسم حياة صحيحة كاملة ، فذلك أمر نرجوه ونسعى إليه ، وإلا فنحن لا نزال في طريق الاجتهاد .

ولنمض الآن في عرض تاريخ أسرته مما بين أيدينا من المراجع التي أمكن الوصول إليها .

(١) الكركاني — مقدمة الكلستان . ص كج .

(٢) الكركاني — مقدمة الكلستان ص . كد

(٣) Arbery : Kings and Beggars p. 6.

(٤) الكركاني — مقدمة الكلستان ص — يه

أسرة الشاعر :

وأول صعوبة تواجهنا في تحقيق شخصية الشاعر ، هي معرفة أسرته ، التي انحدر منها معرفة دقيقة ، ومع أن رجال التذاكر والمؤرخين ، اجتهدوا كثيراً في التحدث عما يدور حول حياته ، إلا أنهم لم يلتفتوا إلى الحديث عن أسرته ، بشيء هام . بل كان حديثهم عنها ملالاً .

ولقد أدى ذلك إلى خلاف كبير في تحقيق شخصية الشاعر نفسه ، ومعرفة أخبار أسرته .

ونحن نعرض للحديث عن أخبار أسرته عامة من أجداده إلى أولاده ، قبل أن ندخل في تفاصيل حياته الشخصية .

أجداده

والظاهر أن الشاعر كان ينحدر من أسرة دينية ، يثبت ذلك من أقواله شخصياً ، ومن بعض ما ذكره عنه أصحاب التذاكر .

فهو يقول عن قبيلته ، إنه كانت جميعاً من رجال الدين ، وأنه شب كذلك ولم ينحرف به الطريق عن أن يكون رجل دين كأسرته ، إلا هوايته الصوفية ، التي صرفته إلى قرص الشعر في العشق الصوفي ، إذ يقول .

«همه قبيلة من رجال دين بودند مرا معلم عشق تو شاعری آموخت»^(١)

ويتسق مع هذا ما نقله الأستاذ «الكرگانی» عن صاحب كتاب «سلم السموات» من أن أمه كانت تنحدر من أسرة دينية كأسرة أبيه^(٢) .

أبوه

ويشير صاحب كتاب «تذكرة الشعراء» في ترجمته للشاعر أن أباه كان في خدمة الأتابك «سعد بن زنگی» ، كما يشير إلى أنه اتخذ تخلصه كذلك من هذا الأمير^(٣) .

(١) تاريخ أدبيات إيران ٢٦٤ - طبع طهران سنة ١٣٢٠ ش للدكتور رضا زاده

(٢) الکرگانی - مقدمة السلسلة - ص - ج

(٣) دولتشاه - تذكرة الشعراء - ص ٢٠٢ طبعة ليدن

ولعل ذلك تؤيده قطعة من الشاعر ترد في الكليات في قسم «الصاحبيات»
يشير إلى هذه العلاقة في قوله ، منها .

بدرم بنده قديم توبس سود عمر در بندگی بسر برده است
بنده زاده چو در وجود آمد هم بروی تودیده بر کرده است
خدمت دیگری نخوا هسد کرد که ورا نعمت تو پرو رده است (١)
ومعنى هذه الأبيات .

« إن أبى خادمك منذ القدم ، أمضى العمر فى خدمتك . . .
حين رأى ابنه باب الوجود ، تفتحت عيناه على وجهك . . .
إنه لا ينبغي أن يكون فى خدمته غيرك ، فانه ريب نعمتك » .

وليس لهذه القطعة عنوان يفهم منه فيمن قيلت ؟ وليس من خلال كلماتها
إشارة إلى اسم الذى قيلت فيه ، وهى كما نرى يرد فيها فقط ضمائر المتكلم
وال مخاطب والغائب .

وكما يبدو من معنى هذه القطعة ، أن الخطاب كان فيها بمنزلة الحاكم ، وأن
ضمير المتكلم والغائب ، يشيران إلى والد وابنه ، وأن الأب كان فى خدمة هذا
الحاكم ، وحين أشرف الابن على الحياة ، تفتحت عيناه على وجه هذا الحاكم .
ثم عاد الشاعر فى البيت الأخير ، ليدل على نوع هذه العلاقة بين الحاكم
و بين الأب والابن ، وأنها كانت إما خدمة عامة فى الدولة ، أو وظيفة فى البلاط .
وعلى كل حال يتبين منها ذلك الاعتراف . فانه كان لا ينبغي أن يدخل
فى خدمة غيره ، وأنه كان ريب نعمته .

وهذه الأبيات ثابتة من كليات الشاعر . لا يستطيع أن ننفي نسبتها إليه ،
و ضمير المتكلم فى هذه الأبيات هو مفتاح المسألة فان ثبت أنه « السعدى » فقد
حل بهذا المفتاح كثير من المشاكل ، وأهمها مشكلة تخلصه .

ولا تعرض لهذه المسألة الآن فإننا سنتحدث عنها في موضعها ، ولكننا نحاول
— فقط — أن نثبت مرجع الضمائر إلى من تعود . . . ؟ ؟ ؟ ؟ ؟

وصحة نسبة الأبيات إلى الشاعر لم تكن محل خلاف ، ومطلع القطعة — كما
رأينا — كلمة أب ، مضافة إلى ضمير المتكلم . والمتكلم هنا ، من يكون سوى
سعدى نفسه ؟ . فالكلام لا ينتجه إلى العموم ، بل هو كلام خاص ، في موضوع
خاص ، يبين حالة خاصة ، يعترف فيها بيد أسدت إليه نعمة .

وتؤيد هذه القطعة — إلى حد بعيد — ما ورد في بعض كتب التذكار ،
من أن أباه كان فعالاً في خدمة الأتابك « سعد بن زنگي »^(١) وأنه — بهذا —
اتخذ تخلصه ، كما تشير بعض الروايات إلى أن الشاعر نفسه ، كان متصلاً
أيضاً بهذا الحاكم ، ومن أجل ذلك جعل تخلصه باسمه^(٢) .

على أن صلة الشاعر بهذا الحاكم ، لم تكن فاصرة على عهد أبيه فحسب ، بل
امتدت كذلك بعد وفاته ، فيرى « براون » أن الشاعر كان على صلة بهذا
الحاكم ، وأنه اتخذ تخلصه منه ، وأرسله ليتم دراسته بالمدرسة « النظامية » ببغداد^(٣) .
والشاعر نفسه يشير إلى أنه كان يتلقى العلوم في تلك المدرسة ، وأنه كان
كذلك يتلقى إداراً .

« مرا در نظاميه إدارار بود شب وروز تلقين و تکرار بود »^(٤)
ومن الممكن افتراض أن يكون هذا الإدارار قد جاءه من ذلك الأمير ، وأنه
ولى الإنفاق عليه وخاصة بعد وفاة أبيه .

ولعل الشاعر لم يطل به المقام كثيراً في بغداد ، فعاد إلى شيراز ، وظل بها

(١) دولنشاہ — تذكرة الشعراء ص ٣٠٣ (٢) رضاقلی خان . ریاض العارفین ص ١٤٤

(٣) G Browne : A Literary His, of Persia v. 2. P. 527

(٤) الکرگانی — مقدمة الکملستان . ص . لب

حتى سنة ٦٢٣ هـ ، وهى السنة التى توفى فيها «سعد بن زنگى» وكانت فارس قد أصيبت بما أصيبت به من الثورات ، والاضطرابات المتتالية ، فضاقت صدر الشاعر عن الإقامة فيها ، وخاصة بعد موت ولى نعمته^(١) ، كما يشير إلى ذلك الأستاذ «الكرگانى» فتركها راحلا .

متى مات أبوه ؟ وإلى أى سن بلغ الشاعر حين وفاته ؟

يشير الشاعر إلى أنه افتقد أباه صغيراً فى سن الطفولة ، فيقول فى باب الإحسان ، من كتابه «البوستان» مشيراً إلى ذلك .

« مرابا شد از درد طفلان خبر كه در طفلى از سر برفتم پدر (٢) »
ولكننا لا نستطيع أن نحدد بالضبط متى مات أبوه ؟؟؟ وليس بين أيدينا ما يشير إلى ذلك ، إلا بعض إشارات قليلة فى كتابيه «البوستان» و«الگلستان»
تحدد حوادث له فى حياة أبيه ، وتثبت — إلى حد ما — السن التى بلغها الطفل فى حياة أبيه ، وهى ثلاث قطع .

١ — قطعة فى «البوستان» يشير فيها إلى طفولته ، وإلى بعض الأحداث التى وقعت له فى عهد أبيه . يذكر فيها أنه خرج معه أحد أيام الأعياد — التى يخرج فيها الشيرازيون عادة إلى ظاهر مدينتهم للترويح والتسلية — فضل الطريق عن أبيه ، وتشاغل عنه باللعب ، وافتقده أبوه فى كثرة الزحام . فلما وجده قرصه بأذنه موجهاً إليه اللوم .

« همى يادم آمد زعهد صمسغر	كه عيذى برون آسدم با پدر
ببازيچه مشغول مردم شمسدم	در آشوب خلقی از پدرگم شمسدم
برآوردم از هول ودهشت خروش	پدر ناگهانم بماليد گوش (٣)

(١) الکرگانى . مقدمة الگلستان — ص. ٥٠ . (٢) کلیات فروغى — باب الاحسان ص ٢٧ (٣) نفس المصدر — باب النوبة ص ٣٩٩

ويبدو أن سنه في تلك الحادثة ، لم تكن تتجاوز السادسة أو ما حولها .

٢ — قطعة أخرى يشير فيها إلى حياة أبيه أيضاً ، ومن الممكن أن يكون وقتها في حدود التاسعة أو العاشرة ، وهي أيضاً في « البوستان » الباب التاسع « باب التوبة ^(١) » يقول فيها إنه يذكر عن عهد أبيه ، أنه اشترى له لوحاً ودفترًا وخاتماً ، وقد باع خاتمه بثمان زهيد ، لقاء بضع بلحات .

« زعهد پسدر يادم آمد همی که باران رخت برآور همی
که در خریدیم لوح ودفتر خرید زهرم یکی خاتم زر خرید
پدر کرد ناگه یکی مستری بخرسای از دستم انگشتری »

٣ — والقطعة الأخيرة تشير إلى سن أبعد من ذلك ، وإلى أن أباه كان لا يزال حياً ، وأنه في تلك السن كان يأخذ نفسه بعبادة شاقة ، إذ يقيم الليل ويذهب ويتقشف ، وأنه — ذات ليلة — كان يسهر على خدمة أبيه .

ونضع نص هذه العبارة ، ثم نستخلص منها ما تذهب إليه ، وهذه القطعة ترد في « الكاستان » في الباب الثاني « أخلاق الدراويش » يقول فيها

« یاد دارم که در أيام طفولیت منعید بودم ، و شب خیز مولع زهد و پرهیز ؛ شی در خدمت پدر رحمة الله علیه نشسته بودم ؛ و همه شب دیده برهم نیسته و مصحف عزیز برگشمار گرفته ، و طایفه گرد ما خفته ، پدر را گفتم . از اینان یکی سر بر نمی دارد . . . الخ ^(٢) » .

ويستخلص من هذه العبارة أمور منها :

أولاً — أنه كان مبكراً في حياة الزهد والتقشف ، بينما كان لا يزال في أيام الطفولة .

ثانياً — أنه في إحدى الليالي ، لم تغفل عيناه عن خدمة أبيه ، والمصحف

(١) کلیات فروغی ص ٣٩٦ . (٢) نفس المصدر — گلستان ص ١١٣ .

الكريم محمول معه ، وأن بعض الذين كانوا معهم ، ناموا من حولها ، فأنكر ذلك عليهم ، لأنهم لم يمضوا بعض الوقت في العبادة .

ثالثاً — كما يمكن أن يستنتج من هذا ، أن طفلاً يقوم بالعبادة ، ويلتزم مسالك الزهاد والمتقشفين الذين يحفظون القرآن ، لاتقل سنه عن الثانية عشرة ، وهذا ماذهب إليه بعض المؤرخين ، فيرى الأستاذ « الكركاني » أن سنه — في هذه المناسبة — لاتقل عن الثانية عشرة^(١) ، كما يؤيد هذا الرأي أيضاً ما ذهب إليه الأستاذ « سعيد نفيسي »^(٢).

لم يشر الشاعر — بعد هذا — إلى حياة أبيه في عهد أبعد من هذه السن ، ويدو أن الشاعر أرسل إلى النظامية بعد وفاة أبيه ، وبعد أن استكمل الدروس الأولى ، التي كان يتلقاها في شيراز على والده ومعلميه .

على أنه في سن إرساله إلى بغداد ، لابد أن يكون قد اجتاز الثانية عشرة ، بل لعله أدرك الخامسة عشرة من عمره ، حتى يتهيأ بنموه العلمي للتمكن من التحصيل في جامعة « كالنظامية » تضم بين جدرانها أركان العلم ، وأعلام الأدب ، وهي دروس في المرحلة الثانية بعد مراحل التحضير .

أمه

والإشارة إلى والدته — في كتب التذاكر — قليلة ، وحظها كذلك من ذكر ابنها لها قليل أيضاً . وكل ما ظفرنا به من الإشارة إليها في كتب التذاكر ، ماورد عنها في سياق الحديث عن أسرته عامة . وقد سبق أن أشرنا إلى ما أورده صاحب كتاب « سلم السموات » وأنها كانت من « كازرون » وأن أباه يدعى « مسعود الكازروني » وأن هذه الأسرة كانت من الأسر الدينية .

(١) الكركاني — مقدمة الكلستان ص. ل.

(٢) نفيسي — مجلة مهر — السنة الخامسة — العدد الخامس . ص ٤٤٦ .

ونص عبارة صاحب كتاب «سلم السموات» التي نقلها الأستاذ الكرگانی هي
 «شيخ سعدی پدر و مادرش هر دو از نژاد علما و فضلا بودند(۱)» .
 وترجمتها إن «والد سعدی وأمه كانا من سلالة العلماء والفضلاء» .
 وللشاعر عبارة تتصل بأمه في كتاب «الگلستان» وهي تصور حادثة له
 معها . ولعلها — إذا ذاك — كانت قد بلغت سنًا كبيرة . تشير القطعة إلى أنه
 أغلظ لها القول مرة ، وأنه أساءها في خشونة وقسوة ، وأنها كانت مسنة ضعيفة
 بينما كان هو لا يزال شابًا . والقطعة ترد كأغلب قطع «الگلستان» بين
 النثر والشعر .

«وقتی بجهل جوانی بانگ بر مادر زدم ، دل آزرده بکنجی نشست ، وگریان
 همی گفتم ، مگر خردی فراموش کردی ، که درشتی میکنی .
 چه خوش گفتم زالی بفرزند خویش چو دیدش بآنک افکند و پیلان
 گر از عهد خردیت یاد آمدی که بیچاره بودی در آغوش من
 نکردی در این روز بر من جفا که توشیر مردی و من پیرزن(۲)»
 وترجمة القطعة «أغلظت القول يومًا في والدتي ، وقد تملكني جهل الشباب
 فتحسرت قلبها ، وانطوت إلى ناحية تبكي قائلة . لعلك نسيت صغرك فأغلظت لي القول !
 مأحسن قول سيدة عجوز إلى ابنها ! حين رأته في مقدوره صراع الوحوش
 الضواري . لو أنك تذكرت عهد صغرك ، وأنت العاجز الضعيف بين أحضاني ،
 لما جفوتني اليوم ، وأنا سيدة ضعيفة ، وأنت قوى كالأسد» .

يؤخذ من هذه القطعة ، أن أمه قد عاشت حتى وقت متأخر — على فرض
 أن حوادث القطعة من قبيل الواقع — وأنها بلغت مبلغ الشيخوخة ، في قوله على
 لسانها «پیرزن» .

(۱) الكرگانی — مقدمة الگلستان . ص . ج . (۲) کلیات فروغی . الگلستان
 الباب السادس «در ضعف وپیری» القصة السادسة ص ۱۷۷ :

وبعد هذا ، لا نجد مكاناً آخر يشير فيه إلى أمه . لكن تبقى ظاهرة لا بد من تعليلها . وهي أنه لم يؤثر له شعر في رثاء أبيه أو أمه .

ويبدو أن أباه كان قد قضى نحبه قبل أن تتمكن له موهبة الشعر ، ولعل أمه قد ماتت أثناء رحلاته ، فلم يعلم بوفاها إلا حين عودته إلى شيراز . والمفهوم كذلك أن الشاعر ، كان مقلاً في مراثيه ، وأنه لم يبدأ هذا اللون إلا بعد عودته إلى شيراز فلم يؤثر له مراث في موطنه قبل سنة ٦٥٨ هـ وهي السنة التي توفي فيها « أبو بكر ابن سعد وابنه سعد بن أبي بكر » ومراثيه في الخليفة وبغداد التي كانت سنة ٦٥٦ هـ

إخوته .

لم يعرف عن إخوته إلا أخ واحد . وترد قصته في الرسالة السادسة من رسائل الشاعر في مقدمة الكليات في قسمها الثالث تحت عنوان « حكاية شمس الدين تازيكو » .

وماخص تلك الحكاية أن « شمس الدين تازيكو » كان يقوم على شئون التجارة العامة بالدولة ، ففرضت على التجار بضاعة بأسعار مرتفعة ، ولم يعرف « تازيكو » بهذا الأمر . وقد تسلم أخو الشيخ — بصفته أحد التجار — بعض أنواع تلك التجارة ، فلما رأى الأمر في غير طاقته ، ذهب يرفع الشكوى إلى أخيه ، وكان معتكفاً في خلوة الشيخ « أبي عبد الله الخفيف » .

فتألم لهذا الأمر وفكر في دفع هذا الأذى — لا عن أخيه فحسب — ولكن عن كافة التجار تخفيفاً عليهم ، وعلى فقراء المدينة بشكل عام .

وتمضي القصة فتقول ، وفي الحال تناول الشيخ رقعة وكتب عليها بضعة أبيات جعل في طليعتها هذا البيت .

« زأحوال براد دم بتحقيق دائم كه ترا خپر نباشد »

يشير إلى أنه كان يقوم بتجارة البلح ، وقد ساء حظه فيها وذلك في قوله .
« خربای بطرح من دهندش بخت بد آراین بتر نباشد »
ويذكر فيها كذلك مدى ما كان عليه المحصل ، من شدة وقسوة ،
وأنه لم يكن أسوأ منه .

« وأنکه تو محصلی فرستی ترکی که از او بتر نباشد »
تناول شمس الدين هذه الرقعة وضحك ، وفي الحال أمر بمناد ينادى أن كل
من ابتاع له بلح ، فليحضر .
اجتمع التجار لديه وسألهم عن أمرهم ، ورد لهم ما أخذ منهم من مال ، إن
كانوا قد دفعوا الثمن ، فإن كان منهم من لم يدفع أخذ البضاعة دون مقابل .
ثم تمضى القصة فتقول إن « تازيكو » قدم إلى الشيخ بنفسه واعتذر له
وطيب خاطره ^(١) .

ويبدو أن القصة غير موضوعة ، فقد أثبتتها كليات الشاعر المختلفة ، وأشار
إليها الكثيرون ممن كتبوا عن الشاعر ، وإن كان يعارضها بعض المحديثين دون
أن يبدى سبباً للاعتراض عليها ^(٢) .

زوجاته وأولاده

نتم الكلام هنا — في هذا الفصل — عن بقية أسرة الشاعر الذين كانوا
ذا صلة به من زوجات أو أولاد ويبدو أن في هذا الوضع من — سبق الكلام
عن الزوجات والأولاد — قبل الكلام عن الشاعر ، شيئاً من الخروج عن المألوف
المنطقي ، لكننا بصدد الحديث عن أسرته العامة ، نتم الكلام فيما يتصل بزواجه
وأولاده ، سواء أكان من أحاديث الرواة ، أو من أحاديث الشاعر نفسه .

(١) كليات فروغى ص ٦٩ .

(٢) سعيد نفيسى — مجلة مهر — العدد السادس — السنة الخامسة ص ٥٦١ .

لم تكن حياة الشاعر — على الوضع الذى سارت عليه — حياة إقامة واستقرار ، تدعو إلى تكوين أسرة بالمعنى المعروف . فهو رجل مطواف ، جعل العالم كله وطناً له ، لا يحل فى مكان إلا وسرعان ما يرحل عنه ، حسبما تشتهى نفسه وترغب ، والركون إلى الزواج ركون إلى الهدوء والاستقرار . ومع ذلك فإن الشاعر قد صادفته فى حياته ظروف ، لعلها فرضت عليه أن يتزوج . ولسنا ندرى من أمر هذه الظروف إلا القليل النادر الذى يحيط به الغموض كذلك .

والمواضع التى عرض فيها الشاعر لذكر زوجاته أو أولاده لبست كثيرة ، بل هى فى موضعين اثنين . أشار فى أحدهما إلى زوجة له ، وأشار فى الثانى إلى ابن له . فالموضع الذى أشار فيه إلى زوجته ، يرد فى قطعه من « الكستان . باب أخلاق الدراويش » يتكلم فيها عن إحدى رحلاته إلى الشام ، وأنه وقع أسيراً فى يد الفرنجة ، فى الحروب الصليبية . فحملوه ليعمل فى خنادقهم ، فراه أحد أعيان حلب وكان له به سابق صفة ومعرفة ، فافتداه منهم بعشرة دنانير ، ورافقه إلى بيته ، ثم زوجه من ابنته بمائة دينار ، لكنه أحس فى معاملتها أنه استبدل أسراً بأسراً ، إذ أخشنت له الحياة فطلقها^(١) .

والقطعة الأخرى التى يشير فيها إلى ابنه ترد فى « البوستان » فى الباب التاسع « باب التوبة » يشير إلى أن له ابناً توفى بمدينة « صنعاء » باليمن . وهو — بطبيعة الحال — كان من زوجة أخرى ، تزوجها فى إحدى رحلاته ، والشاعر يرى هذا الابن رثاء حاراً ، فى قطعة من قطع ذلك الباب تبلغ أربعة عشر بيتاً ، ويدور مغزاه حول معنى القضاء والقدر^(٢) . ولا اعتراض لنا على وقائع القصتين .

(١) تدل القصة على سرعة بديهة الشاعر وروحه التهامية اللاذعة . قالت له زوجه . أليست أنت من اشتراك أبى بعشرة دنانير . . . ؟ فقال نعم ؟ ولكنه باعنى لك بمائة دينار . (٢) كلييات فروغى . بوستان . باب النوبة . ص ٢٠٣ .

الفصل الثاني

مولد الشاعر

بالرغم من الدراسة الطويلة المستفيضة ، لم يتحقق حتى الآن تاريخ مولد سعدى ، ولا تزال كل دراسة جديدة ، تحاول أن تذهب مذهباً جديداً ، وإلى الآن لم يجمع المحدثون على رأى قاطع فى مولد الشاعر .

وليست هناك شخصية — فيما أعتقد — ابتعدت فيها الفروض بعضها عن بعض — إلى حد كبير — بمثل ما ظهر حول ميلاد الشاعر . فلا يتصور مدى الفرق الزمنى بين أبعد تاريخ افترض لميلاده ، وأقرب تاريخ . وهل يتصور أن يمتد الفرق عند المؤرخين بين أبعد تاريخ وأقرب به إلى خمسة وأربعين عاماً . . . ؟ وإنها لعمر آخر ! ! ! ! .

فأبعد زمن افترض فيه ميلاد الشاعر كان سنة ٥٧١ هـ ^(١) ، وأقرب زمن افترض ميلاده كان سنة ٦١٥ هـ ^(٢) .

والواقع أن تحديد وقت بعينه ، لشخصية من الشخصيات ، فى تاريخ مولدها — دون الرجوع إلى وثائق ثابتة ، أو نص معترف بصحته ، ومعاصرته لنفس الشخص — أمر من الأمور الصعبة . وكل ما يصل إليه الباحث فى هذه الناحية ، هو مجرد افتراض أو تخمين .

(١) الطاف حسين . فى كتابه حيات سعدى ص ٧ . طبع طهران وقد أشار بهذا الرأى أيضاً الأساذ السكرگانی ص ١٠ من مقدمة السكستان .
(٢) عباس اقبال — سعدى نامه ص ٢٥ .

ونحن — من جانبنا — سنعرض لهذه المسألة ، وطريق الوصول فيها إلى رأى قاطع أمر نرجوه ، وهو أيضاً افتراض نفترضه ، ونذهب فى تأييده بما يعن لنا من الآراء . .

وقبل أن نعرض — شخصياً — للتدليل على صحة ما نذهب إليه ، نحب أن نستعرض الآراء التى أشارت لهذه الناحية ، وهى فى الواقع لاتعدو ناحيتين .

أولاً — ناحية يذهب إليها القدماء .

ثانياً — ناحية يذهب إليها المحدثون .

أما الناحية الأولى — ناحية القدماء — فلا تتعرض لأمر الميلاد بكثير أو نذكر فقط سنة الوفاة ، وهى — مع ذلك أيضاً — تعرض للأمر وكأنما تقطع بما ذهبت إليه .

الأخرى — التى يسلكها المحدثون — هى الطريق المعتمد على النقد ، وتأيد الرأى بالحجج والأدلة .

وسنأخذ فى بحث المسألة عند كلا الطرفين ، ولعلنا نهتدى فى النهاية إلى نتائج نطمئن إليها .

عرض آراء القدماء ونتائجهم :

ولنسلك مع القدماء أولاً طريقهم ، ونأخذ الموضوع من نهايته ، وهى تحديد سنة وفاة الشاعر ، لعلنا نصل إلى بداية حياته .

وبين أيدينا من القدماء جماعة من رجال التاريخ ، وأخرى من رجال الطبقات ، ومن أوائل من أرخ له من رجال التاريخ « حمد الله المستوفى » فى كتابه « تاريخ كزیده » الذى أتمه فى حدود سنة ٧٣٠ هـ . وهو ينص على أن وفاته كانت فى سابع عشر ذى الحجة سنة ٦٩٠ هـ^(١) .

(١) تاريخ كزیده ص ٨٢٠

ثم يأتي بعده مؤرخ آخر هو صاحب « حبيب السير » المتوفى سنة ٩٤١ هـ . وهو يتردد بين اختيار تاريخين ذهب إلى أحدهما صاحب « تاريخ كزیده » السابق الإشارة إليه . وأخذ الآخر عن « عبد الرحمن الجامي » المتوفى سنة ٨٩٨ هـ في كتابه « نفحات الأنس » وهو شوال سنة ٦٩١ هـ^(١) دون أن يؤيد أحد الرأيين . أما كتب الطبقات ، فبين أيدينا منها الكثير ، وقد ترجم له كثيرون منهم ، ومن المتقدمين من هؤلاء صاحب كتاب « تذكرة الشعراء » المتوفى سنة ٨٩٢ هـ وقد ترجم للشاعر في إفاضة — كما دته لتراجمه في مشاهير الشعراء — وكتابه خاص بالتراجم لهم ، فهو من هذه الناحية ، كالتخصص في موضوعه ، وليس كصاحب « تاريخ كزیده » .

وهو يذكر تاريخ الوفاة في شيء من التحديد باليوم والشهر والسنة . بل يشتهر نظماً في نصين مسبوقين بكلمة « وعزیزی » على عادته في عدم التصريح بالناظم يقول في أحدهما :

« وعزیزی تاریخ وفاة آن بزرگوار برین نوع گوید .
شب آدبنه بود و ماه سسوال زناریخ عرب « خ ص أ » سال
همای روح پاک شیخ سسعدی بیفشاند از غسارتن پر ویا^(٢)
وترجمة هذين البيتين إجمالاً « أن تاريخ وفاة سعدی ، كان في ليلة الجمعة ، من شهر شوال من التاريخ العربي ، الذي يقابل في مجموعه ، ما يقابل حروف كلمة « خاص » من حساب « الجمل » . والخاء في هذا الحساب ، تقابل الرقم ٩٠ — والألف تقابل الرقم ١ — والصاد تقابل الرقم ٦٠٠ — فالمجموع = ٦٩١ .

ونظمه الآخر يؤدي — في جملته — إلى هذا المعنى . ونحن وإن لم تكن من أنصار هذا النوع ، من التحديد الزمى ، في مثل

(١) حبيب السير ص ١٣٠ (٢) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ٢٠٩

هذه التواريخ باليوم والشهر والسنة ، على هذا الوضع من جعل العبارة موزونة ، إلا أن ذلك لم يمنع من اطمئناننا إلى الأخذ بهذا الرأي .

وليس من العسير إخضاع النظم ليألف منه هذا التاريخ إجمالاً ، حتى يمكن أن يقال إن الشاعر ، إنما اصطنع التاريخ اصطناعاً ليسهل عليه الوزن ، فإن أداء المعنى أمكن صياغته في قالبين مختلفين .

ولو كان التاريخ بغير هذا لأمكن صياغته أيضاً ، على وضع مناسب ، متضمن للعدد المراد ، لكن من ناحية أخرى نسي الشاعر أن يذكر لنا كم من الأيام مضت من شوال ؟ ؟

وليس يعنينا اليوم بذاته ، ولا عدد الأيام التي مضت من شوال ، لكن يعنينا أن الكثرة من المؤرخين ورجال الطبقات ، أخذت بهذا الرأي في جملته وإن لم يذهبوا إليه تفصيلاً ، فقد رأينا صاحب « حبيب السير » ينقل عن « جامي » في « نفحات الأنس » أنه توفي في شوال سنة ٦٩١ هـ .

وكذلك من الذين أروحو للشاعر بالعربية ، من رجال الطبقات ، صاحب « مزارات شيراز » وقد جعل وفاته سنة ٦٩١ هـ^(١) .

ومن رجال الطبقات المتأخرين صاحب « رياض العارفين » — رضاقلی خان المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ قال بوفاته أيضاً سنة ٦٩١ هـ^(٢) . وهكذا يكاد يتفق معظم المؤرخين على وفاته في ذلك التاريخ .

لم يكن الأمر في حاجة إلى التدليل على هذه المسألة بعرض هذه الآراء المختلفة ، لكننا ذهبنا هذا المذهب لأمرين .

أولاً — لنكون رأياً شبه متفق عليه ، بين كثرة من المؤرخين ، وقد رأينا

(١) السکرگانی — مقدمة السکرستان ص . ط (٢) رياض العارفين ص ١٤٤

أن الكثرة تكاد تجمع على وفاته سنة ٦٩١ هـ ، وأن بعضها يذهب في التحديد فيذكر الشهر واليوم ، وعمدة هذه الآراء وأولها رأى « دولتشاه » .

ثانياً — لنبين الخلاف بين أكثر الآراء ، وبين رأى صاحب « تاريخ كزیده » فالفرق الزمني — وإن لم يكن بعيداً بين الرأيين — إلا أن رأيه في هذه العزلة ، يجعله ضعيفاً لا يؤخذ به ، وسنعرض لضعف رأى آخر له عند الحديث على تخلص الشاعر .

وبالإضافة إلى ما ذهب إليه صاحب « تذكرة الشعراء » من تحديد وفاته فإنه ذكر أن الشاعر عمر مائة واثنين من السنين . وجعل هذه السنوات الطويلة موزعة كالاتي : ثلاثين سنة في التحصيل ، وثلاثين أخرى في السياحة والتنقل بين أقطار ربع المسكونة ، وثلاثين أخيرة ، انقطع فيها للعبادة والطاعة ، والانتقى عشرة سنة الباقية ، في مساعدة الناس وإسداء المعونة لأصحاب الطريق ^(١) .

والرأى الذى ذهب إليه « دولتشاه » في هذا التقسيم أخذه عنه بعض المؤرخين من الإيرانيين ومن الغربيين . فأخذ به صاحب « رياض العارفين — رضا قلى خان » وإن كان قد جعل السنوات الاثنتى عشرة في مقدمة السنوات التى عاشها ، وجعلها تقضى في تربيته الأولى ^(٢) . ويبدأ التقسيم بعدها ثلاثين سنة بالتساوى . على النحو الذى ذهب إليه « دولتشاه » . وكذلك يأخذ عنه هذا التقسيم صاحب « آتشكده » ^(٣) لطف على بيك المتخلص بأذر المتوفى سنة ١١٣٤ هـ .

ولعل ذلك هو الذى أوحى إلى الغربيين ، أن يذهبوا هذا المذهب ، في تقسيم حياة الشاعر الطويلة . فأخذ بفسكرة التقسيم كثير منهم « براون » ^(٤) كما أخذت

(١) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ٢٠٢ (٢) رياض العارفين ص ١٤٣

(٣) آتشكده — شعراء اقليم فارس — طبعه الهند :

(٤) G. Browne : A Literary History of Persia v. 2 p. 527

به كذلك « دائرة المعارف الإسلامية » في ترجمتها للشاعر .

ونحن لا يعني أن تكون هذه الأقسام متساوية إلى هذا الحد ، أو أن تكون السنوات الباقية من هذه المقادير المتعادلة ، أمضاها الشاعر قبل أن تمتد حياته ، فتتسع لهذا القدر الطويل أو أنها كانت خاتمة حياته .

لكن مما يلحظ أن الشاعر كان معمرًا ، وأنه عاش مدة طويلة على ما يذهب إليه المؤرخون — ونحن إذا اعتمدنا السن التي أخذ بها القدماء من المؤرخين ، وهو الرأي الذي ذهب إليه صاحب « تذكرة الشعراء » في تاريخ وفاته — وهو سنة ٦٩١ هـ — واستقطعنا منه هذه السنين الطويلة التي عاشها . أمكننا أن نعرف تاريخ مولد الشاعر (٦٩١ — ١٠٢ = ٤٨٩ هـ) . وهذا هو أحد الفروض في تاريخ ميلاده .

ومع هذه السن الطويلة ، نلاحظ كذلك أن بعض المؤرخين ، يمعن في المغالاة أكثر من هذا ، ويطيل حياة الشاعر إلى المائة والعشرين سنة . ويذهب في تقسيمها أيضاً مذهباً هو أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة . فيجعل حياته أربعة أقسام ، كل قسم منها ثلاثون عاماً على التساوى ، أمضاها كما يأتي : في التحصيل ، والارتحال ، والتصنيف ، والاعتكاف ^(١) . وهو رأى يجعل ميلاد الشاعر سنة ٥٧١ هـ .

وهذا التقدير لا يخلو من مبالغة لا دليل عليها ، كما أن هذا المذهب في التقسيم المتساوى يشعر بالافتعال .

والغريبون — بجانبهم — يذهبون في آرائهم إلى أن حياة الشاعر ، تبدأ على العموم قبل مطلع القرن السابع الهجري ، فيجعله « براون » سنة ٥٨١ هـ ^(٢)

(١) أُلطف حسين في كتابه حيات سعدى ص ٧ . طبعه طهران

(٢) G. Browne : A Literary History of Pers v. 2 p. 526

١١٨٥ م. وتجعله دائرة المعارف الإسلامية سنة ٥٨٠ هـ. ويشير الأستاذ السركاني إلى الاختلاف بين هذه الآراء دون أن يغلب رأياً على رأي^(١).

هذه هي مجمل الآراء التي ذكرها القدماء ومن تبعهم .

عرض آراء المحدثين ونتائجه :

وأول ما يبدو على هذه الآراء ، أنها لم تسلم بآراء القدماء — على علاقتها — بل بحثت الموضوع بحثاً معتمداً على النقد والمقارنة . تحاول أن تستمد الأدلة ، وتعللها ، وإن كانت أيضاً قد اعتمدت على مجرد فروض .

وأهم ما يواجهنا من هذه الآراء ، ثلاثة : هي رأى الأستاذ إقبال ، والأستاذ القزويني ، والأستاذ نفيسي . والأول قصد عرضاً لدراسة هذا الموضوع بمناسبة العيد السبعائوي لإنشاء الكليستان . وذلك في مقاله الذي سماه :

« زمان تولد وأوايل زندگانی سعدی » أي زمن ولادة الشاعر وأوائل حياته .

والثاني : مقال في هذه المناسبة أيضاً ، أشرنا إليه سابقاً ، يدور حول من مدحهم الشاعر ، ويعرض — استطراداً — للحديث عن ميلاده ، بما يجعله في حدود سنة ٦٠٠ هـ^(٢) أو فوقها بقليل . إذ يجعل عمره وقت وفاة « سعد ابن زنگي سنة ٦٢٣ هـ » في حدود العشرين أو أكثر قليلاً ، دون أن يعرض للتدليل أو المناقشة . وعبارته .

« بنابر این پس شیخ در وقت وفات سعد بن زنگی در حد سنه ٦٢٣ هـ ظاهراً جوانی بوده است ، در حدود بیست و اندی ساله » .

والثالث : بحث عام عن « سعدی » نشر تبعاً في مجلة « مهر » في السنة

(١) السركاني — مقدمة الكليستان . ص . د

(٢) سعدی نامه — قزوينی . ص ١٠٤

الخامسة منها ، من العدد الأول حتى السابع ، ويذهب في رأيه ، إلى أن مولد الشاعر ، كان أيضاً في حدود سنة ٦٠٠ هـ إلى سنة ٦٠٦ هـ وذلك في قوله .

« چون عقیده که بصواب نزد بکتر است آنست ، که سعدی در حدود سنة ٦٠ هـ تا سنة ٦٠٦ هـ ولادت یافته است » (١)

عرض لرأى الأستاذ اقبال :

وهو كما يتبين من عنوانه في صميم الموضوع . وفي الواقع قد عرض الأستاذ في إفاضة لهذه المسألة ، وناقش الآراء التي تقدمته ، ودلل على ما يذهب إليه .

فقاله من هذه الناحية جدير بأن نقف عنده ، وأن ندرس ردوده وآراءه . والأستاذ يعترف مقدماً بصعوبة البحث في هذه الناحية كذلك ، وأن مولد الشاعر ليس معلوماً ، وحتى الآن لم نصل إلى دليل قطعي ، ونص عبارته . « سال تولد سعدی معلوم نیست ، وناکنون در هیچ سندی معتبر بنظر نرسیده است » (٢) .

ونأخذ الآن في إجمال رأى الأستاذ ومناقشته .

يشير الأستاذ إلى أن السنوات التي عرض لها الشاعر في كتاباته — تحدد حوادث معينة — قليلة ، لا تعدو ثلاثاً . هي تاريخ تأليفه « البوستان » . وتأليف « الكلستان » الأول سنة ٦٥٥ هـ والثاني سنة ٦٥٦ هـ . ثم قصيدة أخرى أشدها في أحد ممدوحيه سنة ٦٨٠ هـ حين أسند إليه عمل من الأعمال الإدارية في فارس .

وغير هذه السنوات لم يعرض الشاعر لشيء يعين تاريخاً في مجرى حياته . ثم يرد الأستاذ على أصحاب التذاكر ، ومن جاراتهم من المستشرقين ، ما ذهبوا إليه في تحديد سنوات حياته . ويرى أن كل ما كتب في هذا الموضوع ، إنما هي فروض لا أدلة عليها ولا سند لها (٣) .

(١) نفيسي — مجلة مهر — العدد الثاني — السنة الخامسة ص ١٤٣ .

(٢) سعدی نامه — اقبال . ص ١٦ (٣) المصدر السابق ص ١٦

ثم يناقش أهم هذه الفروض بعد أن يعرضها في قوله :
« أما استنباطي كه بعضى از محققين از بيتى از أشعار سعدى مذکور در گستان
راجع بشماره سنين او کرده اند ، بعضى بيت ذيل .

ای که پنجاه رفت و در خسروای مگر این پنج روزه دریایی
که بر حسب آن شیخ با یسنى در حدود ۶۵۶ - ۵۰ = ۶۰۶ منولد سده باشد نیز
بنظر نگارنده نمیتواند »

ومعنى العبارة « أما الاستنتاج الذى استمدته بعض المحققين من بيت یرد فى
أشعار سعدى فى الغستان يوضح سنه . وهو

بامن مضت بك خمسون عاماً ولا زالت لاهيا . لعلك تدرك هذه الأيام الخمسة
وينبغى على حسب هذا البيت أن يكون الشاعر قد ولد فى حدود سنة ۶۰۶ هـ
فلا يمكن أن يوافق وجهة نظرى » .

ثم أخذ الأستاذ يورد اعتراضه على هذا الرأى من ثلاثة وجوه .
أولاً — أنه لم يثبت — بأى وجه — أن الخطاب فى هذا البيت للشاعر .
ولكنه من نوع الخطاب العام .

ثانياً — أن هذا البيت ، ورد مطلعاً لإحدى قصائد سعدى ، وثابت فى جميع
كلياته . ثم أدرجه فى كتابه « الغستان » على مجرى عاداته فى الاقتباس .

ثالثاً — أننا لو جعلنا هذا الخطاب المبهم هو طريق التحقيق ، لأرغمنا على
التسليم كذلك ، بأن الشاعر فى وقت نظمه « لبوستان » — أى قبل « الغستان »
بعام واحد — كان يبلغ السبعين من عمره ، وذلك من بيت یرد فيه أيضاً يقول :

« ألا أى كه عمرت بهفتاد رفب مگر خفته بودى كه برباد رفت » (۱)
« یا من بلغت السبعين من عمرک ، لعلک کنت نائماً فان العمر قد ولى بك »

وهذا البيت بوضعه الراهن يناقض — فى رأيه — الاستشهاد السابق . ثم يختم

(۱) سعدى نامه — اقبال ص ۲۳

الأستاذ هذه المناقشة بتعجبه، من أن البعض يذهب مذهب البيت الأول، والبعض يذهب مذهب البيت الآخر، وكل جماعة تغضى بعينها، عن مدلول البيت الثاني إلى أن يقول:

« وحق إينست كه هيچيك از این گونه خطابه‌ای عام شاعر را كه أبدا راجع بشخص أونست، برای بیان أحوال أو مناط اعتبار قرار ندهیم ».

ومعنى العبارة « والحق أن هذا النوع من المحادثات العامة للشاعر، لا يعود على شخصه ولا نعتد بها فى بيان أحواله ».

أما رأى الأستاذ — شخصياً — فى تحديد مولد الشاعر، فهو يقوم كذلك على مجرد الافتراض، فى مسألة يشعر الأستاذ « إقبال » نفسه — كما يشاركه فيها غيره — أنها مضطربة محتاجة إلى التصحيح، تلك هى حادثه اتصال الشاعر « بابن الجوزى » والتلقى عليه، وثبتت عبارته فيما يلى:

« سہمترین اشاره ای کہ در کلیات سعدی راجع بیدابت أحوال أو دردست است، وآن برای تعیین زبان تخمینی تولد و شروع کار سعدی أوثق مصادر شمرده می شود، اشاره أوست در گلستان بشیخ أجل « أبو الفرج بن جوزی » دریکی از حکایات باب دوم، کہ در آنجا سعدی « أبو الفرج بن جوزی » را در عنفوان شباب خود مربی و شیخ خویش میخواند و میگوید ».

ثم ينقل عبارة «الگلستان» التى تشير إلى هذه الحادثة من تلك القصة وهى:

چندانکه مرا شیخ أجل « أبو الفرج بن جوزی » رحمة الله عليه « ترك سماع فردودی وعزلت إشارت کردی، عنفوان شبابم غالب آمدی وهو او هوس طالب ناجار بخلاف رأى مربی قدمی رفتی، واز سماع و مجالست حظی برگرفتمی، و چون نصیحت شیخم یاد آمدی گفتمی ».

قاضى أربا ما نشیند برفشانده دست را محسب گرمی خورد معذور دارد مست^(۱) را

ثم يأخذ فى تصحيح شخصية « ابن الجوزى » المقصودة من هذه العبارة، والتى تتفق مع سن الشاعر وحالته.

(۱) سعدى نامه — اقبال ص ۲۳

ويرى — ومعه الأستاذ القزويني^(١) أيضاً — أن هناك شخصين يشتركان معاً في الاسم والكنية واللقب والوظيفة ، وبينهما قدر من الزمن ، أحدهما « ابن الجوزي » الجد المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . والثاني — ابن الجوزي — الحفيد الذي يجتمع معه في الاسم والكنية واللقب والوظيفة أيضاً ، والذي مات هو وأبوه وأخوته في حوادث بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

ويقوم افتراض الأستاذ على أن قصد الشاعر من أبي الفرج المذكور في « الغلستان » هو الحفيد لا الجد . وهو الذي أسند إليه التدريس في المدرسة « المستنصرية » ببغداد نيابة عن أبيه ، ومنذ سنة ٦٣٣ هـ حتى مقتله ، كان يشغل وظيفة الحسبة .

ويستطرد الأستاذ في قوله بما معناه — ولما كان الشاعر يتلقى عليه وهو في عنفوان شبابه ، كان عمره سنة ٦٣٣ هـ في حوالى العشرين أو أقل من ذلك ، حتى يتمشى هذا مع تعبيره عن نفسه ، « عنفوان الشباب » ، وحتى يكون في سن يحتاج فيها إلى النصيح والإرشاد كما يقول .

ثم يخرج الأستاذ من هذا الافتراض بقوله :

« أكره أن استنباط وتقدير ، كه ظاهراً عيبى در آن دیده نمی شود صحیح باشد ، تولد آن سخنگوی استاد در حدود سنة ٦١٠ — ٦١٥ هـ اتفاق افتاده . و بنا بر این سن او در موقع نظم بوستان و إنشاء گلستان ما بین چهل و چهل و پنج بوده است

ومعنى العبارة :

« لو صح هذا الاستنتاج الذى لا يرى فيه عيب ظاهر . فإن مولد الشاعر في حدود سنة ٦١٠ — ٦١٥ هـ . وبناء على ذلك ، فسنة وقت تأليف « البوستان والگلستان » ، ما بين الأربعين والخامسة والأربعين .

(١) قزوينى . في حاشيته على جهانگشاى ح ٣ ص ٤٦٣ — ٤٦٦

ثم يذهب الأستاذ أيضاً ، مذهباً آخر ، في تأييد هذا الرأي من جانب آخر ولكن بعبارة شبيهة بنفس العبارة التي استمد منها استنتاجه الأول . تقوم أيضاً على مجرد افتراض وتخمين .

فيعتمد على أن الشاعر يشير في « البوستان » إلى أن من شيوخه « شهاب الدين أبا حفص عمر بن محمد السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ » وذلك من قوله « برا شيخ دانای برشدد شهاب دواندرز فرمود بر روی آب »

ويرى من مفهوم هذه العبارة ، أن الشاعر كان في عهد شبابه ببغداد ، يتلقى العلم على شيوخ عصره ، وأنه — حتى سنة ٦٣٢ هـ — كان لا يزال شاباً يتقبل نصائح مرشديه ^(١) .

مناقشة آرائه :

هذه هي مجمل آراء الأستاذ اقبال التي عرض لها ، وهي كما رأينا تنقسم إلى قسمين أساسيين .

أولاً — مناقشته لآراء الذين افترضوا مولد الشاعر من بيته الذي يرد فيه أنه حين إنشاء « الغلستان » كان في سن الخمسين ، وأن مولده — تبعاً لذلك — كان في حدود سنة ٦٠٦ هـ .

ثانياً — افتراضه الذي ذهب إليه ، من واقعتي تلقي الشاعر على « ابن الجوزي والسهروردي » خارجاً من افتراضه في هاتين الحادتين إلى أن مولد الشاعر كان ما بين سنة ٦١٠ و ٦١٥ هـ .

ونحن بدورنا نناقش كلا الرأيين لعلنا نصل إلى إحدى اثنتين : إما أن نقبل أحدهما دون الآخر ، أو نرفضهما ، ونذهب مذهباً جديداً .

وانعود فنعرض هنا إجمال ما ذهب إليه الأستاذ في رد الـأى الأول وآراؤه لا تعدو ثلاثاً .

(١) اقبال — سعدى نامه ص ٢٥

١ — إن الخطاب في البيت ، القصد به العموم ، لا الشاعر نفسه .

٢ — إن هذا البيت ، ورد مطلعاً لإحدى قصائد الشاعر ، ثم نقله إلى « الغلستان » على طريقه في الاقتباس والاستشهاد .

٣ — إن البيت يناقضه بيت « البوستان » الذي يجعل سن الشاعر وقت إنشاده في السبعين ، مع أن إنشاده كان قبل « الغلستان » بعام واحد .
ونحن نناقش هذه الآراء بما يأتي .

أولاً — إن البيت — موضع المناقشة — لم يكن للعموم بوجه من الوجوه ، وإنما هو لخطاب الشاعر نفسه ، وتحسره على أيامه الماضية التي أتلفها دون فائدة . والبيت موضوع بين عبارتين ، تصوران حاله .

ونحن نضع العبارة أمامنا ، كي يتحقق مدى انطباقها على الشاعر . يقول في ديباجة « الغلستان » .

« يکنسب ناسل أيام گزشتہ میگردم ، و بر عمر تلف کرده تأسف میخوردم ،
و سن سراجہ دل بالماس آب دیدہ می سقم ، و این بتہا مناسب حال خود میگفتم »

ثم يذكر قطعة من الشعر تبلغ إثني عشر بيتاً ، يرد البيت — موضوع الحديث — الثاني منها ، ومطلع هذه القطعة .

« هر دم از عمر میروود نفسی چون نگہ میکنی بمانسد بسی
ای کہ پنجاه رفت و د خوابی مگر این پنج روزہ در یابی » (١)

فكما نرى ، يشير الشاعر في مقدمة هذه العبارة المنشورة إلى نفسه في ضمير المتكلم « تأملت أيامي الماضية ذات ليلة ، وتأسفت على تلف عمري » وفي آخر العبارة يقول « وأقول هذه الأبيات في شرح حالي » ثم يوردها .

أما الغرض من انتقال الشاعر من ضمير المتكلم — في عبارته المنشورة —

إلى ضمير المخاطب — في عبارته الشعرية — فإنما يجري ذلك ، مع بعض مذاهب الشعراء في استحضار الغير ، أو الإشارة إليه ، في مقام التحسر نيابة عن المتحدث نفسه .

وهذه ظاهرة موجودة في مختلف الآداب ، يذهب إليها كثير من الشعراء في التماس مخاطب عام ، لمشاركته فيما يعرض من المعاني العامة ، التي يشترك فيها كل الناس ، ولبس المقصود بها شخص آخر غيره ، فالقصد هو المتكلم .
على أن الذي يزيد في تأييد هذا الرأي أن الشاعر بعد أن فرغ من القطعة المنظومة عاد من جديد . يوجه الكلام إلى نفسه في قوله :

« بعد أر تأمل أين معنى ، مصلحت أن ديدم كه در نشيمن عزلت نشيتم »

أى بعد أن تأملت هذا المعنى ، رأيت من المصلحة إن اعتكف في خلوة الاعتزال
ثانياً — إن وجود البيت مطلعاً لإحدى قصائده : لا ينهض دليلاً على أنه أنشده قبل ذلك في مناسبة ، ثم نقله حين إنشاء « الغلستان » على طريقتيه في الاقتباس . فمن المعروف المؤكد أن الشاعر أتم كتابه « الغلستان » سنة ٦٥٦ هـ في الوقت الذي لا نعلم فيه — بالضبط — تاريخ هذه القصيدة التي يرد فيها هذا البيت .

لكننا نعلم أن قصائد الشاعر — في بابي المدح والثناء — لم تكن أسبق من سنة ٦٥٥ هـ وهي السنة التي مدح فيها « أبا بكر » حين قدم له « البوستان » .
هذا فيما يتصل بقصائد الشاعر التي تتصل بالمدح ، وأما قصائده في الرثاء ، فلم تكن أسبق من سنة ٦٥٦ هـ وهي السنة التي قتل فيها الخليفة ، وتحول الحكم عن بغداد بعد فتح المغول .

وقد وردت القطعة التي جاء بها هذا البيت ، بين مجموع قصائد الشاعر في بابي المدح والثناء من كلياته ، ونضع لها نسخة « فروغى » عنوان « پند » أى نصيحة .

وحقيقة يرد الخطاب فيها للعموم ، ولكنه المشاركة ، واستحضار الذهن عند القارئ أو الخطاطب، ولئن تكون النصيحة إذ لم يوجه الخطاب فيها إلى الغير؟؟؟ على أنها تشعر في الوقت نفسه بمكانة الشاعر في المجتمع ، فأخذ يسديه نصائح التي لم يمتنع عن توجيهها — حتى للملوك — وجدير بهذه النصيحة أن تصدر عن الشاعر في سن متأخرة ، لا يبعد أن تكون بعد تقديمه « الغكستان » .

على أننا — بجانب ذلك كله — نجد فيها بيتاً اعلمه يجعل المسألة في صفنا أكثر من ذلك ، وهذا البيت ينتقل فيه الشاعر إلى خطاب نفسه إذ يقول :
«سعديا راستى زخلقى سـجـوى چون تودر نفس خودمى يابى» (١)
ومعناه :

« يا سعدى لا تطلب الاستقامة من الناس حين لا تجدها أنت في نفسك » .
فهو هنا — أيضاً — يتحسر على نفسه أنه أضاع عمره هباء ، وأنه يرسم طريق الرشاد للناس ، ولكنه يأس من ذلك . ثم يعزى نفسه بأنه مهما فعل من الخير فقليل ، ومادام لم يجد في نفسه الاستقامة ، فلن يطلبها من الناس .
ثالثاً — وأما وجود التعارض بين معنى بيتي « الغكستان والبوستان »
إذ أنه في الأول يبلغ الخمسين ، وفي الثاني يبلغ السبعين ، وأن الفارق بينهما عشرون عاماً ، بينما كان إنشاء « الغكستان » بعد « البوستان » بعام واحد .
فأمر نستطيع رده كذلك بما يأتي :

١ — أنه لا يلزم في بيت « البوستان » أن يكون الخطاب فيه للشاعر نفسه ، فالموقف هنا مخالف تمام المخالفة لما هو موجود في « الغكستان » فالبيت في هذا الأخير يرد في قطعة محاطة بالتحدث عن الشاعر نفسه وعن شئونه ، والكلام متسق بعضه مع بعض لا يؤثر فيه التنقل بين الضمائر .

(١) كليات فروغى ص ٤٧٣

بينما هو في « البوستان » مطلع لقطعة ، بل مطلع لباب بعينه ، هو الباب التاسع وموضوعه « في التوبة وطريق الصواب »^(١) .

والخطاب فيه للعموم ، وهذه هي طريق الشاعر في طلائع معظم أبواب هذا الكتاب ، وطلائع كثير من قطعه ، يعمد فيها إلى التحدث مع المخاطب ، ومشاركته إياه ، ثم يتخير مطلعاً مناسباً للباب أو القطعة التي يتحدث عنها ، وبوجه الكلام فيه للمخاطب : يقول في الباب الأول — باب العدل .

« چه حاجت كه نه كرسی آسمان نهی زیر پای فسرزل ارسلان »

وفي الباب الثاني « باب الإحسان » يقول في المطلع .

« ا اگر هو شمندی بمعنی گسرای كه معنی بماند ز صورت بجای »

وفي الباب الثالث يقول في مطلعته .

« ترا عشق هم چون خودی ز آب و گل ربايد همی صبر و آرام دل »

وهكذا في بقية الأبواب ، وفي الكثير من حكاياته ، يفتتحها باستحضار المخاطب ، ترد فيها الإشارة إليه ، كما وردت في مطلع الباب التاسع بالبيت الذي نتحدث عنه .

٢ — إن هذا الباب — كما نرى — في التوبة وطريق الرشاد ، ومن المناسب أن يتخير لها سناً كبيرة ، تناسب من يطلب إليه أن ينوب إلى رشده ، بعد طول حياة ، فيعمد إلى طلب التوبة ، والرغبة في انتهاج طريق الصواب .

٣ — ومع ذلك فمن الآراء ما يجعل « البوستان » عمل على دفعتين^(٢) تمت إحداها في عهد « أبي بكر » وقدمت إليه . والأخرى بعد هذا العهد . وهذا يفسر بعض الخلافات الموجودة بين نسخ الكتاب .

٤ — على أن هناك رواية أخرى ، تروى لبيت « البوستان » الذي يشير

(١) كليات فروغی — بوستان ص ٣٨٨ (٢) قزوینی — سعدی نامه ص ١١٦

إلى زمن تأليفه لو صحت ، فإنها تتسق في المعنى مع البيت الآخر الذي ورد في « الغلستان » وهذه الرواية .

« زششصد فزون بود هفتاد و پنج که پردرند این نامبر دار گنج (۱) »
وذلك بدل روايته على الوضع الآتى :

زششصد فزون بود بنجاه و پنج . البيت

والمعنى في الأول أنه تم سنة ٦٧٥ هـ وفي الثاني تم سنة ٦٥٥ هـ .

ونعتقد — من جانبنا — أن الروائتين صيحتان تشير الأولى إلى إتمام « البوستان » نهائياً ، كما تدل على أن « البوستان » عمل على دفعتين ، أو أن بعضاً منه قدم سنة ٦٥٥ هـ « لأبي بكر » . فإذا تم إنشاده وتنظيمه ، كان ذلك في وقت متأخر ، لعله يدرك هذا العهد . وبهذا نقرب من القول الذي يذهب بأن الشاعر حين تم إنشاد « البوستان » كان في سن السبعين مأخوذاً من بيته الموجود فيه .

ألا أيكه عمرت بهفتاد رفت البيت
لو صح أن الإشارة فيه للشاعر نفسه .

وبهذا — أيضاً — نصل إلى نتيجة واحدة من طريقتين مختلفين غير متعارضين . وهى أن سن الشاعر — وقت اتمام « البوستان » نهائياً سنة ٦٧٥ هـ — كان سبعين عاماً من هذا البيت .

وكان وقت إتمامه « الغلستان » سنة ٦٥٦ هـ يتجاوز الخمسين قليلاً

فالنتيجة في التقدير الأول هى : $٦٧٥ - ٧٠ = ٦٠٥$

وهى في التقدير الثانى : $٦٥٦ - ٥٠ = ٦٠٦$

وهما زمانان يتفقان مع بعضهما لا فرق بينهما في أمر كهذه المسألة .

(١) نفيسى — مجلة مهر — العدد السادس — السنة الخامسة ص ٥٦٤ .

هذه هى مجمل الآراء التى ترد بها اعتراضات الأستاذ « إقبال » على من ذهب بالقول إن مولد الشاعر كان فى حدود سنة ٦٠٦ مأخوذاً من بيت « السكلسان »

الرد على رأى الأستاذ إقبال

وأول ما يواجهنا فى رأيه أنه — أيضاً — جعله افتراضاً وتخميناً ، ونحن لا نغلب فرضاً على فرض دون دليل قوى ، وحتى الفرض الذى ذهب إليه ، يدور حول أمر تقديرى بحت لم يأخذ الشاهد فيه من أقوال الشاعر نفسه ، أو يستمد الدليل عليه من آرائه، وإنما استمد فرضه هذا من مقايضة بين سن الشاعر وسن شيوخه الذين اتصل بهم فى دراسته .

وهذه مسألة اعتبارية بحتة . فالثابت أن الشاعر امتدت صلته بأساتذته زمنياً طويلاً ، ومع ذلك فلم يعرف — حتى الآن — على وجه التحديد ، متى بدأت صلته بأساتذته ؟ ومتى انتهت ؟

والنقاد — كما رأينا — مضطربون فى تحديد شخصية « ابن الجوزى » التى دار حولها رأى الأستاذ إقبال . أهو الجدل المتوفى سنة ٥٩٧ هـ أم الحفيد المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

ومع تسليمنا بأنه ابن الجوزى الثانى — كما ذهب إليه الأستاذ إقبال — فإن وظيفة الحسبة التى بدأت لابن الجوزى سنة ٦٣٣ هـ كانت قياساً لسن العشرين للشاعر عند الأستاذ إقبال . فعلى أى أساس نفترض هذا السن . ؟ ؟ ؟

ومن المؤكد أن الشاعر اتصل « بابن الجوزى » قبيل أن يصل إلى تلك الوظيفة فعلاً ، وباعتراف الأستاذ « إقبال » نفسه أن « ابن الجوزى » هذا انتقل إلى التدريس بالمستنصرية سنة ٦٣١ هـ . ولم يثبت أن الشاعر اتصل فى دراسته بهذه المدرسة . بل يقول — كما يقول الرواة أيضاً — إنه تعلم فى المدرسة النظامية

والشاعر يحدثنا أنه كان يتقاضى ادراارا أيام وجوده بالمدرسة النظامية . فإذا ثبت أن « ابن الجوزى » هذا كان من شيوخه في التعليم فلا بد أن تكون صلته به أيام كان بالنظامية أى قبل سنة ٦٣١ هـ .

فالقول بأن سن الشاعر كان في العشرين في الوقت الذى انتقل فيه « ابن الجوزى » إلى وظيفة الحسبة سنة ٦٣٣ هـ هو مجرد فرض تقديرى لا سند له .

كذلك جعل الأستاذ نهاية حياة « السهروردى » المتوفى سنة ٦٣٢ هـ تحديداً لسن العشرين عند الشاعر في حين أن السهروردى شغل منصب التدريس قبل وفاته بمدة طويلة ، من حياة طويلة ، بلغت ما يقرب من مائة عام تقريباً . « ٥٣٩ — ٦٣٢ » هـ ^(١) .

ولاندري — على وجه التحديد — متى بدأت صلته بهذا الأستاذ ؟ أكانت في أخريات حياته أم قبلها . ؟ وهل كان يستطيع « السهروردى » حتى آخر عمره الطويل أن يظل أستاذاً بالنظامية . . . ؟ وعلى أى أساس نربط سن العشرين عند الشاعر بسنة وفاة أستاذه . . . ؟ .

فالذهاب إلى أن الشاعر كان في حدود العشرين عند ما توفى « السهروردى » هو أيضاً فرض لا نستطيع أن نجد الدليل عليه .

ونحن بعد ذلك نخلص من هذه المناقشة إلى افتراض سن الشاعر في مطلع القرن السابع الهجرى . وعمدنا في هذا رأى هو بيت « الكلستان » الذى ألف سنة ٦٥٦ هـ ، والذى يبنى عليه المؤرخون افتراض مولده بالقياس إلى هذا البيت سنة ٦٠٦ هـ . وهو رأى اقترب منه الأستاذ « القزوينى » ، والأستاذ « نفيسى » ممن عرضنا إلى آرائهم في هذه المسألة، ونضم إليهما الأستاذ « الكركافى » في مقدمته

(١) إقبال . سعدى نامه ص ٢٥

على « الكلستان » . فيجعل مولده ما بين سنتي ٦٠٠ - ٦٠٦ هـ^(١) .
وإني أميل إلى الذهاب بأن مولد الشاعر كان — على أصح الفروض —
سنة ٦٠٠ هـ

وفي تأييد هذا الرأي — بالإضافة إلى ما مضى — أذكر ما يأتي :
إننا لو رجعنا إلى البيت الذي جعلناه مصدر هذا التحديد وهو بيت
« الكلستان » الذي اعتمدنا عليه في تاريخ مولده سنة ٦٠٦ هـ . لو وجدنا مضمون
عبارة تحتل أن يكون سنه قد جاوز الخمسين بسنوات .
« ای که پنجاه رفت ودرخوابی سگراین پنج روزه دریسای »
أي الخمسين قد مضت ، وأنه تجاوزها في قوله « پنجاه رفت » أي
أو تجاوزته الخمسون .

ومحن نميل إلى أن نجعل هذا التجاوز ، لا يعدو منتصف العقد السادس بكثير
وعلى ذلك فيلاده كان في مشرق القرن السابع الهجري أي سنة ٦٠٠ هـ تقريباً
وعلى أصح الفروض .

(١) السگرای - مقدمة الكلستان ص - كج .

الفصل الثالث

اسم الشاعر وتحفيظ ما بدور مود

وهذه مشكلة أخرى لا تقل صعوبة عما واجهنا أو يواجهنا من المشاكل ، ولعل من المؤرخين من رأى أنها أول المشاكل التى تواجه الباحث .

فيذكر الأستاذ « نفيسى » أن اسمه ونسبه هما أول إشكال يواجهه الباحثين ، وقد وقع المؤرخون — قديماً وحديثاً — فى خلاف كبير حول تحديد اسمه ونسبه ، وحتى الذين كانوا قريباً من عصره ، لم يعطونا رأياً صائباً نعتمد على صحته ، فمع أن « حمد الله المستوفى » كان قريباً من عصره ، فإنه لم يعطنا رأياً قاطعاً^(١) .

تعددت الآراء القديمة فى هذه المسألة وكل رأى ذهب مذهباً مخالفاً ، دون أن يجد سنداً من نص صحيح ، أو إشارة قاطعة تفيد اليقين والاطمئنان .

وثبت الأستاذ الگريگانى كثيراً من هذه الآراء^(٢) فى مقدمة كتابه ، مشيراً إلى تضاربها تضارباً قوياً ، ونحن نضع بين أيدينا آراء الذين تحدثوا عن الشاعر من المؤرخين أو رجال التذاكر ، وسنرى منها أنه لا يوجد بينهم اتفاق عام .

١ — فمن المؤرخين صاحب « تاريخ گزیده »^(٣) الذى ألف سنة ٧٣٠ هـ يقول عنه .

« مشرف الدين مصلح الشيرازى » .

وصاحب « حبيب السیر »^(٤) الذى ألف سنة ٩١٤ هـ يقول فى توسع .

(١) نفيسى — مجلة مهر — السنة الخامسة — العدد الأول ص ٤٦

(٢) الگريگانى — مقدمة الگلسنان — ص. ج . (٣) تاريخ گزیده ص ٨٢٠

(٤) حبيب السیر ص ١٣٢

« الشيخ شرف الدين بن مصلح الدين سعدى الشيرازى » .
٢ — ومن أصحاب التذاكر « دولتشاه » فى كتابه « تذكرة الشعراء »
الذى ألف ٨٩٢ هـ .

يقول : « شيخ مصلح الدين سعدى ^(١) » .
« والجامى » صاحب « نفحات الأنس » الذى ألف سنة ٨٩٨ هـ يقول .
« مصلح الدين سعدى الشيرازى » .
« وآذر » صاحب « آتشكده » الذى ألف سنة ١١٧٤ ^(٢) هـ يقول .
« شيخ مصلح الدين المتخلص بسعدى » .
« ورضاقل خان » صاحب « رياض العارفين » الذى ألف سنة ١٢٨٨ هـ يقول .
« شيخ شرف الدين مصلح بن عبد الله » . ويشير إلى أن البعض يقول
إنه « مصلح الدين » أيضاً ^(٣) .
ونحن لانستطيع أن نتبين من خلال هذه الآراء رأياً نطمئن إليه . ونستطيع
أن نجعلها جميعاً تحت ناحيتين .

أولاً — ناحية المؤرخين . وأصحاب هذا رأى كما شاهدنا صاحب « تاريخ
گزیده » وىجارىه صاحب « حبيب السير » . وعبارة الأول لا يتضح فيها
مكان كلمة « مشرف الدين » من الاسم كله — أهى لقب أم اسم ؟ . بينما حدد
وضعها صاحب « حبيب السير » فجعلها الاسم دون اللقب . وجعل « مصلح
الدين » اسم أبيه وإن كان قد خالف الأول فيجعلها « شرف الدين » بدل
« مشرف الدين » .

(١) تذكرة الشعراء ص ٢٠٢ (٢) آتشكده آذر فى شعراء اقليم فارس .
(٣) رضاقلخان — رباعى العاوين — ص ١٤٣

ثانياً — والرأى الثانى هو ما ذهب إليه أصحاب التذاكر . ويكادون يلتقون عند رأى واحد . فهى كلها — وعلى رأسها صاحب « تذكرة الشعراء » — يذكر أنه « شيخ مصلح الدين » دون أن يذكر اسم أبيه . ولعل من جاء أخيراً من رجال الطبقات نقلوا عنه . فهم متفقون معه — جميعاً — فى الاسم وأنه « مصلح الدين » .

ويأتى آخر هؤلاء وهو صاحب « رياض العارفين » فيجمع بين الرأيين . يتفق مع أصحاب التذاكر فى قوله « ويقول البعض إنه مصلح الدين » وإن كان يترجم له بعبارة لا يتفق فيها مع غيره من المؤرخين فى قوله .

« هو الشيخ شرف الدين مصلح بن عبد الله » فيتفق مع صاحب « حبيب السير » فى كلمة « شرف الدين » وإن كان يجعلها فى مقام اللقب . ويجعل اسمه « مصلح » وأبوه « عبد الله » بينما يجعل صاحب « حبيب السير » « شرف الدين » اسم الشاعر « ومصلح الدين » اسم أبيه .

نخرج من هذا العرض إلى أن المؤرخين ، ورجال الطبقات وقعوا فى اضطراب فى تحديد اسم الشاعر ، واسم أبيه ولقبه وكنيته .

ومن هنا كانت الإشارة التى ساقها الأستاذ « نفيسى »^(١) وأيدها الأستاذ السكركانى^(٢) فى أن التناقض واسع بين المؤرخين فى اسم الشاعر ونسبه .

ولا سبيل لنا — من بعدهم — إلى تأييد رأى دون رأى ، أو تغليب رأى على آخر . ولا اعتماد لنا على ما ذهب إليه صاحب « تاريخ كزیده » مع تقدمه وأسبقته ، ولا الذى ذهب إليه رجال الطبقات جميعاً .

(١) نفيسى — مجلة مهر — السنة الخامسة — العدد الأول ص ٤٥
(٢) السكركانى — مقدمة السكركستان . ص ج (٣) المصدر نفسه ص . كد

وسينتج مما ظهر من العبارات القاطعة في تصحيح نسبه واسمه إن كلا الرأيين
جانب الصواب .

ومن حسن الحظ أنه عثر — أخيراً — على إحدى النسخ المخطوطة
« للگلستان » التي نقلت عن نسخة بخط « سعدی » نفسه ، وهي التي أخذ
عنها الأستاذ « الکرگانی » في نشره هذا الكتاب . وعبارته .

« در کتاب گلستانى كه ماخذ نگارنده ، ويطبع آن افدام نموده است ، وکاتب
آن در آخر کتاب ادعا کرده است كه از روى نسخه خط شیخ نسخه گرفته ،
ومقابله کرده است ، در پشت ورق اول کتاب عبارت ذیل نوشته شده است —
کتاب گلستان فی النوادر والأمثال والشعر والحکایات . أنشأه العبد الفقير المحتاج
إلى ربه — أبو عبد الله مشرف بن مصلح السعدی الفارسی غفر الله له ولوالدبه » (۱)

ولا يشير الأستاذ « الکرگانی » إلى تاریخ النسخة التي خطها الشاعر ، والتي
نقلت عنها النسخة المطبوعة من « الگلستان » . لكن الأستاذ « نفیسی » يشير
إلى تلك النسخة ويجعل تاریخ کتابها بخط « سعدی » سنة ۶۶۲ هـ في شهر الحرم
أى بعد ست سنوات من إتمام « الگلستان » ونص عبارة « نفیسی » هي :

« در پشت نسخه معتبری از گلستان كه از روى نسخه اول خط سعدی
نوشته شده ، و آقاي قریب آنرا انتشار داده اند ، نام مؤلف کتاب چنین آمده است .
— أبو عبد الله مشرف بن مصلح السعدی الفارسی — وأصل آن نسخه را سعدی
بخط خود در محرم سنة ۶۶۲ هـ یعنی شش سال پس از آنكه گلستان را تمام کرده ست
نوشته بوده (۲) » .

وبجانب ذلك نجد ما يدل على صحة هذا الرأي أيضاً دلالة لا تقبل الشك في تحديد
اسم الشاعر واسم أبيه .

فقد نقلت — مصورة بالفوستات — عبارة مكتوبة على وجه أول صفحة من
صفحات « الگلستان » التي أخذ عنها الأستاذ « فروغی » ، وهذه الورقة مواجهة
لصفحة ۸ من « سعدی نامه » وبها هذه العبارة .

(۱) الکرگانی . مقدمة الگلستان . ص . ۷ . كد .

(۲) نفیسی . مجلة مهر . السنة الخامسة . العدد الأول ص ۴۷

فرغ من تسيير كتاب الطيبان^(١) قائله العبد الفقير الحقير المستمد بعفوه مشرف بن مصلح السعدي غفر الله له في غرة ذي الحجة سنة احدى وستين وستائه .

وتاريخ هذه المخطوطة قريب من المخطوطة التي نقل عنها الأستاذ «الكرگانی» والتي أشرنا إليها سابقاً ، أنها كانت سنة ٦٦٢ هـ . ولكنها تفتقر عنها في العبارة فهي لا تذكر الكنية ولا الموطن .

كذلك يذكر الأستاذ « آربری » Arberry^(٢) أن هناك نسخة يملكها الخطاط المشهور « مير عماد » المتوفى سنة ١٦١٢ م عليها توقيع « سعدي » بالعبارة الآتية « أبو عبد الله مشرف بن مصلح السعدي الفارسي » .

وبجانب هذا يقول الأستاذ « نفيسي » إن هناك لوحة حجرة موضوعة على مقبرة الشيخ منذ اليوم الأول لوفاته . ولا تزال باقية على جدار المكان ، مكسورة من المقدمة وغير واضح ما عليها . وفي العبارة التي بقيت عليها مكان كلمة أو كلمتين غير موجودتين . كما يحى أيضاً تاريخ وفاة « سعدي » ، الذي كان حتماً منقوشاً عليها ، ولم يبق من اسمه ونسبه إلا كنيته وتخلصه .

وذلك هو ما بقي على تلك اللوحة يورده بالوضع الآتي .

« مجمع الفضائل الملكية ، ينبوع الحامد السنية ، ذو المعاني اللطيفة ،

المشار إليه بالبنان ، أبو عبد سعدي »

ووص العبارة :

(اپنك پاره' ازیستی كه از روز نخست بر سر خاك نهاده بودند، در همان مقبره' شیراز باقی مانده كه بر دیوار جای داده اند و آواز آن شنیده و نوا بود سنده . و آرمیان آن یکی دو كلمه نیز شنیده . و آرمیان رفته است . و تاریخ فوت سعدي كه حتمادر

(١) هذه الكلمة نقرأ قريبة من «الطبقات» ولعل المقصود بها الكلمات أو الطيبات .

(٢) Kings and Peggars p. 6

روى آن كنده بودند آزدست رفته . وأزنام ونسب أونيز بجز كنيه وتخلص چيزى نمانده وآنچه آزان سنگ باقى مانده بدين قراراست مجمع الفضائل ينبوع المحامد . . . الخ (١) .

ويخرج الأستاذ من هذه الآراء إلى أمور قاطعة فى اسم الشاعر ونسبه وهى :

١ — إن كنية الشاعر هى « أبو عبد الله » وكلمة « الله » غير موجودة فى النص المحفور ، لكن تفهم من إضافة كلمة « عبد » اليها .

٢ — إن القدر الموجود بين كلمة « أبو عبد » و « سعدى » لا يتسع لأكثر من أربع كلمات هى كما يمكن تقديرها — « الله مشرف بن مصلح » وبهذا يمكن أن يكون اسم الشاعر ونسبه كاملاً

« أبو عبد الله مشرف بن مصلح سعدى » وهو ما يتسق مع ما وجد على ظهر النسخة المحققة « للغلستان » الذى نشره الأستاذ الكركانى

فليس — إذن — كلمة « عبد الله » اسماً له أو لأبيه وإنما هى كنية له . كما أن كلمة « مشرف الدين » التى وردت عند بعض المؤرخين ليست لقباً له أو لأبيه لكنها اسم له غير مضافة لكلمة « الدين » . وهى بضم الأول وفتح الثانى وتشديد الثالث كما ضبطها الأستاذ الكركانى نقلاً عن النسخة التى أخذ عنها . لكنه لم يتبع الشدة على الراء بحركة . هل هى الفتحة أم الكسرة ؟ .

والمعنى أقرب لأن نجعلها الكسرة بدل الفتحة حتى تكون اسم فاعل يصدر عنه التشرىف .

وكذلك الأمر فى كلمة « مصلح الدين » التى وردت عند البعض . ليست لقبه أو لقب أبيه لكنها اسم أبيه بدون إضافه إلى كلمة « الدين » .

بقى أن نذكر من أين جاء هذا الخلط والاشتباه عند النساخ أو الرواة ؟ . وهو أمر بعدد سهلاً ويسيراً فى إضافة كلمة « الدين » إلى « مشرف ومصلح »

(١) نفيس . مجله مهر . السنة الخامسة . العدد الأول ص ٤٧

واستبدال كلمة « شرف الدين » بدل « مشرف » وذلك أن كلمة « مشرف » و« شرف » قريبتان من بعضهما ، ومن السهل فواتها على النساخ أما كلمة « الدين » فهي تقرب كذلك من كلمة « ابن » ومن الممكن أن يقع فيها من لا يدقق . وهذا ما يذهب إليه الأستاذ « الكرگانی » في تعليل ذلك الخلط ^(١) .

أما نسب الشاعر إلى الموطن ففي نص الأستاذ « الكرگانی » الذي أخذ عنه نسخته ، أن الشاعر نسب نفسه إلى « فارس » وفي نصوص رجال الطبقات أنه ينسب إلى « شيراز » . ولا اعتراض لنا على الخلاف بينهما . فإنه ينسب نفسه إلى الوطن الكبير بينما ينسبه رجال الطبقات والمؤرخون إلى موطن ولادته شيراز .

ولا خلاف في أنه ولد بشيراز كذلك فإنه يشير إلى هذا في عدة مواضع من كتبه .

ففي الكلستان في الباب الخامس في المقدمة التي تشير إلى دخوله « كاشغر » ومشاهدته طالباً يقرأ مقدمة « الزمخشري » . فيسأله الفتى عن موطنه فيجيبه « شيراز » .

« مولدم برسید ، گفتم . خاك شيراز » ^(٢)

وفي إحدى غزلياته يشير إلى ذلك بقوله :

« هر سناعی زمعدنی خسيزد شکر از مصر وسعدی از نيراز ^(٣) »

أما كلمة شيخ فيمكن أنها أسندت إليه تقديراً لمكانته الروحية ، أو الصوفية ، أو رعاية لسنه ، أو منزلته .

وقد تردد إطلاق هذه الكلمة على الشاعر في حياته، حتى من كبار الشخصيات

(١) الكرگانی — مقدمة الكلستان ص ١٠٦ .

(٢) كليات فروغی — گلستان ص ١٦٧ .

(٣) الكرگانی — مقدمة الكلستان ص ١٠٦ .

ففي الرسالة السادسة من رسائله ، وهي التي تتعلق بلقاء الشاعر « لآباقا خان »
والصاحبين « شمس الدين وعطا ملك » يذكران في قولها « لآباقا » حين سألهما
من يكون ذلك الشيخ ؟ يجيبانه « إنه أبونا ، وشيخنا » والعبارة .
« گفتند اى خداوند ، اويدرما وشيخ ماست (١) » .

أما متى يمكن أن يكون قد فاز بهذا اللقب ؟ فإننا نعتقد أنه ظهر به منذ أيام
رحلاته واختلاطه الكثير بالناس ، وقيامه مرات كثيرة بالوعظ والإرشاد بينهم ،
فنال تقديرهم واستحق لهذا أن يخلعوا عليه لقب شيخ .

ويرى الأستاذ « الكرگانی » أنه خلال إقامته الطويلة بسوريا نال فيها لقب
الشيخ الكبير في « دمشق » فانه كان موضع احترام الناس . ولأول مرة في تلك
المدينة ومدينة « بعلبك » كما يقول — جمع بين شهرته كأديب كبير ، وبين
واعظ ديني شهير (٢) .

(١) كليات فروغی ص ٦٥ (٢) السکرگانی مقدسه الکلسنان ص . ٦٠

الفصل الرابع

تخلص الشاعر والخوف مره

وهذه أيضاً مسألة من المسائل التي لم يجمع فيها على رأى بين القدماء ، كما اختلف المحدثون فيها كذلك .
وأساس هذه المشكلة أمران .

١ — أنه لم يرد نص صريح — من نصوص الشاعر — يدل على تحديد الشخص الذى استمد منه تخلصه .

٢ — أن الشاعر عاصر حاكمين من حكام أسرة الأتابكة ، الذين عاش وعاشت أسرته في كنفهم بشيراز ، وكلاهما يسمى سعداً .

عاصر « سعداً بن زنگى » كما عاصر « سعداً بن أبى بكر » وكلا الجد والخفيد له اسم سعد ، ومن هنا كان مورد الاضطراب عند القدماء والمحدثين .

وتعضى المسألة عند القدماء — فيما يذهبون إليه — كأنها أمر مسلم به غير محتاج إلى تدليل أو مناقشة ، بخلاف ما نلاحظ عند المحدثين .

ونحن نجمع آراء القدماء كما وردت أولاً ، ثم نقاش آراء المحدثين ثانياً ، فإذا ذهبنا إلى رأى دون رأى ، فسنقيم الدليل على وجهة نظرنا ، فيما نذهب إليه ، ولعلنا نوفق في ذلك .

عرض عام لهذه الآراء : آراء القدماء

وقد أشار الأستاذ « القزوينى »^(١) إلى من تكلم من القدماء عن تخلص « سعدى » وجعلهم قسمين .

١ — قسم يذهب في تخلصه إلى « سعد بن زنگى » — الجد .

(١) قزو بنى — سعدى نامه ص ١١٠

٢ - وقسم يذهب إلى أنه تخلص باسم « سعد بن أبي بكر » - الحفيد .
 أما من ذهب إلى الرأي الأول فقد قال عنهم إنهم أربعة ، هم أصحاب
 « حبيب السير ، وجهان آراء ، وآتشكده ، ورياض العارفين ^(١) » .
 والذين ذهبوا إلى الرأي الثاني هم أصحاب « تاريخ گزیده ، ومزارات شیراز » .

ونص هذه العبارة من مقال « ممدوحین شیخ سعدی » هي كما يلي :

« چنانکه از تاریخ گزیده (٢) ومزارات شیراز (٣) مستفاد میشود، شیخ از
 بستگان ومنتسبان ابن شاهزاده بوده ، وهمانا تخلص وی نیز ازنام او مأخوذ
 وبدون شبهه صواب همین قول است ؛ به آنچه صاحب حبيب السير ، وجهان آراء ،
 وآتشکده ، ورحوم هدايت گفته اند که تخلص شیخ مأخوذ ازنام سعد بن
 زنگی است » .

ثم يدل على صحة ما يذهب إليه بآراء منعرض لها وناقشها فيما بعد . وترجمة
 هذه العبارة .

وكما يستفاد من تاريخ « گزیده ومزارات شیراز » كان الشيخ من
 المتصلين بهذا الأمير « سعد بن أبي بكر » والمتنسبين إليه ، وكذلك اتخذ تخلصه
 أيضاً من اسمه ، ولا شك أن الصواب هو نفس هذا القول . وليس ما يذهب إليه

(١) صاحب حبيب السير. هو غياث الدين خواند مير من رجال القرن العاشر الهجري
 وصاحب جهان آراء. هو القاضي أحمد الغفاري من رجال القرن الحادي عشر الهجري
 وصاحب آتشكده. هو لطف علي بك المتخلص بأذر من رجال القرن الثاني عشر الهجري
 وصاحب رياض العارفين . هو رضا قلي خان المتخلص بهدايت من رجال القرن
 الثالث عشر الهجري .

(٢) تاريخ گزیده ص ٨٢ . وعبارته مقتضبة وهي « سعدی شیرازی وهو
 مشرف الدين مصلح شیرازی و بانابك سعد بن أبي بكر سعد بن زنگی منسوبت
 (٣) مزارات شیراز . هامش سعدی نامه ص ١١١ وعبارته « الأتابك سعد بن
 أبي بكر بن سعد بن زنگی . كان ملكاً شاباً جميلاً حسن السيرة صافي السريرة
 محباً لأهل الفضل مرياً لهم . قد انتسب إليه الشيخ مشرف الدين مصلح »

صاحب «حبيب السیر»^(۱) وجهان آرا^(۲)؛ و آتشکده^(۳) و المرحوم هدايت^(۴) .
أن تخلص الشيخ مأخوذ من اسم «سعد بن زنگی» .

والمفهوم من إجمال عبارة الأستاذ «القزوينی» أنه وجد بين المتقدمين —
الذين يعتمد عليهم في حياة الشاعر — أربعة تذهب إلى أن تخلصه مأخوذ من
«من سعد بن زنگی» واثنين يذهبان إلى أنه اتخذه من «سعد بن أبي بكر» .

ونستطيع أن نضيف إلى الآراء التي يذهب إليها الأستاذ في جعل التخلص
مأخوذاً من اسم «سعد الأكبر» رأياً آخر لم يشر إليه هنا ، وإنما أشار إليه
في مقدمته على كتاب «المعجم في معايير أشعار العجم»^(۵) ذلك هو رأى دوانشاه^(۶)
ولعله أول مرجع في هذه المسألة تقدمه وإحاطته .

وبهذا تستكمل آراء أغلبية رجال الطبقات الذين يعتمد عليهم في تاريخ الشاعر .
هذه هي آراء القدماء ، وهي كما نرى تعرض للأمر دون مناقشة أو تدليل ،
ونحن لا نذهب إلى تغليب رأى على رأى ، دون أن ندخل في المسألة آراء المحدثين
ثم نقاشته .

آراء المحدثين . من قال بتخلصه بسعد الأكبر

وأهم من ذهب من المحدثين الذين اطاعنا على آرائهم ، وجعلوا تخلص الشاعر
من «سعد بن زنگی» هو الأستاذ «الكرگانی» . وإن كانت أدلته مقتضبة

(۱) حبيب السیر ص ۱۲۸ . وعبارته — في عرض الكلام عن سعد بن زنگی
«وشیخ بصلج الدین سعدی شبرازی را در تخلص بوی منسوب میدانند» .

(۲) لم يتيسر الاطلاع على نص هذا الكتاب لأنه غير موجود بمصر .

(۳) آتشکده . «ظهور التیج در زمان سعد أتابك است و بدین جهت سعدی
تخلص میکرده»

(۴) ریاض العارفين ص ۱۲۴ «ظهورش در زمان سعد بن زنگی بوده و بسبب
خصوصیت أتابك مذکور سعدی تخلص فرمود»

(۵) مقدمة المعجم في معايير أشعار العجم ص . ط — ی

(۶) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ۲۰۲ . وعبارته « و ظهور شیخ در
روزگار أتابك سعد بن زنگی بوده است ، گویند پدر شیخ ملازم أتابك بوده ، و وجه
تخلص شیخ سعدی بدان جهت است » .

دفع رأی من قال بتخاصه من « سعد بن أبي بكر » ، و يذهب أيضاً بعض الإيرانيين
والغریبین إلى مشاركتة هذا الرأي وعبارته .

« در باب تخلص وی مینویسد ، چون سلطان زمانش أتابك سعد بن زنگی بوده ،
لهذا سعدی تخلص نموده ، ولی صاحب تاریخ گزیده حمد الله مستوفی قزوینی مینویسد
چون سعدی ملازم سعد دوم سرأبو بكر بوده . لهذا ابن تخلص را اختیار کرده أند
ود لیلشان آنست که سعدی در زمان سلطنت سعد بن زنگی در شیراز نبوده و در
أشعار و نوشتهای خود ویرا مدحی نکرده .

اعتراضی که بنظر نگارنده برفول دوم وارد میشود این است که هرگاه سعدی
بواسطه ملازمت سعد بن أبو بكر این تخلص را اختیار کرده باشد البته باید بعد از
مراجعت بشیراز باشد . در اینصورت باید سعدی در آیام تحصیل خود در بغداد
و مسافرتها که کرده تخلصی اختیار نکرده باشد با تخلصی دیگر داشته ، و یا هیچوجه
شعری نگفته باشد . و این مطلب بغایت بعید ، بلکه فریب بمحال است (۱) .

وترجمة هذه العبارة كما يلي :

« فی باب تخلص « سعدی » یذکرون أنه لما كان سلطان عصره هو
« سعد بن زنگی » . فلماذا اتخذ منه « سعدی » تخلصه لکن صاحب « تاریخ
گزیده » یذکر أنه لما كان السعدی ملازماً « لسعد بن أبي بكر » فلماذا اختار
تخلصه منه ، ويختار البعض القول الثاني (۲) ، ودليلهم على ذلك أن « سعدی »
فی عهد حکم « سعد بن زنگی » لم یکن فی شیراز ، ولم یمدحه فی شعره أو رسائله
لکن الباحث « یقصد نفسه » یمترض على القول الثاني ، بأنه لو كان
« سعدی » قد اختار تخلصه من أجل ملازمته « لسعد بن أبي بكر » لكان
بالتأکید بعد رجوعه إلى شیراز . وعلى ذلك ینبغي أن یكون « سعدی » فی
عهد تحصیله ببغداد وسفره ، لم یأخذ تخلصاً ، أو أنه كان له تخلص آخر ، أو لم یقل
شعراً قط ، وذلك أمر بعید للغاية ، بل قریب من المحال .

(۱) السكرگانی - مقدمة الکلیستان . ص . ذ .

(۲) لعله بشیر بذلك إلى آراء المحدثین ممن ذهبوا هذا المذهب .

هذا هو أهم الآراء المعارضة في جعل تخلص الشاعر مأخوذاً من « سعد بن أبي بكر » يتزعمه الأستاذ الكرگانی ، ويدلل عليه .

وقد نهج منهجه هذا جماعة من الإيرانيين المحدثين ، وإن لم يذهبوا في عرض آرائهم والتدليل عليها كما ذهب هو . كذلك يذهب إلى نفس هذا الرأي بعض الغربيين .

ومن بين الإيرانيين الأستاذ « قاسم تويسرکانی » في بحث له عنوانه « سخن سعدی » فبعد أن يرد على المعارضين ببعض ما ذهب إليه الأستاذ « الكرگانی » . يعود فيرى في النهاية ، أن الأمر حقيقة لا يخلو من إشكال في إسناد تخلص الشاعر إلى إحدى الشخصين .

لكنه يذهب في ذلك مذهباً لا نوافقه عليه في الخروج من هذا الإشكال ، إذ يرى أنه من المحتمل أن يكون تخلص الشاعر إما اتخذ من شخص آخر غير هذين الأميرين أو هو وصف له ، وعبارته :

« پس در وجه تخلص سعدی بدین نام اگر حتماً بخواهیم ، این کلمه را بیکی آزد و سلسلهٔ اُتاپکان منسوب بداریم ، در هر حال خالی از اشکال نیست ، چه نسبت آن را بسعد اول بدهیم ، وجه بسعد دوم . بنا بر این میتوان احتمال داد که تخلص وی از نام هیچیک آزد و سعد گرفته نشده . و بنام دیگری ، یا سعد وصفی منتسب بوده باشد (۱) » .

لكن هذا الرأي — الذي ذهب إليه هذا الكاتب — لا نستطيع أن نقبله أو يبلغ مبلغ الاطمئنان لدينا ، فهو فضلاً — عن أنه مجرد فرض لا تؤيده الوقائع فإنه بعيد الاحتمال ولا يحل الاشكال .

وإلى نفس الرأي الذي ذهب إليه الأستاذ « الكرگانی » تذهب دائرة المعارف الإسلامية في مناقشة قصيرة .

(۱) قاسم تويسرکانی — سخن سعدی ص ۴

فهى تشير إلى أن أبا الشاعر كان فى خدمة الأتابك « سعد بن زنگى » وتجعل تلخصه من اسمه ، ثم تذكر أن بعض الآراء ^(١) تخالف هذا الرأى فى جعل التلخص « لسعد الأصغر » وترد على هذا بقولها : إن « سعداً الثانى » لم يعتل العرش إلا حين كان « سعدى » فى السابعة والستين ^(٢) ، وقد كتب الكثير من مؤلفاته ثم عاد إلى شیراز ، ولم يمتد حكم « سعد الثانى » إلا اثنى عشر يوماً ، فلم يكن لديه أية فرصة ليؤدى عملاً جليلاً ليـسـكون بذلك محل تقدير « سعدى » بينما كان جده راعياً لوالد الشاعر .

كذلك يرى « براون » — دون مناقشة — أن الشاعر لما كان فى رعاية الأتابك « سعد بن زنگى » أتابك فارس ، لهذا جعل تلخصه من اسمه ، وسرعان ما أرسله للانتحاق بالمدرسة النظامية ببغداد ^(٣) .

هذه هى آراء الذين ذهبوا إلى أن تلخص الشاعر مأخوذ من « سعد بن زنگى »

من قال بتلخصه بسعد الأصغر

هناك جماعة أخرى ترى أن تلخصه مأخوذ من « سعد بن أبى بكر » . وعلى رأس هؤلاء الأستاذ « القزوينى » والأستاذ « عباس اقبال » .

الأول فى مقدمته لكتاب « المعجم » ^(٤) ومقاله « ممدوحين شيخ سعدى » ^(٥) .

والثانى فى مقاله « زمان تولد وأوايل زندگان سعدى » ^(٦) الذى نشر فى « سعدى نامه » .

(١) لعلها تقصد آراء القدماء مثل تاريخ كزیده .

(٢) ترى الدائرة فى النسخة الانجليزية . أن مولد الشاعر كان سنة ٥٨٠ هـ . وهذا خطأ لا يتفق مع التقدير المذكور لسن الشاعر . والصواب ما ثبت فى النسختين الفرنسيتين والألمانية من أن مولده كان سنة ٥٩٠ هـ .

(٣) G. Browne: A Literary History of Persia v. 2, p. 527.

(٤) مقدمة المعجم فى معايير أشعار المعجم ص ١٠٠ ط — ى .

(٥) سعدى نامه ص ١١٠ (٦) نفس المصدر ص ٢٧ .

رأى الأستاذ القزويني

ولما كان رأى الأستاذ « القزويني » هو الأساس ، وقد عرض له في موضعين فإننا نفرّد له المناقشة أولاً .

ونحن نسجل نص عبارته — على طولها — ثم نناقشها ، وقد كتب الأستاذ مقدمته لكتاب « المعجم » سنة ١٩٠٩ م . ثم عاد فأشار إلى هذه المسألة في مقاله الثاني بعد ذلك التاريخ . مع تصحيح بعض الآراء التي كان قد ذهب إليها ، والتي أخذها عن صاحب « تاريخ كزیده » .

وهذا هو نص العبارة كما وردت في المقدمة المذكورة .

« ودر اینجا لازمست که اشاره بعلتی مشهور . در باب تخلص شیخ « سعدی شیرازی » بنائیم ، وآن اینست که بسیاری از تذکره نویسان ، که اولین ایشان « دولتشاه سمرقندی » است ، گفته اند ، که شیخ از مداحان آتابک « سعد بن زنگی » بوده ، ووجه تخلص او « بسعدی » نیز از نام همین پادشاه مأخوذ است واین امر خطای محض است چه .

أولاً — در تمام کلیات شیخ مدحی یا ذکری از « سعد بن زنگی » أصلاً و مطلقاً نیست .

ثانياً — مصنف این کتاب — چنانکه گفتیم — در پنج سال آخرت سلطنت « سعد بن زنگی » و اوائل سلطنت « أبو بکر بن سعد بن زنگی » در شیراز ، و در ملازمت دویاد شاه مذکور بسر می برده است .

و در این کتاب از اشعار غالباً شعرای متقدمین ، و متأخرین ، و معاصرین خود ، مانند کمال الدین اسماعیل المتوفی سنة ٦٣٥ هـ استشهاد آورده است .

و مع هذا هیچ إشارت ، و ذکری از « سعدی » نمیکند . و اگر شیخ معاصر « سعد بن زنگی » بوده . یعنی در عهد او در شیراز اقامت داشته . این سکوت مصنف از او با آنکه هردو بنا بر این تقدیر — در یک عصر ، و یک شهر و در خدمت یک شاه ، بسر می برده اند — هیچ وجهی و محلی نخواهد داشت .

هذه هي القضية ورده عليها . ثم يعرض الأستاذ رأيه في قوله :

« و صواب قول صاحب تاریخ گزیده است که شیخ « سعدی » از ملازمان « سعد بن ابی بکر بن سعد بن زنگی » — که در سنه ٦٥٨ هـ دوازده روز بعد از وفات پدرش وفات یافت — بوده است . و تخلص « سعدی » نیز از نام همین شاهزاده مأخوذ است . و کتاب گلستان را نیز بنام همو تألیف کرده است . چنانکه گوید .
على الخصوص که دیباجه هما یونتن بنام سعد أبو بکر سعد بن زنگی ست

وظاهر آنست که مراجعت شیخ از سفرهای دور و دراز بوطن خود ، واستقرار وی در شیراز در اواخر سلطنت « أبو بکر بن سعد بن زنگی » بوده است ، و در همان اوقات کتاب « بوستان » را بنام آن پادشاه ، در سنه ۶۵۵ هـ کرده است چنانکه گوید ز ششصد فزون بسود پنجاه و پنج که پر در شد این نامبردار گنج « و گلستان » را در سال بعد ، یعنی در سنه ۶۵۶ هـ چنانکه گوید . . . در آمدت که ما را وقت خوش بود ز هجرت ششصد و پنجاه و شش بود و چون سلطنت « أبو بکر بن سعد بن زنگی » مدت سی سال یعنی از سنه ۶۲۸ (۱) إلى ۶۵۸ طول کشید منافاتی ندارد ، که « شمس قیس » و شیخ « سعدی » — با وجود آنکه هر دو معاصر آن پادشاه بوده اند — زمان یکدیگر را درک نکرده باشند . چه « شمس قیس » اوایل عهد اودرک کرده بوده ، « و شیخ سعدی » اواخر آنرا . والله الهادی إلى الصواب .

وترجمة هذه العبارة هي :

« و یلزم هنا أن نشير إلى خطأ مشهور ، في باب نخلص « سعدی شیرازی » ذلك أن كثيرا من رجال التذاكر ، وأولهم « دولتشاه السمرقندی » قد قالوا أن الشيخ من الذين مدحوا الأتابك « سعداً بن زنگي » ، وتخلصه أيضاً بكلمة « سعدی » مأخوذ من نفس هذا الأمير ، وهذا الأمر خطأ محض لأنه .

أولاً — لا يوجد في جميع كلييات الشيخ مدح أو ذكر « لسعد ابن زنگي » مطلقاً .

ثانياً — أن مصنف هذا الكتاب — كما قلنا — أمضى السنوات الخمس من آخر حكم « سعد بن زنگي » وأوائل عهد « أبي بکر بن سعد » في شیراز ، وفي ملازمة كلا الحاكمين ، واستشهد في هذا الكتاب بأشعار أغلب الشعراء المتقدمين ، والمتأخرين ، والمعاصرين له ، أمثال كمال الدين إسماعيل المتوفى سنة ۶۳۵ هـ .

(۱) صحیح الأستاذ الفروبی نفسه هذا التاريخ الذي أخذ عن صاحب « تاريخ گزیده » . معتمداً في هذا على بعض حوادث وشواهد تتصل بعصر « أبي بکر بن سعد » وقد عرضنا لهذا الخلاف في الرسالة عند الحديث على وفاة « سعد بن زنگي »

ومع هذا لا يوجد ذكر أو إشارة عن « سعدى » . ولو أن الشيخ كان معاصراً
« لسعد بن زنگى » — أى أقام فى عهده بشيراز — فلا معنى لسكوت المصنف
عنه ، مع أن كليهما — حسب هذا التقدير — كانا فى عصر واحد ، ومدينة
واحدة ، وفى رعاية ملك واحد .

هذه هى المشكلة فى نظر الأستاذ . وأما رأيه هو فيبدو فى قوله الذى مضى فى
عرضه ونترجمه بما يأتى :

« والصواب هو قول صاحب « تاريخ كزیده » فان الشيخ « سعدى »
كان ملازماً « لسعد بن أبى بكر » الذى توفى سنة ٦٥٨ هـ . بعد اثنى عشر يوماً
من وفاة أبيه . وتخلص « سعدى » أيضاً مأخوذاً من هذا الأمير ، وألف له كذلك
كتاب « الغلستان » ، كما يقول :

جعلت على الخصوص ديباجة هذا الكتاب العظيم باسم سعد بن أبى بكر
ابن سعد بن زنگى .

والظاهر أن عودة الشاعر إلى موطنه من أسفاره الطويلة البعيدة ، واستقراره
فى شیراز كان أواخر عهد أبى بكر بن سعد بن زنگى . وفى نفس الوقت الذى ألف
فيه « البوستان » باسم ذلك الأمير سنة ٦٥٥ هـ كما يقول :

فى عام ستمائة وخمسة وخسين ، امتلأ هذا الكنز بالدر الثمين .

والغلستان بعده بعام أى سنة ٦٥٦ هـ كما يقول :

حين كان عهدنا سعيداً كان ذلك فى عام ستمائة وست وخسين من الهجرة .
ولما كانت سلطنة « أبى بكر بن سعد » امتدت من سنة ٦٢٨ هـ إلى سنة ٦٥٨ هـ ،
فليس هناك ما ينفى ، أن « شمس قيس » ، « والشيخ سعدى » لم يدرك أحدهما الآخر ،
مع معاصرتهم لهذا الأمير ، فان « قيسا » أدرك أوائل عهده ، وأدرك « الشيخ
سعدى » أواخره . والله الهادى إلى الصواب » انتهت الترجمة .

وكلام الأستاذ القزويني في موضعيه — وكما يبدو — ينقسم إلى الأقسام الأساسية الآتية .

أولاً — عرض لرأى أصحاب التذاكر ، وعلى رأسهم دولتشاه .
ثانياً — هدم هذا الرأى بما ذهب إليه من الأدلة التى أوردها ، والتى لا تعدو دليلين .

١ — أنه لا يوجد فى كل الكليات مدح أو ذكر لسعد بن زنگى .
٢ — أن صاحب المعجم لم يشر إلى الشاعر ، أو يقتبس منه كالحال مع معاصريه .

ثالثاً — إيجاد رأى جديد — دون الدفاع عنه — وهو الرأى الذى قال به صاحب « تاريخ كزیده » . وأن الشاعر ينسب إلى سعد بن أبى بكر .

الرد على الأستاذ القزويني

أولاً — أما عن المسألة الأولى : وهى عرضه لرأى أصحاب التذاكر ، وعلى رأسهم دولتشاه السمرقندى ، فقد ورد فى نص عبارة الأستاذ ما يأتى :

« كه بسيارى از تذكرة نویسان ، كه اولین ایشان دولتشاه سمرقندى است گفته اند ، كه شيخ از مداحان آتابك سعد بن زنگى بوده ، وجه تخلص او « سعدى » نیز از نام همین پادشاه مأخوذ است ، و این امر خطای محض است » .

ويبدو أن الأستاذ القزويني أخذ مفهوم العبارة عموماً . فإن الشاعر الذى يتخلص بشخصية من الشخصيات ، لا بد أن تكون له فيها مدائح ، فقال إن الشيخ من الذين مدحوا الأتابك « سعداً بن زنگى » . نقلاً عن مفهوم عبارة دولتشاه .

ونحن إذا رجعنا لنص صاحب تذكرة الشعراء — دولتشاه — فإننا نجده بهذا الوضع .

« وظهور شيخ در روزگار آتابك « سعد بن زنگى » بوده است . گویند پدر شيخ ملازم آتابك بوده ووجه تخلص شيخ سعدى بدان جهت است » .

« أى أن الشيخ كان فى عهد الأتابك « سعد بن زنگى » ، ويقال إن أباه كان من ملازمى الأتابك، ووجه تخلص « الشيخ سعدى » من هذه الناحية » .
فعبارة دولتشاه صريحة فى أن الشيخ كان فى عهد الأتابك « سعد بن زنگى »
— فحسب — دون أن يشير إلى مدائح ، ولكن أباه كان على صلة بالحاكم ، فكان تخلص الشاعر به مأخوذاً من هذه الصلة .

وهذا أنسب فى مثل موقفنا من « الشيخ سعدى » و « سعد بن زنگى » .
فحتى عهد وفاة هذا الحاكم سنة ٦٢٣ هـ ، لم يثبت له مدائح إلا بعد عودته إلى شيراز ، فانه كان يألف من هذا النوع ، ولعل الشاعر رأى فى باكورة حياته الشعرية أن يتخذ تخلصه باسم هذا الحاكم تقديرًا لرعايته له ولأبيه من قبل ، حتى يكون ذلك بمثابة الإعلان وعرفان الجليل .

كما يثبت ذلك من الأبيات التى أشرنا إليها سابقاً ، فى مثل هذه المناسبة .
ثانياً — وأما عن المسألة الثانية : وهى تدليلة على بطلان رأى « دولتشاه » بما أورده من الدليلين اللذين أشرنا إليهما .

١ — فعن الدليل الأول . « وهو أنه لم يوجد فى كليات الشاعر مدح أو ذكر لسعد بن زنگى » فىمكن أن يرد على عبارة الأستاذ « مدحى يا ذكرى » التى ذكرها ، بأن الشاعر حتى وفاة « سعد بن زنگى » أو قبلها بقليل ، كان مهتماً بالتحصيل ، والتوجيه الدينى لا الشعرى . ولكنه إرضاء لحاسته الشعرية كان يقرض أبياتاً خفيفة لا تبلغ إطالة القصائد التى تقال فى المدح أو الرثاء . والتى تعرض لمثلها بعد عودته إلى شيراز من رحلاته الطويلة ، وفى المناسبات التى أشرنا إلى بعضها سابقاً .

على أن الأستاذ القزوينى نفسه ، يغفينا عن إطالة الدفاع فى هذه المسألة ، وذلك فى الموضع الآخر من أبحاثه ، وهو ما أثبتته فى مقاله « ممدوحين شيخ سعدى » . ولعلها تفصل فى رأى بجانبنا . يقول :

« بنا بر این پس شیخ در وقت وفات « سعد بن زنگی » در سنه ۶۲۳ هـ — ظاهراً — جوانی بوده است ، در حدود بیست یا بیست و اند ساله ، و بدیهی است که در این سن هنوز برتبه شاعری ، شهرت و معاشرت با ملوک ، و اکابر ، نرسیده بوده است . و همین جهت است بدون شك که در تمام کلیات او از نظم و نثر چنانکه سابق (۱) نیز گفتیم . مطلقاً و اصلاً ، مدحی یا مرثیه در حق سعد بن زنگی (۲) . »
و ترجمه هذه العبارة :

« وبناء على ذلك ، كان الشيخ وقت وفاة « سعد بن زنگي » سنة ۶۲۳ هـ — على ما يبدو — شاباً في حدود العشرين أو أكثر ، وبدیهی أنه في هذا السن لم يكن قد بلغ — بعد — مرتبة في الشعر وشهرة تمكنه من معاشرت الملوك والأكابر . ولهذا لم نشاهد في جميع الكليات نظماً أو نثراً — كما سبق أن قلنا — مدحاً أو رثاء ، في شأن « سعد بن زنگي » على وجه الإطلاق . »

هذا من ناحية ملاحظة الأستاذ أن الشاعر لم يمدح « سعداً بن زنگي » قصداً . أما ملاحظته أنه لم يرد عنه ذكر في الكليات فغير طبيعي أيضاً . فإن هناك إشارات كثيرة عرض فيها الشاعر لمدح « سعد بن زنگي » في « البوستان » . وقد أشرنا إلى بعضها . والأستاذ القزويني نفسه قد ذكر في موضوعه « ممدوحين شيخ سعدی » هذه المواضع ، وقد أخذناها عنه .

۲ — وعن الدليل الثاني الذي ذهب إليه ، وهو أنه مع معاصرته لصاحب المعجم ، ووجودها في عهد حاكم واحد ، وفي مدينة واحدة ، لم يقتبس صاحب المعجم شيئاً من شعر « سعدی » في كتابه ، كما فعل مع غيره ممن عاصروه ، فهذا أيضاً يمكن رده بالأمر الآتية :

(۱) يشير بهذا إلى ما كتبه في مقدمة كتاب المعجم سنة ۱۹۰۹ م .

(۲) قزوينی — سعدی نامه ص ۱۰۴

(١) نقول — بالإضافة إلى ما تقدم — إن الشاعر حتى ولو تمكنت منه ملكة الشعر في ذلك الوقت ، ليصح النقل عنه ، والاستشهاد بأقواله . فمن الممكن أن يكون في هذا العهد ، قد غادر شيراز في رحلاته الطويلة ، وصاحب كتاب المعجم أتم كتابه سنة ٦٣٠ هـ ^(١) . والشاعر في هذا الوقت ، كان قد بلغ الثلاثين من عمره ، ولعل له بعض الشعر ، لكنه كان غائباً عن شيراز في رحلاته التي كان قد بدأها قبل ذلك ^(٢) .

نضيف إلى ذلك أن الشاعر — بحكم عدم رغبته في صناعة قصائد المدح — فإن شعره لم يكن جارياً على الألسنة ، في مثل ذلك السن حتى يمكن أن يستشهد به .
(ب) على أننا يمكننا أيضاً أن نستمد من الأستاذ القزويني نفسه ، دليلاً على دفع هذا الاشتباه ، من عبارة له في نفس النص وهي العبارة التي وردت آخره .
ففي آخر العبارة الطويلة التي عرضنا لها ، يشير إلى أنه لما كانت مدة حكم « أبي بكر بن سعد » امتدت ثلاثين عاماً من سنة ٦٢٨ إلى سنة ٦٥٨ هـ . فليس هناك ما ينفي أن « شمس قيس » « والشيخ سعدى » لم يدرك أحدهما الآخر ، مع معاصرتهم لعهد ملك واحد ، فإن « قيساً » أدرك أوائل عهده وأدرك الشاعر أواخره .

(١) انظر مقدمة كتاب المعجم .

(٢) يرى الأستاذ نفيسي أن الشاعر كان في الشام بين سنتي ٦٢٧-٦٢٨ هـ أسيراً في حرب الصليبيين . انظر مجلة مهر السنة الخامسة — العدد الثاني ص ١٣٩
كذلك يرى ابن الأثير أن الفرنجة استولت على بيت المقدس سنة ٦٢٥ هـ ، وأنهم في أوائل سنة ٦٢٦ هـ ، قصدوا حصن بارين بالشام ، ونهبوا بلاده وأعماله ، وأسروا وسبوا . ومن ظفروا به طائفة من التركان ، كانوا نازلين في ولاية بارين ، فأخذوا الجميع ولم يسلم منهم إلا النادر . انظر حوادث سنة ٦٢٦ هـ .
ولعل سعدى كان هناك في ذلك الوقت ، وأنه وقع أسيراً مع من وقعوا ، وهو ما يلتقى مع رأى الأستاذ نفيسي كذلك .

(ح) فإذا أضفنا إلى ذلك أن الأستاذ القزويني يذكر في نفس هذه المقدمة أيضاً أن « محمداً بن قيس » أتم كتابه قبل قدومه شيراز ، وأنه افتقد مسوداته سنة ٦١٧ هـ في قلعة « فرزین » مع أمتعته الأخرى فراراً من المغول ، وأنه عاد فكتبه في شيراز وأتمه سنة ٦٣٠ هـ .

إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نضيف — إلى ما سبق — رأياً جديداً من نفس الأستاذ للتدليل على خلو الكتاب من الإشارة إلى « سعدى » .
وعبارة الأستاذ :

ودر سنه ٦١٧ — چنانکه گذشت — مسودات کتاب المعجم ، باسائر کتب ، وأمتعته ، أودر پای قلعه فرزین در حمله مغول تلف شد .

(ز) فإذا أضفنا إلى ذلك ، أن الأستاذ القزويني قد عاين فثبت أن « سعداً بن زنگی » توفي سنة ٦٢٣ هـ لا سنة ٦٢٨ هـ وأن « محمداً بن قيس » قد أقام السنوات الخمس الأخيرة من وفاته التي انتهت — حسب التحقيق الصحيح — سنة ٦٢٣ هـ فيكون بدء قدومه إلى شيراز ، في حدود سنة ٦١٨ هـ . وبهذا نكون قد اقتربنا كثيراً من حياة الشاعر الأولى ، فإنه في ذلك الوقت كان سنه قد بلغ الثامنة عشرة ، فلم يكن مشهوراً بشكل عام . ولعله خلال ذلك رحل إلى بغداد ، أو هاجر موطنه إلى رحلاته الأخرى .

ثالثاً — وأما عن المسألة الثالثة والأخيرة ، وهي جعله هذا التلخيص مأخوذاً مما ذهب إليه صاحب « تاريخ گزیده » وذلك في مقدمته « لكتاب المعجم » . ومنه ومن صاحب كتاب « مزارات شيراز » وذلك في مقاله « ممدوحين شيخ سعدى » . فإنه من الممكن كذلك رده . معتبرين أن الرأي الأساسي — في تلك المسألة — هو رأي صاحب « تاريخ گزیده » لا صاحب « مزارات شيراز » فإنه متأخر زمنياً ، وغير متخصص كذلك .

ونرد على هذا بما يأتي :

١ — أن الأستاذ — في ذهابه إلى هذا الرأي — لم يمدنا بالدليل على ما ذهب إليه ، سوى العبارة العامة التي قدم بها بقوله « والصواب قول صاحب تاريخ گزیده » ونحن ننقل عبارة الأستاذ ، ونقابلها بعبارة صاحب « تاريخ گزیده » .
« وصواب قول صاحب « تاريخ گزیده » است که شيخ « سعدی » از ملازمان « سعد بن أبی بکر بن سعد بن زنگی » (که در ۶۲۸ هـ دوازده روز بعد از وفات پدرش وفات یافت) بوده است وتخلص « سعدی » نیز از نام همین شاهزاده مأخوذ است .
والعبارة — كما نرى — تشير إلى أن « سعدی » كان من ملازمی « سعد ابن أبی بکر » ثم يستخلص من هذا أن تخلصه كان أيضاً من هذا الأمير .

على أن نص صاحب « تاريخ گزیده » في ترجمته للشاعر يفيد أنه كان منسوباً إليه ، وليس من ملازميه . بل لعل الملازمة لم توجد إلا بعد عودته في العهد الذي كان فيه أيضاً ملازماً لأبيه أبی بکر ، فإنه منذ عودته إلى شیراز كان يستظل برعاية حاكمها « أبی بکر » وكان — بطبيعة الحال — يتصل أيضاً بابنه « سعد » وقد انتهت هذه الصلة بينه وبين الأميرين سنة ۶۵۸ هـ عندما توفيا

ومع ذلك ، نضع عبارة صاحب « تاريخ گزیده » لنرى مبلغ دلالتها ، واقتضاها ، وبعدها عن الصواب في كثير من مدلولاتها .

« سعدی شیرازی وهو مشرف الدين مصلح الشيرازی . ویا نأبک سعد بن أبی بکر منسوبست . بشیراز در سابع عشر ذی حجه سنهٔ تسعين وستمائه درگذشت ، مردی صاحب وقت بود و نظم و نثر خوب دارد و شهرتی ناتمام . شیوهٔ غزل بر او تمام شد . »
ثم يقتبس من شعره خمسة أبيات ، وتنتهي ترجمته للشاعر على هذا النحو من الاختصار والاقتضاب .

على أننا — بعد ذلك كله — يمكننا أن نرد رأي صاحب « تاريخ گزیده » أيضاً . بعد ما انتهينا من مناقشة آراء الأستاذ القزويني .

ولننظر للنص نفسه ، وأهم ما يشير إليه من المسائل المحدودة ، ثلاث نوا
أساسية في حياة الشاعر يشارك فيها غيره :

- ١ — اسمه : مشرف الدين مصلح الشيرازي .
- ٢ — نسبته : وبأتابك سعد بن أبي بكر سعد بن زنگي منسوب .
- ٣ — وفاته : بشيراز در سابع عشر ذى حجة سنة ستائة وتسعة
درگذشت .

ولقد انتهينا سابقاً إلى الرأي الأخير — ولعله الفاصل — في مسألتين
من هذه المسائل ، وهما المسألة الأولى والأخيرة ، ورأينا أن اسمه — على الر
من الخلاف الكبير حوله — قد وجدت فيه نصوص مادية ثابتة ، نقض
بصحتها ، وهي التي انتهت إلى جعل اسمه على هذا الوضع « أبو عبد الله مشرف
ابن مصلح » .

وبصرف النظر عن أن صاحب « تاريخ گزیده » لم يذكر الكنية ، فإنه
يورد الاسم مورداً صحيحاً ، فجعله « مشرف الدين » بدل « مشرف » فقط
وهو كما نرى تقصير أو سهو .

وأما المسألة الثالثة ، وهي أمر وفاته ، فقد رأينا رجال التاريخ والطبقات ينعه
رأيهم على أنه في شوال سنة ٦٩١ هـ وليس في ذى الحجة سنة ٦٩٠ هـ كما انفرد
صاحب « تاريخ گزیده » .

وقد كان من الممكن أن تتجاوز عن مناقشته في المسألة الثانية — مسأ
نسبة الشاعر — بعد ما رأينا بعده عن إصابة الرأي في المسألتين الأولى والثالثة
لكن الأستاذ القزويني جعلها عين الصواب ، فيما ذهب إليه في كلامه .
ونحن نورد مناقشتنا لهذه المسألة من وجوه .

نحن لا نشق كذلك فيما ذهب إليه صاحب « تاريخ گزیده » في هذه المسأ
عدم ثقتنا به ليس مبعثها ملاحظناه من انفراده برأي دون غيره .

ليس من هذا وحده ، ولكن من جانب آخر ، هو أن آراء صاحب « تاريخ گزیده » يجب أن تؤخذ بالكثير من الحيطة والحذر ، وهي ليست مهمة توجه في توثيقه . لكن ظروف العمل الذي أقدم عليه من تلخيصه تاريخ البشر عامة في كتابه مضافاً إليه الكثير من الأبواب الأخرى ، فضلاً عن أنه نهض بأعمال علمية — بالإضافة إلى هذا — أهمها نظمه التاريخ في كتابه « ظفر نامه » وهو منظومة بلغت خمسة وسبعين ألف بيت . كل ذلك لعله — جملة — على التسرع وعدم التريث والتدقيق .

وقد لاحظ عليه ذلك كثيرون من الباحثين عند الكلام عليه ، والحكم على أعماله .

فالأستاذ « براون » في مقدمته لهذا الكتاب نفسه ، يرى أنه أقل مرتبة وشأناً من الكتب الثلاثة التي تؤرخ لعصر المغول ، وهي كتاب « جهانگشای » « وجامع التواريخ » « والوصاف » .

وعبارته في هذا :

« ولی از حیث رتبه و شأن از سه کتاب سابق الذکر پائین تر است (۱) »

كما يلاحظ الأستاذ « نفیسی » أن الأمر اشتبه على صاحب « تاريخ گزیده » في مسألة تخلص الشاعر مع قربه الزمني منه . فبعد أن يورد — قوله أن مسألة اسمه ونسبه وقع فيهما خلاف كثير بين الكتب التي عرضت لها — يقول عن صاحب « تاريخ گزیده » .

« حتی کسانی که بزمانی او نزد يك بوده اند ، مانند حمد الله مستوفی ، در تاريخ گزیده ، درین باب استباه کرده اند » (۲) .

(۱) المقدمة على تاريخ گزیده ص د . سلسلة جب .

(۲) نفیسی — مجلة مهر — السنة الخامسة — العدد الأول — ص ۴۶

وترجمتها « بل الناس الذين كانوا قريباً من عمره ، مثل حمد الله المستوفى فى « تاريخ كزیده » اشتبه الأمر عليهم فى هذا الباب » .

على أننا نختتم هذه المناقشة بالرأى الذى قال به الأستاذ القزوينى نفسه عن صاحب « تاريخ كزیده » . فإنه قد رأى فيه أن بعض آرائه ترمى « بالبطلان والفساد » وأنها وقع فيها الكثيرون ممن جاءوا بعد صاحبها وآخر الذين وقعوا فيها الأستاذ القزوينى نفسه .

وملخص المسألة أن الأستاذ ، نقل عنه — فى مقدمة « كتاب المعجم » التى عملها سنة ١٩٠٩ هـ — تاريخ وفاة « سعد بن زنگى » . وإنها كانت سنة ٦٢٨ هـ بينما التحقيق العلمى الذى قام به الأستاذ نفسه فيما بعد ^(١) بالإضافة إلى آراء المؤرخين الآخرين أثبت أنها كانت سنة ٦٢٣ هـ .

فعاد الأستاذ القزوينى فى مقاله « ممدوحين شيخ سعدى » — وبين الباحثين ما يزيد عن ثلاثين عاماً — يناقش قول صاحب « تاريخ كزیده » ويناقضه بما ظهر له من آراء وأدلة جديدة استمدتها من حوادث التاريخ ، ومن المقارنات بينها ويرميها بالبطلان والفساد .

ونحن نقبس من عبارة الأستاذ ما يشير إلى ذلك :

« بنا بر إين ، پس قول صاحب « تاريخ كزیده » . ويتبع أو « لب التواريخ » وجهان آرا » كه وفات « سعد بن زنگى » رادر ششصد وبيست وهشت نگاهشته اند (وبأنيز سابقاً در مقدسه المعجم فى معاير أشعار العجم بمتابعت إيشان همين قول را نقل کرده بوديم) بدون شك سهو واضح است . ودليل قطعى ديگر ، بر بطلان قول « تاريخ كزیده » آنست » .

ثم يعود بعد قليل فيقول :

« و باز دليل قطعى ديگر بر فساد قول صاحب تاريخ كزیده »

(١) فى مقاله — ممدوحين شيخ سعدى .

ويختتم المناقشة له بقوله وقد أعاد وصفه بالبطلان وذلك في عبارته :
« باری در بطلان قول صاحب گزیده ومن تبع او ، أصلاً وأبدأ ، جای أدنی شك وشبهة نیست (١) » .

وهكذا تنتهي من هذه المناقشات بحكم « الأستاذ القزويني » نفسه على رأى صاحب « تاريخ گزیده » الذى جعل رأيه — فى مسألة تخلص « سعدى » — هو عين الصواب . ويبدو من هذا مدى ما نحتاجه من التحفظ فى الأخذ برأى هذا المؤرخ .

رأى الأستاذ اقبال فى هذه المسألة ومناقشته

بقيت هناك آراء أضافها الأستاذ اقبال إلى مجموع ما قال به الأستاذ القزويني للتدليل على صحة نسبة الشاعر إلى هذا الأمير .

ونحن نلخص هذه الآراء ، ونشير إليها ، ثم نناقشها .
أولاً — يقول إن شهرة سعدى ، بدأت فى أيام « أبى بكر بن سعد » وليست فى أيام أبيه ، ويؤخذ ذلك من عبارة للشاعر فى قوله شعراً .
که سعدى که گوی بلاغت ربود در أيام ابو بکر بن سعد بود (٢)
ونص عبارته بعد هذا البيت :

« میفهماند که شهرت سعدی در عهد « آتابک بو بکر سعد » شروع شده بود نه در عهد پدرش سعد » .

ومعناها يفهم أن شهرة سعدى بدأت فى عهد « أبى بكر » لا فى عهد أبيه .
والواقع أن البيت الذى أشار إليه الأستاذ كحجة له . يفيد أن الشهرة بلغت أوجها ، وليست بادئة فى الشروع ، فانه يصرح فيه أنه قد حاز قصب السبق فى البلاغة فى عهد « أبى بكر » ، وذلك سنة إنشائه « البوستان » عام ٦٥٥ هـ . ولا بد أن يكون الشاعر طوى سنين كثيرة حتى انقادت له أساليب البلاغة وملك زمامها .

(١) سعدى نامه — قزوينى — ص ١٠٣

(٢) سعدى نامه — اقبال — ص ٢٦

ويؤيد ذلك أن الشاعر يصف نفسه في مكان آخر وصفاً يفهم أنه بلغ أوج الشهرة في البلاغة في عهد « أبي بكر » نفسه، وذلك سنة إنشاء « الكلستان » بعد إتمام « البوستان » بعام واحد .

إذ يقول في مقدمة « الكلستان » الذي أتمه سنة ٦٥٦ هـ . عبارته الآتية :
« ذكر جميل سعدى كه در أفواه عوام أقتاده است ، وصيبت سخنش كه در بسيط زمين رفته . وقصب الجيب حديثش كه همچون سعد شكر ميخورند » .
إلى أن يقول :

« بلکه خداوند جهان ، قطب دائره زمان ، وقائم مقام سليمان
أبو بكر بن سعد .

يتضح من هذا أن شهرة الشاعر كانت قد بلغت أوجها في عهد « أبي بكر » وليست مبتدئة في طريقها .

فكيف تكون شهرة « سعدى » كانت شائعة في الظهور سنة ٦٥٥ هـ .
كما ذهب إلى ذلك الأستاذ إقبال . ؟ ؟

على أننا نلاحظ بالإضافة إلى ذلك من كلمة « سعدى » الواردة في بيته السابق في « البوستان » . ومن عبارته « ذكر جميل سعدى » الواردة في « الكلستان » .
أن الشاعر كان مشهوراً بهذه التسمية ، وأن هذه الشهرة تداولتها الألسنة ، وأن صيغته كلامه منتشرة في الآفاق .

فلن تعود هذه النسبة « وسعد بن زنگي » أسبق في الوجود من « أبي بكر »
نفسه وبالتالي من ابنه « سعد » ؟ ؟ .

ثانياً — الرأي الثاني الذي يذهب إليه الأستاذ إقبال . أن سعدى في مقدمته للكلستان . بعد أن يمتدح أبا بكر . يبجل الأمير « سعداً بن أبي بكر » ويقدم له « الكلستان » في عبارته :

« بعد از ذكر أتابلک نام این شاهزاده را تبجیل تمام میبرد ، وگلستان را در حقیقت باو إهداء مینماید و میگوید » .

ثم يورد أبياتاً فيها هذا البيت :

على الخصوص كه ديباجهٔ هما يولش بنام سعد أبو بكر سعد بن زنگي است
وردنا على ذلك أن تبجيله «سعداً الأصغر» ، وتقديمه «الگلستان» إليه ،
والإشارة إليه أيضاً في بعض غزلياته ، بما يفيد التبجيل كذلك ، كل هذا لا يفيد
— مطلقاً — أنه اتخذ تخلصه من هذا الأمير .

فان الشاعر كما قدم « البوستان » لأبيه قبل هذا بعام واحد ، رأى أن يقدم
«الگلستان» — وفيه ما فيه من القصص السهلة اللطيفة الممتعة إلى ابنه الأمير .
وإيراد الإشارة إلى هذا الأمير ، في بعض الغزليات ، لا يقطع بالتخلص إليه .
فجانب من غزلياته قالها بعد عودته إلى شیراز و بدء التقائه بالأمير وأبيه .
ثالثاً — على أن الأستاذ « إقبال » لا يستبعد أن يتخلص بأمر في عهد أبيه ،
فهذا — كما يقول — موجود في الأدب الفارسي ، ومثل ذلك تخلص الشاعر
« قآنی » من « قآن مرزا ^(١) » .

وهذا — أيضاً — صحيح لو أن « أبا بكر » كان يملك أن يطلب من الشاعر
اتخاذ تخلصه من ابنه « سعد » فان هذا لم يولد إلا في حدود سنة ٦٣٠ هـ ، في
الوقت الذي بلغ فيه الشاعر الثلاثين ، وفي الوقت الذي كان فيه خارج شیراز ،
وظل بعيداً عنها حتى عام ٦٥٤ هـ ، أو ما حول ذلك تقريباً قبل تقديم
« البوستان » .

وهذا — أيضاً — صحيح لو لم يكن هناك تلك المشابهة ، والجمع بين الجد
والحفيد باسم واحد .

فالمشكلة من أساسها لا تزال موجودة ، هل لم يكن الشاعر قد اتخذ تخلصاً
قبل أن يوحى إليه أبو بكر باتخاذ اسم ابنه تخلصاً له ؟؟؟

(١) إقبال — سعدی نامه ص ٢٧

أو أنه لم يقل شعراً بالمرّة ؟؟؟ وهذا يعيد المشكلة جذعة من جديد .

خلاصة المسألة :

أما وقد انتهينا من عرض هذا الموضوع ، على الوضع الذى افترضه القدماء والمحدثون ، فإننا — كما تبين من مناقشاتنا السابقة — نميل إلى الأخذ بالرأى القائل بأن الشاعر استمد تخلصه من « سعد بن زنگى » . وليس من حفيده « سعد بن أبى بكر » .

ولن يأتى ذلك مما لاحظناه من كثرة الآراء التى تذهب إلى هذا قديماً ، ولا مما ذهب إليه من قالوا بذلك أيضاً من المحدثين ، ودلوا على صحة مذهبهم ، لكن من نواح أخرى تدعم هذا الرأى القائل بأن « سعدى » اتخذ تخلصه من « سعد بن زنگى » .

ويجب أن تعالج المسألة من ناحية جديدة ، غير تلك التى ذهب إليها الذين تولوا التدليل على آرائهم .

فالمعروف أن الذين أدلوا برأيهم — مؤيدين مذهبهم — كانوا قسمين . وكل قسم منهم تبع رأياً قديماً أخذ يبرهن عليه .

لكن يمكن أن تعالج المسألة من جانب آخر ، هو الجانب الطبيعى لها فيما أعتقد .

ونحن أولاً — وقبل كل شئ — نضع أنفسنا أمام هذا السؤال ما هو التخلص فى الأدب الفارسى . . . ؟؟؟

المعروف أن التخلص نسبة الشاعر إلى شخص ، أو موضع ، أو حرفة ، أو غيرها والشاعر كما رأينا يستمد تخلصه من شخص .

ويجب أن يكون بحث هذه المسألة على ضوء الاعتبارات الآتية : —

أولاً — متى ظهرت الحاسة الشعرية عند الشاعر ، حتى يمكن أن يفكر في اختيار تخلص له ، أو يمكن أن يسبغ عليه هذا التخلص . . ؟ ؟
وما هي الألوان الشعرية ، التي يمكن أن يتغنى بها الشاعر ، في عهد الشباب المبكر ؟ ؟ ؟ وهل ثبت فيها وجود تخلص له ؟ ؟
ثانياً — في أي وقت ترك الشاعر شيراز ؟ ؟ وفي أي وقت عاد إليها ؟ ؟ وهل في الوقت الذي تركها فيه كان « سعد بن أبي بكر » قدّر له الوجود ؟ ؟ ؟
ثالثاً — ماذا كان الشاعر ينسب نفسه في كلامه قبل ظهور « سعد بن أبي بكر » أو في عهد نشأته ، وعهد طوافه الذي امتد حتى سنة ٦٥٤ هـ تقريباً حين عاد إلى شيراز ؟ ؟ ؟

ولنأخذ في علاج الرد على هذه المسائل بما يأتي :

أولاً — أما عن المسألة الأولى . وهي في أي وقت ظهرت حاسته الشعرية . ؟ يرى البعض أنه بكر في قرض الشعر ، حتى ليقال إنه بدأ ينظمه في عهد الأتابك « سعد بن زنگي » ^(١) . ويرى الأستاذ « هنري ماسيه » ^(٢) « كما رأى من قبله » روس ^(٣) « أن الشاعر يشير في الأبيات الآتية إلى « سعد بن زنگي » . وهذه الأبيات قد ذكرناها سابقاً ، والتي مطلعها :

بدرم بنده قديم تو . . . الخ

وقد دللنا على صحة إسناد هذه الأبيات للشاعر ، وأن مرجع الضمائر فيها ، كانت تدل عليه ، وعلى أبيه ، وعلى حاكم الولاية « سعد بن زنگي » .
كذلك تشير دائرة المعارف الإسلامية إلى أن غزلياته القديمة — وهي أول

(١) ألطاف حسين — حيات سعدى . ص ١

(٢) نقل رأيه الأستاذ الكركاني في مقدمته على گلستان ص . لا .

(٣) Rcsc : Sadi's Gulistan, p. 3.

الألوان الشعرية التي تغنى بها — تبدو أنها من عمل الشباب في قولها
On the other hand the Ghazaliyat — i — Kadim appear to be a work of
his youth.

وهذا الرأي صحيح تؤيده كذلك طبيعة الغزليات نفسها ، وطبيعة
حياته الشخصية .

فهو يشير إلى أنه نشأ نشأة دينية أول الأمر ، لكنه انحرف إلى قرض
الشعر في العشق الصوفي . في قوله .

« همه قبيله من معلمان دين بودند مرا معلم عشق ترا شاعری آموخت »

إذن ، تبيننا من هذا ، أن الشاعر كان له شعر في الشباب ، وإثبات هذا
كاف في التدليل على صحة نسبة التخلص لـ « سعد بن زنگی » لو ثبت أن هذا
الشاعر كان يرد فيه التخلص باسم « سعد » — كما هو موجود في الغزليات القديمة ،
التي نظمها الشاعر في طور الشباب — ولكننا نمضي في بحث ما افترضناه سابقا ،
حتى يتأيد الأمر من جوانب متعددة .

ثانيا — وأما عن المسألة الثانية . وهي في أي وقت ترك شیراز ؟ وفي أي
وقت عاد إليها ؟ .

فترى دائرة المعارف البريطانية ^(١) — ويأخذ برأيها أيضاً الأستاذ
الكرگانی ، بعد أن يترجم عبارتها في هذا الموضوع — أن الشاعر وقت

(١) ولنص عبارة الدائرة :

And he returned to Isfahan just at the time of the inroads of the Mongols.
When the Atabig Sa'd (In whose honour sa'di took his pen-name) had been
desposed by the victorious Khwarizm ruler of Chiyass-uddin (1226) distressed
by misfortune of his patron and disgusted with the miserable condition of Persia.
Sa'di quitted Shiras and entered upon the second period of his life — that of
his wanderings (1226-1256).

وترجمة هذه العبارة في مقدمته على الكلستان ص . ي .

فتنة المغول العامة ، وفي الوقت الذي هزم فيه « سعد بن زنگي » أمام « غياث الدين الخوارزم شاهي » سنة ٦٢٣ هـ . تألم الشاعر من سوء حظ ولي نعمته ، وترك شيراز التي تعرضت للتدمير والحرب ، والتي اغتم لها كثيراً ، وابتدأ — إذ ذاك — وقت رحيله سنة ٦٢٣ هـ وانتهى سنة ٦٥٣ هـ . « ١٢٢٦ — ١٢٥٦ م » والشاعر نفسه يكاد يشير إلى ذلك في مقدمة « الغلستان » ، في قوله وقد طلب الاغتراب ، حيث شاهد فتنة المغول تحيط بالعالم الإسلامي ، يقول مشيراً إلى وقت الهجرة ، حين صار العالم مثل شعر الزنجي .

برون رقم از تنگ ترکان که دیدم جهان درهم افتاده چون موی زنگی
ویشیر إلى رجوعه بقوله .

چو باز آمدم کشور آسوده دیسدم بلنگان رها کرده خسوی پلنگی
چنان شد در أيام سلطان عادل أتاك أبو بكر بن سعد زنگی

وبهذا يشير الشاعر إلى انفعاله مما أصاب العالم الإسلامي ، من حوادث المغول ، وتأثره لما أصاب موطنه فارس ، فطلب الرحيل عنه .

ويبدو أن ذلك كان حوالي سنة ٦٢٣ هـ ، وفي هذه السنة ، وتلك السن التي بلغها الشاعر — وهي ثلاثة وعشرون عاماً ، كان الأمير « سعد بن أبي بكر » لم يكن قد ظهر في الحياة ، فإننا قد رأينا سنه حين وفاته لم تكن تتجاوز الثلاثين ، وأنه توفي سنة ٦٥٨ هـ فمولده حوالي سنة ٦٢٨ هـ . أي أنه ولد والشاعر بعيد عن شيراز .

هذا من جانب . ومن جانب آخر ، يرى الأستاذ « نفيسي » أن الشاعر أسر في الحرب الصليبية التي وقعت ما بين سنة ٦٢٧ — ٦٢٨ هـ وعبارته .
« پس بگانه جنگی که ممکن است سعدی در آن حاضر بوده شد . جنگ ششم است که از ٦٢٧ — ٦٢٨ هـ طول کشیده (١) » .

(١) نفيسي . مجلة مهر . العدد الثاني — السنة الخامسة ص ١٣٩

فهو في هذه الحرب كان خارج شيراز ، بل خارج فارس كلها ، وأنه كان أسيراً فيها ، وقبل ذلك كان قد أمضى مدة بالشام ، وعلى هذا لا بد أن يكون خروجه من فارس قبل هذا التاريخ بزمان لا يقل عن سنة ٦٢٣ هـ . وهي السنة التي قدرنا خروجه فيها من شيراز ، وذهب إلى هذا الرأي بعض من أشرنا إليهم . على أنه لم يعد إلى شيراز إلا في حدود سنة ٦٥٣ هـ أو سنة ٦٥٤ هـ على أبعد تقدير ، فوجد فارس تحت حكومة « أبي بكر بن سعد » .

ولم يثبت أنه اتصل « بأبي بكر » أثناء هذا الطواف الطويل ، فلما عاد إلى شيراز لم يخرج منها إلا في فترات قصيرة للحج ثم يعود ، وهذه كانت بعد أن استقر بشيراز مدة لا تقل عن خمس سنوات ، ولعلها كانت بعد وفاة « أبي بكر وابنه » في سنة ٦٥٨ هـ .

ثالثاً — وهنا ننتقل إلى المسألة الأخيرة وهي ، ماذا كان يسمى نفسه في كلامه قبل مولد « سعد بن أبي بكر » أو في عهد نشأته ، وفي أثناء رحلاته ؟ . وفي هذه المسألة نشير إلى ناحيتين :

١ — وقائع حدثت للشاعر وتحدث فيها عن نفسه وذكر نسبته وتخلصه « بسعدى » .

٢ — أشعار ثبت أنه قالها في تلك المدة ، وفي مدة مبكرة قبل ظهور « سعد بن أبي بكر » أو قبل علو شأنه . ومعظمها قطع من كتابيه ، وكثير من غزلياته .

أما عن الناحية الأولى . فالشاعر يحدثنا كثيراً في مجرى الحديث بينه وبين غيره أثناء رحلاته ، أنه معروف للناس باسم « سعدى » أى بتخلصه ، وليس باسمه الشخصى ، وأن شهرته بهذا الاسم بدأت مبكرة .

وفي قطع من كتابيه « الغلستان والبوستان » - سواء أ كانت من القطع الموضوعية أو الواقعية - يتحدث عن نفسه أنه كان معروفا بين الناس باسم « سعدى » وفي الجهات المختلفة التي رحل إليها يشتهر بهذا الاسم أيضاً ، ويذكر أنه كان يعرف أثناء رحلاته باسم « سعدى » .

ففي التركستان . في مدينة « كاشغر » حين دخل مسجدتها وقد وجد صبياً يقرأ مقدمة الزخشرى في النحو ، ويكرر المثال المشهور ضرب زيد عمراً . يسأل الشاعر الفتى - في سخرية - يا بنى اصطح الخوارز مشاهيون والخطا ، ولا تزال الخصومة بين زيد وعمرو^(١) وتمضى المحادثة بين الشاعر والفتى . فيسأل هذا . من أين الشيخ ؟ فيجيبه الشاعر : من « خاك شيراز » . ويعود الفتى يسأل : ألا تذكر شيئاً عن « سعدى »؟؟

وفي جزيرة « كيش » بالخليج الفارسى ، يتحدث الشاعر أنه نظر هناك تاجراً ميسور الحال ، أضافه ذات ليلة ، وأخذ يحذثه عن شؤونه ورغباته في الجهات التي يرحل إليها طلباً للتجارة ، حتى إذا عـد منها كثيراً . قال له أخيراً : « ياسعدى »^(٢) إني أريد الذهاب إلى الصين .

هذا من بعض قصصه في « الغلستان » .

وهناك ضمن قصص كتابه الآخر « البوستان » قصة تدور حوادثها حوله شخصياً ، ويرد فيها أنه كان معروفاً باسم « سعدى » بينما كان لا يزال شاباً ، وهذه القصة ترد في الباب الرابع « التواضع » من أبواب ذلك الكتاب مطلعها :

« فقيهى كهـن جامه تنگست در ایوان قاضى بصف برنست »

ولعل حوادث هذه القصة تقع في إحدى مدن الشام ، وملخصها أنه قدم

(١) كليات فروغى - گلستان ص ١٦٦

(٢) كليات فروغى - گلستان ص ١٤٢

ذات مرة على مجلس جماعة من الفقهاء ، وقد عرضت لهم مشكلة لم يستطيعوا حلها . فدخل عليهم ، وكان منظره على حال رقيقة فامتعضوا منه ، وطلبوا إبعاده عن المجلس ، ولما رأى القوم يتصاولون ولا يستطيعون إصابة الحقيقة ، تقدم لهم بالفتوى فيها ، على غير ما كانوا يذهبون .
وانتهى الأمر بتعجبهم من أمرهم وأمره ، وتمضى القصة فتقول إنه بعد ذلك قد ترك المجلس ومضى .

وفي هذه القطعة بيت يساعدنا مدلوله على التأكد من أن الشاعر كان معروفاً باسم «سعدى» — منذ كان شاباً — وذلك فى هذا البيت :
« وزانجا جوان روى همت بتافت برون رفت وبازش نشان كس نيافت »
ومعناه « ولى الشباب من هناك بوجهه ، وذهب ولم يعثر إنسان على أثر له » .
وتختتم القصة فتقول إنهم بدءوا يبحثون عنه ، ويدكرون أوصافه ، إلى أن يلتقى بالباحثين أحد الذين يعرفون « سعدى » فيقول لهم هذا البيت .
« يكى گشت ازین نسوع شیرین نفس در این شهر سعدی سناسیم ویس »^(١)
ومعناه « فقال واحد ، إني أعرف في هذه المدينة أن « سعدى » وحده هو المعروف بتلك الأوصاف » .

والرواة يذكرون بجانب ذلك بعض اللطائف التي وقعت له خلال رحلاته ومنها تلك الفكاهة اللطيفة التي يروونها فيما حدث بينه وبين شاعر آخر من مشاهير الشعراء هو « هام التبريزى »^(٢) .

ذلك أن سعدى ذهب ذات مرة فى سياحاه إلى تبريز ، ورغب أن يدخل حماماً ، فشاهده بالحمام الشاعر « هام التبريزى » . وكان « سعدى » على حال لا تدعو « هام التبريزى » إلى تقديره واحترامه .

(١) كليات فروغى — بوستان — الباب الرابع — التواضع ص ٣١٦ .

(٢) النظر حياة الشاعر فى كتاب آتسكده — والفصة فى دائرة المعارف الاسلامية .

وتدور محادثة بين الشاعر « هام » والحمى على مسمع من الشاعر « سعدى »
يسأل صاحب الحمام . من يكون ذلك الرجل مشيراً إلى سعدى . . . ؟ ؟ ؟ . يجيب
صاحب الحمام . على مسمع من « سعدى » . إنه شيرازى . فيقول « هام »
يا لله ! أرى الشيرازيين في تبريز أكثر من الكلاب . !!!

فسرعان ما يرد عليه « سعدى » بهذه العبارة اللاذعة .
نعم ! وهذا بخلاف ما عندنا ، فإن التبريزيين في شيراز أقل من الكلاب !!!
وتمضى الرواية فتقول بأن الشاعر « هاما » أخذ يسأل ذلك الشخص الذى
أدرك أنه من شيراز .

ماذا تعرف من أمر « سعدى » ؟ . فيجيبه بأبيات من شعره الغزلى الذى
كان مشهوراً به . وتنتهي القصة بأن يتعارفا . ويعتذر له « هام » .

أما عن غزلياته — وبخاصة القديمة منها — فإننا نراه يتخلص فيها باسم
سعدى ، ومن المؤرخين من يقول إن هذه الغزليات اشتهر بها « سعدى » قبل
غيرها من ألوان الشعر الأخرى^(١) . وأنها تمثل طور الشباب^(٢) في نظر البعض .

كذلك يظهر من أسلوب بعض غزلياته وروحها ، أنها تشير إلى حوادث
معينة . فيذكر الأستاذ « على أصغر حكمت » أن هناك غزلية لعله أشدها فى أسره
وفيهما يرد تلخيصه كذلك باسم « سعدى » يقول فيها :

«إى موئس روزگارى سعدى رقى ونرفتى از ضميرم
إى باد بهسار عنبر بن بوى در پای لطافت توسيرم
چون بگذرى بخاك شيراز گو من بفلان أسيرم»^(٣)

فهو يذكر فى هذه الغزلية تلخيصه « بسعدى » فى البيت الأول ، وبأسره
وحنيه إلى موطنه شيراز فى البيت الثالث .

(١) حبيب السير ص ١٣١ . (٢) دائرة المعارف الاسلاميه .

(٣) الأستاذ على أصغر حكمت — سعدى ناسه ص ٤٦ وكتليات فروغى ص ٦١٧ .

وهناك كثير من غزلياته العربية ، تشف أيضاً عن مدى حنينه إلى موطنه ،
ولعلها قيلت في بيئة عربية ، وخلال بعده عن موطنه أيضاً ، وقبل عودته إلى
شيراز . يقول في إحداها ، ويذكر تخلصه ، وشوقه إلى أهله :

ألا إنما السعدى مشتاق أهله تشوق طير لم يطعه جناح^(١)
وفي أخرى ، وقد شكى بعده وحنينه كذلك :

وها نفس السعدى أولى تحية تبلغكم ريح الصبا حيث حلت^(٢)
فإذا انتهينا إلى وقت عودته إلى شيراز من رحلاته الطويلة . فانه يذكر
حنينه وولمه بها في قطعة فارسية يرد تخلصه في نفس المطلع :

«سعدى إينك بقدّم رفت ويسر باز آمد مفتی ملت أصحاب نظر باز آمد»^(٣)
ويظهر أنه كان بالشام كذلك في هذا الوقت فعاد إلى شيراز ؛ إذ يشير إلى
ذلك في قوله من هذه القطعة أيضاً :

«سپیش از شام بشیراز بخسرو مانست که بآندیشه شیرین بشکر باز آمد»
وهكذا عاد سعدى إلى موطنه شيراز عودته التي اطمأن إليها واستقر فيها ،
وقد طاف أركان العالم حتى صارت كلها تتحدث به ، كما يشير إلى ذلك في قوله
متخلصاً أيضاً باسم سعدى في بيته الآتي :

«هفت کشور نمی کنند امروز بی مقالات سعدی انجمنی»^(٤)
ألا يدل كل هذا على أن الشاعر قرض الشعر في وقت مبكر ، وأنه عرف
باسم «سعدى» في هذه الألوان الشعرية ، التي قرضها في صدر حياته ، وفي أثناء
رحلاته قبل ظهور «سعد بن أبى بكر»؟؟؟

(١) كليات فروغى ص ١٦ (٢) نفس المصدر ص ١٩
(٣) كليات فروغى ص ٣٨ (٤) اقبال — سعدى نامه ص ١٤

الفصل الخامس

رموز الشاعر

لو أن الأمر يمضى فى هذه الرحلات حسب خطة موضوعة ، لغرض جغرافى أو تاريخى ، أو كان الشاعر يرسم خطأً لتنقلاته ، لوضح الأمر فى ذلك ، ولأستطعنا أن نتتبع خطواته ، فنعرف الجهات التى رحل إليها ، وأقام فيها ، وانتقل منها .

ولم يعن الشاعر — من ناحيته — أن يوضح الغرض من رحلاته فيما كتب ، وليس بين أيدينا فى كلامه ما يفصل فى هذا الخلاف ، كذلك لم يكن الشاعر ذا ثراء ينفق على نفسه ، وعلى رحلاته وهجراته الطويلة ، فبأن المكاره التى يتعرض لها .

ومهما يكن من أمر الخلاف بين النقاد والمؤرخين ، من أن هذه الرحلات كلها أو بعضها لا صحة لها فى الواقع ، لما يحيط ببعضها من مشاق ومتاعب ، ولما كانت تتعرض فيه حياته الشخصية لكثير من الأخطار التى أخذ يصورها فى بعض رحلاته . فالواقع أن بعض هذه الرحلات وقع فعلاً ، وتنقل فيها فى أماكن حقيقية ، وجرت له بعض الحوادث ؛ ولكن — مما يؤسف له — أنه لم يذكر بجانب ذلك واحداً من أولئك الأشخاص التاريخيين الذين عاصروه ، وكانت لهم شهرة فى المواطن التى رحل إليها ، من ملوك أو أمراء أو شعراء أو غيرهم . على أننا نلاحظ شيئاً هاماً فى داخل كل قصة يجعل مسرحها بلداً من البلاد ، فالشاعر فى هذه القصص عامة ينتهى منها إلى غرض من الأغراض يتصل بموضوع الباب الذى أقيمت فيه القصة ، وهذا ما يجعلنا نحتاج بين اعتبار الرحلة واقعية

حدثت في الواقع ونفس الأمر ، أو أن هناك أمراً ألهم الشاعر لوضع قصة عنها فكان الانتقال إليها .

ودراستنا للأسباب التي يمكن أن تحمل هذا الشاعر ليقوم بتلك الرحلات يستلزم أن نلقى نظرة على أحوال عصره وظروفه الشخصية ، فلعل فيها بعض ما يحمل الشاعر على أن يقوم بتلك الرحلات . فلقد تفتحت عيناه على لون آخر من ألوان الحياة حين بعث به إلى بغداد ، ليستكمل دراسته . فلعل الإقامة في تلك المدينة مدة تحصيله هونت عليه ترك موطنه الأول ، كما حبيت إليه الاغتراب فيما بعد ، ففي كل بيئة يعيش فيها يمكن أن يكسب منها كسباً جديداً ، من التعرف على أحوال الناس ، ودراسة شئونهم وما يتصل بهم .

وتصوير حياة الشاعر فيما بعد—وكما نعرف من إنتاجه—تشهد أنه كان رقيق الطبع ، مرهف الحس ، وعلى جانب كبير من نفاذ البصيرة . فما تكاد تحيط به الأحداث حتى تؤثر في نفسه تأثيراً عميقاً ، فيهرب ليجد المنأى من هول تلك الأحداث .

فهل هناك من الأحداث العامة التي حدثت إبان نشأته ، والتي يمكن أن تكون ذات أثر فعال في توجيهه إلى هذه الناحية ؟؟؟ نعم .

نحن نعلم أنه قد أملت بفارس وشيراز نفسها أحداث وخطوب شاهدها من قرب أو سمع عنها . تلك هي الأحداث التي وقعت بين ولي نعمته « سعد ابن زنگي » وبين أعقاب الخوارز مشاهيين ، وهي الحرب التي ظلت تتردد في فارس حتى سنة ٦٢٣ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها « سعد بن زنگي » .

ولعل الشاعر نفسه يفصح عن هذه الحال ببعض أبيات له يرمى فيها إلى أن الإنسان لا ينبغي له أن يتعلق خاطره بمن أحب ولا فيما يقيم ، فإن الدنيا واسعة والناس كثيرون ، وذلك في قوله :

« بهیچ یار مده خاطر و بهیچ دیار که بر و بحر فراخست و آدمی بسیار »^(۱)
 كذلك نلاحظ في هذا الوقت أن العالم الإسلامي — في الجانب الشرقي منه —
 قد تعرض إلى هجمات مريعة شنها عليه المغول ، وأخذت جموعهم تكتسح ما أمامها
 في سيل جارف ، وتضغط بأساليبها المختلفة — إن كانت عسكرية أو سياسية —
 على الدول التي واجهتها ، والشاعر نفسه يشير إلى هذه الأحداث التي تحدث أول
 هجرته من موطنه في مقدمة « الغلستان »^(۲).

« ندانی که من در اقلیم غربت چرا روز گاری بکردم در نگی
 بر و نرقم از تنگ ترکان که دیدم جهان درهم افتاده چون موی زنگی »
 وقد رأينا سابقاً دائرة المعارف البريطانية ترى أن الشاعر بدأ رحلاته
 سنة ۶۲۳ هـ ، وليس لدينا ما يرد هذا الرأي ، فإن الشاعر كان إذ ذاك في سن تمكنه
 من أن يهتمل مشاق هذه الرحلات . كذلك رأينا الظروف التي أحاطت به مما
 لعله يحمله على هذه الهجرات .

فإذا افترضنا — من ناحية أخرى — أنه أمضى ثلاثين عاماً في رحلاته الأولى
 التي غادر فيها شيراز ، وانقطع عنها تلك المدة — على فرض صحة هذا الرأي —
 فإن عودته إلى شيراز تكون في حدود سنة ۶۵۳ هـ .

وهذا فرض محتمل فإنه عاد فعلاً إلى شيراز بين سنتي ۶۵۳ هـ و ۶۵۴ هـ
 وأخذ يرتب قطعه التي نظمها خلال تجواله ليضمها كتابه « البوستان » الذي
 قدم إلى « أبي بكر » في عام ۶۵۵ هـ .

والشاعر يقول مشيراً إلى عودته التي كانت في عهد الأتابك أبي بكر وذلك
 في الأبيات الآتية :

« چو باز آمدم كشور آسوده ديدم بلنگان رها کرده خوی بلنگی
 چنین شد در أيام سلطان عادل آتابك أبو بكر بن سعد زنگی »

(۱) کلیات فروغی ص ۴۴۴ . (۲) انظر مقدمة الغلستان — طبعة platts

وهذان البيتان يردان في القطعة التي أشرنا إليها سابقاً . فهو فيها يشير إلى وقت رحيله ، وذلك حين اضطرب العالم الإسلامي ، حتى صار كشعر الزنجي . ثم يحدد وقت عودته حين تحررت النمر من طباعها التي نشأت عليها ، وصارت الحياة سعيدة هائلة في عهد السلطان العادل الأتابك « أبي بكر بن سعد » ولعل ذلك كان في حدود سنة ٦٥٣ هـ كما سبق أن أوضحنا .

ثم في سنة ٦٥٥ هـ يقدم « البوستان » إليه بقوله :

« زششصد فزون بود پنجاه و پنج که پر در شد این نام بر دار گنج »
والظاهر أن الشاعر أمضى في شیراز — حين عاد إليها وهي تحت حكم أبي بكر — مدة ليست بالقصيرة لا تقل عن عشر سنوات ، فإذا بفارس تتقلب فيها الأحداث من جديد ، وتضطرب فيها الأمور في غير استقرار .

وقد شارك الشاعر — في هذا الوقت — في الحياة العامة ، والتقى بكثير من الحكام ومدحهم أو رثاهم . لكن تقلب الأمور ، وعدم استقرارها ، وسفك الدماء بين أبناء البيت الواحد ، وأخيراً انتقال الملك إلى جماعة ليسوا من الأتابكة ، بل ليسوا من المسلمين في شيء ، وإقامة حاكم جديد على فارس لم يكن من دين أبنائها ، وهو الأمير « أنكيانو » . كل هذا لم يرض حساسية الشاعر فهاجر هجرات عديدة إلى الحجاز ، يؤدي شعائر الحج ، ويخفف من هذه الأثقال التي جثمت على صدره في تطور تلك الأحداث المضطربة ، والتي لم تكن مألوفة أو متوقعة . فرحل من شیراز حوالي سنة ٦٦٣ هـ في رحلة أخرى من بين رحلاته ولعله ركب الطريق إلى بغداد فالحجاز ، فتغنى بهذه الغزلية التي يشكو فيها أن قلبه سئم مصاحبة شیراز ، حين كان يسأل عن أمرها ، وذلك في قوله :

« دلم از صحبت شیراز بگلی بگرفت وقت آنست که پرسی خبر از بغدادم »

هذه هي السنوات التي يمكن أن نعرف منها بالتقريب متى خرج من شیراز؟ ومتى عاد إليها؟ ومتى خرج منها ثانية؟ .

لكننا مع ذلك لم نعرض لخط سيره في مدى الثلاثين عاماً التي افترضنا أنه خرج فيها راحلاً . إلى أين ذهب أولاً ؟ ولماذا تخير وجهة دون أخرى ؟ وما البلاد التي يمكن أن تربطها رحلة واحدة ؟ وهل كانت رحلاته على دفعات مختلفة ؟ . كل هذه أسئلة تتردد على ألسنتنا ، ولكن حلها يصعب علينا . وكل ما يمكن أن نذهب إليه إنما هو مجرد فروض لا تسعفنا أقوال الشاعر على تأييدها . هذا بالإضافة إلى أنه — كما أشرنا سابقاً — هناك أغراض يرمى إليها الشاعر وراء كل رحلة وكل قصة ، فهو يحوك الرحلة أو الحادثة في قصة ، وسرعان ما ينتهي فيها إلى الغرض المقصود من اختيار المكان لها .

ومن المعروف أن كتاييه « البوستان والگلستان » هما المجال الذي عرض فيه هذه الرحلات ، ويلاحظ أن الشاعر قد تحدث — غير مرة — عن بلد رحل إليها ، ولا نستطيع التأكد أكانت هذه الوقائع التي ذكرها في قصصه ، حدثت في رحلة واحدة ، أو أنه أعاد إليها مرات أخرى فتحدث عن هذه الوقائع المختلفة ؟ أما من حيث الجهات التي ذكرت في كتاييه ، فإننا نتكلم عنها في شيء عام . فقد تكلم عن حوادث وقعت له في إيران شمالاً وجنوباً مثل أصفهان والري وكيش ، وبلاد تجاور إيران شرقاً وتقع في التركستان والهند وذلك مثل كشغر وبلخ وسومنات .

وببلاد تجاور إيران غرباً ، وتقع إما في العراق أو في الشام أو في الحجاز أو في اليمن .

ثم هناك بعض القصص التي تدور حول حوادث وقعت له في مصر وبلاد المغرب والحبش .

وهنا يعرض لنا هذا السؤال .

إلى أي الجهات رحل أولاً ؟ ؟ ؟

والافتراض فى هذه المسألة لعله يؤدى إلى نتائج سليمة إذا ما لا حظنا ظروف ذلك العصر .

تبين لنا أنه تحدث عن بلاد شرق إيران وغربها ، وعن بلاد فى الشمال منها والجنوب ، كما رحل إلى بلاد نائية غير هذه وتلك .

فهل يمكن أن يكون الشاعر رحل إلى البلاد الشرقية من موطنه فى الوقت الذى افترض رحيله فيه ؟ نحن نعرف من ظروف البلاد التى تقع شرق إيران وقت بدئه الرحيل سنة ٦٢٣ هـ أنه لا يمكن الذهاب إليها والتجول خلالها ، وكيف يمكنه ذلك والناس يفرون من وجه الغزو المغولى فى ذلك الوقت إلى البلاد الغربية ؟ ؟ ؟

ولقد تحدث الشاعر فى كتابه « الكلستان » أنه أسر فى الشام ، ورأينا أن تلك الحادثة قد وقعت له فيما بين سنة ٦٢٧ هـ و ٦٢٨ هـ . ولهذا يمكن أن نطمئن إلى القول إنه ذهب فى بدء رحلاته إلى البلاد التى تقع غربى إيران ، وأنه قصد الشام فعلا ، ومكث بها حتى أسروا ونهى أمره إلى حلب ، حتى تعرف عليه أحد أعيانها فخلصه من الأسر وزوجه من ابنته ، فلما أساءت حياته طلقها وهاجر من الشام كما أسلفنا .

ولهذا نسلم بأن البلاد التى رحل إليها أولاً كانت إلى الغرب من إيران . كذلك نسلم بأن كل البلاد التى وردت فى كتابه وتقع فى إيران نفسها أو فى الشام والعراق والجزيرة العربية — شمالا وجنوبا — من الممكن أن تكون حوادثه فيها من قبيل الواقع وأنها ألهمت الشاعر لعمل قصة مناسبة . أما الأماكن النائية — شرقا وغربا — فالظاهر أنه لم يرحل إليها ، وذلك لما نلاحظه من عدم الاتساق فى وقائع هذه القصص .

ونحن يمكننا أن نأخذ بعض هذه القصص فنلاحظ عدم اتساقها مع الواقع التاريخي أو العملي .

١ — فمن ناحية الوضع التاريخي يمكننا أن نلاحظ في قصته دخول جامع « كشغر » في السنة التي اصطلح فيها السلطان « محمد خوارزم شاه » مع « الخطا »^(١) أن هذه القصة لم تقع . فهذه الحادثة قد حدثت سنة ٦٠٤ هـ^(٢) ورأينا أن الشاعر قد ولد في حدود سنة ٦٠٠ هـ فكيف يمكن وقوع تلك الرحلة في ذلك التاريخ ؟

٢ — أما من ناحية الواقع العملي في بعض القصص فإننا نأخذ قصة معبد « سومنات »^(٣) بالهند ، وقصته في بلاد المغرب^(٤) ، حيث يحكى في الأولى تعرضه للقتل بعد دخوله أحد المعابد على صورة لا يتيسر التسليم بها ، كما حكى في القصة الثانية استعانة الرجل الصوفي بسجادة ألقاها على الماء فحمله وطاف عليها .

وهنا تعرض لنا مشكلة وهي ، كيف يقص لنا قصة عن رحلة وقعت حوادثها له والرحلة لم تقع ؟ وتفسير ذلك سهل إذا ما لاحظنا أن كل فكرة عن رحلة لجهة من الجهات ، وراءها معنى من المعاني التي ألهمت الشاعر فاختار لها المكان المناسب . وهنا ينبغي أن نلتفت قليلا إلى ما يمكن أن يشتهر به المكان الذي قصد إليه . فكل مكان تخيره الشاعر تخيره قصة تلاممه ، كما أن كل شخص — يتخيره الشاعر لقصة من القصص — لابد أن يكون ملائماً لنوع القصة التي اختارها له . وهنا تبدو براعته في حبك القصة .

(١) كليات فروغى — گلسان ص ١٦٦ .

الخطا جماعة من الأتراك نشبت بينهم وبين ملوك خوارزم حروب طاحنة وكانت عاصمتهم « كشغر » .

(٢) انظر حوادث سنة ٦٠٤ هـ في ابن الأثير .

(٣) كليات فروغى — بوستان ص ٣١٣ .

(٤) كليات فروغى — بوستان ص ٢٣٣ .

وماذا يمكن أن يعرض لذهن الشاعر في اختياره مادة القصص التي أشرنا إليها سابقاً؟ ولماذا تخير هذه الأماكن بالذات؟

فأما قصة دخوله جامع « كشعر » ورؤيته فتى يقرأ « مقدمة الزمخشري » في النحو، ويكرر المثل المشهور « ضرب زيد عمراً » . وذلك في السنة التي اصطلاح فيها « السلطان محمد » مع « الخطا » . فقد رأينا بُعد وقوعها من ناحية الواقع التاريخي . ولهذا لا بد لنا أن نرد وقائع هذه القصة إلى أسباب أخرى .

يريد الشاعر أن يذكر قصة عن النحو ، فلا بد أن يتخير لها مكاناً مناسباً يجري فيه حوادث القصة . وأى مكان مناسب لذلك ؟ لو تخير الشاعر مكاناً عاماً أو عادياً لما كان في ذلك براعة في الاختيار ، فلا بد أن ينتقل إلى مكان يلائم وقائع القصة . ولهذا نراه قد تخير لها مكاناً ملائماً لمادة القصة ، حيث بلاد ماوراء النهر — موطن الزمخشري صاحب المقدمة — فيرحل إلى مدينة من أشهر مدنها ، ويدخل مسجداً من مساجدها ، فيرى الفتى الجميل يكرر ذلك المثل المشهور . وهنا موضع الرمز في القصة ، وفكرة الانتقال إلى ذلك المكان . ثم يعقب الشاعر في مناقشته للفتى بعبارة التهكمية اللاذعة « يابنى تصالحت خوارزم والخطا وبقيت الخصومة حتى اليوم بين زيد وعمرو » وهذه هي إحدى النكت التي وضعت القصة من أجلها . ثم يمعن الشاعر في التهكم والسخرية ، فحين يسأله الفتى عن موطنه يجيبه الشاعر « أرض شيراز » . فيسأله الفتى عن أبيات « لسعدى » ؛ فيجيبه بأبيات عربية فيها كثير من المصطلحات النحوية في قوله :

بليت بنحوى يصول مغاضباً . على كزيد في مقابلة العمرو
على جرّ ذيل ، ليس يرفع رأسه وهل يستقيم الرفع من عامل الجر ؟
ولكن الفتى وجم ، وغرق في التفكير ، عله يجد حلاً لمعرفة هذين البيتين فلا يفهم ، فيسأل الشاعر قائلاً : إن غالب شعر « سعدى » في هذه البلاد

بالتفارسية ، فلو قلت بها فأنا لها أكثر فهماً . وهنا موضع نكتة أخرى ، وهو أن
الفتى لا يفهم العربية التي يدرسها مثل ما يفهم الفارسية . ويقول للشاعر « كلم
الناس على قدر عقولهم » .

أليس هنا أيضاً مقصود آخر يرمز إليه الشاعر من وضع قصته ، في أن النحر ،
على هذا الوضع بل العربية ، في غير متناول فهم فتى في مثل ذلك السن ومثل
تلك البيئة . ؟ ؟

والشاعر يحيب الفتى ببنتين من الفارسية هما مفتاح المغزى المراد من القصة .
فالقصة موضوعة في باب « العشق والشباب » ، والبنتين يشيران إلى هذا .

طبع ترا تاهوس نحسسو كرد صورت صبر أزدل ما محو كرد
أى دل عشاق بدام توصيد؟ ما بنو مشغول وتوبا عمرو وزيد (١)
ومعناها « منذ شغل طبعك بالنحو ، محوت الصبر من قلبنا . يامن وقع قلب
العشاق بشبا كه ! نحن بك مشغولون ، وأنت مشغول بزید وعمرو » .

رأينا من هذه القصة أنها ترمى إلى مقاصد أخرى تلائم اختيار المكان ،
وأن المكان قد تخيره الشاعر لذاته ، للملاءمة حوادث القصة من جميع جوانبها .
ونستطيع بهذا أن نفسر أيضاً اختياره لبقية الأماكن ووضعه قصصاً تلائمها .
يمكننا أن نفسر أيضاً اختيار الشاعر لمدينة نائية بالهند وهي مدينة « سومنات » .
حيث هي مقر عبادة وثنية ، تقوم على عبادة الأصنام ، ويتبعها ملايين الناس بالرغم من
وجود ديانات أخرى سماوية .

فإذا يعنى الشاعر من وضع هذه القصة ؟ ولماذا تخير لها هذا المكان ؟ .
وهل يمكن أن يكون — حقيقة — ذهب إلى تلك الجهات النائية ،
وتعرض لهذه الأحوال التي يصفها في تلك القصة ؟ .

(١) كليات فروغى — گلستان ص ١٦٦

ونحن إذا استطعنا الإجابة على هذا السؤال وحده أمكننا أن نحل أمر هذه القصة ..

رأينا سابقاً أن الشاعر بدأ رحلاته في سنة ٦٢٣ هـ ، وأنه اتجه نحو البلاد الغربية ، ولم يتمكن أن يرحل إلى البلاد الشرقية ، وعلى الأخص البلاد النائية . كما أن وقائع هذه القصة — من سياقها — يباين حدوثها ، فلا بد أن تكون هناك فكرة خطرت للشاعر فألهمة هذه القصة ، واختيار هذا المكان لها . والواقع أن الشاعر أحس بأن في إحدى نواحي العالم المجاورة لمملكته عالم آخر لا يزال يعبد العبادة المجسمة ، وهذه العبادة يتبعها ملايين الناس ، وإن كانوا في غفلة من أمرها . هنا تملكته دهشة ، كيف — وهم ذوو عقل وروح — يعتقدون فيما لا روح فيه ولا عقل له ؟

أفليس في الامكان — أيضاً — العمل بأي الوسائل على تحطيم هذه الأصنام ، ونشر الإسلام ، كما حطمت أصنام الجاهلية وعلى رأسها منات التي يتمثل بها . ؟ أفلم توح إليه بقايا هذه العبادة أن يقوم أحد ملوك الإسلام بفتح تلك الجهات ، ونشر الدين هناك ، وتحطيم تلك الأصنام كما حطم بعضها « محمود ابن سبكتكين » من قبل ؟ .

كل هذه أمور تلهم في الشاعر فكرة لوضع قصة .

وهذه القصة ترد في « البوستان » في الباب الثامن ، وهو « الشكر على

العافية » يختم بها هذا الباب ومطلعها .

بتي دبدم أزجاج در سو منات سرصع چو در جاهليت منسات
فرو ما ندم از كشف آن ما جرا كه حيي جهادي پرستد پسر را ؟

ففي البيت الأول قابل بين صنم مصنوع من عاج وبين « منات » ، في أصنام الجاهلية . وفي البيت الثاني أظهر مبلغ حيرته من كشف ذلك الأمر ، كيف يعبد حيي جماداً لا حياة فيه ؟؟؟ .

أهل ذلك هو الذى حدا بالشاعر أن يؤلف تلك القصة ، فقد اضطربت في نفسه الرغبة في القضاء على هذه الديانة الوثنية ، كما بدت عليه الحيرة في أن يعبد الأحياء ذوو العقول المفكرة ، هذا الجداد الذى لا روح فيه ولا حياة به ، وفي سياق القصة يذكر الشاعر أنه — بعد أن أخذه الشك في أمر تلك العبادة ، وذلك الصنم الذى كان يحرك يديه ، استجابة لدعوات الجاهير — أراد أن يكشف الأمر في هذه المسألة . فيقول إنه دخل المعبد تحت ستار من عيون الرقباء ، بعد أن رحل جميع الأنباع عن مكان العبادة ، فغافل الشاعر الناس والحراس ، ودخل المعبد وظل يحوس خلاله يميناً ويساراً ، حتى لاح له أن هناك ستارة من ذهب ، فلمح من خلفها حبلاً يتصل بالصنم ..

هنا أدرك السر في كل شيء ، وأدرك كيف يموت القائمون بأمر تلك العبادة على اتباعها ؟ فيحركون أيدي الصنم ، وهو لا يملك أن يتحرك إلا في معجزة . ثم يمضى الشاعر في القصة ، فيقول إن حارس المعبد قد كشف أمره ، فهم بالقضاء عليه حتى لا يفشى سر تلك العبادة ، ولكن « السعدى » كان أسرع منه فقذفه في بئر ، داخل المعبد فأودى بحياته ، ثم يهرب من هناك إلى جنوب الهند ، ومنها إلى اليمن والحجاز .

وهناك أمور لا بد من الوقوف عندها ، ولعلها تساعد على مدى اصطناع هذه الحادثة وأنها ليست من قبل الواقع ، إذ كيف يمكن أن يدخل الشاعر ذلك الدير ويترك فيه وحده ؟ ؟ ؟ وأين الحراس الذين يقومون هناك ويلتفتون حول هذا المعبد العظيم ليلاً ونهاراً إما للتبرك وإما للحراسة ؟ وكيف غافل الحراس ؟ وهل لم يكن في الدير غير ذلك الحارس الذى قضى عليه « السعدى » كما يقول ؟ وكيف أسعفته الفرصة فيسرع هو في القضاء على الرجل قبلقيه في بئر فيهلكه ؟ . كل هذه أمور تجعل التسليم بوقائع القصة أمراً بعيد الاحتمال . ولكنها

فى الوقت نفسه تلتئم مع الغرض الذى من أجله وضعها فى الباب « وهو الشكر على العافية »^(١).

وأما قصة ذهابه إلى بلاد المغرب ، هو وصاحب له من متصوفة المشرق من مدينة « فارياب » .

بماذا يمكن أن تشير ؟ وما هى الأمور التى تعرف عن بلاد الغرب ؟ وكيف تنسجم مع مجرى القصة التى تخبرها لتقع فى تلك البلاد ؟

وإطلاق كلمة مغرب فى هذه القصة يشعر بأن المقصود منها إحدى البلاد فى شمال أفريقيا ، فهذه البلاد عرفت فى البيئة الإسلامية ببلاد المغرب . كما أنه يشتهر عنها أنها الوطن الذى تجرى فيه الأمور الخارقة للعادة ، فهى موطن السحر . وموطن الأمور التى لا يستطيع تفسيرها فى الظاهر عند الإنسان ، وإن كان هناك . مالا يمكن أن يدرك الإنسان مره ، لأن الإنسان العادى قاصر بطبعه عن إدراك المسائل التى فوق مستواه وبعد إدراكه .

ونسج القصة يشير إلى عدم إمكانها واقعياً . وهى ترد فى « البوستان » فى الباب الثالث « باب العشق »^(٢) ومطلعها :

قصارا من وپیری از فاریاب رسیذیم در خاک مغرب به آب
وملخص هذه القصة أن الشاعر رافقه رجل من شیوخ « فارياب »
الصوفيين الذين يعرفون « بالأبدال » . ينتقل الشاعر معه إلى بلاد المغرب ،
ويجری القصة هناك .

(١) يرى الأستاذ شلى نعمانى فى كتابه « شعراء العجم » رأياً مفصلاً فى هذه القصة أيضاً بالإضافة إلى ما رأيناه . وهو أن الهنود لا يتخذون العاج فى صناعه أصنامهم لما برونه فيه من النجاسة . فلو صح هذا ، فهو الفاصل فى مدى صحة وقوع هذه الرحلة ، وإن لم يؤثر ذلك فى مدى الغرض منها . انظر ص ٤ فى ترجمته حبات سعدى .

(٢) كليات فروغى ص ٣٠٣ .

ويقول إنهم أرغبوا في ركوب البحر فكان لدي « السعدي » بعض المال الذي دفعه كله مقابل الركوب في سفينة ، ولم يكن مع الشيخ ما يدفعه لقاء ركوبه . ولم يرض الملاحون أن يأخذوه معهم . فبكى « السعدي » من أمر صاحبه ، ورق لحاله . ولكن الرجل قهقه ضاحكاً ، وقال له لا تغتم من أجلي .

وهنا تقول القصة إن الشيخ ألقى بسجاده على سطح الماء ، وطاف عليها حتى ظن « السعدي » من فرط دهشته ، أن ذلك خيال لا حقيقة ، وسرعان ما يصرف الشيخ عن الشاعر هذه الدهشة ، فيقول له إنك لأعرج ، تطلب الوسيلة للانتقال ، ولكنني سبحت بقدرته الله على الماء .

بگسترد سجاده بر روی آب خیا لست پنداشتم یا بجاواب
تو لنگی بجاوب آمدی من پهای ترا کشتی آورد وبارا خدای
ثم ينتقل الشاعر إلى أن ذلك الأمر — وإن كان غير ميسور للرجل العادي — فإنه ميسور « للأبدال » الذين هم رجال الله ، يسرون بقدرته ، ويعتقدون في جبروته وقوته ، فهو الذي يمكنه أن يسير بهم على وجه الماء ، ويحفظهم من النار .

چرا أهل معنی بدین نگر وند که ابدال در آب و آتش روند
ونستطيع أن نخرج من كل ما لاحظناه في وقائع هذه القصص ، أنه لا يلزم من كل بلد ذكرها الشاعر في رحلاته ، أنه رحل إليها فعلاً ، وأن القصة التي أقامها حولها قصة من قبيل الواقع . فقد رأينا بعض الصعوبات التاريخية والعملية ، التي تمنع من وقوع هذه الحوادث ، وإنما كان اختيار المكان في القصة أمراً مقصوداً لذاته . ففي كل رحلة ينتهي إلى المغربي المقصود من وضعها ، وهذا المغربي هو الذي يضمه — عادة — نهاية القصة .

العلماء والأدباء الذين لقيهم الشاعر

أشرنا سابقاً إلى الرأي الذي يعرض لشيوخه في بغداد ، وكان أهم هؤلاء

وأظهرهم شخصيتين هما « ابن الجوزي » المتوفى سنة ٦٥٦ هـ الذى اشتغل فى النظامية ببغداد وانتقل إلى وظيفة الحسبة رداً من الزمن .

وقد أشار الشاعر إلى « ابن الجوزي » هذا فى كتابه « الكلستان » ، وأنه تلقى عليه حال عصفوان شبابه ، ويرد ذلك فى الباب الثانى « أخلاق الدراويش » وليس هناك ما يمنع من تاريخ الشاعر ، وانتقاله للتعليم ببغداد من وجود صلة بينه وبين « ابن الجوزي » هذا أيام أن كان يشغل التدريس بالنظامية .

والشخصية الثانية التى يقال إنه تلقى عليها هى « أبو حفص عمر بن محمد الملقب بشهاب الدين السهروردي » ينتهى نسبه إلى « محمد بن أبى بكر الصديق » ويقول عنه ابن خلكان « كان فقيهاً شافعي المذهب ورعاً كثير الاجتهاد . تخرج عليه كثير من الصوفية . صحب عمه أبا النجيب وعنه أخذ التصوف والوعظ وكان شيخ الشيوخ ببغداد وله مجلس وعظ . وله توارىخ حسنة أشهرها عوارف المعارف ^(١) . وقد توفى سنة ٦٣٢ هـ ببغداد . »

والشاعر يعرض لقصته فى كتابه « البوستان » مشيراً فيها إلى اسمه بقوله :
مقالات مردان بهردى شننو نه سعدى كه از سهر وردى شنو
مرا پير دانای مرشد شهاب دو آند رز فرمود برروى آب
أما صلاته بمن التقى بهم فى رحلاته من الشعراء الذين عاصروه ، فانا نأخذ ذلك مما أورده الرواة وكتاب التذكار ، فإن الشاعر لم يعرض فى كتاباته لواحد منهم . وبالرغم من أن هناك جماعة من الشعراء الإيرانيين ، أصابوا شهرة واسعة فى حياتهم ، وكانوا يعاصرونه فلم يهتم الرواة إلا بثلاثة منهم فى روايات مختلفة ، كل منهم يمثل قطراً من الأقطار هم « همام التبريزي » من شمالى إيران ، والأمير « خسرو الدهلوي » من الهند « وجلال الدين الرومى » من قونية فى آسيا الصغرى .

(١) وقبات الأعيان ج ١ ص ٣٨٠

وتحيط بكل واحد من هؤلاء قصة في سبب اتصاله بالشاعر ، ويذكر الرواة قصة لقائه « بهام » وهي إحدى الملح الطيبة التي يوردونها لتصوير لقاءهما وقد أشرنا إلى القصة سابقاً .

ولكن الرواية تمضي فتجعلهما يتعارفان ، ويرحب « بهام » « بالسعدي » ويتبادلان الغزليات الرقيقة التي كان « سعدي » مشهوراً بها إذذاك ، وتقال إعجاب « بهام » التبريزي .

أما لقاءه « للأمير خسرو الدهلوي » فيذكر دولتشاه ، كذلك في ترجمته للأمير رواية عن كتاب « جواهر الأسرار للشيخ آذري » تدل على مدى ما يكنه الشيخ — وهو في أخريات حياته — من التقدير للشاعر الهندي الناشئ « خسرو الدهلوي » حتى يقال إنه — وهو في سنه الكبيرة — رحل من فارس إلى الهند لرؤيته ومشاهدته ، وثبتت من ناحية أخرى أن « خسرو » كان يقدر الشيخ تقديراً كبيراً ، وأنه ود لو استطاع أن يقلده ، وذلك من عبارته .

خسرو سريست أندر ساغر معنی بریخت

تنبیره از مخانه مستی که در سیراز بود

وفي قوله : جلد سختم دارد شیرازه^(١) شیرازی

ويورد « الكرگانی » رواية أخرى في إثبات ما كانا عليه الشاعران من صلات ، فإنه في الوقت الذي اختار فيه السلطان « محمد بن غياث الدين بلبن » مدينة « مولتان » عاصمة له رغب إليه « الأمير خسرو » في الإرسال إلى الشيخ « سعدي » وبعث إليه بمال وديوان « الأمير خسرو » ولكن الشيخ وزع المال على الفقراء وبعث للأمير بقطعة شعرية يحببه على دعوته معتذراً^(٢) .

(١) دولتشاه ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٢) الكرگانی — مقدمة الكليستان ص — ما .

أما تصوير لقائه « بجلال الدين الرومي » فينقل « الكركاني » عن «روضات الجنات» ملخص القصة . ونحن نوردها عنه ؛ ذلك أن الشيخ وصل في أحد أسفاره إلى « قونية » مقر « مولانا » ونزل مكاناً فأقام به ، ثم حدث أن نظم مصراعاً من غزلياته هو :

سر مست اگر در آى عالم بهم بر آيد

ولم يتمه ، وتصور الرواية أنه قدم إلى « مولانا » فوجده في حال من الوجد . فقرأ « مولانا » هذا المصراع وأتمه بالمصراع الثانى ، فلما سمع الشيخ ذلك ، عرف أن مولانا صاحب كشف وإطلاع باطنى ، فزاد فيه اعتقاده ^(١) .

ويبدو أن في رواية « هام التبريزى » اصطناع للحادثة ليفهم منها أن شهرة « سعدى » في الغزل تسبق شهرته الشخصية عند الشعراء . كما اصطنعت الرواية الثانية لتبين مبلغ طموح « الأمير خسرو » في تقليد الشاعر ، أو أنه كان من الشهرة بحيث يطمع الشاعر في الانتقال إلى الهند ليلتقى به تقديراً له ، واصطنعت قصته مع « جلال الدين » لتصور هذا صاحب كشف غيبى وإلهام .

وعلى كل ، هذه مجرد روايات يصح أن يكون لها نصيب من الواقع أو لا يكون . ومن حيث تاريخ الشاعر نفسه ، فليس ما يمنع من صلاته بهم ، كما أننا نعرف أنه كان يرحل وفي قدرته أن يذهب إلى تلك الأماكن لو أراد ، وما دمننا لا نجد من إشارات الشاعر نفسه ، ما يؤيد لقاءه بهم فيبقى الاقتناع بهذه الروايات معلقاً .

أما علاقات الشاعر برجال السياسة والحكم فإننا عرضنا لها سابقاً ، وهذه لا تأتى من كتابيه « البوستان والگلستان » ولكنها ثابتة من قصائده التي قالها فيهم ، وقد عرضنا لأهم هذه الشخصيات سابقاً .

(١) نفس المصدر ص - . يب .

الفصل السادس

مبارة الألفية

طالت حياة الشاعر فامتدت ما بين سنتي ٦٠٠ — ٦٩١ هـ كما ذكرنا سابقاً وهي حياة — كما رأينا — طويلة . ومع ذلك فقد وجدنا من الرواة والمؤرخين من يغالى في تقديرها إلى أكثر من ذلك .

وكان مجرى حياة الشاعر من جانب ، وطولها ، من الجانب الآخر ، وعدم السير بها على منهج واحد ، كل ذلك كان .

أن يقسموا حياته إلى فترات ثلاث ، امتدت ٥٠ و ٥٠ أو أربعين عاماً على خلاف .

ويجربى تقسيم تلك المدة على هذا الوضع . مدة التحصيل ، ومدة الرحلات ، ومدة التأليف والاعتكاف .

وقد صورنا بقدر الإمكان سيرته في مدة التحصيل والرحلات . أما المدة الأخيرة فيبدوها الرواة عند عودته من رحلاته الطويلة ، ويجعلونها في حدود سنة ٦٥٣ هـ .

وليس بلزم في نظرنا تقسيم حياته على الوضع الذى ذهب إليه الرواة سابقاً ، فإن أوضاع الحياة نفسها لا تخضع لمثل هذه الموازين ، وإنما هي أمور تقريبية . ونحن وإن كنا لا نجاريهم في التحديد الزمنى الذى التزموه ، نجاريهم من ناحية أخرى في التقسيم نفسه . ومن الممكن أن يكون هذا التقسيم صالحاً لكل شخصية من قرب أو من بعيد ، لكنه في تلك الشخصية ممكن إلى حد بعيد .

ولعل ذلك هو الذى حدا بالرواة ورجال الطبقات إلى أن يظهره على هذا النحو الذى مضى .

ونحن إذا سلمنا بهذا رأى الذى ذهب إليه هؤلاء ، وجعلنا سنة ٦٥٣ هـ هى أول الفترة الأخيرة من حياته . فماذا يمكن أن يكون من عمل الشاعر فى تلك الفترة الطويلة التى امتدت كذلك حتى سنة ٦٩١ هـ قرابة أربعين عاماً ؟ . . .

من الممكن أن نُميز أعماله فى تلك الفترة ، وإن كان الرواة لا يشيرون فيها إلا إلى الاعتكاف ، والعمل على مساعدة المعوزين ، وزيارة رجال الدولة وكبارها له فى معتكفه من وقت لآخر ، كما يسندون له أموراً خارقة للعادة ^(١) .

والواقع أن الشاعر لا يمكن أن يكون قد آوى إلى معتكفه النهائى ليقم فيه دون أن يخرج من شيراز طوال ذلك الوقت ، فلعله خرج منها فى بعض رحلاته إلى الحجاز تلك الرحلات التى لم تنقطع ، والتى يقول عنها الرواة إنه حج فيها أربع عشرة مرة .

ومن المؤكد كذلك أنه صرف وقتاً طويلاً فى نظم بعض أشعاره فى تلك المدة الأخيرة ، ونخص بالذكر منها مدائحه ومراثيه ، فهى كلها قد نظمت بعد عودته من رحلاته كما لاحظنا سابقاً .

كما أنه نظم قطع كتابيه « البوستان » و « الغلستان » فى أعقاب عودته وبوبهما ، قبل أن يقدمهما إلى صاحبيهما . والمعتقد أنه نظم كثيراً من قطع « البوستان » قبل أن يقدم إلى شيراز فى عودته إليها ، ولكن تنظيمها وتبويبها لم يتم إلا حين عودته ، وحين رغب أن يقدم هذا الكتاب إلى الأمير .

وقد لاحظنا كذلك أنه ظل ينظم الشعر حتى سنة ٦٨١ هـ ، كما رأينا سابقاً عند الكلام على مدائحه .

(١) دولتشاه ص ٢٠٢ - ٢٠٣ طبعة ليدن .

وليس ما يمنع عندنا من أن الشاعر ظل ينظم الشعر بعد هذا التاريخ ، فقد امتدت الحياة به عشر سنوات أخرى ، واتسع وقته لإنشاد بعض الشعر ، ولم تسكت طبيعته الشعرية .

أما الألوان التي يمكن أن نقول إنه ظل ينظمها في ذلك العهد ، فهي إما في غزلياته الصوفية وبخاصة المعروفة « بالخواتيم » ، أو في القطع الأخرى من « المنشويات » ، فلم يثبت له نظم في القصائد مدحا أو رثاء بعد ذلك التاريخ .



الفصل السابع

General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)
المنظمة العامة لمكتبة الإسكندرية

مقبرة ومرقد

يقول دولتشاه عن مقبرته ، إنها تقع في شيراز بمكان مفرح ، فيه حوض صاف وعمارة لا نظير لها ، وللناس ميل لزيارتها ، وذلك في عبارته :

« وترتبت شيخ سعدى أكنون در شيراز جائى فرح بخنى وحوضى باصفاست .
وعمارت بى نظير آنجا واقع است ومردم را بدان مرقد إرادتست (١) » .

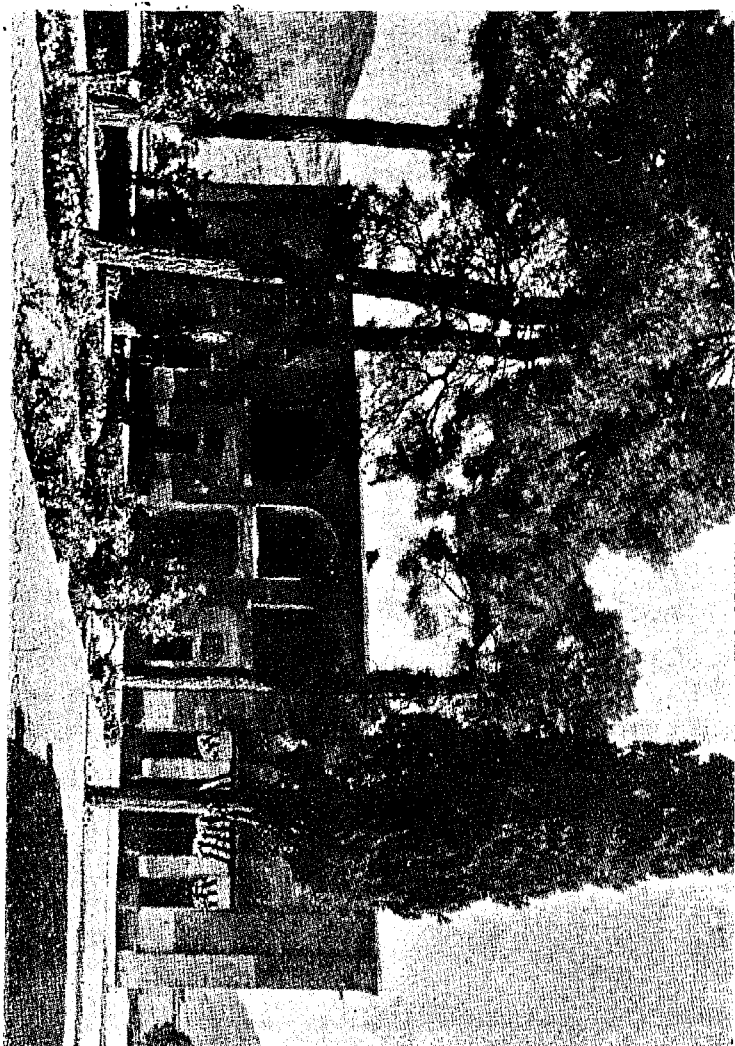
وقد شاهد ابن بطوطة مرقد في رحلته إلى شيراز سنة ٧٢٧هـ . إذ يقول « ومن المشاهد بخارج شيراز قبر الشيخ الصالح المعروف بالسعدى ، وكان أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي ، وربما ألمع في كلامه بالعربي ، وله زاوية كان قد عمرها بذلك الموضع ، حسنة بداخلها بستان مليح ، وهي بقرب رأس النهر الكبير المعروف « بركن آباد » وقد صنع الشيخ هناك أحواضاً صفراء من المرمر لغسل الثياب ، فيخرج الناس من المدينة لزيارته ويغسلون ثيابهم بذلك النهر ، وينصرفون ، وكذلك فعلت عنده (٢) » .

وينقل الأستاذ « الكركاني » عن صاحب كتاب « طرائف الحقائق » أن مقبرته مزار من كثير الرواد . يقع شمالي شرقي المدينة على بعد نصف فرسخ ، وتهدم ذلك البناء من توالى الحوادث ، وعمره « كريم خان الزندى » سنة ١١٨٠هـ (٣) .

(١) تذكرة الشعراء ص — ٢٠٩ . طبعة ليدن .

(٢) رحلة ابن بطوطة ص — ١٣٦ . المطبعة الأزهرية .

(٣) الكركاني — مقدمة الهندستان ص م .



« سمدی التیغیر » « بشیر از عن کتاب » سمدی نامه »

ويذكر الأستاذ « سروش » في ترجمته لكتاب « حيات سعدى » الذى ألفه بالأردوية الأستاذ « حسين أطاف » عن السائح الانجليزى « فرانكلين » أنه ذهب إلى شيراز سنة ١٧٨٦ م . وقد ذكر أن مدفن الشيخ يقع فى الجهة الشرقية ، على بعد ميل فى طرف جبل خارج شيراز .

وعمارته مربعة ، وقبره من الحجر ، فى طول ستة أقدام فى عرض قدمين ونصف ، وعلى جدر المقبرة عبارات بخط النسخ فى تاريخ الشيخ ومصنفاته ، وفى أعلى الضريح طلاء نقش عليه أحد أبيات الشيخ بخط « نسخ التعليق » .

ثم يضى فيقول — « إن المسلمين يزورون مقبرته من أطراف الدنيا وينثرون عليه الورد ، وقد وضعت فى مقبرته إحدى نسخ كلياته . وعلى الجدار أبيات من شعر الشيخ كتبها الزوار ، وقد خربت المقبرة بمرور الزمن » ثم ينتهى فى عبارته إلى القول بأن كثيراً من مقابر العطاء يحيط بها فانهم أوصوا بذلك^(١) . كذلك يذكر المؤلف فى موضع آخر أن « كريم خان الزندى » أقام سوراً على قبور جماعة مجهولين بشيراز ، وعلى الباب رسم « للسعدى وحافظ » فى نصف صورة لها ، وقد نقل « الكابتن كلارك » فى ترجمته لكتاب « البوستان » هذه الصورة ، ويبدو فيها أن الشيخ يمسك بإحدى يديه كشكولا وبالأخرى « تبرى »^(٢) وهو علامة خاصة بالمسافرين^(٣) .

وفى سنة ١٨١١ م ميلادية حينما عين السير « كور أوولى » سفيراً لدى بلاط إيران من قبل جورج الثالث فى عهد « فتح على شاه القاجارى » أقام بضعة أشهر بشيراز ، وزار قبر الشيخ ، فلما شاهد المقبرة لم يصدق ما قاله « فرانكلين » . فإنها

(١) سروش — حيات سعدى ص ٢٧

(٢) تبر — مثل فمر آلة معروفة تكسر بها الأشجار ويقطع بها ما يخنطب — نوبهار

(٣) سروش — حيات سعدى ص ١٢

كانت قد خربت ولم ير أثراً للحديقة والأشجار التي كانت بها . ويقول :
« إنه فكر في أن يعيد تشييد المقبرة بمبلغ قليل ، لما كان في نفسه من تقدير للشيخ ،
ولكن الإبن الخامس لشاه إيران وهو « حسين علي ميرزا » الذي كان والياً
على فارس ، منعه من القيام بهذه المهمة ووعده أن يعمرها ، وقال إنه سيقوم
بتعميرها على نسق مقبرة « حافظ » التي قام بتشيدها « كريم خان » . ولكن
لم يفعل ^(١) » .

هذا ما أثبتته المؤرخون والرحالة عن مقبرته ومكانها حتى مطلع القرن الماضي .
أما مقبرته الآن فلم نعثر بعد ذلك على نص هام — يضيف جديداً — من
كتبوا عنها من الإيرانيين أو غيرهم .

(١) سروش . حجاب سعدى ص ٥٧

الفصل الثامن

عقيدة سعدى

كان سعدى إنساناً بكل معنى الكلمة ، يشعر بأنه أحد أعضاء المجتمع ، لا فرق بين أن يكون على دين ودين ، أو على عقيدة وعقيدة ، أو على مذهب ومذهب ، ومن هنا كان رجلاً للجميع ، وكان أدبه أدباً للجميع . يحب الناس كلهم ، ويرى أنه وإياهم من طبيعة واحدة ، ولهذا كان سامى الفكرة ، لطيف الحس ، مشرق الضمير .

وفى قطعة من شعره ، يقول إن بنى آدم جميعاً كلهم لبعض ، فهم فى خلقهم من جوهر واحد ، إذا بدا لعضو أن يتألم فإن أعضاءه الأخرى تشاركه المحنة والألم ، والإنسان الذى لا يهتم لمحنة الآخرين مجرد من الآدمية . يقول :

بنى آدم أعضاى يكدي يكرنسد	كه در آفرينش زيك گوهرنسد
چو عضوى بدرد آورد روزگار	دگر عضوها را نماند تسرار
نسوكز محنتى ديگران بيغمى	نشاييد كه نامت نهند آدمى (١)

وتبدو للشاعر آراء ، يفاضل فيها بين الصوفية والعلماء ، فالعالم فى نظره أفضل من الصوفى . وفى قطعة له يصور هذه المسألة ، يرى فيها أن صوفياً هجر مكان عبادته ، وقدم إلى المدرسة ، وقد خرج على عهد صحبته ، وترك الطريق .

(١) الكورگانى — مقدمة الكلستان ص — سز . وقد ترجم هذه الأبيات الدكتور عزام بك شعراً :

بنو آدم جسد واحد	إلى عنصر واحد عائد
إذا مس عضواً أليم السقام	فسائر أعضائه لاتمسام
إذا أنت للناس لم تألسم	فكيف تسمت بالآدمى ؟

فسأله قائلاً : أى فرق بين العالم والعابد ، حتى اخترت طريق ذلك على هذا ؟ ؟ .

فقال إن هذا ينقذ نفسه من الموج الذى يقع فيه ، بينما يأخذ ذلك بيد الغريق يقول :

صاحب دلى بمدرسه آمد زخايقاه بشكست عهد صحبت أهل طريق را
گفتم بيان عالم و عابد چه فرق بود تا اختيار كردى از آن اين فريق را
گفت آن كلمه خويش بدرميرد ز سوج وين سعى ميكند كه بگيرد غريق را^(۱)

على أنه كذلك يرى أن العبادة ليست فى الانقطاع عن أسباب الدنيا ، فهو

— على خلاف كثيرين من أهل الطريق — لم يعرض عنها ، ويختار الاعتزال

والاعتكاف عن الناس ، بل كان يعرف أن العبادة الحققة هى فى خدمة الخلق

ومعونتهم ، وليست بالتسبيح والجلوس على السجادة ، وارتداء الدلق ، ثم هو يطلب

ذلك إلى كل الناس ، حتى الملوك منهم أن يتخلقوا بأخلاق الدراويش . يقول :

عبادت بجز خدمت خلق نيست بتسييح و سجاده و دلق نبست
تو بر تخت سلطاني خويش باش بأخلاق با كيزه درويش باش^(۲)

هذه عقيدته من الوجهة العامة ، وإذا أدركنا منها أن لا مفاضلة عنده بين

الناس فى عقائدهم ، فإننا نعرف منها كذلك مدى تسامحه فى مذهبه الدينى ، وهذا

يفسر لنا — إلى حد بعيد — كيف اعتنق المذهب السني فى إيران ، موطن

المذهب الشيعى من قديم .

وأشعاره تدل على هذا إلى حد بعيد . فقد رأيناه يمدح خليفة المسلمين

المستعصم فى مرثيته اللتين أشرنا إليها سابقاً .

كذلك يمدح الخلفاء الراشدين عامة فى « البوستان » من قطعة يمدح بها

الرسول عليه السلام ، ويتخلص فيها بمدحهم جميعاً . ثم ينتقل إلى مدح بنى

فاطمة وآل الرسول^(۳) مما يدل على أنه عام فى عقيدته وفى مذهبه .

(۱) الدكتور رضا زاده فى تاريخ أدبيات إيران ص ۲۷۴ — طهران ۱۳۲۱ هـ . ش

(۲) الكرگانى — مقدمه السكلسان ص — مو .

(۳) كلميات فروغى — بوستان ص ۳۲۰

الفصل التاسع

مؤلفات الشاعر أو كليته

من شعراء الفارسية من كتب نثراً وشعراً ، ومجموع ما يكتبه المؤلف من شعر ونثر يطلق عليه في الفارسية كلمة « كليات » . فكليات سعدى هي مجموع إنتاجه شعراً ونثراً .

ومن هذا الإنتاج ما ينشر وحده فيستقل عن الكليات لاستقلال موضوعه وللتمكن من دراسته بسهولة . كما هو الحال في كتابيه « البوستان والگلستان » . وقد رتب إنتاج الشاعر في « كليته » من حيث لون الأداء . لا من حيث الموضوع أو الزمن ، ونحن نأخذ هذا الترتيب من « كليات فروغی » ، والكليات كما عرفنا تجمع المنشورات وتبدأ بها ، ثم المنظومات .

أولاً - المنشورات

فأما المنشورات فتشمل الرسائل الست التي كتبها الشاعر . ثم كتابه المستقل « الگلستان » . وقد كتب الشاعر الإيراني المعاصر « بهار » في كتابه « سبك شناسی أو تطور النثر الفارسی » فصلاً عن مؤلفات الشاعر المنشورة وحدها . درسها من حيث أسلوبها لا من حيث موضوعها ، وتكلم — بهذه المناسبة — عن منهج « سعدی » في النثر ، وعن أسلوبه في الأداء ، في رسائله وكتابه « الگلستان » دون التعرض لغيرها . فلم يعرض للشعر ، ولا منهج الشاعر فيه ، وبالتالي لم يتعرض لمقارنات بين موضوعي « البوستان والگلستان » . ونقدم ملخصاً لما قاله في موضوع النثر ، ثم تتبع الكلام عن أشعاره . يقول :

هناك ثلاثة ألوان من النثر خلفها « سعدى » فى إنتاجه ، ونحن نشير إليها

١ — اللون الأول — وهو المتداول فى عصره ، والذي كان يكتب به جماعة منهم « الجوينى » صاحب « جهانگشای » .

٢ — اللون الثانى — وهو طراز كتابة « عبد الله الأنصارى » .

٣ — اللون الثالث — وهو نسيج « سعدى » نفسه .

وهذه الألوان الثلاثة تشاهد فى رسائله التى كتبها فى مقدمة « كلياته » وفى كتابه « السگلستان » فأما الرسائل فهى .

١ — الرسالة الأولى : وتسمى « الديباجة »^(١) كتبها الشاعر وهو على ظهر سفينة وكما يبدو من الرسالة ، كانت تلك السفينة ملكاً لأمير من الأمراء ، وهذه الرسالة قريبة فى أسلوبها من أسلوب النثر القديم . خالية — إلى حد ما — من التكلف والصناعة الشاقة ، والأسجاع النادرة . لكن يتردد فيها ألفاظ وجمل عربية مسجوعة كالعبارة . « تلاطم أمواج هموم وتراكم أفواج غموم » كذلك كان يكثر من إيراد الآيات القرآنية ، مثل « إنا سناق عليك قولاً ثقيلاً » ومثل . « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال » .

٢ — الرسالة الثانية : وهذه الرسالة تعرف بالجلس الخامس . وهى مجالس كان يكتبها الشيخ لنفسه أو يعقدها لتلاميذه .

وفى طليعة المجلس الأول منها نظم مامع فى مدح الرسول عليه السلام من شعر الشاعر^(٢) . والمجلس الأول والثانى — من حيث أسلوبهما — أسهل من أسلوبه فى « القطعة الأولى » « الديباجة » وهما متشابهان كذلك من حيث المنهج الذى سلكه فيهما . فالمجلس الأول بدأه ببعض أشعار فى مدح الرسول ، ثم عقب عليها بذكر

· (١) كليات فروغى ص ١٠-١٥ (٢) نفس المصدر ص ١٦

حديث للرسول^(١) . وبدأ الثاني بقوله قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله» ثم عقب عليها بحديث كذلك^(٢) وخلال المجلس الثاني قطعة في بيان الفرق بين «تقوى المؤمنين وتقوى الصالحين»^(٣) «

كذلك يتخلل هذا المجلس غزليات وأبيات من سعدى ، وردت في مجموع غزلياته أو كتابه «الكلستان» .

ويبدو من هذه القطعة أن سعدى سلك فيها مسلك الزاهد المتصوف الذي يعظ الناس .

وفي المجلس الثالث^(٤) من هذه المجالس يبدو الشاعر صوفياً بحتاً . يتناول الكلام في معرفة الله تعالى ، وفي محبته والانصراف إليه ، ويسلك في هذا المجلس — من حيث أسلوبه — منهج عبد الله الأنصارى .

وفي مجلسه الرابع^(٥) ، يبدو كذلك صوفياً زاهداً . لكنه — من حيث أسلوبه — أيسر وأبسط من أسلوبه في المجالس السابقة . ويضمن هذا المجلس قصصاً مختلفة يوردها على لسان رجال عرفوا بالزهد والتصوف مثل إيراد قصة على لسان «يحيى بن معاذ الرازي» . وقصة عن «إبراهيم بن أدهم» وأخرى عن «عمر بن عبد العزيز» وحكاية عن «عبد الله بن عمر» . وهذه القصص كلها ذات مقاصد صوفية في الزهد والتجرد والانقطاع عن الدنيا .

فأما مجلسه الخامس^(٦) فيبدو فيه أسلوب سعدى دون تقايد أو محاكاة ، وهو فيه شبيه بأسلوبه في «الكلستان» من حيث رقة العبارة ولطف المعاني . ويتناول

(١) كليات فروغى ص ١٦ . (٢) نفس المصدر ص ١٩ .
(٣) في العبارة شيء من التصرف فالنص في كليات فروغى هو «بدانكه: تقوى بردو نوعست. تقوى صالحان وتقوى عارفان ص ٢٠ . (٤) كليات فروغى ص ٢٤-٢٧ .
(٥) نفس المصدر ص ٢٧-٣١ . (٦) نفس المصدر ص ٣١-٣٩ .

فى هذا المجلس قصصاً عن بعض الصوفيين الإسلاميين وغير الإسلاميين . وهذا المجلس خير مجالسه الخمسة .

٣ — الرسالة الثالثة : وهذه الرسالة تتعلق بموضوع خطاب كتبه «شمس الدين صاحب الديوان» إلى الشيخ ورد الشيخ عليه . ويبدو فى هذه الرسالة الأسلوب المرح الطريف . كذلك يتضح فى أشعارها لطف العبارة وحسن الاختيار . على أنه يظهر أن جامع هذه الرسالة أضاف إليها كثيراً مما لا يحتمل وقوعه كالعبارة :

« بارها غلام ديدة أست كه خواجه شمس الدين خروار زر بشيخ
ميفرستاده است ، أز بهر علفه مرغان ، وشيخ آن زرها قبول نمى فرموده است » .
فلم يبلغ الأمر هذا الحد . فإن شمس الدين كان لا يجد فى خزينة هولاء
وأبائهم — فى أى وقت — حمل دابة ذهباً ، ليرسلها — كلها أو بعضها — إلى
الشيخ ، فيردها الشيخ بدوره ^(١) .

٤ — الرسالة الرابعة : وهذه الرسالة فى جواب « سعد الدين » ^(٢) على
سؤال له . هل العتق وسيلة المعرفة والوصول أم العشق ؟ ؟ ويرد الشيخ على
سؤال « سعد الدين » هذا جواباً لطيفاً سديداً .

(١) كانت مكانة شمس الدين وأخيه علاء الدين فى الدولة مكانة سامية .
ولاحظنا مبلغ صلة الشاعر بهما ومدائحه فيهما . فلعل الرواة والنساخ لاحظوا هذه
الصلة فزيّفوا بعض القصص لتمثيل هذه الصلات . وإن كان ذلك لا يمنع من مكانة
الشاعر فى نفوسهم وتقديرهم له . وانظر هذه الرسالة فى كليات فروغى ص ٤٠ - ٤٢
(٢) يذكر المؤلف فى الهامش بعض الخلافات بين النسخ المخطوطة والمطبوعة
بشأن هذه الرسالة . ثم يستطرد بقوله لاعلم لنا يسعد الدين هذا ؟ ج ٣ ص ١١٩ .
وانظر كليات فروغى ص ٤٣ - ٤٤

وتعتبر هذه الرسالة في عداد رسائل الشاعر الصوفية ، وأسلوبها على العموم سهل مجرد من التكلف ، شبيه بأسلوب « الغلستان » . وقد ضمنها الشاعر كثيراً من أشعاره الجيدة .

ويمكن أن تعد هذه الرسالة ، ومجالسه في التصوف ، مع كتاب « جلال الدين الرومي — فيه ما فيه » من أقدم ما كتب في النثر الفنى الصوفى .

٥ — الرسالة الخامسة : وتسمى رسالة « نصائح الملوك^(١) » . وهى أسهل رسائله وأبسطها . تفوق أسلوب « الغلستان » فى بساطتها . وأغلب هذه الرسالة كلمات قصيرة ذات دلالة صوفية . ويورد من مكان لآخر حكاية — على سبيل التمثيل — يضمنها أصول الحكم ، والدعوة إلى رعاية الرعية ، فى عبارات موجزة فصيحة .

٦ — الرسالة السادسة : وهذه الرسالة ثلاثة أقسام^(٢) :

(أ) والقسم الأول منها يدور حول لقاء الشيخ — حين عودته من مكة فى طريقه إلى تبريز — « الصاحبين » وهما فى صحبة « آباقا خان » . فلما رآه الصاحبان ، ترجلا عن جواديهما ، وقبلا يديه ورجليه . وتمضى القصة فتقول إن آباقا سأل الصاحبين عن يكون الشيخ ؟ ؟ ثم طلب آباقا أن ينصحه .

على أن الكثيرين من النقاد يرون — ويرى المؤلف رأيهم — أن هذه القصة بعيدة الوقوع . فقد ورد فيها شعر بالفارسية لا يستطيع آباقا أن يفهمه . كما أنه يصعب عليه فهم بعض المعانى الواردة فى عباراتها عن التكليف الإسلامية .

(ب) والقسم الثانى فى نصيحة الأمير « بانكيانو » وهذه الرسالة لاختلاف فى نسبتها إلى سعدى ، وهى من حيث أسلوبها سلسلة شبيهة بأسلوب النثر الذى ورد فى القطعة المعروفة بالديباجة ، وبعض مجالسه الخمس ، وإن كان يبدو فيها بعض سجعات

(١) كليات فروغى ص ٤٧ — ٦٤ (٢) نفس المصدر ص ٦٥ — ٧٠

لكنها سجعات مألوفة طبيعية . وهذه الرسالة في مجموعها ترمى إلى سن قواعد في رسوم السياسة ، والحكم ، وحسن معاملة الرعية .

(ج) القسم الثالث : وهذه قصة تدل على مبلغ احترام الشيخ عند حكام فارس وعامها وترتبط بشخصية « شمس الدين تازيكو » مع أخى الشاعر ، حيث كان يعمل في بيع سلعة التمر . وقد أشرنا إلى هذه القصة سابقاً . ولا رأى المؤلف « صاحب سبك شناسى » في أسلوبها ، فإنه يراها من وضع جامع الكليات .

٧ — الكلستان : يمكن أن نجد فن « سعدى » وشخصيته وانحنى في هذا الكتاب . وهو يكشف لنا عن شخصيته في الكتابة . والكتاب — على صغر حجمه — كبير الفائدة ، عظيم القيمة ، فلم يسبقه مثيل له ، ولا يحتمل أن يأتى نظيره كذلك .

وقصد المؤلف من هذا الكتاب أن يضع كتاباً أخلاقياً اجتماعياً . وقد كتب في أسلوب سلس ، لا يسأم القارئ تكرار تلاوته . وهو يفتقر في أسلوبه عن الأسلوب المتعارف في عصره ، ففيه جدة وفيه طلاوة ، وليس فيه أثر من الأسلوب المكرر ، كما هو الشأن عند القدماء . وكما نجد عند الشاعر نفسه في أسلوب بعض مجالسه .

والشاعر — في هذا الكتاب — شبيه بالجاحظ في العربية ، مزج في أسلوبه بين الجد والهزل ، ويهدف في كل عباراته إلى إبراز اللطائف التى تبعد السامة عن القارئ .

كذلك ربط في أبوابه بين التحدث عن سيرة الملوك وآدابهم ، بأخلاق الدراويش . وجمع بين فضيلة القناعة — وهى نوع من التسلية الاجتماعية — مع

فوائد الصمت . ثم فى باب العشق والشباب لمس جانب الولى . وجعل هذا الباب متصلاً بباب الضعف والشيخوخة . وختم الكتاب بباب التعليم التريية . وضمن هذا الباب قصة « جدال السعدى والمدعى » وهى من أهم ما كتبه سعدى (١) .

ثانياً - المنظومات :

٨ — ديوان البوستان : وتسميتها له بالديوان صحيحة ، فإنه يضم ألواناً من الشعر فى أغراض مختلفة . كما أطلق الأستاذ « على دشتى » كلمة ديوان على مجموع شعر « الطيبات » . ويرد موضعه فى الكليات بعد الكتاب المنشور « الغلستان » وقد أفردنا له الباب الثالث من هذا الكتاب . وترد بقية الألوان المنظومة فى الكليات على الترتيب الآتى :

٩ — القصائد العربية : وتبلغ فى كليات فروغى اثنتين وعشرين قصيدة ، وهى فى الغزل ، والمدح ، والثناء ، والشيب ، والموعظة . والغزليات أغلبها . إذ تبلغ وحدها سبع عشرة قطعة ، وهذا القسم يبدأ بالقصيدة التى يرثى فيها الخليفة المستعصم وذكر واقعة بغداد — والتى مطلعها —
حبست بحفى المدامع لاتجربى .
ويتخلل هذا القسم قطع قصيرة لا تبلغ مبلغ القصائد الطويلة ، ولا تتجاوز بعضها بيتين

١٠ — القصائد الفارسية : وهى تسع وثلاثون قصيدة فى المدح ، والنصائح ووصف الربيع ، والتوحيد ، والحنين إلى شيراز . فأما قصائد المدح فأغلبها فى صاحبه

(١) انتهى هنا تلخيص بعض ما كتبه الأستاذ « بهار » عن مؤلفات الشاعر المنشورة . .

لديوان ، شمس الدين وأخيه علاء الدين ، ثم في بعض ملوك الأتابكة وبعض ولاية فارس من قبل المغول ، وتبلغ قصائد المدح وحدها من تلك المجموعة ، إثنى عشرة قصيدة ، وقد أشرنا إلى مدائح الشاعر عند التعرض للأشخاص الذين اتصل بهم ، وفي هذا القسم قصيدتان في أوله ، إحداهما ، في مدح الذات الإلهية ، والأخرى في مدح الرسول عليه السلام .

١١ — المراثى : وتبلغ سبع قطع . اثنتان في رثاء « أبى بكر بن سعد » ، واثنتان في رثاء ابنه « سعد » وقصيدة في رثاء وزيرها « فخر الدولة أبى بكر » ، وأخرى في رثاء « عز الدين أحمد بن يوسف » ، والأخيرة في زوال الدولة العباسية ، وقد أشرنا إليها عند التعرض لتاريخ هؤلاء الأشخاص .

١٢ — الممعات : وتبلغ إحدى عشرة قطعة . وهى كلها غزليات صوفية . والملمع كما هو معروف لون من النظم الفارسى ، تمضى القطعة فيه على بحر واحد ، وقافية واحدة ، وتتخللها أبيات عربية ، من نفس البحر والقافية على نظام مختلف . فقد يرد بيت فارسى يعقبه بيت عربى ، وقد يكون التاميع بعد بيتين أو ثلاثة ، وقد تكون شرطتا البيت مامعتين ، وقد يتخلف التاميع على نظامه .

١٣ — المثلثات : وهى لون من التاميع يمضى على نسق مطرد ، ولكنها ليست على قافية واحدة ، على نهج النوع المعروف بالثنوى ، وهى قطعة وحيدة ، فى النصيحة والارشاد ، تقع فى أربعة وخمسين بيتاً ، ومطلعها بيت عربى :

خليلى الهوى أنجى وأصلح ولكن من هداه الله أفلح

١٤ — الترجيعات : وهى قطع متفقة البحر ، مختلفة القافية ، فى نهاية كل قطعة منها يلتزم الشاعر بإيراد بيت مكرر من نفس البحر ، مختلف القافية ، ويسمى هذا البيت بيت الترجيع ، وتسمى القطع التى يربطها هذا اللون بالترجيعات .

أما أغراضها فهي من المنظومات الصوفية ، التي اشتهر بها الشاعر ، وتبلغ هذه القطع اثنتان وعشرون قطعة ، لا تقل عدد أبيات القطعة عن تسعة أبيات ولا تزيد عن أربعة عشر بيتاً .

١٥ — ديوان الطيبات: ويبدو فيها أنها قسم قائم بذاته، فهي تجمع لوناً واحداً من الشعر ، في مجموعة من القطع ، أما لونها الشعرى فهي غزليات صوفية ، يلتزم في كل واحدة منها ، ذكر تخلصه الشعرى ، وقد بلغت هذه القطع في نسخة «فروغى» ثلثمائة وخمسة وتسعين قطعة ، مختلفة القافية والبحر ، وقد رتبت القطع في السكليات حسب حرف الروى الأبعدى .

والقطعة الأولى مطلعها البيت :

« أول دفتر بنسام إيزد دانا صانع پرورد گمار حى توانا »
ويلاحظ فيها أن ابتداءها كابتداء أية كتاب يستهله صاحبه باسم الله .
ولعل ذلك هو الذى أوحى بالرواة ، وجامعى أشعار الشاعر أيضاً ، أن يضعوها تحت البسملة ، ولعل ذلك — بالإضافة إلى ضخامتها — هو ما يحدو ببعض النقاد أن يجعلوها قسماً قائماً بذاته كذلك، وأن يطلق بعضهم عليها اسم « ديوان الطيبات » كما ذكر ذلك الأستاذ « على دشتى » فى كتابه « سايه ^(١) » .

وقد نتبعت هذا القسم ، مع بقية غزليات الشاعر جميعها ، فلم أظفر بأسماء أشخاص تاريخيين إلا فى ثلاث قطع منها ، تخلص فى إحداها بمدح « سعد بن أبى بكر » والأخرى بمدح ابنه « محمد » والثالثة بمدح ابنته « نركان خابون » .
وقد أشرنا إلى هذه القطع عند الحديث على صلة الشاعر بهؤلاء .

١٦ — البدائع : وتبلغ مائة وسبعاً وتسعين قطعة ، وموضوعها الغزل الصوفى كذلك . وقد رتبت فى السكليات حسب حروف الهجاء ، يلتزم الشاعر فى آخر

(١) الأستاذ على دشتى فى كتابه سايه ص ٩٦

كل قطعة ذكر تخلصه الشعري على نمط الغزليات في الفارسية ، وقد افتتحت هذه المجموعة في كليات فروغى بهذه الغزلية العربية .

الحمد لله رب العالمين على ما در من نعمة ، عز اسمه وعلا
وهذه الغزليات أغلبها في حيز العشرة أبيات ، وقد تنقص حتى تبلغ أربعة أبيات كالغزلية الدالية التي مطلعها :

زنده شود هر كه بينش دوست بميرد

كما لاحظنا أن إحدى الغزليات جاوزت العشرين كالغزلية الدالية التي مطلعها :
اینان مگر زرجت محض آفریده اند
فبلغت ثلاثة وعشرين بيتاً .

ولكن هذا التخلف — إن كان نقصاً أو زيادة — نادر . أما الأعم الأغلب من ذلك النوع فيقع حول عشرة أبيات .

وقد طبع هذا القسم المعروف بالبدايع مستقلاً ، ونشر نشرًا علمياً « بأوروبا »
ببرلين سنة ١٣٠٤ هـ . ش . تحت عنوان « بدايع سعدى الشيرازي » .

١٧ — الخواتيم : وعدد قطعها سبع وستون قطعة ، وموضوعها الغزل الصوفي .
كذلك ، ويبدو من اسمها أنها نظمت آخر ما نظم الشاعر من هذا اللون ،
وقد رتبت في الكليات كذلك حسب حروف الهجاء . وأولها قطعة في مدح
الذات الإلهية ومطلعها :

ثنا وحد بی بایان خدا را .

كذلك يلتزم الشاعر في نهاية كل قطعة منها إيراد تخلصه الشعري ،
والقطعة الأخيرة من الخواتيم ، هي التي تردد وجودها في بعض نسخ
« الكلستان » في المطبع . يحكى فيها الشاعر ما آل إليه العالم من اضطراب وفتن
مما حمله على الهجرة ، والرحيل ، وترك موطنه ، في قوله :

وجود بتنگ آمد از جور تنگی

١٨ — الغزليات القديمة : وتبلغ ستة وثلاثين غزلية . وهي التي نص على أنها غزليات صراحة ، ووصفها بالقدم يوحى بأنها من أول ما أنشده الشاعر ، والقطعة الأولى منها مطلعها .

دل هر كه صيد كردى نكشد سر از كندت

١٩ — الصاحبيات : وهي قطع صغيرة ، يأتزم فيها الشاعر القافية في كل . القطع ، فهي من نوع القصائد لكنها قصيرة ، تأتي أغلبها في بيتين ، وأول هذه المجموعة ، قطعة في بيتين يمدح فيها الرسول عليه السلام تحت عنوان . « درستايش پيغمبر » ثم تعقبها قطعة أخرى في مدحه كذلك ، في خمسة أبيات . وبعدها قطعة عربية يمدح فيها صاحب الصدر الكبير ، والمقصود به « شمس الدين الجويني » ومطلع هذه القطعة .

ما هذه الدنيا بدار مخلص

وهذه القطعة ترد مباشرة بعد القطعتين الأوليين ، اللتين في مدح الرسول عليه السلام ، ومن هنا أمكن أن نربط بين تسمية هذه المجموعة « بالصاحبيات » ، وبين التعقيب بمدح صاحب « شمس الدين الجويني » بعد مدح الرسول عليه السلام .

على أن هذه المجموعة يتكرر فيها مدائح أخرى ، قصيرة في أشخاص مجهولين وإن دلت على أن الممدوح أحياناً ملك أو أمير ،

٢٠ — المثنويات : وترد على النظم المعروف بالمثنوى ، وكثير منها يرد في بيتين ومن بين هذه المجموعة ، قطعتان بعنوان « حكايت » الأولى مطلعها .

پیری آنسدر قبيله ما بسود كه جهانديده تر ز عفا بسود

وتمضى القصة فى تسعة عشر بيتاً ، على هذا اللون المعروف بالمشنوى .

ومطلع الثانية :

ألا كمر بختمند وهو شيارى بقول هوشمند ان گوش دارى
وتمضى القصة فى سبعة وثلاثين بيتاً ، وهذه المشنويات جميعها ذات مطالب صوفية ، من لون مطالبه فى « البوستان » .

٢١ — القطعات : ويلتزم الشاعر فى هذا القسم القافية ، وإن لم تكن هذه القطع طويلة كثيرة . فلا يتجاوز أطولها عشر أبيات ، وأغلبها فى بيتين أو ثلاثة . وهى نصائح ، وحكم ، ومواعظ ، من أمثال ماجاء فى « البوستان » .

٢٢ — الرباعيات . وتبلغ مائة وأربعاً وثمانين رباعية . وهى فى النصيحة والحكم .

وقد رتبت فى السكليات حسب حروف الهجاء ، ومطلعها الرباعية الآتية :
هر ساهم اندرون بجوشد خون را وآكاهى نيست سسردم بيرون را
٢٣ — مفردات : وهى أبيات مختلفة الوزن والقافية ، وأغراضها مختلفة كذلك . لا تربط بينها وحدة فى الوزن أو الموضوع .

وفى ختام هذا الفصل يعرض لنا هذا السؤال . أى هذه الألوان بدأها الشاعر نثراً ونظماً ؟ وهل يمكن وضعها مرتبة من حيث الزمن ؟؟ .
أما الإجابة على السؤال الأول . فالألوان المنشورة عرف زمن بعضها من موضوعها ، كالقطع التى تعرض لشخصيات تاريخية ، وبعضها الآخر مجهول الزمن ، لكنها على أية حال كتبت بعد عودة الشاعر من رحلته الطويلة .
كذلك لا نستطيع أن نحدد بالضبط أى الألوان الشعرية بدأها الشاعر ؟؟

لكن دائرة المعارف الإسلامية ، ترى أن قصائده وغزلياته على اختلافها — ما عدا الغزليات القديمة — نظمت كلها في أخريات حياته ، كما ترى أن « الصاحبيات » قيلت في صاحب الديوان « شمس الدين الجويني » ولهذا سميت بالصاحبيات كما أن الطيبات عملت « لساجوقشاه » آخر الأتابكة^(١) .

اللغات التي كان يعرفها

أما اللغات التي كان يعرفها الشاعر ، فلا نقطع بغير معرفته العربية ، التي تبت أن له فيها قصائد ، وغزليات بحالها ، تضمنتها كلياته . كذلك تظهر في قدرته على نظم النوع المسمى باللمعات .

ولكن « براون » يرى أنه عرف الأردوية كذلك ، ويقول إنه عرفها إبان إقامته بالهند ، ويذكر أنه عثر على عينات من الشعر في مخطوط تملكه الجمعية الآسيوية ، ولكنه لم يستطع أن يقطع بنسبته إليه^(٢) .

والواقع أننا لا نستطيع أن نتأكد من أن له شعراً بغير اللغتين الفارسية والعربية ، وهما لغتا العالم الإسلامي الذي أمكن أن يطوف فيه ، وأن يقيم طويلاً ببعض نواحيه ، إقامة تمكنه من إتقان اللغة العربية ، اللغة المشتركة بين المسلمين ، فأمكنه التأليف بها .

(١) دائرة المعارف الإسلامية في موضوع سعدى الشيرازي .

(٢) G. Browne : A Literary His. of Persia v. 2, p. 539

الفصل العاشر

منزلة الشاعر ومطامته

ردد الكثيرون من الشعراء القدماء ورجال التاريخ والأدب أحكاماً عامة على الشاعر، لا بأس أن نشير إليها هنا. فمن المعاصرين له، الشاعر «هام التبريزي». وقد كان من مشاهير الغزليين في عصره، وصورنا سابقاً قصة لقائه هذا الشاعر في تبريز. وسواء أصبحت هذه القصة أم لم تصح؟ فإن الشاعر «هاما» قد أثر له بيت من الشعر يصف فيه نفسه بالأجادة في النظم، لكنه لم يبلغ في إجادته ما بلغه «سعدى الشيرازي».

هام راسخن دلفريب وشيرين هست ولى چه سود كه بيجاره نيست شيرازى (١)
ومن معاصريه أيضاً شاعر آخر مجيد يسمى «مجد همگر» يقول عن شعر «سعدى» إنه كالكعبة يؤمه كل الناس، كما يشبه فيض قلبه بزمزم.
أرسعدى مشهور سخن شعر روان جوى كو كعبه فضلست ودلش چشه زسزم (٢)
وقد ظل الذين جاؤا بعده يفيضون كثيراً من ألوان التقدير له. وحتى «حافظ الشيرازي» — مواطنه والمشهود له — يجعل «سعدى» أستاذاً في جميع فنون الشعر، ليس في نظره — فحسب — بل في نظر جميع الناس وذلك من بيته.
أستاذ سخن سعدىست نزدهم كس اما دارد سخن حافظ طرز سخن خواجو (٣)
ومن جاؤا بعده، وأدر كوا أيامه الأخيرة، الأمير «خسرو الدهلوى». وقد صورنا

(١) الدكتور رضا زاده في تاريخ الأدب الفارسي ص ١٦٦ سن النسخة المطولة

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٥

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٦

سابقاً مبلغ طموح هذا الأمير بأن يكون كـ « سعدى الشيرازي » .
ومن فنون الشعر ما يجعله بعضهم أسبق فيها من غيره ، بل أكثرهم لها إجادة ،
ذلك هو فن الغزل .

فيذكر « دولتشاه » أن أنبياء الشعر ثلاثة ، كل واحد أستاذ في ناحية ، لا يجاريه
فيها غيره . هم « الفردوسي » في القصص . « والأنوري » في القصائد ، « والسعدى »
في الغزل .

در شعر سه تن پیمبران سسد هر چند که لایقی بعسدى
أوصاف وقصيده وغزل را فردوسى وأنورى وسعدى^(١)
يؤيد هذا ما يذكره صاحب « حبيب السير » فيقول إن أحدا لم يبلغ ما بلغه
« سعدى » في فن الغزل^(٢)

ويورد الأستاذ « الكرگاني » في مقدمته على « الكلستان » عن صاحب
تذكرة « شمع أنجمي » أن سعدى بلغ مكانه في الغزل لم يدرها أحد قبله .
فقد ألبسه ثوباً جديداً ، وكأنما كانت غزلياته دواء للوهي ، ولهذا يعدون ديوانه
في الغزل « ملاحه الشعراء »^(٣) .

وكذلك ينقل « روس » في مقدمته على « الكلستان » قولاً « لابراهيم
خان » « ينبغي أن يفهم أن سعدى أول من غرس الشجرة الأولى في بستان
الغزل »^(٤) .

ويذكر « براون » في مقارنة طويلة بين « حافظ وسعدى » كيف أن « حافظاً »
استمد كثيراً من الأفكار التي تضمنتها أشعار « سعدى » في الكلستان ، والطيبات ،
والغزليات ، والبدائع . وينتهي من ذلك بأن « حافظاً » يعد مدينا إلى حد كبير
للشاعر « سعدى »^(٥) .

(١) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ١٠ (٢) حبيب السير ص ١٣٠

(٣) الكرگاني — مقدمة الكلستان ص — يب .

(٤) Ross: Sadi's Gulistan p. 23

(٥) G. Browne : A Literary History of Pers. v, 2. p. 539

ويرى الأستاذ « آربرى » أن الشاعر الحق ، والكاتب المبدع هو الذى يجمع بين سمو الفكرة وطرافتها ، مع رقة العبارة وسلاستها ، ومن هنا كان السبب فى إعجاب الكثيرين من الفرنسيين « بسعدى » فقد أعجب به « ديدرو » وأطراه « فولتير » وأشادت به « مدام رولان » وقال عنه « رينان » إن « سعدى » فى الواقع واحد منا . كما قال عنه « بارييه دى منار » إننا نجد فيه ما نذكرنا ببلاغة « هوراس » ورقة « أوفيد » وفصاحة « دى ريبالييه » وإنسانية « لافوتتين » . ولهذا السبب أصبح الرجل — ذو الأسلوب البديع — أنموذجاً يحتذىه كل من يتعلم الفارسية^(١) .

ونختتم هذه الآراء بما سجله الأستاذ « على دشتى » سفير إيران حالياً بمصر فى مقال له عن مقارنة بين « سعدى وحافظ » نشره فى كتابه « سايه » وانتهى فيه إلى هذا القول .

« بر خلاف سعدى كه ملك سخن بر او مسلم است . سعدى رب النوع فصاحت وبلاغت است . خداوند زبان پارسی است ، اگر دعوى پیغمبرى میکرد . ومعجز خود را کتاب بوستان و دیوان طبیات قرار میداد بی شبهه کس نمیتوانست این دعوى را رد بشکند ، کلیات شیخ بمنزله قرآن زبان پارسی است »^(٢) .

وترجمة هذه العبارة « وهذا على خلاف سعدى فان ملك الكلام قد سلم إليه ، فسعدى رب الفصاحة والبلاغة ، وهو رب الأدب الفارسى إذا ادعينا النبوة ، وإعجازه هو البوستان وديوان الطبيات ، ولا يستطيع إنسان أن ينقض هذه الدعوى ، فكلياته بمنزلة القرآن فى الفارسية ،

(١) Arberry : Kings & Beggars p. 15

(٢) انظر — سايه للأستاذ على دشتى . ص ٩٦

البَابُ الثَّالِثُ

ديوان «البوستان»

القسم الأول

دراسات تاريخية على «البوستان»

الفصل الأول

البوستانه أمة هوارث العصر وظروف الشاعر

لم يكن الدافع لهذا اللون من شعر البوستان أمراً عرضياً ، رغب إليه الشاعر لمجرد الترويح عن النفس ، ولكنه كان استجابة لمجموعة من العوامل ، أحاطت بالشاعر ، فأثرت فيه ، فاستجاب لها ، فأنتج هذا اللون من الشعر الأخلاقي التعليمي .

وإذا رجعنا إلى الوراء قليلاً ، تبين لنا مما عرضنا له سابقاً أن هناك عوامل عامة أحاطت بالبيئة نفسها ، وظروفاً خاصة عاش فيها الشاعر نفسه ، فأثرت فيه هذه وتلك كما رأينا ، وأدت في النهاية إلى أن يسير في الاتجاه الذي رسمته له .

ويمكن رد هذه العوامل والظروف إلى أربعة أشياء .

١ — الأحداث السياسية العامة التي أحاطت بالبيئة الإسلامية إبان نشوئه ، وأصاب المجتمع الإسلامي بما أصيب به في أحداث المغول وفي أعقابها ، وما آل إليه هذا المجتمع من الانحلال والاضمحلال .

فראينا أنه نفر من رؤية العالم مضطرباً ، كما يضطرب شعر الزنجي ، وأن الناس أخذ بعضهم برقاب بعض كالوحوش الكاسرة .

وتخلف عن هذه الأحداث التي أصابت البيئة الإسلامية ، مجتمع مريض تناوبته أمراض مختلفة ، فكان الشاعر أمام هذا المجتمع بمثابة الطبيب يعالج هذه الأمراض ، أو بمثابة المصلح الاجتماعي ، يرشد هذا المجتمع الجامع ، الذي أخذ يهيم في الحياة الجديدة ، يلتمس الدعاة ويتربص المرشدين .

بل كان الشاعر بمثابة رسول أرسلته البيئة الإسلامية لإنقاذها مما أصابها
وأصاب المجتمع عامة .

وما رسالة الرسول؟؟ أليست لإصلاح مجتمع فاسد ، مثل ذلك المجتمع
الذى تناول تصويره أيضاً أديب ومؤرخ معاصر له — ممن شاهدوا كوارثه
وآثامه — ذلك هو «علاء الدين الجويني صاحب جهانگشای» . فقد صور
هذا العصر كذلك تصويراً يدل على مبلغ ما وصل إليه من الانحلال ، في عبارة
نأخذ منها قوله ، مستشهداً .

كم أردنا ذاك الزمان بمدح فشغلنا بدم هذا الزمان
وفي قوله ، مشيراً إلى مدى انقلاب الأوضاع الاجتماعية .

رأيتُ الدهر يرفع كل وَغْدٍ ويخفض كل ذى شِمٍّ شريفه
كمثل البحر يُفِرُّ كل دُرٍّ ولا تنفك تطفو فيه جيفه
وفي قوله يمثل هذا الانقلاب .

« صار كل واحد من السوق ، في زى أهل القسوق أميراً ، وكل حقير وزيراً ،
وكل جاهل كاتباً ، وكل شيطان نائب ديوان ، وكل خسيس رئيساً ، وكل
غادر قادراً » (١) .

٢ — هذا من ناحية تأثير الحوادث العامة في الحياة الاجتماعية في ذلك العصر .
وقد ذكرنا آنفاً أن فارس وحدها اجتازت هذه المحنة في سلام ، وعاشت شبه
ناعمة في حياة دينية ، هيأها «سعد بن زنگي» ورعاها ابنه «أبو بكر» من بعده .
وقد أتينا في تصوير الحياة العامة في عهد «أبي بكر» أنه كان محباً للعلوم الدينية ،
مشجعاً لها إلى حد بلغ كراهيته للعلوم الأخرى ، وبخاصة العلوم الفلسفية ، وكره
رجالها حتى أرغمهم على الخروج من فارس .

(١) جهانگشای ج ١ ص ٥

كما أثبتنا من أقوال الشاعر نفسه ، مدى ما كانت تعيش فيه فارس من طمأنينة ودعة ، مما جعله يشبهها في عهده بالحرم الآمن . كذلك رأينا من أقوال الشاعر أن هذا الأمير ، كان محباً للعدل ، والجود ، مهتماً برجال الدين ، ورعايتهم . والحياة الخاصة نفسها التي سلكها الشاعر منذ طفولته على أيدي أبيه وأسرته ، وفي نشأته على أيدي أساتذته ومرشديه ، ساهمت كذلك في توجيهه إلى تلك الحياة الروحية الصوفية .

فقد تربى الشاعر تربية دينية كما رأينا ، وانحدر من أسرة لها مكاتبا في العلوم الدينية ، وكان من شيوخه أحد مشاهير الصوفية الذين كان لهم تأثير كبير في توجيهه ، وهو الشيخ « شهاب الدين السهروردي » . وكثيراً ما كان الشاعر يتغنى — فيما بعد — ببعض رجال الصوفية من أبناء شیراز ، الذين كانت لهم مكانة ممتازة بين رجال الدين والتصوف . ونخص بالذكر منهم الشيخ « روزبهان » المتوفى سنة ٦٠٦ هـ والذي كان يحله « سعد بن زنگي » وابنه « أبو بكر » . والشاعر يذكره في إحدى قطعه مقسماً به ، في قوله :

بذكر وفكر وعبادت بروح شيخ كبير بحق روزبهان وبحق پنج نمساز
والمراد بالشيخ الكبير هنا « أبو عبد الله الخفيف » أحد مشاهير الصوفية المتوفى سنة ٣٣١ هـ .

كان لهذا كله أيضاً آثاره في تلوين حياة الشاعر وتكوينها ، بل في توجيهها الوجهة التي سارت فيها ، وخصوصاً بعد أن عاد من رحلاته ، فوجد شیراز تحت رعاية هذا الأمير ، وعاش في كنفه .

فلما استظل الشاعر بظل هذا العهد ، وشاهد تلك الروح الدينية التي كان يدعو إليها الأمير « أبو بكر » رغب أن يساهم بنصيب في التوجيه إلى تلك الناحية كذلك .

٤ — وكانت رحلاته الطويلة الشاقة . وانقطاعه عن موطنه مدة طويلة ،
وتعرضه لبيئات ، وشعوب وأخلاق وعادات متباينة ، كل ذلك هياً له دراسة
مستفيضة ، تلقى فيها مختلف الدروس ، في مختلف البيئات ، وعلى مختلف
الشخصيات ، فكسب بذلك خبرة نافعة قلما يظفر بها غيره .

ولم يرغب من ناحيته أن تكون هذه التجارب ، وتلك الخبرة وفقاً عليه
وحده ، بل أراد أن يلقي عصارته إلى الناس ليستفيدوا منها ، فجعل من نفسه
المرشد ، وجعل من نفسه الأستاذ ، وجعل من نفسه المصلح ، يهيء للناس
سواء السبيل ، ويهديهم طريق الرشاد . فكان له هذا النوع من الشعر الأخلاقي
التعليمي ، الذي ربط بين سمو الفكرة ، وحكمة العبارة .

والشاعر في مقدمة كتابه « البوستان » يشير إلى ذلك تحت عنوان « سبب
نظم الكتاب » ويفتح القطعة بهذه الأبيات :

— لقد تجولت كثيراً في أنحاء العالم
وأضيت — بين الناس — كثيراً من الأيام
— وتمتعت في كل ناحية من نواحيه
وحصلت من كل بيدر على سنبلة ^(١)
إلى أن يقول :

— لقد قلت لنفسى إنهم يأتون من مصر بالسكر
فماذا أحل إلى الأحباب في عودتى ^(٢) ؟

(١) در أقصای عالم بگشتم بسی بسر بردم آیام باهرکسی
تمتع زهر کوشهٔ یا فتم زهر خرمی خوشهٔ یا فتم
مقدمة ب ٩٩-١٠٠ نسخة Graff

(٢) بدل گفتم از مصر فند آورند بردوستان آر مغسانی برند =

— عدت آسفاً!! فإني من كل ذلك البوستان
 أعود خالي اليد ، لا شيء فيها للأحباب
 — لكني قلت ، ولو أن يدك خلت مما تحمله
 فإنك تملك الكلام ، والكلام عندك خير من السكر
 — ليس هو ذلك السكر الذي يتناوله عامة الناس
 بل هو السكر الذي يدونه أرباب المعاني »

نعم!! لم يكن هذا السكر ، سوى تلك النصائح القيمة ، التي كان يطويها
 في قصصه ، فيلقها إلى الناس ، يعرض فيها للداء ، ويخفي فيها الدواء ، فهو مرشد
 كما هو طبيب .

ولقد كرر الشاعر في كثير من المواطن ، مدى شعوره بالمرارة ، فيما يلقي
 إلى الناس من هذه النصائح ، تلك النصائح التي يحدثك عنها بقوله :

« إذا كانت النصيحة بريئة من الغرض
 فهي كدواء مر المذاق دافعة للمرض ^(١) »

وكثيراً ما كان السعدي يخفف عن أتباعه مرارة هذه الأدوية في مثل قوله :
 — إن المادحين لك ليسوا من أحبائك
 وأصدقاؤك وحدهم هم الذين يطوون لك صادق الحب ^(٢)

== دريغ آمدم زان همه بوستان تهي دست رقم سوي دوستان
 سراگر تهي بود زان قند دست سخنهای شیرین تراز قند هست
 نه قندی که مردم بصورت خورند که آریساب معنی بکاغد برسد
 مقدمة ب ١٠٣ - ١٠٦ نسخة Graff

(١) نصيحت که خالی بود از غرض چو داروی تلخست دفع مرض
 باب العدل ٥٨٨ نسخة Graff
 (٢) ستایش سرایان نه یارتوانسد نگوهش کنان دو سندان تواند =

— ومن الخير أن يستمع الإنسان لسيرته من أعدائه
 فعين الحبيب كليمة عن كل عيب
 — أن إعطاء المريض سكرًا وبال عليه
 وإنما الذي يفيدُه ، أن تناولَه دواء مرا »

هذا هو السكر الذي يشير إليه الشاعر ، وذلك هو الدواء الذي يعرضه لعلاج
 تلك الأمراض .

ولعل الحياة الاجتماعية كانت في عهده أحوج ما تكون إلى مثل هذا السكر ،
 الذي يشير إليه الشاعر ، ولعل هذا الانحلال الخلق الذي ساد المجتمع ، ولعل هذا
 التعطش إلى حياة صوفية تلجأ إلى الله ، وتقر إليه من أهوال تلك الحياة الدنيا
 وأرزائها ، لعل — كل ذلك — جعل هذه الظروف أكثر مناسبة لإخراج هذا
 اللون من الشعر التعليمي الأخلاقي .

عرض فيه الشاعر لإهداء النفوس الضالة ، وإرشاد الأرواح الخائرة ، وإقرار
 الضمائر القلقة . والشاعر نفسه يدرك أن علاج هذه الأمور ، لا بد لها من جرأة
 في بعضها .

فأما جرأته فتبدو في كثير من مواقفه مع الأمير الذي كان يحكم فارس في عهده :

— « يا سعدى ! لا تسلك طريق التكلف
 فإن كنت صادقًا ، فإلهم ، وتعال ! ^(١) »

هر آنچ از تو آید بچشمش نکوست
 که داروی تلخش بود سود مند
 باب العدل ب ٧٤٩ — ٧٥١ نسخة Graff

==زدشمن شنو سیرت خود که دوست
 وبالست دادن برنجور قنسسند

(١) براه تکلف مرو سسعدیا اگر صدق داری بیسار ویسا =

— إنك لتعرف الطريق والمليك خلفك سالك لها

وإنك لتنشد الحقائق ، والمليك سميع لها »

وكان لابد له أن يتجرد كذلك من الهوى ، ومن الحاجة ، وأن يترفع
في مطالبه ومقاصده ، حتى يكون شجاعاً ، مقداماً ، في نصائحه الملوك والعظماء .

وكيف يتسنى له أن يجعل من نفسه مرشداً ، أو ناصحاً ، ما لم يكن شجاعاً .
يقول عن نفسه :

— « ياسعدى ! لقد تشجعت في القول ،

وما دام السيف بيدك ، فتولّ به الفتح

— وقل كل ما تعرفه ، فمن الخير أن تقول الحق ،

فلمست مرثسياً ولا مرثياً .

— إن الطمع قيد ، فاقطع بحكمتك هذا القيد

واقض على الطمع ، وقل كل ما تريد ^(١) . »

وهكذا مضى الشاعر يحمل بيده القلم ، ولسانه النصائح ، وتحلل من كل
أعراض الدنيا ، ووهب نفسه لإصلاح هذا المجتمع ، وجعل طريق هذا الإصلاح
كتابه « البوستان » .

= تو منزل شناسى وشه راه رو تو حقيگوى وخسرو حقايق شنو
باب العدل ب ٥ — ٦ نسخة Graff

(١) دلير آمدى سعاديا در سخن چو تيغت بد ستست فتحي بكن
بگوآنچه داني كه حق گفته به نه رشوت ستاني ونه عسوه ده
طمع بند ودقتر زحكمت بشوى طمع بگسل وهرچه خواهي بگوئى
باب العدل ب ٣٢٥ — ٣٢٧ نسخة Graff

الفصل الثاني

هل لاه الكتاب - يسمى البوستانه أورد ؟

أثبت الأستاذ «القزويني» في الفصل الذي كتبه «ممدوحين شيخ سعدى» صفحة مأخوذة على ورقة بالفوستات عن مخطوطة في متحف لندون كتابتها سنة ٧٢٠ هـ كتب تحتها بالخط المطبوع هذه العبارة :

« نسخة گلستان وبستان موزة لندون تاريخ كتابت ٧٢٠ هـ » وهي بعد ورقتين - بالفوستات أيضاً - في مواجهة صفحة ١٢٢ من كتاب «سعدى نامه» . وهذه الصفحة هي آخر الباب العاشر من «البستان» وقد كتب تحت آخر بيت من الباب الأخير « باب المناجاة » ، هذه العبارة « وقد فرغ من الانتساخ هذه ^(١) الكتاب » وهي مكتوبة بخط الثلث بقلم عريض . وفي شبه زاوية لثلث كتب تحت هذه العبارة عبارة أخرى بالخط النسخ الرفيع . تبدأ بهذه الكلمات «يعرف بالسعدى نامه في شهر صفر» وذلك في السطر الأول من تلك العبارة . كما يذكر الأستاذ «الكرگانی» في مقدمته على گلستان أن إحدى النسخ الخطية للبستان المؤرخة سنة ٨٤٨ هـ كتب في نهايتها هذه العبارة « فرغ من تحرير هذه الكتاب سعدى نامه ^(٢) » .

ولكن الأستاذ «تويسركانی» يذكر أن هناك بيتاً يرد في مقدمة إحدى النسخ القديمة يصرح باسم الكتاب بأنه « بستان » وذلك في قوله :

(١) وردت العبارة هنا بتأنيث كلمة كتاب كالعبارة الآتية في گلستان أيضاً .

(٢) الکرگانی - مقدمة گلستان ص - ق

زهرتماشسا گه دوستستان كتابى است نام خوشش بوستان (١)
ومعناه : « من أجل نزهة للأحباب ، نظمت هذا الكتاب ، وسميته
البوستان » .

فإذا صح هذا ، فهو يفصل في الموضوع إلى حد كبير .
وفي النسخ المتداولة نفسها كثير من الأبيات ، يرد فيها ذكر لكلمة
« بوستان » ، وإن كان استخدامها ليس في الدلالة على اسم الكتاب ، ولكن
على ما يحتويه . ومنها :

دريغ آدم زانمه بوستان تهيدست رقم سوى دوستستان
وفي قوله :

گل آورد سعدى سوى بوستان بشوخی وقلقل بهند وستان
ففي البيت الأول يأسف لأنه عاد من كل ذلك البوستان — البلاد التي رحل
إليها — خالي اليد إلى أصدقائه .

وفي البيت الثاني جاء يحمل الورد إلى البوستان . فما جاء به لاقية له .
وهذا تواضع منه في أن ما نظمه ، ليس موضع فخر ولا إعجاب ، فهو
من قبيل التواضع .

ولكن مدلول البيتين يوحي بأن كتابه هذا شبيه بالبوستان ، فيه كثير من
الورد وكثير من الشذى ، وفيه ما يرضى الأصدقاء .

ومن المعروف أن الشاعر نظم هذا الكتاب قبل أن يؤلف كتابه الآخر
« الغلستان » فلعله أطلق عليه أولاً « سعدى نامه » . فلما أنشأ كتابه الثاني
وسماه « الغلستان » ، من المحتمل أن يكون قد اتجه إلى تعديل اسم الكتاب
الأول ، فيما كتبه من النسخ الأخيرة . أو أن النساخ — فيما بعد — قصدوا

(١) سخن سعدى ص ٣٥ .

إلى المجانسة بين الاثنين فكان الأول « بوستان » والثاني « گلستان » ، ثم غلبت تسمية « بوستان » على « سعدي نامه » بمضى الزمن حتى صارت علماً على هذا الكتاب ، وأغفل الناس أمر التسمية الأولى .

أما في أى الأوقات نظم هذا الكتاب ؟ وهل تم نظمه على دفعة واحدة أم على دفعات ؟ فكل هذا لا يستطيع القطع به ، ولكننا نرى الشاعر يقول في بيته الآتين ، إنه أتم الكتاب سنة ٦٥٥ هـ بين عيدين من الأعياد .

بروز همايون وسال سعید بتساریخ فرخ میسان دو عید
ژششصد فزون بود پنجاه و پنج که پر درشد این نام بردار گنج

وهذا كل ما يصرح به الشاعر . ورأينا من المحدثين وعلى رأسهم الأستاذ القزويني ، يرى أن الكتاب وردت فيه نصوص تحدث إشكالا من حيث أوقات نظمه . ثم يرى أنه عمل على أكثر من دفعة . قدمت النسخة الأولى إلى « أبي بكر » خلال حياته . ثم أضيفت إليه أجزاء أخرى ، كان من بينها — كما يقول — القطعة التي يمتدح فيها الأمير « محمداً شاه بن سعد بن أبي بكر » . وقد ترددنا في صحة إسناد هذه القطعة إلى هذا الأمير ، ورأينا أنها أصلح لأن تكون في أبيه « سعد بن أبي بكر » . ولكن ذلك لا يمنع من أن تكتب نسخ أخرى بعد حياة أبي بكر ، وتضاف فيها بعض قطع ، أو بعض أبيات ، أو تحذف منها بعض قطع ، أو بعض أبيات ، ما دامت حياة الشاعر نفسه قد امتدت بعد كتابة النسخة الأولى سنة ٦٥٥ هـ حتى سنة ٦٩١ هـ .

كذلك لا يبعد أن يكون الكثير من النسخ التي عملت بعد حياته ، قد لعبت فيها أيدي النساخ أو الرواة ، قصداً أو سهواً ، فكل هذا ممكن وجائز . ومن الصعب إدراكه بسهولة ، إلا ما يتعلق بأشخاص تاريخيين ، كما رأينا ذلك في القطعة التي ناقشناها سابقاً وأثبتنا صحة إسنادها إلى الأمير سعد بن أبي بكر .

لن قدم هذا البوستان ؟

لا يمكن القطع من كلام الشاعر بأنه قدم الكتاب — فعلا — للأمير « أبي بكر » حاكم الإمارة ، فالشاعر نفسه لم ترد عنه عبارة صريحة في هذا . كما أنه قد مدح هذا الأمير وابنه في أول كتابه هذا . و بينما يرد نص في كتابه « الغلستان » يفهم منه تقديمه إلى الأمير « سعد بن أبي بكر » في قوله :
على الخصوص كه ديباجه هما يوش بنام سعد أبو بكر سعد بن زنگيست
لا يوجد في الكتاب الأول « البوستان » إشارة إلى تقديمه إلى « أبي بكر »
لكن الأوضاع التي قدم فيها هذا الكتاب ، ووجود حاكم على الإمارة
تمدحه الشاعر في مقدمته ، وجعل الباب الأول من كتابه هذا ينطوي
في — أغلب قصصه — على نصائح يتجه فيها إلى هذا الأمير في إدارة دفة ملكه
— مما سنعرض له — ، كل هذا بالإضافة إلى ترديد اسم هذا الحاكم
في كثير من القطع من هذا الكتاب ، يؤيد — إلى حد كبير — تقديمه باسم
هذا الحاكم

الفصل الثالث

البوستان بين المثنويات

شاع في الأدب الفارسي منذ ظهوره ، النوع المعروف « بالمثنوى » تمضى المنظومة فيه على بحر واحد ، مختلف القافية لكنها تنفق في شطرتي البيت الواحد . وقد استخدم الشعراء الفرس ، هذا النوع في آدابهم — في مختلف اتجاهاتها — منذ القدم . ذلك لأنه يسعف الشاعر كثيراً بأن ينظم ما شاء له النظم ، مادام لا يلتزم قافية محدودة ، ولهذا ظهرت فيه مطولات كثيرة في مختلف النواحي . ويمكن أن نقسم المثنويات ، التي ظهرت في الأدب الفارسي ، من حيث تناولها للموضوع ، أو علاجها لموضوع بذاته ، إلى ثلاثة أقسام هي :

١ — المثنويات في الموضوعات التاريخية .

٢ — المثنويات في الموضوعات الصوفية .

٣ — المثنويات في الموضوعات التعليمية .

أولاً — المثنويات التاريخية :

فأما المثنويات في الموضوعات التاريخية، فقصدها نظم بعض حوادث التاريخ ، أو عصوره ، وقد بكر هذا اللون مع ظهور الشعر الفارسي . ففي العصر الساماني ، في القرن الثالث الهجري ، ظهر شاعر يسمي « أبو المؤيد البلخي » . كان من طلائع الذين نظموا القصص التاريخية باسم « الشاهنامه » . فكان ممن سبقوا الفردوسي فيها .

وفي العصر الغزنوي مضى هذا اللون من النظم ، فظهر على يد « الدقيقي » ،
 إذ نظم بعض حوادث التاريخ وهي قصة « گشتاسب » في ألف بيت .
 فإذا كان « الفردوسی » فقد بلغ بهذا اللون من النظم أعلى درجاته ، فنظم هذه
 الملحمة الكبرى ، التي عرفت باسم « الشاهنامه » وتبلغ حسب بعض الآراء ستين
 ألف بيت . وتعد أقصى ما بلغه الفن القصصي التاريخي في الأدب الفارسي ، من
 حيث الإجابة ، والإتقان والشهرة ، وكانت — فيما بعد — مثاراً للتقليد من جاءوا
 بعد صاحبها . فقد رأينا كثيراً من الشعراء ينظمون القصص التاريخي عن أفراد .
 حتى كان « حمد الله المستوفی » فنظم حوادث التاريخ في كتابه « ظفر نامه »
 في خمسة وسبعين ألف بيت . لكن لم تكن للكتب التي سبقت الفردوسی ،
 أو التي جاءت بعده ، شهرة شاهنامته ، أو مكائنها في الأدب الفارسي . فظل هو
 أكبر شاعر للملاحم في ذلك الأدب ، لم ينزع مكائنه أحد بعده حتى الآن .

ثانياً — المثنويات الصوفية :

وقد بكرت هذه أيضاً ، منذ ظهر الشعر الفارسي وكان من طلائع شعراء
 المثنويات الصوفية « أبوشكور البلخي » . عاش في صدر العهد الساماني ،
 وتنسب إليه منظومة صوفية تسمى « آفرين نامه » ألفها سنة ٣٣٦ هـ .
 ثم « أبو المؤيد البلخي » وقلت عنه سابقاً إنه تقدم « الفردوسی » في نظم
 بعض قصص الشاهنامه . كذلك قد سبقه أيضاً ، في نظم قصة صوفية دينية أخرى
 هي قصة « يوسف وزليخا » ، وبهذا يشير الفردوسی :

مر این قصه را بارسی کرده اند بدودر معانی بگسترده انسداد
 یکی بو المؤید که از بلخ بسود بدانتش همه خویشتن را سستود

ثم جاء « العنصری » ، في العصر الغزنوي ، فنظم قصصاً مثنوية أخرى ،
 بعضها صوفي ، وبعضها غير صوفي ، ومن بينها قصة « وامق والعذراء »
 و « سرخ بت » و « خنك بت » و « عين الحياة » .

وجاء الفردوسي فنظم قصة « يوسف وزليخا » بعد انتهائه من نظم الشاهنامه
تسكيراً له على نظمه قصص التاريخ الإيراني المجوسى .

فلما جاء العصر السلجوقى ، وكانت تتجلى فيه الروح الصوفية ، ظهر من رجال
التصوف «بابا طاهر» و «أبو سعيد بن أبى الخير» . ولكن الشخصية الصوفية ، التى
غذت الروح الصوفية ، بكثير من قصصها فى هذا العصر وبالكثير من اتجاهاتها ،
هى شخصية « السنائى » ، وكانت منظوماته كلها صوفية ، ومن بينها « حديقة
الحقائق » و « طريق التحقيق » و «سير العباد إلى الميعاد» . وتروى له مثنويات
أخرى هى « عشق نامه » و « عقل نامه » و « غفو نامه » .

وفى أخريات هذا العصر ظهرت شخصية صوفية أخرى ، من أعظم
الشخصيات . ذلك هو « العطار » . نظم عدة منظومات تشرح عقائدهم ،
وتبسط أحوالهم ومقاماتهم ، وأكثر من هذا اللون الصوفى . ومن كتبه الصوفية
« منطق الطير » و « إلهى نامه » و « أسرار نامه » و « مظهر العجائب »
و « لسان الغيب » .

فلما كان عصر المغول ظهر أكبر شاعر صوفى ، فى المنظومات المثنوية ، ذلك
هو « جلال الدين الرومى » فى « المثنوى المعنوى » .

وقد اعترف جلال الدين بمنزلة أهم الشعراء الصوفيين قبله ، وهما « السنائى »
« والعطار » فى قوله .

عطار روح بود وسنائى دو چشم او ما أز پى سنائى وعطار آسديم
وفى قوله مشيراً إلى العطار :

هفت شهر عشق را عطار گشت ماهنوز أندرخم يك كوچه ايم
لكن مكانة جلال الدين فى الأدب الصوفى ، لاتدانيها مكانة أخرى ،
بين شعراء الفرس بفضل « المثنوى المعنوى » .

ثالثاً — المثنويات التعليمية :

وهذا اللون من المثنويات ظهر أيضاً منذ القدم . ظهر عند « الرودكى » الشاعر الساماني ، في نظمه لقصة « كليلة ودمنة » . ثم مضى في العصر السلجوقي فظهرت شخصية عرضنا لها سابقاً ، جمعت بين اللونين الصوفي العام ، والصوفي التعليمي . ذلك هو « السنائي » فكان — كما أسلفنا — من أصحاب المثنويات الصوفية . وهو بجموار ذلك من رجال المثنويات التعليمية .

وكتابه التعليمي هو الكتاب المشهور بين مؤلفاته والمعروف « بمحديقة الحقائق » . وقد قدم هذا الكتاب إلى السلطان « بهرام شاه » السلجوقي . وقسم هذا الكتاب إلى عشرة أبواب .

فلما كان عصر المغول ، العصر الذي نشأ فيه « سعدى » كانت حاجة المجتمع إلى هذا اللون أسد ، وكانت الفكرة أطوع وأنظم ، وكانت حساسية الشاعر بالحاجة إلى هذا اللون شديدة ، فأخذ ينظم كتابه « البوستان » . وكان كتابه خير كتاب تعليمي أخلاقي ظهر في الأدب الفارسي .

ويبدو أن « السعدى » بدأ يقلد « السنائي » فجعل كتابه على عشرة أبواب كذلك ، ولعله تأثر به في الفكرة ، والاتجاه ، فقلده فيهما . لكنه عالج الموضوع بطريقة الخاصة ، التي كانت فيها روحاً ، وحياء ، مما جعلت كتابه « البوستان » أكثر مورداً من « حديقة السنائي » وجعلت شهرته بين شعراء الفرس الأخلاقيين ، تأخذ المكانة الأولى .

وبهذا وصفته دائرة المعارف البريطانية فقالت : « إنه أكبر شاعر أخلاقي ظهر في فارس ^(١) » .

(١) انظر ترجمه الشاعر في دائرة المعارف البريطانية . وقد اعتمدنا في كتابة هذا الفصل على كتاب تاريخ أدبيات إيران للدكتور رضا زاده شفق . وما كنب في مجلة مهر للاستاذ تربيت العدد ٨ — ١١ السنة الخامسة بعنوان « مثنوى ومثنوى گويان » .

الفصل الرابع

وصف أهم النسخ الموجودة من البستان

رجعتُ في هذا إلى ما سجل بمكتبة الجامعة من المخطوطات ، والمطبوعات .
وهي من هذه الناحية أغنى المكتبات الموجودة بمصر .
وقد تخيرت من المخطوطات أتمها ، وأجودها ، وأبعدها قدماً ، ثم تخيرت
نسخة من طبعات كل من إيران ، والهند ، وتركيا ، وأوروبا ، ونسخة المرحوم
محمد علي فروغى ، التي نشرت حديثاً بإيران .
وأخذ الآن في وصف هذه النسخ .

١ — النسخة المخطوطة : هي أقدم النسخ كما قلت ، وأحسنها عناية ،
وتبويباً ، ووضوحاً ، وأجودها خطأً . فضلاً عن أنها كاملة النص ، سليمة .
وقد كتبت على ورق جيد مصقول والنسخة بمكتبة الجامعة تحت رقم ٤٦٤ فارسى .
وأما كاتبها فهو « محمد بن جعفر الروشى الشيروى » . انتهى من كتابتها
أواخر شهر رمضان المبارك سنة ٩٧٨ هـ .

وتقع هذه النسخة في مائة وخمسين ورقة ، مكتوبة بالخط الفارسى الواضح ،
وتحدد القطع فيها بفواصل ذات خطين بالمداد الأحمر ، بينهما عنوان القطعة
أو الباب بنفس المداد .

وبها مشها وداخلها شروح بالفارسية ، بخط فارسى رفيع ، وحجم غلاف
الكتاب ١٧ سم طولاً ، في ١١ سم عرضاً ، أما أبعاد الإطار الداخلى ، الموجود فيه
النص ، فيقع في ١١ ١/٢ سم طولاً ، في ٦ سم عرضاً .



صورة للسلطان « ابو الغازى حسين بقرا » من امراء آل نيمور
يجلس ومعه بعض رجال الحاشيه « تصوير بهراد : عن النسخه
الخطيه من البوسنان ص ٢ بدار الكتب

٢ — نسخة إيران : ولم نعثر على نسخة مستقلة من «البوستان» طبعت في إيران قديماً أو حديثاً ، وكل ما طبع منه كان ضمن الكليات .

وتخيرت منها — بعد مقابلتها — نسخة بالحجر أخذت في تبريز « دار السلطنة » في عهد السلطان « محمد شاه غازي » وتم طبعها سنة ١٢٥٨ هـ .

وهذه النسخة أقدم النسخ الموجودة طباعة ، فضلاً عن أنها أحسن خطأ . لكن لا توجد بها هوامش أو شروح ، وليس بداخلها فواصل . فهي تضع العنوان وسط الصفحة بالخط الفارسي الكبير بين الأبيات ، وقد يصعب أحياناً تمييز بدء القطعة ، نظراً لأن العنوان يقابل عدة سطور في النسخة .

وكان طبع هذه الكليات بإشراف « محمد تقى الحسيني الحسيني » والنسخة بمكتبة الجامعة تحت رقم ٥٨٠ فارسي .

٣ — نسخة الهند : وفي الهند طبع « البوستان » كثيراً — منفصلاً وداخل كليات — وطبعه منفصلاً أجود ، وأوفى . وبعضها به كثير من الشرح ، وفهارس ، ومعاجم للألفاظ .

وطبعات الهند تتفق كلها في عدد القطع ، وعنوانها ، ومطالعها . وقد تخيرت منها أوفاهما ، وهي طبعة ظهرت في ذي القعدة سنة ١٣١٨ هـ — سنة ١٠٩١ م في مدينة « كامبور » وهذه النسخة بها شروح على الهامش بالفارسية ، تدور حول الصفحة في صفين متوازيين ، وفي آخرها معجم مبوب حسب الحروف الأبجدية ، وموضوعة بالمكتبة تحت رقم ١٢٥٩٢ بالقسم العربي .

٤ — نسخة تركيا : طبع الكتاب في تركيا طبعة مشروحة باللغة التركية . شرحت الألفاظ في البيت ثم ينتهي الشرح بالمعنى العام له .

وهذا الشرح هو شرح « سُودِي البوسنوي » المتوفى سنة ١٠٠٠ هـ . ويقع في جزئين في مجلد واحد ، يتضمن الجزء الأول شروح القطع الأولى من مقدمات

الكتاب مضاباً إليها شروح أبواب العدل ، والإحسان ، والعشق . والجزء الثانى فى شرح بقية الأبواب .

وهذا الشرح أحسن الشروح وأوفاهـا . فلم يشرح «البوستان» فى لغة أخرى شرحاً وافياً مفصلاً دقيقاً كشرح «سودى» .

ويشير صاحب «كشف الظنون» إلى أن الأتراك اهتموا بشرح «البوستان» ولكن شرح «سودى» أحسن الشروح ، وأبسطها ، وأقربها إلى التحقيق . والنسخة التى اعتمدنا عليها فى مكتبة الجامعة تحت رقم ٣٣٩٢ تركى .

٥ — نسخة أوروبا : فى سنة ١٨٥٨ م نشر «جراف Graff» طبعة للبوستان عن نسخة «سُرورى»^(١) طبعتها فى «فيينا» وقدمها إلى أمير «ساكس» وكتب لها مقدمة مختصرة بالفرنسية وهى نسخة محققة ، جيدة صحيحة ، ليس بها تحريف أو سقط . كما أنها تشير إلى الاختلافات بينها وبين النسخ الأخرى التى قوبلت بها .

ومن محاسنها أنها أثبتت النص فى أعلى الصفحة ، وجعلت الجزء الباقى منها فى بيان معانى المفردات ، دون شرح للبيت نفسه . ومن محاسنها كذلك أنها ترقم الباب كله مبتدئة بالعدد واحد حتى نهاية الباب . فمن السهل معرفة البيت بسهولة . كذلك جعل فى آخرها ثبنا للكلمات الصعبة ، التى أشار إليها خلال الشرح مبيناً صفحاتها التى وردت فيها .

لكنها بجانب ذلك لا تضع عناوين القصص فى مطلعها ، بل جعلتها آخر الكتاب بجانب الفهرس . كما أنها اختصرت عدد القصص ، وأدجت الكثير منها فى بعضها . والنسخة موجودة بمكتبة الجامعة رقم ١٢٥٩٠ بالقسم العربى .

(١) شارح تركى آخر معاصر للشارح سودى .

٦ — نسخة فروغى : هى نسخة للكليات جميعها ، صدرت بطهران
أخيراً سنة ١٣٢١ هـ . ش . تحت إشراف المرحوم « محمد على فروغى » . نشرتها
شركة التضامن العلمية ، وقد أشرنا إلى أن هذه النسخة أخذت عن مخطوطة
« على بن أحمد البيستونى » التى جمعها سنة ٧٢٦ هـ . وأعاد تنظيمها وتبويبها
سنة ٧٣٤ هـ .

لكن هذه النسخة لم تنشر نشرًا علميًا ، كما ينبغي ، ففيها الكثير من الأخطاء
المطبعية ، وليس لهذه الأخطاء مرجع فى الآخر ، كما أنها مجرد نص لا يقوم
على مقارنة ، أو مقابلة بغيرها من النسخ التى سبق طبعها ونشرها ، ولهذا تضعف
الثقة بها كما أشار إلى ذلك الأستاذ « آر برى » ^(١) .

أما طريق النسخة فى البوستان فإنها أجملت القصص التى تعتبر استطرادية
داخل القصة ، وجعلت عنوان القصص كلمة « حكايت » . وخلال بعض القصص
تضع فواصل من نجوم ثلاث ، وهذه ظاهرة لم توجد فى أية نسخة من النسخ التى
ذكرناها سابقًا .

ولسنا ندرى هل هذه الفواصل موجودة فى نسخة الأصل أم أنها من عمل
الناشر . ؟ ؟ وبعض هذه الفواصل تحدد أحيانًا بيتًا واحدًا إذا ما انتقل الشاعر
إلى معنى جديد فى داخل القصة ، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن ذلك من عمل الناشر .
فالانتقال عند الشاعر داخل الحكاية من فكرة إلى فكرة لا يقتضى الفصل ما دامت
فى مجموعها تنصل بموضوع واحد .

وقد اعتمدنا على هذه النسخة عند الإشارة إلى الاستشهادات المختلفة من
القصائد أو المراثى أو غيرها من مؤلفات الشاعر غير « البوستان » .

أما استشهادات « البوستان » فلكي نطمئن على صحة رواية البيت راجعنا
في هذه النسخة ، ونسخة جراف ، ثم حددنا موضعه في النسخة الأخيرة واتخذناها
مرجعا لصحتها ودقتها .

ومن المعروف أن الكتاب ينقسم إلى مقدمة ، تحتوى بعض القطع في مدح
الذات الإلهية ، والرسول عليه السلام ، ومدح أمير فارس أبي بكر ، وابنه ولي العهد ،
وبينها قطعة في سبب نظم الكتاب . وبعد هذا يتضمن عشرة أبواب على الترتيب
الذي يظهر في الجدول الآتي :

ونحن نضع أمامنا مقابلة بين هذه النسخ من حيث عدد القطع في كل منها .

الأبواب	المخطوط	نسخة إيران	نسخة الهند	نسخة سودى	نسخة Graff	نسخة فروغى
المقدمة	٥	٥	٥	٦	٥	٥
١ — باب العدل	٥٣	٥٢	٥٤	٥٦	٢٤	٢٠
٢ — باب الإحسان	٣٦	٣٦	٣٥	٣٦	١٦	٢٤
٣ — باب العشق	٣١	٣٠	٢٨	٣١	٢٢	٢١
٤ — باب التواضع	٣٠	٣١	٣٠	٣١	٢٧	٢٧
٥ — باب الرضا	١٧	١٥	١٦	١٧	٨	١٣
٦ — باب القناعة	١٥	١٤	١٦	١٦	٦	١٤
٧ — باب التريية	٣٤	٣٣	٣٤	٣٤	١٢	٢١
٨ — باب الشكر	١٦	١٦	١٦	١٧	٨	٩
٩ — باب التوبة	٢٥	٢٣	٢٣	٢٥	١٣	١٩
١٠ — باب المناجاة	٦	٦	٦	٦	—	٤

الفروق بين النسخ :

لا خلاف بين النسخ المختلفة في عدد أبواب الكتاب . فهذا التقسيم راجع إلى عمل الشاعر نفسه . لكن الخلاف يبدو — كما رأينا — في عدد القطع ، مما يشعر أن هذا التفاوت جاء من طريق النساخ والرواة .

والظاهر أن الشاعر نفسه كان لا يعنيه كثيراً وضع الحدود بين القصة والقصة ، فأحياناً تكون الفكرة مبهمه ، أو الحادثة نادرة الوقوع ، فيحتاج الأمر إلى إيراد قصة أخرى للإيضاح ، أو للتدليل على إمكان الوقوع . كما أنه كثيراً ما يعقب على القصة ، أو يطوى فيها مثلاً من الأمثال ، أو حكمة من الحكم ، ليؤكد المعنى في ذهن السامع . ومن هنا اضطرب النساخ والرواة في تحديد بعض القصص ، وأحياناً في عدد الأبيات .

والنسخ التي عرضنا لها يتضح منها مدى الخلاف بينها في العدد من ناحية القطع . وهذا الخلاف ليس ظاهراً كثيراً بين النسخ وبعضها ، إلا فيما بينها وبين نسخ جراف وفروغى .

ومرد هذا الخلاف ، أن القطع التي تعتبر عرضية ، أو من قبيل المثل أو النصيحة ، جعلت متصلة بالقصة الأصلية ، مرتبطة معها في الفكرة . أما الذين توسعوا في عدد القصص ، فقد رأوا في كل انتقال جديد مقومات القصة ، فاعتبروها قائمة بذاتها ، وكان ذلك هو الأعم الأغلب . ومن هنا يمكن لنا أن نطلق كلمة قطعة على جميع قطع الكتاب بدل أن نطلق كلمة قصة ، وذلك لعموم الأولى في الدلالة ، وليمكن إدخال قطع المقدمة ، فهي ليست قصصاً .

ويمكن أن نوضح أسباب الخلاف بين النسخ ببعض أمثلة :

١ — من حيث التشويق ، في القصة بقصة أخرى ، يمكن أن نتخذ مثلاً على ذلك ، قصة تدور حوادثها حول «عمر بن عبد العزيز» وشقيقته على الرعية .

تبلغ في «جراف» خمسة وعشرين بيتاً ، تبدأ من رقم ٣٣٤ إلى رقم ٣٥٨ دون فاصلة .
 لكن نسخة سودى تجعلها قطعتين ، والمطلع واحد في النسختين وهو :
 بکی از بز رگان أهل تمسيز حکایت کند ز ابن عبد العزیز
 تجعلها نسخة سودى في سبعة عشر بيتاً ، تنتهي عند هذا البيت :
 کس از فتنه در پارس دیگر نشان نبیند مگر قامت مهو شمسسان
 ثم تسبق من هذه القصة قصة أخرى تحت عنوان « حکایت » يتحدث
 فيها عن ذى وجه قرى ، ممشوق القوام كأنه السرور . فالبيت السابق
 وهو الأخير في القسم الأول ، كان في الحديث عن الفتنة ، فأتخذ هذا وسيلة
 عند « سودى » ومن جرى مجراه في التقسيم ، لفصل القصة عن بعضها
 وإن كانت القطعة الثانية في إظهار المعنى الذى تضمنه البيت الأخير وتوكيده ،
 انتقل إليه الشاعر استطراداً . ومن هنا اتخذ النساخ هذا الانتقال وسيلة لفصل
 القصة عن بعضها .

٢ — ومن حيث اتساع القصة ، بأمثال أو نصائح ، نأخذ لهذا قصة في « باب
 العدل » مطلعها :

زدریای عمان بر آسند کسی سفر کرده دریا وهامون بسی
 تتفق نسخة « سودى » مع « جراف » في المطلع ، وتختلفان في العدد ،
 فعدد الأبيات عند « جراف » مائة وأربعة وأربعون بيتاً ، تبدأ بالبيت رقم ١٢٢
 وتنتهى عند ٢٦١

أما نسخة « سودى » فتفصل القصة عند البيت ٢٠٨ ، وتجعله مطلعاً لقطعة
 جديدة تحت كلمة « تمثيل » ، وهو :

ندا نم کجا دیدام در کتساب که ابلیس را دید شخصی بخواب
 وتتفق معها النسخة المخطوطة ، ونسخة الهند ، مع اختلاف في المطلع .

أما نسخة « تبريز » فتجعل القسم الأول من نسخة « سودى » يتضمن ثلاث قطع ، تضع الثانية منها تحت كلمة « مثل » وهى فى ثلاثة أبيات تبدأ بالبيت :
بخرده توان آتش آفر و ختسه پس آنكه درخت كهن سسوخته
ثم قطعة أخرى بعد الأبيات الثلاثة ، تحت عنوان « پند » أى نصيحة ،
وتختتم هذه القطعة عند البيت الذى أشرنا إليه فى نسخة « سودى » .

ندانم كجا ديدم أم در كتاب البيت .

فالقطة الواحدة — كما شاهدنا عند « جراف » — احتملت قطعتين عند « سودى » بعنوان « تمثيل » للثانية ، واحتمل النصف الأول عند « سودى » ثلاث قطع فى نسخة « تبريز » كانت الثانية تحت عنوان « مثل » والثالثة بعنوان « پند » .

ومن هنا كان مصدر الكثرة فى عدد القصص عند البعض ، وقلتها عند الآخرين .

فأما من حيث عدد القصص فى الباب ، فإننا سنختار التقسيم الذى ذهبت إليه نسخة « سودى » دون غيرها ، فإنها من هذه الناحية أكثر انتظاماً وأصح من غيرها فى تحديد القصة .

وأما من حيث الدلالة على الأبيات أو أرقامها ، فسنختار لها نسخة « جراف » لأنها من هذه الناحية ، أصح النسخ التى بين أيدينا ، كما أن فيها كثيراً من الإشارات إلى الخلاف ، وهى بجانب ذلك أحسن النسخ طباعة ، وإخراجاً ، وتحقيقاً ، وإتقاناً .

وننتهى من هذا إلى أننا استخدمنا كلا النسختين « سودى » و « جراف » الأولى للدلالة على عدد القطع ، وترتيبها ، والثانية للدلالة على مطلع القطعة ، ورقمها فى الباب ، وعدد الأبيات .

الفصل الخامس

أبواب الكتاب وموضوعها

قلنا سابقاً إن تقسيم الكتاب إلى أبواب ، من عمل الشاعر نفسه ، وقد أشار إلى ذلك في قوله من القطعة الثالثة في المقدمة «سبب نظم الكتاب» .

— حين أتممت هذا الصرح العامر ،

جعلت له من أبواب التريسة عشرأ .

— أحدها باب العدل والتدبير والرأى ،

وحفظ الرعية ، والخشية من الله .

— ثم وضعت أساس باب الإحسان ،

حتى يشكر المحسن فضل الله .

— وجعلت الثالث باباً في العشق ، والشكر ، والوجد

وليس في العشق الذي يطلبه الناس بالقوة^(١)

— والرابع باب في التواضع ، والخامس في الرضا ،

والسادس في وصف الرجل القانع .

برو در ده از تربیت ساختم
نگهبانی خلق ، وترس خدای
که منعم کند فضل حق را سپاس
نه عشقی که بندند بر خود بزور
ششم وصف مرد قناعت گزین =

(١) چو این کاخ دولت پرد اختم
یکی باب عدل است و تدبیر و رای
دوم باب احسان نهادم أساس
سوم باب عشق است و مستی و شور
چهارم تواضع ، رضا پنجمین

— والسابع باب في عالم التربية ،
والثامن باب في الشكر على العافية .
— والتاسع باب في التوبة وطريق الصواب ،
والعاشر باب في المناجاة واختتام الكتاب .

والشاعر في هذه الأبواب جميعاً ، يحاول أن يرسم صورة الإنسان المثالي ،
فكل باب منها علاج لمشكلة اجتماعية ، وهداية إلى حياة روحية ، وانصراف
عن شهوات مادية ، ودعوة إلى تربية أخلاقية ، كل هذا كان يؤديه الشاعر ،
في ذلك اللون من الشعر الأخلاقي التعليمي .

كان الشاعر يخشى سطوة الملوك والحكام فتعسف بالرعية ، فيضع لها
« باب العدل » وهذا الباب ملائم لوضعه في الكتاب . فالملوك هم الطبقة الأولى
في الأمم ، وهم المشرفون على توجيه شعوبهم ، فيضع باهم في الأول .

وكان الشاعر يخشى إمساك الأغنياء ، ومسغبة الفقراء ، فيضع الباب الثاني
« باب الإحسان » وهو أيضاً ملائم لوضعه ، بجانب الباب الأول . فهو يعالج
أمراً يتصل بالطبقة الثانية بعد الملوك .

ثم ينزل الشاعر بعد ذلك إلى الشعب فيشركه بقية الأبواب .
يخشى الانصراف إلى الماديات ، وإلى الدنيا وحبها ، فيضع للناس باباً روحياً
هو « العشق الصوفي » ويخشى التكبر فيضع « باب التواضع » . ويخشى
اضطراب النفوس ، بما قسم لها فيضع « باب الرضا » . ويخشى النهم ،
والجشع ، فيضع « باب القناعة » . ثم يخشى الغرور ، وسيطرة النفس
على الإنسان ، كما يخشى إهمال الولد ، والزوجة ، والخدام ، فيضع « باب التربية »
يعرض فيه ألواناً من العناية بهؤلاء جميعاً .

بهستم در از شكر بر عافيت	= بهستم در از عالم تسسريت
دهم در مناجات ، وختم كتاب	نهم باب توبه است ، وراه صواب

ثم يضع الأبواب الثلاثة الأخيرة عامة بين الإنسان وربه ، في « الشكر على العافية » . وفي « التوبة » من المصيبة . وفي « المناجاة » يلجأ إليه يناجيه في كل ملة وكارثة .

وهكذا تتمشى الأبواب مع طبيعة وضعها في الكتاب ، وطبيعة أوضاع الحياة قمرى .

على أن بعض القصص في « البوستان » يمكن أن ينظر إليها من جانبيين . ولهذا يمكن وضعها في بابين مختلفين . ففي باب « الإحسان » مثلاً . وهو الثانى تأتى القطعة الأخيرة منه تحت عنوان « مقال فى هيئة الملوك ونهاية الملك والسياسة » هذه القطعة تصلح — من حيث الموضوع — وكما هو واضح من عنوانها ، أن تكون فى باب العدل . كما أن هناك بعض القصص فى باب التربة ، تصلح لأن تكون فى باب العشق ، كالفصة التى عنوانها « مقال فى الاحتراز من حبة المرء » ورقها ٢٨ فى سودى .

وفى باب المناجاة ، يمكن رد القطعة السادسة إلى باب التوبة . فأمثال هذه القطع يمكن النظر إليها من ناحيتين ، كل ناحية تمثل باباً من الأبواب التى أشرنا إليها .

لكن الأبواب فى مجموعها مستقلة ، وطريق العلاج مستقل ، وحتى القصص المشتركة التى نوهنا عنها ، يعالجها الشاعر على أنها من الباب ذاته ، ناظراً إليها من حيث المغزى .

والكتاب كله فى مجموع أبوابه ، هداية للنفس الإنسانية ، حتى تتجرد عن مباحج هذه الدنيا ، فتسمو إلى أعلى المراتب الروحية .

وقد رسم الشاعر فى كل باب من تلك الأبواب ، الخطة التى يرتضيها ، ليلبغ الطالب فيها مثاله ، وأرشده إلى ما تطويه هذه الأبواب من ألوان الرياضة الروحية محاولاً فى كل ذلك أن يرسم فيها صورة للإنسان كما ينبغى .

هل من فروق بين كتابي الشاعر البوستان والگلستان ؟

وضع الشاعر بعد عام من تقديمه البوستان سنة ٦٥٥ هـ كتابه الثاني المشور يعالج أيضاً موضوعات تتفق مع موضوعات البوستان في بعضها وتفتقر عنها في بعضها الآخر .

ونحن يمكننا أن نشير إلى مواضع الفروق بين هذين الكتابين فيما يأتي ، من نواحيهما المختلفة .

أولاً — فأبواب « البوستان » عشرة وأبواب « الگلستان » ثمانية ، ويتفق الكتابان في أربعة من هذه الأبواب على اختلاف في أوضاعها ، يتفقان في باب الملوك ، ومكانه الأول في الكتابين . كما يتفقان في باب التربية ، ومكانه السابع في الگلستان ، وباب العشق يرد الخامس ، كما يرد باب القناعة الثالث في الترتيب .

وقد اختلف الگلستان عن البوستان فيما عدا ذلك من الأبواب مع الزيادة التي نلاحظها في البوستان . فأقام باباً لل دراویش ، وباباً في فوائد الصمت ، وباباً في الضعف والشيخوخة ، وباباً في آداب الصحبة .
فمحاولة الشاعر رسم صورته تختلف في مناهجها في كلا الكتابين .

ثانياً — يفتقر الكتابان كذلك من حيث الشكل فالبوستان شعر كله ، والگلستان نثر فيه بعض الشعر ، ولما نجد قصة تخلو من شعر ، كما أن من النادر أن نجد قصة بذاتها من النظم .

ثالثاً — ويفترقان كذلك ، من ناحية الأداء ، فالبوستان يخف فيه اقتباس العبارات العربية . بينما كان من اليسر والسهولة أن يكثر الاقتباس في الگلستان . وهذا يعطى لوناً آخر من ألوان الأداء في ذلك الكتاب .

رابعاً — تبدو في البوستان الروح التعليمية الأخلاقية أكثر من الغلستان فهو في كل الأبواب يحاول أن يرسم الصورة كما ينبغي أن تكون ، يحاول أن يرسم إنساناً مثالياً على أحسن صورة وأتمها .

على أنه يبدو في الغلستان طبيعة الترويح عن المجتمع . فحشد له في هذا الكتاب كثيراً من القصص التي لا يلزم فيها بشيء ولا ينادى فيها بأمر . فهي مجرد قصص للترفيه والتخفيف ، ومن هنا تبدو كثرة أوامره في البوستان ، وجرأته وعدم تهيبه ، ودعوته للمخاطب في مستهل كل باب . وبقوله إن نصائحهم — وإن كانت مرة — فهي مفيدة ولا يتأتى العلاج المفيد إلا من الدواء المر .

وكان من مظاهر الترويح عن المجتمع في الغلستان ، والتبسط معه ، هذا التلوين الذي أظهر فيه الكتاب من نثر وشعر ، ومن اقتباسات مختلفة ، من الأشعار ، والآيات ، والأمثال ، والحكم .

كذلك كان من النادر أن يعتمد فيه إلى الألفاظ الغريبة ، فهو في الغلستان كاتب شعبي بمعنى الكلمة ، كما لقبه الأستاذ آر برى ^(١)

خامساً — ومن هنا كانت تبدو في دعوته في البوستان الروح الجديدة ، الروح الجافة الإيجابية — إن صح هذا التعبير — ، وكان منهجه فيه أن يرسم الخطة ويطلب بالتزامها . كما كان عنيفاً في مطالبه ، حريصاً على الدعوة بالتزامها ، بينما تخف هذه الروح في الغلستان ، فيبدو أكثر بساطة وأخف إيجابية .

وقد جاء كثير من الشعراء بعده ، وحاولوا تقليده ، وخاصة في كتابه الغلستان ، لكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى مستواه .

Arberry : Kings A. Beggars. p. 22. (١)

كان من أهم هؤلاء الشاعر « عبد الرحمن الجامي » المتوفى في القرن التاسع الهجري ، أخذ يقلده في كتابه « بهارستان » . كذلك جاء بعده الشاعر « قاضي » وأخذ يقلده في كتابه « پریشان » خواطر . لكن الشاعرين لم يدركا مكانة سعدى ، لا في تناولها للموضوع ، ولا في أسلوبها . وكانت كتابتهما ترمى غالباً إلى فكاهات لا تعالج أموراً أخلاقية ، أو تعليمية بالمعنى الذى وصل إليه سعدى . وبهذا لم يتيسر لهما مزاحته .

ويعد جامى أول محاول لتقليد سعدى في الغلستان . لكن نثره مسجوع متكلف . كما يقول الأستاذ « على أصغر حكمت »^(١)

على أننا ننتهي من كل ذلك ، بما قاله الأستاذ « آر برى » من الإشادة بمكانة سعدى فى قوله :

« والقصة التى يعرفها كل كاتب شرقى ، قد تطورت على يد سعدى ، فأضحت فناً جميلاً يشبه فن التصوير . فسعدى — كفنان — كان يشتغل فى اتجاهين . اتجاه الأفكار ، واتجاه الكلمات ، وكان يرسم صورته بمنتهى الدقة والمهارة ، فيضع هيكلها أولاً ، ثم يشتغل فى التفاصيل بمهارة فائقة ، وعبقريّة لم يعهدها الأدب الفارسى . فهو لا يتجاهل أصول الفن ، من تشبيهات ، واستعارات ، وحقيقة ومجاز أو سجع ، ولكنه فى الوقت نفسه متيقظ جداً يجنب نفسه العثرات التى يقع فيها غيره من الكتاب الفرس ، أو العرب الذين يحملون المادة فوق ما تطيق^(٢) » .

ومن هنا يمكن أن نقول إن سعدى قد تسنم الذروة بين شعراء الفرس الأخلاقيين . فلم يستطع من جاء بعده أن ينزله من مكانته التى بلغها ، سواء من ناحية نظمه فى « البوستان » ، أو نثره فى « الغلستان » .

(١) أنظر جامى للأستاذ على أصغر حكمت ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٢) Arberry : Kings and Beggars : p. 22

الفصل السادس

طريقه الشاعر في قصص البوسنة

تنقسم القصة حسب طبيعتها إلى قسمين :

١ — موضوع . ٢ — وشكل .

وحسب وضعها في الكتاب أيضاً ، يمكن أن تقسم إلى هذين القسمين .

١ — القصة من حيث الموضوع : وكان الوضع يقتضى أن نتكلم عنها

— أولاً — من حيث الشكل ، لكن الموضوع في القصة لا يتخلف . كما أنه

جزء أساسى فائمه بذاته . تستخدم له الوسائل الأخرى للوصول إليه ، ولن يتعدد

الموضوع في القصة ، ولهذا تخيرنا الكلام عليه أولاً .

والموضوع هو الغرض من القصة ، والمنزى الذى تجرى القصة من أجله . فكل

قصة وراءها غرض من الأغراض ، وكل أغراض القصص التى تناولها الكتاب ،

تتفق مع الباب الذى اختيرت له .

٢ — القصة من حيث الشكل ، ونعني بالشكل ما يأتى :

أولاً — الزمن الذى اقتضته القصة .

ثانياً — المكان الذى دارت فيه .

ثالثاً — الأشخاص الذين يديرونها . أو تدار على ألسنتهم .

القصة من حيث الزمن : ونعنى به ما تقتضيه القصة من حيث الإطالة والقصر ،

وهذا منهج مألوف فى طبيعة القصة نفسها ، والزمه الشاعر عند إدارته للقصة .

كان يطيل حين تدعو الحاجة إلى الإطالة ، وحين لا تدعو يُقل . يطيل أحياناً

حتى ليبلغ في القصة مائة بيت أو يجاوزها ، كما في القصة الثامنة من باب «العدل» ومطلعها :

زدر ياي عمان بر آمد كسى الخ .

فهى تبلغ فى تقسيم « سودى » مائة وعشرة أبيات . إذ تدور حول سياسة الملك ، ووشاية الوزراء ، ومصير الواشى . فلا بد لها من إطالة ، ولا بد لها أن تعالج هذه المشكلة علاجاً يوضح السبيل فيها . وأحياناً تتضاءل القصة حتى لا تعدو بيتين ، كما فى القصة العاشرة من الباب التاسع « باب التوبة » ومطلعها :

زدم تيشه يكروز برتل خاك . الخ

فهى تعالج أمراً لا يدعو إلى إطالة ، هو قصر فترة الحياة الدنيا .

القصة من حيث المكان : عرضنا سابقاً لهذا عند الكلام على رحلات الشاعر ، وانهينا من ذلك إلى أنه لا يلزم من ذكر البلد ، أو المكان ، أو الجهة أنه رحل إليها فعلاً ، أو شاهد الحادثة فيها بنفسه ، وإنما كانت البلاد لغرض آخر قصد إليه الشاعر . فنقل القارئ معه حيث يكون الموطن مقصوداً لذاته ، وحيث يجرى حوادث القصة ، ويظهر الغرض منها فى بيئة ملائمة لحوادثها .

ورأينا من ذلك رحلته إلى « كشغر » فى السنة التى اصطلح فيها « السلطان محمد » مع « الخطا » وعدم إمكانها تاريخياً . كذلك رأينا قصة ذهابه إلى بلاد المغرب ، مصطحباً أحد الأبدال ، حيث يريد أن يكشف للناس قدرة الله ، ومعونته لرجاله الطاهرين ، فيجرى على ألسنتهم من الأمور الخارقة للعادة ، فى الموطن الذى يشتهر بين الناس أنه موطن خوارق العادات والسحر ، ومثل ذلك ما لاحظناه من رغبته فى الحديث عن عبادة الأصنام فينتقل إلى الهند . ورأينا عدم إمكان كل ذلك من حيث الواقع العملى .

القصة من حيث الأشخاص : أما اختيار الشاعر للشخصية ، فهو ميدان واسع يشهد له بالبراعة في حسن الاختيار ، وإسناد الأدوار ، كما يدل على الإلمام بتاريخ الشخصية ، وما عرف عنها ، أو اشتهرت به .

واختيار الشاعر للشخصية ، كاختياره للمكان سواء بسواء . فكما يعرف صلاحية المكان لإدارة قصة فيه . كذلك يعرف كيف يوزع الأدوار المناسبة على الشخصيات . فهو يفهم الشخصية تمام الفهم ، وما يمكن أن يحيط بها ، ويعلم كل دقائقها التاريخية والشخصية ، فينقلها إليك ، أو ينقلك لها ، ليجرى على لسانها حديثاً أو قصة مناسبة لها تمام المناسبة . ومنهج الشاعر في هذه الناحية ، يحوطه الكثير من الأحكام ، ولا يتخلف فيه عما رسمه لنفسه . فلا يتخير الشخصية اعتباطاً ليجرى على لسانها مجرد قصة ، بل يتخيرها لأمر ملحوظ في شخصها ، وأحياناً في تاريخها ، أو مكانها . وسنوضح ذلك عند الحديث عن الشخصيات التي تناولها .

وبجانب الشخصية الإنسانية التي أعدها الشاعر لقصصه . هناك قصص أخرى على لسان حيوان معروف أو جماد ، يدير قصة على لسانه ليستخلص منها حكمة أو موعظة .

أما القصص التي لم تتضح فيها الشخصية بالاسم ، فإننا نعتبرها من القصص العامة التي أوردتها في الباب لعلاج موضوعه العام .

ويمكننا أن نخرج من هذا ، إلى أن القصة من حيث الشخصية ، في الكتاب تنقسم إلى أربعة أقسام .

- ١ — قصة تدور حوادثها حول الشاعر نفسه .
- ٢ — قصة تدور حول شخصية تاريخية معروفة .
- ٣ — قصة تدور على لسان حيوان أو جماد معروف .
- ٤ — قصة عامة لم تتضح فيها الشخصية .

ومن المعروف أن كل باب من الأبواب ، خلاصة من الأفكار ، في مجموعة من القطع . ولهذا سنسير في معالجتنا لأفكار الكتاب على هذا النحو .

١ — تحليل القصص التي تدور حول أشخاص معروفين ، أو على لسان حيوان ، أو جماد . وذلك لندل على بيان الفكرة في اختيارها ، وكيف استخدمها الشاعر ، وكيف كان صحيح الفكرة في اختيارها .

٢ — عرض الأفكار العامة التي تناولها الباب كله في مجموع قصصه ، لنذكر من ذلك — بجانب ما أدر كناه من الجزئيات في القصص الشخصية — ما هي الأفكار العامة التي عرض لها الشاعر في مجموع قصص الباب كله ؟ وبهذا يمكن أن نلم بالأفكار الأخرى التي لم نعرض لها في القصص الشخصية .

وهذا يقتضينا أن نعين حدود قصص الباب ، كما يقتضينا الاستشهاد على الفكرة أن نعين مكان البيت أو القصة . وهنا موضع الإشارة إلى ضرورة استخدام نسختي « سودى » و « جراف » الأولى في تعيين موضع القصة من الباب ، والثانية في تحديد موضع الاستشهاد من القصة ، وسنرقم القصص بحسب تحديدها في نسخة « سودى » .

أما نسخة « جراف » فقد سبق أن أشرنا إلى أنها مرقمة الأبيات ، وسندل — بجانب هذا — على بيت مطلع القصة ، وعدد أبياتها . كما سيظهر من الجداول التي سنستخدمها .

أما ترجمة الاستشهادات فقد كانت هناك طريقتان .

١ — إما أن أبين الفكرة ، دون ترجمة ، وأدل على الاستشهاد بالإشارة إلى القطعة أو البيت الذي تنطوى فيه الدلالة على الفكرة المشار إليها ، وقد تنسجم العبارة في مجموعها من تلك الطريقة .

٢ — وأما أن أترجم العبارة عند الدلالة على معنى من المعانى ، وأثبت البيت أو الأبيات ، التى تشير إليها فى الهامش أو أشير إلى القطعة .

وقد التزمت الطريقة الثانية — مع ما فيها من الجهد — لأنها تضع أمام القارئ الترجمة والنص مباشرة ، فيشارك فى الرجوع إليها عند الحاجة .

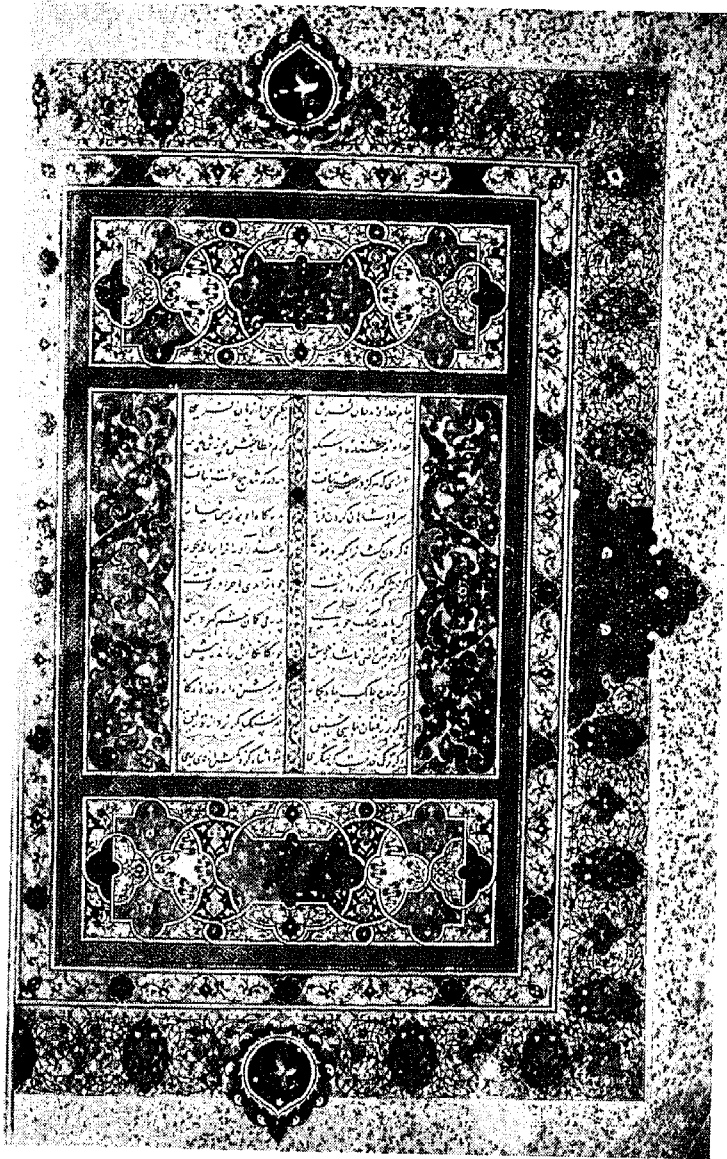
ولكنى أود أن أشير إلى أن ضيق المعنى فى البيت أو الأبيات ، والحاجة إلى وضع ترجمة شبه حرفية — حتى لا تبعد الدلالة كثيراً — ربما أبعدا الانسجام عن العبارة فى ترجمة بعض الأبيات .

وقد دلت على القطعة بحرف « ق » وعلى البيت أو الأبيات بحرف « ب » .

القسم الثاني

تحليل أبواب « البوستان »

أولا - تحليل قطع المقدمة



الصفحة الأولى من « البوستان » عن النسخة الخطية المحفوظة
 بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢ ف والتي أخذت عنها بعض
 الصور الأخرى وهى بريشة المصور الخالد بهزاد

تنظم المقدمة — كما رأينا — ست قطع في نسخة « سودى » وخمسة في بقية النسخ . وهذه القطع على الترتيب الآتى :

١ — قطعة في مدح الذات الإلهية لا عنوان لها .

٢ — قطعة في مدح الرسول عليه السلام بعنوان « درنعت محمد مصطفى عليه السلام » .

٣ — قطعة في مدح الخلفاء الراشدين ، تجعلها نسخة « سودى » منفصلة عن القطعة السابقة ، وتجعلها بقية النسخ تابعة لها .

والقطعة في ذاتها قريبة أن تكون تابعة ، من أن تكون مستقلة . فمدحه للخلفاء في تلك القطعة ، جاء على طريقة الاستطراد ، ولا يعدو ذكرهم أكثر من ثلاثة أبيات ، يعود بعدها إلى الكلام في مدح الرسول عليه السلام .

٤ — قطعة في سبب نظم الكتاب .

٥ — قطعة في مدح الأتابك « أبى بكر بن سعد » حاكم فارس .

٦ — قطعة في مدح الأتابك « محمد شاه » على الخلاف فيها كما رأينا سابقاً . وقد تكلمنا سابقاً عن القطع الثلاثة الأخيرة . وبقى أن نحلل القطعة الأولى والثانية .

القطعة الأولى : مدح الذات الإلهية .

وتجعل جميع النسخ هذه القطعة دون عنوان ، فهي افتتاحية ، يفتتحها باسم الله ، ثم يعرض ألواناً من وصف الذات الإلهية . وعدد الأبيات كما في نسخة « جراف » ثمانية وستون بيتاً ، وتتفق النسخ جميعاً ما عدا نسخة الهند في المطالع :

بنام خداوند جان آفرين حکیم سخن در زبان آفرین

وتضع نسخة الهند كلمة « جهاندار » بدل كلمة « خداوند » .

كما تشير نسخة « جراف » في الشرح ، إلى أن بعض النسخ يرد فيها البيت كله مخالفا لهذا .

بنام خدای که جان آفرین سخن گفتن اندر زبان آفرین
وأغلب أبيات هذه القطعة وصف في الذات الإلهية ، كما لاحظنا أنه يتكرر فيها إشارات إلى المعاني التي عرض لها في أبواب الكتاب على اختلاف موضوعاتها .
ولهذا يمكن أن نقسم الكلام على هذه القطعة إلى ناحيتين :

أولا — أبيات وردت في وصفه تعالى ، وعجز الإنسان عن إدراك كنهه .
ثانيا — أوصاف تلتقي مع معاني الأبواب التي ضمنها الشاعر هذا الكتاب .

فأما الأبيات التي تتعرض لوصفه تعالى ، فيجتمع فيها وصفه بالقدرة ، والقدم ، والخلق ، ثم في بيان عجز الإنسان عن إدراك كنهه تعالى .
ويفيض الشاعر في الاستطراد هنا في أكثر من خمسة عشر بيتا . نورد ترجمة جزء منها فيما يأتي :

- إن العالم متفق على إلهيته
لكنه عاجز عن كنه ماهيته .
- لم يعرف البشر شيئا وراء جلاله
ولم يدرك البصر منتهى جماله .
- ولن يبلغ طائر الوهم أوج ذاته
ولن تدرك يد الفهم أطراف صفاته .^(١)

(١) جهان متفق بسر إلهيتش فرومانده دركنه مساهيتش
بشر ما وراى جلالش نباقت بصر منتهای جمالش نيسافت
نه براوج ذاتش پرد مرغ وهم نه درذيل وصفش رسد دست فهم =

— کم من السفن ! غرقت في تلك اللجة
 ولم يطفُ لوح واحد منها على الشاطئ .
 — وكم من ليال ! ضللت في هذا الطريق
 إلى أن أمسكت الدهشة بكى ، أن قم ! .
 — إن علم الله محيط على البسيطة
 وقياسك ، لن يحيط بعلمه .
 — فلا الإدراك ، واصل كنه ذاته
 ولا الفكر ، بالغ غور صفاته ^(۱) .
 — لقد انطلق المقربون بجيادهم في هذا السبيل
 لكنهم تخلفوا — عجزاً — « بلا أحصى » .
 — فليس في كل مكان ، يمكن أن تركض الجياد
 فعمل العجز يدركها في أماكن كثيرة .
 — إنك إن تطلب طي هذه المسافة
 فاعقل — أولاً — جوادك .
 — وتأمل في مرآة قلبك
 تحصل — تدريجياً — على صفاء نفسك ^(۲) .

= درین ورطه کشتی فروشد هزار
 که پیدانشد تخته ای بسرکنار
 چه تنها نشستم بسیرین سیرگم
 که دهشت گرفت آستینم که قم
 محیطست علم ملک بسر بسط
 قیاس تو بروی نگردد محیط
 نه إدراك درکنه ذاتش رسد
 نه درکنه بیچون سبحان رسد
 ب ۳۹-۴۰

(۱) که خاصان درین ره فرس رانده اند
 نه هرجای مرکب توان ناخن
 «بلا أحصى» أرتک فرومانده اند
 که جاها سپر باید انداختن
 ب ۵۲-۵۳

إشارة إلى الحديث «لا أحصى ثناء عليك وأنت كما أنيت على نفسك»

(۲) اگر طالبی کین زمین طی کنی
 تأمل در آیینسه* دل کنی
 نخست آسب باز آمدن پی کنی
 صفائی بندریج حاصل کنی
 ب ۵۹-۶۰

هذه هي الأوصاف التي تناولها الشاعر في الذات ، والعجز
عن إدراكها .

وأما الأوصاف الأخرى التي ترددت غير متتابعة في هذه القطعة ، وتشير إلى
بواب الكتاب ، فإننا سنأخذ في عرضها حسب الأبواب .

ويبدو منها أن الشاعر كانت تتجاوب في نفسه ، هذه الأفكار التي ضمنها
الكتاب . فلما وضع مقدمته — سواء أكانت قبل نظم الأبواب أم بعدها —
فانه قد غلب عليه ازدحام هذه الأفكار ، فنثر في هذه المقدمة ما يشير إلى
تلك الأبواب.

وسنتناول إشاراتِهِ إلى تلك المعاني بالترتيب الذي ورد في الكتاب .

فما يشير إلى باب العدل عند الملوك :

- حافظ بقدرته ، عالم السماء والأرض ^(١)
- وهو صاحب الديوان ، يوم العرض .
- على أعتابه ، تنحنى للدعاء ^(٢)
- رؤوس الملوك العظماء .
- وعلى أبواب لطفه ، وكبريائه
- يتجرد العظماء من عظمتهم ^(٣) .
- إنه عزيز ، كل من أعرض عن بابه
- لم يلق عزاً ، بأية باب يلجأ إليه ^(٤) .

-
- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| (١) بقسدرت نكهسدار بالا وشيب | خداوند ديوان روز حسيب ب ٣١ |
| (٢) سر پادشاهان گرد نفسراز | بدرگاه او برزمسين نيساز ب ٤ |
| (٣) بدرگاه لطف وبزرگيش بسر | بزرگان نهاده بزرگي بسر ب ٢٨ |
| (٤) عزيزي كه هرگز درش سر بتافت | بهر درگاه سند هيچ عزت نيافت ب ٣ |

وما يشير إلى باب الإحسان

- بسط الأرض ، مائدة خلقة —
يستوى عليها ، عدوه ، وصديقه ^(١) .
- وإذا وزع مائدته الكريمه —
يناديه الشيطان ! هبني نصيبي ! ^(٢) .
- ومائدة كرمه مبسوطة —
حتى تبلغ العنقاء نصيبها ، ولو كانت على « قاف » ^(٣) .
- ومنشور إحسانه ، ليس له حد —
وليس لنفاذ أمره رد ^(٤) .
- وواهب العطاء ، معين الضعفاء —
الكريم ، الغفور ، الغفور ^(٥) .

وما يناسب باب العشق الصوفي :

- تأمل في مرآة قلبك ، —
تحصل — تدريجياً — على صفاء نفسك ^(٦) .
- لعل رائحة من العشق تسكرك —
فتصير طالباً « لعهد ألت » ^(٧) .

- | | |
|------------------------------|------------------------------------|
| (١) أديم زمين سسفره عام أوست | برين خوان بخا چه دشمن چه دوست ب ١٤ |
| (٢) وگرزله بخشید زخوان کرم | عزازیل گوید نصیبی بسم ب ٢٧ |
| (٣) چنان پهن خوان کرم گسترده | که سیمرخ در قاف قسمت خورد ب ١٨ |
| (٤) گرانت منشور إحسان أوست | ورانیست توقیع فرمان نیست ب ٢٤ |
| (٥) خداوند بخششده دسستگیر | کدریم خطا بخش پوش پذیر ب ٢ |
| (٦) تأمل در آیینسه دل کنی | صفائی بتدریج حاصل کنی ب ٥ |
| (٧) مگروبی عشق مست کنسد | طلبکار عهد ألت کنسد ب ٦١ |

إشارة إلى قوله تعالى في سورة الاعراف : « وإذا أخذ ربك من بنى آدم

من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألت بر بكم ؟ قالوا بلى ! »

— فتقطع الطريق بِقَدَمِ الطلب
ومن ثم ، تطير بِجناح المحبة^(١) .
— وهناك ، يمزق اليقين حجب الخيال
وعندئذ ، لا يبقى إلا ستار ذى الجلال^(٢) .

وما يناسب باب التواضع :

— إنه — وحده — من يليق له الكبرياء ، والإينية
فلكه قديم ، وذاته غنية^(٣) .

وما يناسب باب الرضا :

— يقلد واحداً ، تاج السعادة على رأسه
وييهوي بالآخر ، من العرش ، إلى أرضه^(٤) .
— ويجعل النار فردوساً على الخليل
ويحمل جماعة ، إلى النار ، من النيل^(٥) .

وما يشير إلى القناعة — تهيئته الأقوات للمخلوقات مهما كانت :

— يهيء الرزق للشعبان ، والنمل
ولو أنها بغير يد ، ورجل ، وقوة^(٦) .

-
- | | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| (١) بای طلب ره بدانجا بسری | وزانجا ببال محبت بسسری ب ۶۲ |
| (٢) بد رد یقین سردهای خیمسال | نمساند سرا پرده إلا جلال ب ۶۳ |
| (٣) مرورا رسد کبریا و مسسی | که ملکش قد بمسب وذاتش غنی ب ۲ |
| (٤) یکی را بسر بر نهد تاج بخت | یکی را بخساک اندر آرد ز تخت ب ۲۱ |
| (٥) گلسستان کند آتشی بر خلیل | گروهی بر آتش برد زاب نیل ب ۲۳ |
| إشارة إلى قوم فرعون | |
| (٦) بهیا کند روزی مار و مسور | اگر چند بدمست و پا بند وزور ب ۴۱ |

وما يلائم باب التربية — ما ينظم العلاقة بين الأب والابن والأقرباء ،
أو الخادم وسيده ، أو الرفيق ورفيقه :

- لو أن شخصاً ، أعلن العصيان على أبيه
فلأريب ، أن ذلك يغضب الأب كثيراً^(١) .
- والقريب ، إذا لم يرض عن قريبه
فإنه يطرده ، كالغرباء عن بابه .
- والخادم ، إذا لم يسرع إلى عمله
فلن يجد العز من سيده .
- والرفاق ، إذا لم تكن مشفقاً عليهم
هربوا منك ، وخلفوك وحيداً^(٢) .

وما يلائم باب الشكر — ما يشير إلى أن الجفاء والقيطة لا تليق به ،
كما أن الخلوفات كلها تشكره مطبعة له :

- إذا أسرعت على منهج الجفاء له
فمن ذا الذي لقي الأمان من يد قهره^(٣) ؟
- وذاته تعالى ، مبرأة من تهمة الضد ، والجنس
وملكه غنى ، عن طاعة الجن والأنس .
- لأمره ، أطاع كل شيء ، وكل إنسان
أطاعه الناس ، والطير ، والبعوض^(٤) .

- | | |
|--|--|
| (١) اگر با پدر جنگ جوید کسی | بدری گمان خشم گیرد بسی ب |
| (٢) وگر خویش راضی نباشد ز خویش
وگر بنده چابک نباشد بکار
وگر بر رفیقان نباشی شفیق | چو بیگانگانس بر اند ز بیش ب ۸-۱۱
عزیزش ندارد خداوند کار
بفرسنگ بگریزد از تو رفیق |
| (٣) اگر بر جفا پیشه بشتافتی | که از دست قهرش آسان یافتی ؟ ب ۱۰ |
| (٤) بری ذاتش از تهمت ضد و جنس
پر ستار آفرین همه چیز و کس | غنی ملکش از طاعت جن و انس ب ۱۶-۱۷
بی آدم و مرغ و مور و مگس |

وما يشير إلى باب التوبة

- إنه واهب العطاء ، معين الضعفاء
الكریم ، العفو ، الفسور^(۱) .
- لا يأخذ العصاة ، بذنبهم فوراً
ولا يطرد المعتذرين ، منهم جوراً .
- فإذا غضب على عاص ، طوى له ماضی
إذا تاب ، وارتد عن الهوي^(۲) .
- ورب السماء والأرض
لا یوصد ، عن عاص ، باب الرزق^(۳) .

وما يشير إلى المناجاة :

- إنه قريب من الضعفاء ، برحمته
يجیب دعوة المتضرعين ، بعطفه^(۴) .

القطعة الثانية — مدح الرسول عليه السلام :

وعدد أبيات هذه القطعة ثلاثون بيتاً . تبدأ من البيت رقم ۶۹ وتنتهي
بالبیت رقم ۷۹ ، وذلك في نسخة « جراف » . أما « سودي » فتجعلها قطعتين
تفصل عنها مدح الخلفاء ، لكن القطعة كلها ، ذات وحدة لا تحتل هذا
الانقسام . فإنه بعد أن يعرض لذكر الخلفاء الأربعة — فيما لا يتجاوز ثلاثة
أبيات — يعود فيمدح الرسول عليه السلام ، حتى يختتم القطعة كلها .

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| (۱) خداوند بخشنده دست گیر | کریم خطا بخش بوزش پذیر ب ۲ |
| (۲) نه گردنکشان را بگیرد بفسور | نسه عسذر آوران را بجور |
| وگر خشم گیرد زگر دار زشت | چو باز آمدی ما جرا درنوشت ب ۵-۶ |
| (۳) ولیکن خداوند بالادوست | بعصیان در رزق برکس نبست ب ۱۳ |
| (۴) فرو مندگانرا برحت فریب | نضرع کنان را بدعوت مجیب ب ۲۹ |

ولهذا سنعرض لها في التحليل كأنها وحدة مستقلة . والمعاني التي عرض لها في تلك القطعة ترتبط مع بعضها تقريباً ، فإذا ما تسكّم عن معنى من المعاني ، يظل فيه حتى ينتهي منه ، ولا يعود إليه .

والبيت الذي تخيره لمطلعها يدل على أن الشاعر راعى فيه براعة الاستهلال ، فاختر بيتاً عربياً .

ويبدو أن الشاعر قد لاحظ أنه بدأ الحديث عن نبي عربي ، فليلتبس في مطلع الكلام عنه استهلالاً عربياً :

« كريم السجايا ، جميل الشيم نبي البرايا ، شفيع الأمم »
كذلك يمكن أن يقال إنه راعى في هذا الاستهلال ، أن يجمع كل ما يمكن أن يكون من صفات النبوة ، أو وظيفتها ، في الدنيا ، والآخرة .

— وهو إمام الرسل ، هادي السبيل ،
وأمين الله ، مهبط جبريل ^(١) .

ويمكن أن نلتبس المعاني التي تتردد في هذه القطعة فيما يأتي :

١ — الإيجاز به :

— إنه اليتيم ، الذي لم يعرف القراءة
لكنه نسخ كتباً كثيرة .

— وحين سل عزمه سيف الرهبة
اشق القمر — نصفين — إجماراً له .

— وحين تردد اسمه في أفواه الدنيا
تصدع ديوان كسرى ^(٢) .

(١) إمام رسل ينشأ سبيل
(٢) يتيمى كه نا کرده قرآن درس
چو عزمش بر آهیخت شمشیر بزم
چو صیتش در أفواه دنیا فتاد
آمین خدا مهبط جبریل ب. ۷۰
کتبخانه چند ملت بسست
بمعجز میان قمرزد دو نیم
تزلزل در ایوان کسری فتاد ب. ۷۳-۷۵

۲ — عرض لألوان الديانات الموجودة :

- إنه حطم قامة اللات ، بكلمة « لا »
- وحما الدين العزیز مكانة العزی .
- لم يحطم اللات ، والعزی ، فحسب
- بل نسخ التوراة ، والإنجيل كذلك^(۱) .

۳ — الإسراء به :

- ركب ليلة ، فجاوز الفلك
- ومضى بالتمكن ، وإجاء ، من الملك .
- وَجَدَ في تيمه القربى ، من الله
- حتى تخلف عنه جبريل ، في سدرة المنتهى^(۲) .

۴ — ثم منزلته عند الله ، والانتقال إلى فكرة الوجود وأصلها :

- أثنى عليك الله ، ومنحك التبجيل
- وقبل الأرض — تقديرًا لك — جبريل .
- خجلت أمام قدرتك ، السماء العلى
- أنت مخلوق ، وآدم لا يزال طينًا ، وماء .
- أنت أصل الوجود ، جئت من الأزل
- فتأمل ! كل موجود ، صار من فرعك^(۳) .

-
- (۱) بلا قامت لات بشکست خسرَد باعزاز دین آب عزى ببرد
وکلمة « لا » إشارة إلى عبادة الوجدانية في قوله (لا إله إلا الله) .
نه ازلات وعزى بسر آورد گردد که توریت وانجیل منسوخ کرد ب۷۶-۷۷
- (۲) شہی برنشست ازلک برگذشت برنشست وجاه ازمک درگذشت
چنان گرم درتیه قربت برانسد که برسد جبریل ازو باز ماند ب۷۸-۷۹
- (۳) خدایت ثنا گفت وتبجیل کرد زمین بوس قدر تو جبریل کرد
بلند آسمان پیش قدرت خجل تو مخلوق و آدم هنوز آب و گل تو
تو اصل وجود آدمی از نخست نگر هرچه موجود شد فرع تست ب۹۳-۹۵

٥ — ومنزلته يوم القيامة في الشفاعة:

- أنت شفيع الوري ، سيد البعث ، والنشر
- إمام المهدي ، وصدر ديوان الحشر (١) .
- لم يبق إنسان رهينة لمعصيه
- من اتخذ الرسول شفيعاً له (٢) .

٦ — مدح الخلفاء الراشدين . وهو ليس مدحاً بالمعنى المعروف ، لكنه عرض

موجز لهم ثم قسم بأبناء فاطمة ، وختام :

- ليكن ، سلام الله ، على روحك
- وعلى أصحابك ، وتابعيك .
- على أبي بكر ، الشيخ المرید
- وعلى عمر ، قاهر الشيطان المرید .
- وعلى العاقل ، عثمان ، محيي الليل
- والرابع عليّؑ ، راكب الدلّل (٣) .
- أسألك إلهي ، بحق بني فاطمة
- أن تؤمن ، على قولي بالقبول .
- فإنك ، إن رددت دعوتي ، أوقبلتها
- فإنني متعلق بأهداب آل الرسول (٤) .

(١) شفيع الوري خواجه* بعث ونشر أمام المهدي صدر ديوان حشر ب ٧١

(٢) نمائند بعضيان كس در گرو كه دارد چنين سيدى بيشرو ب ٨٤

(٣) درود ملك بروان تسو باد بر أصحاب و بر پيروان تو ياد
نخستين ابو بكر پير مرسند عمر بنجه بر پيچ ديو مريد
خردمند عثمان شب زنده دار چه سارم على شاه دلل سوار ب ٨٦-٩٨
الدلّل اسم بغلة كان يركبها سيدنا على .

(٤) خدايىسا بحسب بنى فاطمة كه بر قول ايمان كنند خاتمه
اگر دعوتم رد كنى و رقبسول من و د امان آل رسول ب ٨٩-٩٠

ثانياً — تحليل أبواب الكتاب

١ — باب العدل

٢ — باب الإحسان

٣ — باب العشق

٤ — باب التواضع

٥ — باب الرضا

٦ — باب القناعة

٧ — باب التريّة

٨ — باب الشكر

٩ — باب التوبة

١٠ — باب المناجاة

۱ - باب العدل

رقم ف	رقم المطلع	عدد الآیات	قصه عن سعدی	عن شخصیه تاریخیه	قصه عامه	المطلع
۱	۱	۶			عامه	نگیند کرمهای حق در قیاس
۲	۷	۱۴		قزل أرسلان		چه حاجت که نه کرسی آسمان
۳	۲۱	۱۰				حکایت کنند از بزرگان دین
۴	۳۱	۲۱		کسری و هرمز		شنیدم که در وقت نزع روان
۵	۵۲	۱۷		خسرو و شیرویه		شنیدم که خسرو بشیرویه گفت
۶	۶۹	۱۳		»		چه خوش گفت بازگانی اسیر
۷	۸۲	۴۱		شاپور و خسرو		شنیدم که شاپوردم در کشید
۸	۱۲۳	۱۰۹		»		ز دریای عمان بر آمد کسی
۹	۲۱۲	۵۳		»		نداتم کجا دیده ام در کتاب
۱۰	۲۶۵	۱۵		»		نه بی حکم شرع آب خوردن خطاست
۱۱	۲۸۰	۱۷		»		شنیدم که فرماندهی دادگو
۱۲	۲۹۷	۶		بهشید		شنیدم که بهشید فرخ سرشت
۱۳	۳۰۳	۱۸		دارا		شنیدم که دارای فرخ تبار
۱۴	۳۲۱	۷		»		توکی بشنوی ناله داد خواه
۱۵	۳۲۸	۶		»		خبر یافت گردن کشی در عراق
۱۶	۳۳۴	۱۸		عمر بن عبد العزیز		یکی از بزرگان اهل تمیز
۱۷	۳۵۲	۷	سعدی	»		همین پنج بیت خوش آمد بگوش
۱۸	۳۵۹	۱۱		تکله بن زنگی		در اخبار شاهان پیشنه هست
۱۹	۳۷۰	۲۱		»		شنیدم که بگریست سلطان روم
۲۰	۳۹۱	۲۴		»		خرد مند مردی در اقصای شام
۲۱	۴۱۵	۱۵		»		مها زور مندی مکن بر کههان
۲۲	۴۳۰	۲۲	سعدی	»		چنان وحط شد سالی اذردشوق
۲۳	۴۵۲	۱۱	سعدی	»		شبی دود خلق آتشی بر فروخت
۲۴	۴۶۳	۱۶		»		خبر داری از خسروان عجم
۲۵	۴۷۹	۳۴		»		شنیدم که درمرزی از باختر
۲۶	۵۱۳	۱۰		»		یکی بر سرشاخ وین می برید
۲۷	۵۲۳	۹		»		مگوجاهی از سلطنت بیش نیست
۲۸	۵۳۲	۵		»		شنیدم که یکبار در حنه
۲۹	۵۳۷	۱۱		»		نکوکار سردم نباشد بدش

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	قصة عن سعدى	عن شخصية تاريخية	عامه	المطلع
۳۰	۵۴۸	۱۳		الحجاج	»	گزیری بجاهی در افتاده بود
۳۱	۵۶۱	۲۰			»	حکایت کنند از یکی نیکمرد
۳۲	۵۸۱	۳			»	یکی پند میداد فرزند را
۳۳	۵۸۴	۲			»	بخردی درم زور سر بنجه بود
۳۴	۵۸۶	۳			»	آلا تا نخسبی بغفلت که نوم
۳۵	۵۸۹	۲۹		قزل أرسلان	»	یکی را حکایت کنند از ملوک
۳۶	۶۱۸	۵			»	جهان ای پسر ملک جاوید نیست
۳۷	۶۲۳	۱۴			»	شنیدم که در ملک مصر میری أجل
۳۸	۶۳۷	۱۴			»	قزل أرسلان قلعه سخت داشت
۳۹	۶۵۱	۳			»	چنین گفت شوریده در عجم
۴۰	۶۵۴	۹			»	چو آلب أرسلان جان بجان بخش داد
۴۱	۶۶۳	۱۵			»	حکیمی دعا کرد بر کیقباد
۴۲	۶۷۸	۷۶			»	شنیدم که از باد شاهان غور
۴۳	۷۵۴	۲۲			»	چو دور خلافت بمأمون رسید
۴۴	۷۷۱	۲۲			»	شنیدم که از نیکمردی فقیر
۴۵	۷۹۸	۲۴		المأمون	»	یکی مست زن بخت ورزی نداشت
۴۶	۸۲۲	۱۹			»	حکایت کنند از جفا گستری
۴۷	۸۴۱	۴۰			»	همی تا بر آید بتدبیر کار
۴۸	۸۸۱	۱۰			»	دلاور که باری تهور نمود
۴۹	۸۹۱	۱۸			»	بپسکار دشمن دلبران فرست
۵۰	۹۰۹	۷			»	چه خوش گفت گرگین بفرزند خویش
۵۱	۹۱۶	۶			»	دوتن پرورای شاه کشور کشای
۵۲	۹۲۲	۶			»	نگویم ز جنگ بد اندیش ترس
۵۳	۹۲۸	۸			»	میان دو بد خواه کوتاه دست
۵۴	۹۳۶	۱۰			»	چو شمشیر پیکار بر داشتی
۵۵	۹۴۶	۱۵		گرگین	»	گرت خویش دشمن شود دوستار
۵۶	۹۶۱	۱۰			»	بتدبیر جنگ بد اندیش کوش
—	۹۷۱	—			»	
			۳ +	۱۳ +	۴۰ =	۵۶ =

قصص باب العدل التي تدور حول شخصيات تاريخية

ينتظم هذا الباب - كما رأينا - ستاً وخمسين قطعة، في تسعمائة وواحد وسبعين بيتاً. وهو من حيث عدد القطع، والأبيات، أطول أبواب الكتاب على الإطلاق. إذ يبلغ وحده خمس الكتاب تقريباً، وتتوزع قطعه كالآتي:

١ - ثلاث قصص عن سعدى.

٢ - ثلاث عشرة قصة عن شخصيات تاريخية.

٣ - أربعون قصة من القصص العامة.

أما من ناحية تناول الشاعر لأشخاص هذا الباب، فهو متناسب معه تمام المناسبة. فهذا باب الملوك، يعدُّ له كثيراً من الملوك والحكام، من مختلف العصور والبيئات، وهو يعطي الشخصية الدور الذي يناسبها، أو يعدها لقصة تناسبها.

وقد تناول في هذا الباب - كما رأينا من الجدول السابق - شخصية إيرانية من التاريخ الإيراني الأسطوري هي «جمشيد». وشخصية من الدولة الفارسية التاريخية، القديمة هي «دارا». ثم تناول شخصيات مختلفة من أسرة الأكاسرة. «كسرى وهرمز» و«خسرو وشيروه» و«شاپور وخسرو».

ثم انتقل إلى العصر الإسلامي، فتناول من ملوك الإسلام «عمر بن عبدالعزيز» ومن الحكام «الحجاج». وتناول «المأمون» في الدولة العباسية.

ومن الدول الإسلامية الأخرى «قزل أرسلان» و«تسكلكة بن زنگي». ومن الأبطال في التاريخ الإيراني الأسطوري «گورگين».

وللشاعر غرض من كل ذلك، يريد أن يعطي للأمير الحاكم، قدراً من النصائح والمعلومات في أمور الدنيا، وتديبير شئون الملك، ورسوم السياسة العادلة

وأى طريق أحب إليه ، أو أسهل عليه من أن يلقى هذه النصائح ، أو تلك المعلومات — سواء أكانت مختزعة من جانبه أو مروية — عن قوم مضوا وخلفوا الدنيا بعدهم ، ويدفع إليه ما يريد من المعلومات على لسانهم ، لا على لسانه هو .

أليس هذا من وسائل إحكام القصة ، بجانب ما فيها من التأدب ، بما يناسب مكانة الأمير مع الشاعر ؟ أليس من وسائل التلطف مع الأمير ، أن يسوق إليه النصيحة ، ملقاة على لسان ملك ينصح ابنه أو عامله ؟ فيرسم له الخطة فى معاملة الرعية أو العمال ، أو فى سياسة الجيش ، أو فى معاملة الأجانب ، أو غير ذلك مما سيبدو .

والشاعر من ناحية أخرى ، يحكم القصة من طريق آخر ، فكل القصص التى تناولت شخصيات إيرانية قديمة قبل الإسلام ، نقل عنها الكلام على طريق الرواية سماعاً ، فيقول فى كل منها مفتتحاً لها بكلمة « شنيدم » أى « سمعت » ، فيزداد تلطفاً مع الأمير ، وينقل إليه الأمر سماعاً .

وسنتناول هؤلاء بحسب الترتيب الذى سقناه سابقاً ، من حيث الزمن الذى عاش فيه كل شخص ، مراعين التناسب فى الموضوع .

وسنرى أن الشاعر لم الماماً كبيراً ، بما يحيط بالشخصية أو بتاريخها ، ثم كيف أحكم القصة حولها ، من حيث الارتباط بزمنها ، وما اشتهرت به . ومن حيث المعلومات التى أبدأها على لسانه .

قصة جمشيد

وماذا يعرف عن جمشيد تاريخياً ؟ وما هى الأدوار التى يمكن أن تسند إليه ؟

وجمشيد من الأسرة الأولى الأسطورية فى التاريخ الإيرانى المتوغل فى القدم ، والتى تسمى بالدولة « الپشدادية » تذكر عنه الشاهنامة أنه أول من أذعن لطاعته جميع الثقلىن ، وعمر العالم وشر العدل والإحسان ، وأعدآلات الحرب ، وشيد المدن ،

وصنع السفن ، وتنقل بها خلال البر والبحر ، ورصع تاجه بالجواهر ، وجعل له حملة من الجن ، ثم أصابه الغرور ففرق عن الدين وأطلق يده في الظلم ، وأمر بصنع تماثيل من صورته لعبادته ، فلما شاع ظلمه وغروره ، استجار الناس « بالضحاك » والتفتوا حوله حتى قبضوا عليه ، وانتهى أمره بعد حكم دام سبعائة سنة^(١) .

هذا ملخص حياة جمشيد ، أطاعه العالم كله ، وظل حكمه سبعائة عام ، فإذا يصلح له من الأدوار ؟

تأتى قصته فى الباب « الثانية عشرة » فى ستة أبيات . وعنوانها فى سودي « در أحوال دنيا » ورقم مطلعها ٢٩٧ وهو :

— سمعت ، أن جمشيد النبيل الأصل
كتب على لوحة ، عند فوهة عين^(٢) .

فماذا تخير الشاعر « جمشيد » لقصة تدور حول أحوال الدنيا ؟ . ولماذا تخير الشاعر لقصته أيضاً عين ماء ، نقش عبارته بجوارها ؟ أليس جمشيد من ملوك أول دولة متوغلة فى القدم فى التاريخ الإيراني ؟ أليس ملكه أوسع ملك فى العالم ، فأطاعه الجن والأنس ؟ أليس عمره أطول عمر فى الحياة ؟ أليس هو أصلح شخصية يحملها الشاعر — عبر القرون — ليلقى على لسانها حكمة أو موعظة فى أحوال الدنيا . ولماذا تخير الشاعر عين الماء ؟ أليس يتردد عليها كثير من ينهلون منها ، ثم يذهبون ؟ أليس فى معناها شها بالدنيا ، والواردون عليها كمن يرد على هذه الحياة من الناس ؟

والقطعة على قصرها فيها جانبان .

١ — جانب للموعظة ، ودعوة للنظر ، فى أمر هذه الدنيا

(١) انظر الشاهنامه العربية للدكتور عزام بك فى قصة جمشيد ص ٢١ — ٣٠
(٢) شنيدم كه جمشيد فرخ سرشت بسر چشمه بسنگى نوشت

— لقد ورد كثير مثلنا على تلك العين
لكنهم فاتوا ، ومضوا ، كطرفه عين^(١) .

ولن يبق من الدنيا سوى العمل الصالح . في قوله

— مضوا ، وجنى كل منهم ، ثمار ما زرع .
مضوا ، ولم يخلفوا إلا السمعة الطيبة أو السيئة^(٢)

٢ — جانب تعليمي في الإرشاد والنصح ، في قوله :

— إذا هزمت عدواً ، فلا تضاعف أذاه

فكم من الآلام ، تحتويها نفسه .

— ومن الخير أن تبقيه ، حياً بجانبك
من أن تحمل دمه في عنقك^(٣) .

وبمثل هذه البراعة يطوى الشاعر — في لفائف القصة — هذه المعاني التي
قصد إليها ، وبمثل هذا التأدب في مقام الأمير ، يرفع إليه هذه النصائح ، على لسان
ملك مضي .

قصة دارا :

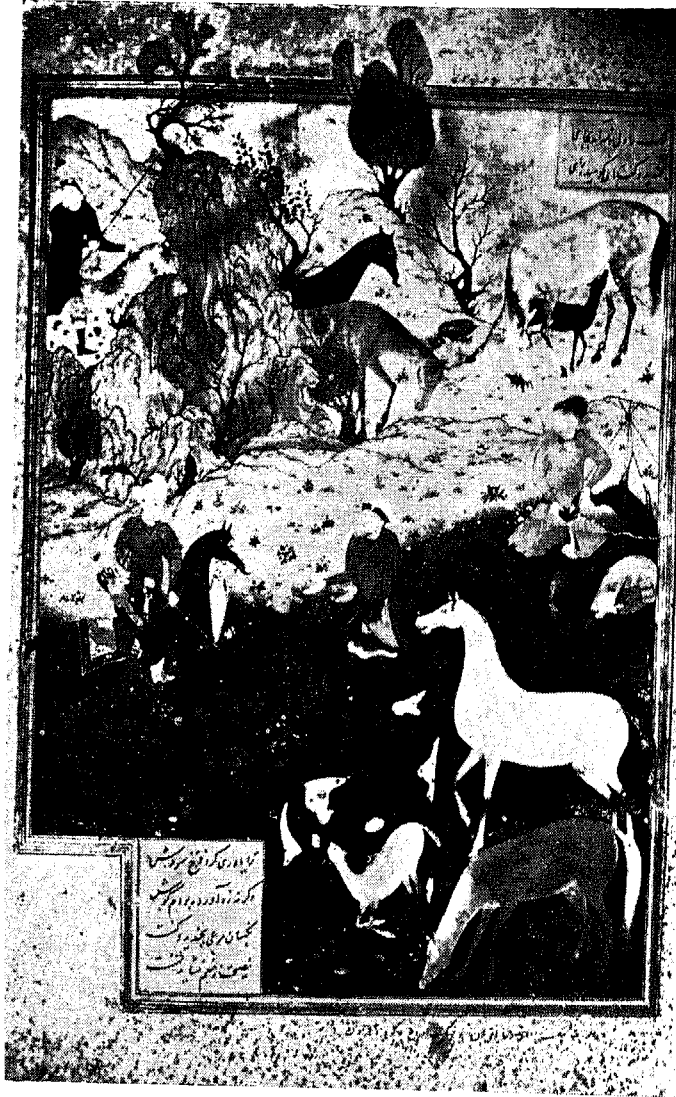
وتقع الثالثة عشرة ، وأبياتها ثمانية عشر بيتاً ، وعنوانها « نصيحت جوبان
بهردارا » أي « نصيحة الراعي لدارا » . ورقم المطلع ٣٠٣ وهو .

— سمعت أن دارا ، كريم المحتد

ضل عن حراسه ، في يوم صيد^(٤)

وماذا عن « دارا » ؟ وما أهم ما يناسب شخصيته من الأدوار ؟ أليس « دارا »

-
- | | |
|---------------------------------|----------------------------|
| (١) برين چشمه چون مابسی دم زدند | برفتند چون چشم برهم زدند |
| (٢) برفتند وهر يك درود آنچه كشت | نماند بجز نام نيكو وزشت |
| (٣) چو بر دتمنى باشدت دسترس | مرجانش كوراهمين غصه بس |
| عدو زنده سر گشته پيرامنت | به از خون او گشته در گردنت |
| (٤) شنيدم كه داراي فرخ تبسار | ز لسكر جدا ماند روز شكار |



صورة للملك « دارا والراعى » وبأعلى الصورة وأسفلها بعض
آيات من القصة عن النسخة الخطية ص ١٠ بدار الكتب

حاكماً على بلاد إيران التي توحدت؟ أليس في هذا الاتساع ما يستدعي طول
السهر على صالح الرعية؟

فيتخير الشاعر له موضوعاً يناسبه، ليخرج منه إلى المغزى الذي يقصده من
القصة. يجعل «دارا» وقد خرج يوماً للصيد، فنأى عن حرسه بعيداً، فجاءه راع،
وتقدم منه مسرعاً. فخشيته — قائلاً في نفسه — لعل هذا عدو جاء ليقضى
على، فلا أسرع لأقتلنه. فما كاد يهّم بذلك، حتى ناداه الرجل:

— يا ملك إيران وتوران

لتبعد — عن عهدك — عين الردي.

— أنا، من يقوم بحراسة خيل الملك

وارعاها، في هذا المرعى^(١).

فرد الملك سهامه، وضحك قائلاً له، يا سفيه الرأي! لقد حالفك الحظ
السعيد، وإلا فقد كدت أقضى عليك. ثم ينتقل الشاعر إلى مغزى القصة،
فيجري على لسان ذلك الراعي، رداً على الملك، في وجوب معرفته لرعيته.

— ليس من التدبير المحمود، ولا من الرأي السديد

ألا يعرف الملك، عدوه من صديقه.

— فشرط الرئاسة في الحياة

إن تعرف كل فرد، من يكون^(٢)؟.

(١) بكفت ای خداوند ایران و توران
من آنم که اسبان شه پرورم
(٢) نه تدبیر محمود و رای نکوست
چنانست در مهتری شرط زیست
که چشم بد از روزگار تو دور
بخدمت بدین مرغزار اندرم
که دشمن نداند شهنش زدوست
که هر که تیرا بدانی که کیست؟

قصص ملوك الأكاسرة :

وقد اشتهر هؤلاء في تدبير الملك ، وحسن السياسة ، وابتكار أساليب الحكم في الرعية ، وإقرار النظام ، ووضع الدستور ، في اختيار الموظفين ، ومعاملة الرعية بالحنى ، والسهر على راحتها . وعلى العموم حسن درايتهم بالنظم الداخلية والخارجية .

وهكذا تناولهم الشاعر من تلك النواحي ، يعرض على ألسنتهم — باختلاف شخصيتهم — ألواناً من هذه المعاني .

قصة كسرى وهرمز :

وتقع هذه القصة الرابعة ، في واحد وعشرين بيتاً ، وبيت مطلعها الواحد والثلاثون ، وعنوانها « پند دادان كسرى هرمزرا » أى نصيحة كسرى لهرمز ، وهو أيضاً يرويها — كعادته فيما أشرنا — بالسمع :

— هكذا ، سمعت ان أنوشروان
قال لهرمز ، وقت نزع الروح (١) .

والقصة — في مجموعها — تعالج أمور الرفق بالرعية ، والسهر عليها ، وبذل ما يمكن لراحتها :

— إنه لا يستريح أحد في ديارك
مادمت تطلب راحة نفسك .
— وليس — كريماً — في نظر الحكيم
أن ينام الراعى ، والذئب في الغنم (٢) .

بهرمز چنين گفست نوشيروان
چو آسایش خویش جوئی وبس
شبان خفته وگرگ درگوسفند

(١) شنیدم که در وقت نزع روان
(٢) نیا ساید آندر دیار نوکس
نیايد بنزدیک دانا پسند

— إن الرعية كالجذر ، والسلطنة كالشجر
والشجرة يا بني ! قوية بقوة الجذر .
— ولا تجرح — ما استطعت — قلوب شعبك
فإنك إن جرحتها ، اقتلعت جذرك (١) .
— ولا ينبغي قتل الرعية
فإنها ملاذ السلطنة ، وظهرها .
— وارع الفلاح من أجل نفسك
فإن العامل السعيد يأتي بعمل وافرك (٢) .

قصة خسرو وشيروه :

وهي من نفس معنى القصة السابقة ، نصائح يلقها الشاعر على لسان «خسرو»
إلى «شيروه» ، وترتيب القطعة الخامسة بين قطع الباب ، وأبيات سبعة عشر ، وعنوانها
« بندادن برويز بشيروه » ومطلعها الثاني والخمسون ، على طريق الرواية
سماهاً أيضاً :

— سمعت أن خسرو قال لشيروه
في اللحظة التي أطبقت فيها عن العالم عينه (٣) .

ويمضي الشاعر في إظهار معاني العطف على الرعية ، والدعوة إليه ، في كثير
من الأبيات :

— افعل — دائماً — كل ما تريد
لكن انظر في صلاح أمور الرعية (٤) .

-
- | | |
|--|--|
| (١) رعيت جويبخند و سلطان درخت
مكن تاتسوانی دل خلق ریش | درخت ای سر باشد از بیخ سخت
و گرمی کنی می کنی بیخ خویش |
| (٢) رعیت تشاید پیدا دگشت
مراعات دهقان کن از بهر خویش | که مرسلطنت را بنهند و پشت
که مزد ور خوشدل کند کار پیش |
| (٣) شنیدم که خسرو بشیروه گفت | در آن دم که چشمش زدیدن بخفت |
| (٤) بر آن باش هر چه نیت کنی | نظر در عدد صلاح رعیت کنی = |

— ولا تلو رأسك عن العدل والرأى
 حتى لا يعصى الناس أمرك .
 — من ذا الذى عاش منعماً فى الآفاق ؟
 أكثر من عاش منصفاً فى ملكه للخلق .
 — فحين يغترب عن هذا العالم
 مطرون — على تربته — غيث الرحمة ^(١) .

ثم يتناول الشاعر — فى هذه القطعة — معنى من المعانى الأخرى فى سـ:
 اختيار العمال :

— ول على الرعية من يخشى الله
 فإن التقى ، الطاهر ، عمارُ الملك ^(٢) .

ثم يبين مدى الفساد بين العمال ، والسكوت على مظالمهم فى قوله :

— إن الذى يمتص دماء الخلق من أجلك
 إنما يفكر السبوء بك ^(٣) .

ثم يعرض لأمر محاسبة العمال فى قوله :

— لا تعاقب المؤذى بأخذ أمواله
 بل يجب اقتلاع جذره من أساسه ^(٤) .

-
- = ألا تانيچی سر از عدل وراى
 (١) از آن بهره ورتو در آفاق کیست ؟
 چه نویت رسد زین جهان غربتش
 (٢) خداتوس بر رعیت گمسار
 (٣) بداندیش تست آن وخونخوار خلق
 (٤) مکافات مؤذى بمسالش مکن
- که مردم ز دستت نیچند پای
 که در ملک رانی بانصاف زیست
 ترحم فرستنسید بر تربتش
 که معمار ملکیت پرهیز کار
 که نفع تو جوید در آزار خلق
 که پیخش برآورد باید زین

— ولا ينبغي السكوت على عامل ظلم
بل ينبغي سلخ جلده عند السمن
— واقطع — سربعاً — رأس الذئب
ولا تنظره حتى يزرق خراف القوم.

قصة شابوز وخسرو :

وتقع السابعة في الترتيب ، وأبياتها واحد وأربعون ، وبيت المطعم رقم ٨٢
والقطعة على لسان وزير أمضى مدة في خدمة المليك ، حتى استخلف غيره .
فأخذ ينصح المليك بعدة نصائح ، هي عصارة تجاربه وخبرته . ومطلعها :

— سمعت أن شاپور أصابته حسره
حين استخلف خسرو على أعماله^(١)

وتمضى القصة في عرض طائفة من النصائح في مختلف المعاني .

١ — العناية بالموظفين بعد ترك خدمتهم .

— بما أنى بذلت شـبابى ، من أجلك ،
فلا تحرمني وقت الحرَم من رعايتك^(٢) .

٢ — وفي عقاب الموظفين .

— إذا لم يكف المشرف على الأمانة يده

فينبغي أن يعين رقيب ، عليه

— فان اتحد الرقيب ، والمشرف

فارفعهما من العمل معاً^(٣)

که آفر بهی بایدش کند دوست
نه چون گوسفند ان مردم درید
چو خسرو برسمش قلم در کشید
بهنگام بیری مرانم ز پیش
بماید برو ناظری بر گماشت
زمشرف عمل برکن و ناظرش

== ممکن صبر بر عامل ظلم دوست

سرگسنگ باید هم اول برسد

(١) شنیدم که شاپور دم در کشید

(٢) چو بذل تو کردم جوانی خویش

(٣) چو مشرف دودست از امانت ندانست

ورونیز در ساخت با خاطرش

وإذا عُزلت أحداً من منصبه
فأعف عنه ، إذا مضت عليه مده (١)
فإن أسديته النصيح ، ولم يستمع
فألقه في السجن والقييد (٢)

٣ — ثم دعوة إلى العمل ابتغاء حسن السمعة في قوله

— لم يأت أحد إلى الدنيا ، نال فيها الخلود
إلا من بقى بعده الذكر الحميد (٣) .
— فإن ذهب ، ولم يبق أثر بعده
فلا يليق أن تقرأ الفاتحة بعد مماته (٤) .

قصة مكرمين :

وهذا الاسم يرد في الشاهنامة « كرجين » وهو بطل من الأبطال القدماء
الإيرانيين ، يقال إن « بهرام گور » كان من نسله (٥) .

وقصته تقع الخمسين في الترتيب ، وأيامها سبعة ، وهي من قبيل القصص
الاستطراذية التعقيبية ، انتقل بها الشاعر لتقوية المعنى الذي انتهى إليه في القصة
السابقة له .

وكان الحديث فيه عن شجاعة رجل من رجال الحرب بقوله .

-
- (١) بکی راکه معزول کردی زجاء چو چندی برآید ببخشش گناه
(٢) چو باری بگفتند و نشنید بنسبند بده گوشمالش بزند ان و بنسبند
(٣) نیامد کس اندر جهان کو بماند مگر آن کزو نام نیکو بماند
(٤) وگر رفت و آثار خبرش نماند نشاید پس از مرگش الحمد خواند
(٥) الشاهنامه العربية للدكتور عزام بك ج ٢ ص ١٧٩ — حاشية .

إن المخنث خير ممن يتقلد السيف

ويفر يوم الهيجاء ، كأنه امرأة (١).

هذا هو آخر بيت في القطعة التي سبقتها ، فرغب الشاعر أن يورد قصة على

لسان بطل مارس الحرب وعركها ، فتخير لها هذا البطل القديم .

واستهلال القطعة هنا مخالف للقطع السابقة ، وبيت الاستهلال يقع التاسع

بعد التسعمائة ، يورده الشاعر بكلمة استحسان ، ترد على لسان البطل .

ما أحسن قول گرگین إلى ابنه !

حين لبس الدرع وتقلد السلاح (٢).

ثم يمضى في تقوية المعنى في قوله .

— إذا كنت تفر في الهيجاء ، كما تفر النساء

فلا تذهب ولا ترق ماء وجه الأبطال .

— فالفارس الذى يولى بظهره يوم القتال

لم يقتل نفسه فحسب ، بل يقتل سمعة الأبطال (٣).

قصة عمر بن عبد العزيز

وقصته السادسة عشرة ، تبدأ بالبيت ٣٣٤ . فى تسعة عشر بيتاً .

تدور القصة حول معنى اشتهر به ابن «عبد العزيز» وهو مبلغ الإشفاق على

الرعية ، والتجرد من مظاهر الترف والزينة . ويتخير الشاعر للقصة موضوعاً يدور

حول خاتم ثمين ، يملكه عمر بن عبد العزيز ، ويدير القصة على لسان أحد العظماء

فى قوله .

که روز غوغا سر بتابد چو زن

چو قربان پیکار بر بسب و کینش

مرو آب مرد ان جنگی مربـ

نه خود را که نام آور انرا بکشت

(١) مخنث به از سرد شمشیر زن

(٢) چه خوش گفت گرگین بفرزند خویش

(٣) اگر چون زنان جست خواهی گریز

سواری که در جنگ بنمود پشت

— یحکی أحد العطاء الأجلاء
 عن عمر بن عبد العزيز .
 — أنه كان لديه فص خاتم
 عجز الجوهري عن تقدير ثمنه^(١) .

ویمضی فی إبراز قيمة هذا الخاتم الثمين ، وأنه كان ينير الدنيا ، حتى تبدو كأنها
 النهار ، فنزلت بالقوم سنة قاسية ، فعرض الخاتم في السوق فباعه . وتمضى
 القصة فتقول :

— أنفق ثمنه في أسبوع واحد
 منحه للفقير ، والمسكين ، والمحتاج .
 — فأشبعه الناس ملامة ، وطعناً
 قائلين له ، لن تحصل على مثله مرة أخرى^(٢) .

وهنا ينتقل الشاعر إلى مغزى القصة ، فيجری على لسان «عمر» هذا الرد :

— قبيح الملك أن يطلب الزينة
 وقلوب الرعية جرحى ، بما هم فيه من الحاجة .
 — لا ضير أن يكون بلا فص — خاتمی
 لكن لا يليق أن تكون قلوب الخلق في غم^(٣) .

والشاعر يختم القصة بدعوة عامة إلى الإصلاح ، وإلقاء بعض أبيات للنصح
 والإرشاد ، مشيراً فيها إلى حاكم شیراز ، المقصود بهذا التوجيه :

- | | |
|--------------------------------|----------------------------|
| (١) یکی از بزرگان أهل تمسيز | حکایت کند زابن عبد العزیز |
| که بودش نگینی در انگشتی | فرمانده در قیمتش جسوهری |
| (٢) بیک هفتسه نقدش بتاراج داد | بدر ویش و بسکین ومحتاج داد |
| فتادند دروی ملامت کنسان | که دیگر بدستت نیاید چنان |
| (٣) که زشتست بیرابه بر شهر یار | دل شهری ازنا تسوائی فگار |
| مرا شاید انگشتی بی نگین | نیاید دل خلق انسد وهگین |

— إذا نام المليك منعماً على فراشه
فلمست أظن الفقير يستريح في نومه
— لكن إن سهر على صالح أمته
نام الناس في ترف وراحه
— والحمد لله تعالى ، فهذه السيرة الحميدة
هي سيرة الأتابك أبي بكر بن سعد (١)

أليس في هذا رسم خطة يريدھا الشاعر في كل الحکام ؟ أليس يرغب أن
يكون أمير شیراز على تلك الخطة ؟ أليس يدفع إليه هذه الأبيات الأخيرة ، وكأنما
يتأكد مقدماً أن الأمير على مثل هذه الخطة ؟ .

قصة الحجاج

والقطعة رقمها الواحد والثلاثون ، وبيت المطلع ٥٦١ وعدد أبياتها عشرون .
وماذا يشتهر عن الحجاج إلا الظلم ، والعسف ، وأخذ الناس بالقوة ؟
فيأتيه الشاعر برجل طيب ليعرض مبلغ قسوة الحاكم وظلمه ، لمجرد الشبهة ،
ولو كانت ممن لا شبهة فيهم ، وعنوانها « يوسف حجاج ومرد حق گوی » الحجاج
والرجل الصادق ، ومطلعها :

يحكى أن رجلاً من الأخيار
لم يبال بتعظيم الحجاج بن يوسف (٢)

ثم ينتقل الشاعر فيبرز معنى سرعة الغضب عند الحجاج ، ومبلغ القسوة
بمجرد الشبهة . فيردف المطلع بهذا البيت :

-
- (١) اگر خوش بخسبد ملك بر سریر
وگر زنده دارد شب دیر باز
بمحمد الله این سیرت وراه راست
حکایت کنند از یکی نیکمسررد
- نیندا رم آسوده خسبد فقیر
بخسبد مسردم بآرام و نساژ
أتابك أبو بكر بن سعد راست
که اکرام حجاج یوسف نکرد

— فأتلى نظماً حادة إلى رئيس ديوانه
قائلاً ! ألق النطع واسفك دمه (١) .

ولكى ييث الشاعر روحاً في القصة ، يجعل الرجل يغلب عليه الضحك
والبكاء ، فيعجب الحجاج لذلك ، فيسأله . ماذا أضحكك ؟ وما يبكيك ؟ فيجيبه
الرجل بمعنى آخر ، أدعى إلى العطف عليه :

— إن بكأى من الدهر
فلى أربعة من أطفال مساكين .
— وإن ضحكى من اطف الله الرحيم
أنى أنا المظلوم ! يسفك دمي ، ويبقى الظالم (٢) .

أنظر في الأول ، معنى استدرار الرحمة ، وفي الثانى مبلغ حرص الشاعر على
استقامة القصة . فيجعل قضاء الله لطفاً منه ، مما يناسب أن يصدر من الصالحين .
ثم يمضى الشاعر فى تصوير معنى الظلم ، ومبلغ قسوة الحجاج ، حتى ينتهى
به الأمر إلى القضاء على الرجل ظالماً ، وهنا يبدو نوع من براعة الشاعر ، فيجعل
النهاية فى القصة من قبيل الرواية سماعاً .

— سمعت أنه لم يذعن للنصح ، وسفك دمه
ومن ذا الذى يستطيع أن يفر من حكم الله ؟؟ (٣) .
ثم يخرج من هذه القصة بهذه المعانى العامة فى معاملة الرعية :
— إن المظلوم لا ينسام ، فاخش آهاته
واخش أنفاس قلبه حتى ينكشف الصباح (٤) .

-
- | | |
|----------------------------------|------------------------------|
| (١) بسر هنگ دیوان نگه کرد تیز | که نطعی بینداز و خونسش بریز |
| (٢) بگفتاهمى گریم از روزگار | که طفلان بیچاره دارم چهار |
| همی خندم از لطف بزدان پاک | که مظلوم رفتم نه ظالم بخاک |
| (٣) شنیدم که نشنید و خونسش بریخت | زفر مان داور که داند گریخت ؟ |
| (٤) خفتست مظلوم از آهش بترس | زدود دل صبحگاهش بترس |

قصة المأمون

يُعدُّ لها جارية من جوارى القصور التي كانت تزخر بها قصور آل عباس ،
ويجربى على لسانها بعض أدوار القصة ، ولكنه لا يحدد فيها عن الطريقة التي
التمها ، من إبراز المعاني ، وراء المجسمات والحوادث .

يُؤتى للمأمون بالجارية الجميلة ، فتتفر منه ، وهو الخليفة الذي ليس في الملك
مثله بسطة ، وسعة ، ورفاهية .

والقصة تقع في الترتيب ٤٣ في ٢٣ بيتاً ورقم المطاع ٧٥٤ وعنوانها « مأمون
خليفة باكنيزك » الخليفة والجارية ، ومطلعها :

— حين وصل دور الخلافة إلى المأمون
ابتاع جارية فائنة ، كأنها البدر (١) .

ثم يمضى في وصف جمالها ، لكنها تنفر من المأمون ، فيغضب ، ثم يتألك نفسه ،
فيسألها ما يغضبها ؟ فتوضح له ما تلقاه من عناء في راحة فمه ، ثم يبرز الشاعر مدى
حكمة المأمون ، وترويه ، واستجابته لرغبات جاريته .

— تكلم مع من يعرفون الطباع من كل إقليم
وسأل كثيراً ، من كل جهة (٢) .

ثم ينتقل الشاعر إلى المعنى المقصود من القصة ، وهو تقبل النقد ، وسعة
الصدر ، والحلم عند الغضب .

— إن الذي يريد لك الخير ، هو — في رأيي
من يقول لك يا فلان ! إن الشوك في طريقك (٣) .

-
- (١) جودور خلافت بمأمون رسيد بكى ساه بيكر كنيزك خريسد
(٢) طبيعت شناسان همر كشورى سخن گفت باهر بك از هردي
(٣) بنزد من آنكس نكو خواه تسن كه گويد فلان خاردر راه تسن =

— أما أن تقول للضال إنك تسير سير المستقيم
فإن ذلك جفاء تام ، وجور عظيم .

قزل أرسلان ، وفيه قصتان :

قصته الأولى تعالج غرور الملوك ، وقد كان قزل أرسلان من أتابكة آزر بيجان
المشهورين ، حكم من سنة ٥٨١ — ٥٨٧ هـ . ومدحه كثير من مشاهير الشعراء
الإيرانيين المعاصرين له . مدحه النظمي الكنجوي ، ومجير الدين البيلقاني ،
وظهیر الدين الفاريابی (١) .

والقطعة الأولى من هاتين القطعتين ، الثانية في الباب وأبياتها ١٤ ورقم مطلعها ٧
وعنوانها « نصيحة الملوك على وجه التعريض بظهير » . وظهير هو الفاريابی السابق
الإشارة إليه . والتعريض به هنا لأنه مدح الأمير بقوله :

— وَضَعَ الْفَكْرُ تَحْتَ أَقْدَامِهِ تِسْعَةَ كِرَاسِي مِنَ الْفَلَكَ
حتى يستطيع أن يقبل ركاب قزل أرسلان (٢) .

فأراد الشاعر أن يستحضر شخصية خدعت بالغرور والكبرياء ، واستجاب
الشعراء لها بهذا الغرور ، فتخير « قزل أرسلان » وتلقف بيت « الظهير »
وعرض به في مطلع قطعته :

— أى حاجة لك حتى تضع كراسي الفلك التسع
تحت أقدام قزل أرسلان!؟ (٣) .

= بگمراه گفتن نگو مسیری جفائی تما مست وجوری قسموی

(١) انظر تراجم هؤلاء الشعراء وصلتهم بهذا الأسير في ترجمة تاريخ الأدب الفارسي

(٢) نه كرسی فلك نهد آندیشه زیر پای تابوسه بركاب قزل أرسلان دهد

انظر شرح جراف ص ٢٨ وسودی ص ٨

(٣) چه حاجت كه نه كرسی آسمان نهی زیر پای قزل أرسلان

وهذه القطعة تقوية للمعنى الذى ساقه الشاعر فى القطعة التى سبقتها . يعرض لموقفه من مدح الملوك ، ويرى أن يتجرد الإنسان من الطلب والحاجة ، حتى لا يتصنع فى مدحه ، وهذا يبين لنا مدى محافظته على الروح الأخلاقية ، التى كان يتطلبها .

— لا تسلك ياسعدى طريق التكلف
فإن كنت صدوقا . فاحضرا ! وتهيا للقول .

— إنك خبير بالطريق ، والمليك سالك لها
وأنت تنشدا لحقائق ، والمليك مستمع لها (١) .

هذا هو موقف سعدى من أمير إمارته ، وهذه هى المعانى التى انتهى إليها فى هذه القطعة ، فلما استقر هذا المعنى فى ذهنه ، عرض بقول « ظهير » فى مدح « قزل أرسلان » على الصورة التى وردت فى المطلع . والشاعر سرعان ما ينتقل إلى الغرض المقصود من استحضر « قزل أرسلان » فيعالج تواضع الملوك فى قصته .

— لا تقل ضع قدم العزة على الأفلاك
بل قل ضع وجهك مخلصاً على التراب (٢) .

— وإن كنت مطيعاً ، فاركع على أعتاب ربك
والقى تاج الملكة عن رأسك ! (٣) .

— وحين تطيع ، فلا تتحل بزينة الملوك
بل تضرع ، كالدرويش المخلص (٤) .

-
- | | |
|-------------------------------|----------------------------|
| (١) بىراه تكسلف مرو سىعدى | أگر صدق دارى بیار و بیسا |
| تو بنزل شناسی وشمه راه رو | تو حق گوئ و خسرو حقایق شنو |
| (٢) مگو باى عزت بىسر أفلاك نه | بگو روى إخلاص برخاك نه |
| (٣) أگر بنده سر برین دربنه | كلاه خىد اونسى از سر بنه |
| (٤) چو طاعت كنئ لبس شاهى مپوش | چو درويش مخلص برآور خروش |

وهكذا يمضي الشاعر في بيان الطريق إلى التواضع ، حتى ينتهي من القطعة بقوله :

— إذا كان العطاء مهيئون على بابك للخدمة
فلتحن أنت رأسك ، على أعتاب الله ، طاعة له (١).

★ ★ ★

أما القطعة الثانية فتد رقم ٣٨ ومطلعها ٦٣٧ وأبياتها ١٤ ، وتعالج القطعة مسألة أخرى ، هي أحوال الدنيا ، وأنها سريعة الزوال والانتقال . يتخير لهذا المعنى قصة تدور حول قلعة للأمير ، تستعصى على الزمن قوة وثباتا .

ويجعل الحديث بينه وبين سائح حكيم ، يقول في المطلع :

— كان قزل أرسلان ، قلعة منيعة
وكانت تفوق في علوها ، جبل ألوند (٢).

ويمضي في وصف القلعة ومناعتها ، ووعورة الوصول إليها ، وأمن الأمير بها ثم يدخل الشخصية الأخرى في القصة ، ويدير الحديث بينهما :

— قال قزل أرسلان ، هل رأيت
في سياحاتك العديدة ، مكاناً محكماً ، كهذا (٣).

فيجيبه الحكيم ضاحكاً ، ساخراً ، نعم ! إن قلعتك هذه عظيمة ، ولكني لست أظنها منيعة . وينتقل من ذلك إلى الغرض من القصة :

— ألم يكن قبلك من ملكها من العطاء ؟ ؟
عاشوا طويلاً ، لكنهم مضوا (٤) !! .

توبسر آستان عبادت سرت
که گردن بالونیسد برسفراشت
چنین جای محکم دگر دیده ای ؟
دمی چند بودند و بگذا تستند

(١) کمر بسته گرد نکشان بر درت
(٢) قزل أرسلان قلعه سخت داشت
(٣) قزل أرسلان چند بن که گردیده ای
(٤) نه بیش از تو گرد نکشان داشتند

ثم يختتمها بهذا المعنى العام، في تأييد المعنى السابق .

— الدنيا — لدى العاقل — لا تساوى شَرُّو نقيِر
فسرعان ما يخلفها قوم، مكان آخرين^(١) .

قصة تكله بن زنگي

وقصته ١٨ وأبياتها ١١ ومطلعها ٣٥٩ .

وماذا كانت شهرة تكله بن زنگي ؟ إنه اشتهر بالعدل ، وسعة السلطان ،
حتى فاق أنوشروان، وسليمان . مدحه بعض الشعراء بقوله .

فأين أنوشروان منه وعدله وأين سليمان النبي وخاتمه^(٢)

ومع ذلك ، كانت تغلب عليه الروح الصوفية ، حتى أنه نفر من السلطان .

ومطلع القطعه :

— جاء في أخبار الملوك السالفين

أن تكله ، حين جلس على عرش آل زنگي^(٣) .

ثم يدخل الشاعر أحد المتصوفة في القصة ، ليخلص إلى المعنى الذي يريد :

— قال ذات مرة ، لأحد الزاهدين

لقد انتهى عمرى دون أن أجنى ثمرا^(٤) .

ثم يرغب في الابتعاد عن الدنيا ، والانتقطاع إلى العبادة . لكن الشاعر

يرشد إلى طريق أقوم من هذا . وما الطريق الذي هو أقوم من الانتقطاع إلى

العبادة، عند ملك يريد أن يهجر الملك في سبيلها ؟ هنا يأتي الشاعر بالمعنى المناسب

لملك يشرف على رعيته .

(١) بسر مرد هشار دنبا خسست كه هر مدق جاي ديگر كسست

(٢) شيراز نامه ص ٥١

(٣) در أخبار سا هان بيشينه هست كه چون تكله بر تخت زنگي نشست

(٤) چنين گفت يكره بصاحب دلي كه عمرم بسر رفت ببحاصلي

— ليس الطريق سوى ، إلا في خدمة الخلق
لا بالتسبيح ، والسجادة ، والدلق .
— فامض على عرش سلطانك ،
وكن درويشاً في أخلاق الطاهرين ^(١) .

هذا هو منهج الشاعر في اختيار الشخصية ، ومباغ درايته بتاريخها وظروفها .
يستحضرها ، ويعد لها الدور المناسب ، ويجري على لسانها ، أو يستخلص
من قصتها معنى من المعاني .

وهذه هي القصص التي تناولت شخصيات تاريخية معروفة ، أدركنا منها
كيف أحكم الشاعر إدارة قصصه ؟ وكيف بلغ النتيجة التي يريد ، والمعنى
الذي يقصده .؟؟

وهناك — كما قلنا سابقاً — قصص أخرى من التي سميناها قصصاً عن «سعدى» ،
أو قصصاً عامة ، تكون مع القصص الشخصية جميع قصص الباب . وبعض
القصص العامة ، تدخل فيها شخصيات عرضية ، للتشبيه أو لتأكيد المعنى ،
وإدراك الصورة التي يطلبها الشاعر ، بالإضافة إلى المعاني التي تنطوي عليها هذه
القصص ؟ وهذا ما يدعونا إلى الكلام على مجموع الأفكار العامة التي تناولها
الشاعر في جميع الباب .

الأنظر العامة في باب العدل

تناول هذا الباب في مختلف القصص — بالإضافة إلى ما لاحظناه في القصص
الشخصية — مجموعة من الأفكار العامة تتمشى مع الغرض منه .

(١) طريقته بجز خدمت خلق نبيست بتسبيح وسجاده' ودلى نبيست
تو بر تخت سلطاني خویش باش بأخلاق پاکیزه در ویش باش

فهذا باب وضع للملوك وسياسة الملك ، فلا بد أن يعالج فيه الشاعر أموراً تتصل بهم ، كذلك كان من قصد الشاعر أن يرسم فيه دستور الملك يعالج به شئون الرعية . ويمكن تصويرنا لهذا كله في ناحيتين :

أولاً — تعرض الناحية الأولى لسياسة الملك الداخلية . وتناول فيها الشاعر أحوال ثلاث هيئات هي :

- (١) شئون الرعية . (٢) شئون الموظفين . (٣) شئون الجيش .
- ثانياً — والناحية الثانية تعرض للسياسة الخارجية . تناول فيها أحوالاً ثلاثاً :
- (١) خصوم الدولة . (٢) حالات الحرب والسلم . (٣) أمور الأجانب .

السياسة الداخلية :

١ - شئون الرعية :

ويبدو أن شئون الرعية وسياستها استنفذت كثيراً من أفكار هذا الباب ، يظهر ذلك فيما نلاحظه من كثرة النصائح التي كان يرددها — رواية وسماعاً — على ألسنة الملوك السابقين في نصائحهم لأبنائهم ، أو لعالمهم في إدارة دفة الحكم . فهو يشبهها تشبيهات كثيرة :

— الرعية كالشجرة ، إذا نالت رعايتك
جنيت ثمارها ، بقدر رغبتك .

— فلا تقتلع جذورها ، وثمارها بغير رحمه
فإن الجاهل يوقع الحيف بنفسه ^(١) .

— والرعية كالجذر ، والسلطان كالشجر
والشجرة يا بني! تستمدقوتها من الجذر ^(٢) .

(١) رعيت در خنست آگر پروری
بیر همت از بیخ و بارش مکن
بکام دل خویش بسر خری
که نادان کند حیف بر خویشن ق ١١

(٢) رعيت چو بیخند و سلطان درخت
درخت ای سر باشد از بیخ سخت =

— فلا تجرح — ما استطعت — قلوب رعيتك
 فإذا جرحتها ، اقتلعت جذرك^(۱) .
 — ولا ينبغي قتل الرعية ، ظالماً
 فإنها ملاذ السلطنة ، وظهيرها .
 — وارع الأجير ، من أجل نفسك ،
 فإن العامل السعيد ، هو الذي يأتي بعمل وافر .
 — وليس من المروءة أن تفعل الضرر
 مع من رأيت منه خيراً كثيراً^(۲) .
 — وحرام على المليك ، أن ينام سعيدياً ،
 إذا ترك القوى على الضعيف .
 — فلا تؤذ الرعية مقدار خردله ،
 فإن السلطان راع ، والرعية قطيعه^(۳) .
 — وإذا نام المليك مستريحاً على السرير
 فليست أظن يوماً هادئاً للفقير .
 — فإن سهر طويلاً على راحة الرعية
 نام الناس مستريحين ، وسعدوا به^(۴) .

== مکن ناتوانی دل خویش ریش وگر میکنی میکنی بیخ خویش ق ۴

(۱) رعیت نشاید بیسداد گشت که بر سلطنت را پناهند و پشت
 مراعات دهقان کن از بهر خویش که مزدور خوش دل کند کاربیش

مروت نباشد بدی بسما کسی کزو نیکوی دیده باشی بسی ق ۴

(۲) حراست بر پادشه خواب خوش چو باشد ضعیف از قوی بارکش
 م بازار عامی بیک خسردله که سلطان شبانست و عامی کله ق ۴

(۳) اگر خوش بخسید ملک بر سریر نپندارم آسوده خسبد فقیر
 وگر زنده دارد شب دیر بساز بخسبند مردم آرام و نساز ق ۱۶

— وقبیح للملك أن يطلب الزينة
 وقلوب أهل المدينة جريحة عجزاً.
 — طوبى لمن يؤثر راحة الناس رجالاً ونساء
 على راحة نفسه ، وشهواتها ^(۱) .
 ثم يعرض لشيء من العقوبات التي توقع حين الجرم :
 — التمس للمذنب عذر النسيان
 ولا تحرمه ان طلب الأمان .
 — وان لجأ إليك مذنّب
 لا ينبغي أن تقتله أولاً بذنبه .
 — فإذا نصحته مرة ، ولم يستمع لنصحتك
 فأسلمه إلى سجنك ، وقيدك .
 — فإن لم تثمر فيه النصيحة ، والسجن
 فاقتله من جذره ، فإنه شجرة خبيثة ^(۲) .
 — ولا تؤذ الغريب الذي امتلأ رأسه بالفتنة
 بل اطرده بعيداً ، من الدولة .
 — فإن كان فارسياً ، ومن مواليدها
 فلا تنفه إلى صنعاء ، أو صقلاب ، أو الروم .
 لكن لا تأمنه ، ولو لوقت قليل
 ولا ينبغي أن توكل البلاء بالآخرين ^(۳) .

-
- (۱) که زشتست برایه بر شهریار
 خنک آنکه آسایش مرد وزن
 (۲) گنهکار را عذر نسیان بنه
 گر آید گنهکاری آنسدر بنه
 جو باری بگفتند و تشنید بنسند
 وگر بند و بندش نیاسد بکار
 (۳) غریبی که پرفتنه باشد سرش
 وگر سارسی بآسندش زاد و بسوم
 هم آنجا آسانش مده تا بجاشت
- دل شهری آژنا توانی قسار
 گز بنسند بر آرایش خویشتن ق ۱۶
 چو زهار خواهد زهارده
 نه شرطست کشتن بأول گناه
 بسده گوشالش بسزدان و بند
 در خقی خبیثست بیختن برآر ق ۷
 میازار و پیرون کن از کسورش
 بصنعاش مفرست و صقلاب و روم
 نشاید بلا بر دگر کس گماشت ق ۱۷

- وانظر في أحوال السـجـنـاء ،
فلعل من بينهم من هو برى^(١) .

٢ - شئون الموظفين :

والشاعر لا يتناول المسائل العامة وحدها ، فيدلى فيها برأيه ، ويطالب فيها بتوجيهاته . لكنه يتناول المسائل الخاصة ، المسائل العملية في سياسة الدولة .

يعرض لأموال الموظفين ويتناولهم من الوزراء إلى العمال . عرض لأمر اختيار الوزراء ، وتناول هذا المنصب ، وتناول ما يحدث بشأنه من الوشائيات في قطعة خاصة هي أطول قطع الباب ، بل لعلها كذلك أطول قطع الكتاب . ففي القطعة الثامنة وتبلغ مائة وعشرة أبيات ، يصور رغبة المليك في اختيار الوزير ، وما يحدث بين الوزراء من الحسد ، والغيرة . وهو يرسم للمليك الخطط لعلاج هذه المشاكل . وبجانب هذه القطعة ، تتردد بعض المعاني المتصلة بهذا الموضوع ، في قطع أخرى أهمها القطعة التاسعة .

وقد تناول الشاعر في موضوع الوزراء ، أهم شيء فيه ، وهو التنافس على كراسي الحكم ، وفي سبيل هذا التنافس تكثر الوشائيات ، وتحيط بالأشخاص ، فتفعل هذه فعلها في نفسية المليك ، فيغضب ، فيعالج عنده أمر الغضب ، ثم تتكشف الحقيقة لديه فيرتد إلى الصواب .

ونحن نتناول هذه الناحية من جانبها :

(١) السياسة مع الوزراء . (ب) السياسة مع بقية موظفي الدولة .

(١) نظرکن در أحوال زندانیان که ممکن بود بیگانه در میان ق . ١

۱ - السیاسة مع الوزراء :

یصور الوشایة فیما بینهم بقوله على لسان أحد الوزراء مخاطب الملیک :

— أنى للحسود الذى یرانى فى مكانه

أن یدكرنى بغير لسان السوء ؟؟.

— لقد اعتبرت نفسى عدواً له

منذ جعله الملیک تحت أمرى .

— ألا یعلم الملیک أنه حین یفضلنى علیه

سیكون عدواً لى ، یقتنى أثرى ؟^(۱) .

— إن لى أيضاً اسماً طیباً ، لكن خصمى

لا یدكره حسناً ، لعلة فى نفسه .

— فالوزیر الذى فقد مكانته بسبب جاهى

ینبغى أن أحسب منه كثيراً^(۲) .

ثم یصور الشاعر کیف استضاء الملیک ، عندما لمس براءة الوزیر :

— لست أخشى غضب الملیک

فإن البرىء شجاع فى الكلام .

— والذى یخشى الحسب

من كانت أثقال میزانه ناقصة .

— فإذا کتبت — صحیحاً — بقلمى

فکیف اغتم من یعرضون على ؟؟^(۳) .

(۱) حسودی که بیند بجای خودم

من آنگاه اندکاشتم دشمنش

چو سلطان فضیلت نهد برویم

(۲) مرا همچنین نام نیگست لیک

وزیری که جاه من آیش بر یخت

(۳) ولیکن نیند یشم از خشم شاه

اگر محتسب گردد آنسرا نمست

چو حرفم بسر آید ز دست از قلم

کجا بر زبان آورد جز بدم

که بشانند شه زبردست منش

نداند که دشمن بود در یم ؟ ق ۸

زعلت نگوید بد اندیش نیک

بفرستگ باید ز سرکش گریخت ق ۹

دلاور بسود در سخن بیگناه

که سنگ ترازوی بارش گمست

مرا از همه حرف گیران چه غم ؟ ق ۹

— استضاء المليك برأى الوزير
 حتى اغتم الوزير القديم بغم جديد .
 — لم ير ثغرة في ذلك العاقل
 حتى يمكن أن يطعنه بها .
 فالأمين ، ومفكر السوء ، كالطشت والتمل
 لا يستطيع التمل أن يحدث ثغرة فيه ^(١) .

ويعرض الشاعر مدى حلم المليك ، وعدم تأثير الغضب في نفسه، عند الوشاية في قوله :

— لو لم أكن قد اتبعت الأناة ، بتثقل
 لكنت عاقبته بقول خصمه
 — فالذي يمد يده سريعاً ، وهو في ثورة الغضب
 يعض بنان القدم أسفا .
 — فلا تنصت إلى كلام الوشاة
 فإذا عملت به ، فلا ريب أنك نادم ^(٢)
 — ولا تؤذ من عاش في رعايتك
 ولا تقتله بالسيف ، إذا أغضبك
 — وما دمت لم تتيقن من إثمه
 فلا تأخذنه بقول خصمه ^(٣)

-
- | | |
|--|--|
| <p>وزیر کهن را غم نو گرفت
 که دروی تواند زدن طعنه ای
 نشاید درو رخنه کردن بسزور
 بگفتار خصمش بیسازردمی
 بدندان بسرد رشت دست دریغ
 که گرکار بندی بشیان شوی
 چو تیر تو دارد بتیغش مسزن
 بگفتار دشمن گزندش مسخواه</p> | <p>(١) ز روشن دلش ملک پسترو گرفت
 ندید آن خرد مند را رخنه ای
 آمین وید آندیش طشتند و مسور
 بعقل آرنه آهستگی کردمی
 بتندی سبک دست بسردن دریغ
 ز صاحب غرض تا سخن نشوی
 میازار پسترو ده خوشتن
 کنون تا یقینت نگردد گناه</p> |
|--|--|
- ق ۸ ق ۹ ق ۸

ب - السياسة مع الموظفين :

- حکم في الرعية من يخشى ربك
- فإن العفيف عماد ملكك .
- والذي تمتص دماء الخلق من أجلك
- هو من يفكر السوء بك (١) .
- وينبغي أن يكون أميناً يرعى الله
- فلا تأمن لأمين يخافك وحدك .
- وينبغي أن يهكر الأمين في خشية ربه
- لا في رفع رانبه ، أو خوف زجره ، وهلاكه .
- واعط ، وحاسب من تعطى ، تعش آمناً
- فلن تجد واحداً من مائة أميناً (٢) .

كما يعرض الشاعر لسياسة عقوبة الموظفين ، وتأديبهم في قوله :

- إن المليك العادل ، في رعيته
- يغضب عليهم ، غضب الأب على ابنه .
- يضربه حيناً ، حتى يؤله
- وحيناً ، يمسح دموعه من عيونه البريئة (٣) .
- وإذا زلَّ الكاتب ، في عمله
- فلا تقطن جبال أمله (٤) .

-
- | | |
|---|---|
| <p>که معمار ملکست پر هیز کار
 که نفع توجسويد در آزار خلق ق ه
 أمين کز تو ترسد آمينش مدار
 نه از رفع ديوان وزجر وهلاك
 که از صد يکی را ننی أمين ق و
 بسدر وار خشم آورد بر سر
 گهی میکند آبش از دیده ياک
 بیفتد نبرد طناب أمل =</p> | <p>(١) خدا ترس را بر رعیت گمار
 بداندیتس تست آن وخوخواار خلق
 (٢) خدا ترس بایسد اما نتگزار
 أمين بابد از داو رد انديشناک
 بيشان ويشمار وفارغ نشين
 (٣) بفرمان بران برشسه دادگر
 گهش ميزند تاشسود دردناک
 (٤) نویسنده را اگر سستون عمل</p> |
|---|---|

— و إذا لم يكفَّ المشرفُ يده ، عن الأمانة
 فينبغي أن يعين رقيبٌ عليه .
 — و إذا عزلت أحداً ، من مكانه
 فاعف عنه ، حين تمضي عليه مده .
 — ولا تعاقب المؤذي بأخذ أمواله
 بل يجب اقتلاع جذره من أساسه .
 — ولا تصبر على عامل تمادي في بطشه
 بل ينبغي — متى سمع — أن تسلك جلدته (١) .

كذلك يتحدث الشاعر عن الذين تقادم عهدهم في الخدمة ، أو تركوها :

— زود قدر القدمات في خدمتك !
 حتى لا يغدر بهم ، من يقول بعدك .
 — وحين يتقادم العهد بخادمك
 لا تنس السنين التي أمضاها في خدمتك .
 — فإذا كان الهرم قد حال بين العمل ، وبينه
 فإن يدك الكريمة ، لا تزال موجوده (٢) .

٣ - شئون الجيش :

ولم تغف مقدرة الشاعر في رسم دستوره ، عند العناية بالرعية ، أو بالموظفين
 المدنيين . بل تناول أيضاً أمور الجيش ، ورسم الملك سياسة يسلكها حال السلم ،

== چو مشرف دودست از امانت نداشت	بیايد برو ناظری بر گماشت
یکی را که معزول کردی ز جاه	چو چندی بسر آید ببخشش گناه
(١) مکافات مؤذی بمالش مکن	که ببخش بر آورد باید زین
مکن صبر بر عامل ظلم دوست	که از فرهی بایش کند پوست
(٢) قدیمان خو در ا بیفزای قسّسدر	که هرگز نیاید ز پرورده غدر
چو خدمت گذا ریت گردد کهن	حق سالیانش فرامش مکن
گر او را هرم دست خدمت بپست	ترا بسر کرم همچنان دست هست

وحال الحرب ، ورعاية شئون الجيش ، في كلا الحالين ، ومسلكه مع العدو ، ومع الأسرى ، ومع البلاد التي يفتحها . مما يدل على مدى تجربته ، وخبرته في ألوان الحياة كلها . تلك الخبرة التي جمعها طوال عهده ، وخلال رحلاته .

وأول ما يطالعنا من أمور الجيش حديثه عن الأموال ، والخراج ، والخزانة . وعلاقة كل ذلك بتقوية الجيش لصيانة الدولة :

— لست أحصل على الخراج

من أجل زينتى ، وعرشى ، وتاجى .

— كم لى من ألوان الترف ، والهوى !

لكن الخزانة ليست ملكى وحدى .

— فإنما تمتلئ الخزائن لينفق منها على الجيش

لا على الزينة ، والزخرف ، والرياش (١) .

— وأكرم الجيش وقت الصفاء

فإنه يفتديك وقت الهيجاء (٢) .

— وارع اثنين ! أيها الملك الحبيب

أحدهما الحارب ، والآخر المجرب .

— ففكرة الدولة يكسبها العطاء

الذين يراعون الحاربين ، والعلماء .

— ومن لم يمارس القلم ، والسيف

فإن مات ، لا تحزن عليه ، ولا تأسف (٣) .

-
- (١) نه از بهر آن میستانم خسراج
مرا هم زصد گونه از وهواست
خزائن پر از بهر لشکر بسود
سپاهی در آسودگی خوش بدار
- (٢) دوتن پرورای شاه کشورگشای
زنام آوران گویى دولت برنسد
هر آنکو قلم را نورزید و تیغ
- که زینت کنم برخود و بخت و تاج
ولیکن خزینه نه تنها ماست
نه از بهر آیین وزیر بسود ق ١١
که در حالت سختی آیسد بکار ق ٤٨
- یکی اهل رزم و دیگر اهل رای
که دانا و شمشیر زن پرو رند
بروگر بمیرد مگو ایسد رغ ق ٨٥

ثانياً — السياسة الخارجية :

رأينا أن الشاعر تناول فيها أحوالاً ثلاثاً ، هي :

(١) خصوم الدولة (٢) حالات السلم والحرب (٣) أمور الأجانب

١ — خصوم الدولة :

حاول الشاعر أن يرسم سياسة للملك ، ليحذر أعداءه خارج دولته ، وينادي في هذه السياسة بما يأتي :

- ليس من الحكمة ، أن تعيش في أمن حتى ولو كنت ، بين عدوين ضعيفين (١) .
- ويجب أن تخفي للحرب استعدادك فإن العدو يخفي إغارته عليك .
- والحدز سياسة ذى الرأي السديد وتختار طليعة الجيش ، فإنها سددت من حديد (٢) .
- وإذا تمكنت باللين كسب الديار فلا تسفك دماء أحد بالدمار .
- فإنى بحق الرجولة أرى ملك الأرض كلها لا يساوى مسيل الدماء عليها (٣) .
- وانثر للعدو الذهب ، مكان الحسك فإن الإحسان يثلم الأسنان الحادة (٤) .

-
- | | | |
|--------------------------------|----------------------------|------|
| (١) میان دو بد خسواه کوتاه دست | نه فرزانگی باشد ایمن نشست | ق ٥٢ |
| (٢) بپاید نهان جنگ را سساختن | که دشمن نهان آورد سساختن | |
| حذر کارم سردان کار آگهست | یژک سد روئین لشکر گهست | ق ٥٢ |
| (٣) چو شاند گرفتن بنری دیسار | بپکار خون از مسسامی بیار | |
| بمردی که ملک سرا سر زمین | نیر زد که خونی چکد بر زمین | ق ١١ |
| (٤) عدو را بجای حسک زربر یسز | که احسان کند کند دندان تیز | = |

— و إذا لم تستطع أن تقطع يداً ، فقبلها !
 فإن الحيلة — مع الغالبين — هي الخديعة .
 — و إذا لم تستطع أن تهزم العدو بالقوة
 فينبغي — بالرضا — قفل باب الفتنة .
 — و إذا كنت تخشى الضرر من خصمك
 فاعقد لسانه ، بتعويذة إحسانك ^(١) .
 — و إذا كنت — عند الحرب — أقوى منه
 فليس من الرجولة أن تستغل عجزه .
 — فلو كانت لك قوة الفيل ، ومخلب الأسد
 فعندى أن تؤثر الصلح على الحرب .
 — واحذر هجوم الرجل المستضعف
 فكم رأيت سيولاً كثيرة من قطرات ^(٢) ! .
 — و إذا كلّت — عن كل حيلة — يدك
 فمن الخير أن تضعها على سيفك ^(٣) .
 — ولا تول قائداً على الجنود
 إلا من ذاق — كثيراً — مرارة الحرب .
 — ولا تكلف الصغار جسام الأمور
 فإن السنديان لا يكسر باليد ^(٤) .

-
- == چو دستی نتساید گزیدن ببوس
 (١) چو نتوان عدو را بقوت شکست
 گر آندیشه باشد زخصمت گزند
- که باغالبان چاره زرقت و لوس
 بنعمت بیایسد در فتنه بست
 بتعوید احسان زیانش ببند
- وگرزو تسوانا تری در فبرد
 (٢) اگر بیل زوری وگر شیر جنگ
 حذر کن ز پیکار گمتر کسی
- نه مردیست بر ناتوان زور کرد
 بنزدیک من صلح بهتر که جنگ
 که از قطره سیلاب دیدم بسی
- چو دست از همه حیلتي در گسست
 (٣) حلا لست بردن بشمشیر دست
- سپا هرا مکن پیشرو جز کسی
 (٤) بخردان مفرمای کسار درشت
 که در جنگها بوده باند بسی
 که سندان نشا بدشکستن بمشت

۲ - حالات السلم والحرب :

كذلك يرسم الشاعر خطته فيها ، في قوله من تضليل العدو :

— إن « الأسكندر » حينما تطلع إلى الشرق

قالوا إنه فتح باب خيمته نحو الغرب

— وحين رغب « بهمن » الذهاب إلى « زابلستان »

أشاع أنه ذاهب شمالاً ، بينما اتجه يميناً .

— فإنه إن أطلع غيورك على عزمك

حق لك أن تبكي على الرأي والحكمة (١) .

— وإذا بقي بين الجيشين مسير يوم

فأقم هناك ! واضرب الخيام .

— أأنت تعلم ، أن العدو إذا تقدم هذه المسافة

لم يبق له ساعد من القوة (٢) .

— وإن كنت في ألف ، وعدوك في مائتين

وجنّ عليك الليل ، فلا تمكث في أرض العدو .

— ففي الليل المظلم ، إذا كمن لك خمسون فارساً

فإنهم يحطمون الأرض مهابة ، وكأنهم خمسمائة .

— فإذا عن لك أن تقطع الطريق ليلاً

فاحذر مواضع المفاجأة أولاً (٣) .

- | | |
|---|--|
| <p>در خیمه گویند در غرب داشت
چپ آوازه افگند و از راست شد
بران رای ودانتن بهاید گریست ق ۵۶
بماند بزن خیمه بر جای گاه
سر بنجه زور مندش نمساند ق ۴۷
چو شب شد در اقلیم دشمن مأیست
چو بانصد بهیت بد رد زمین
حذر کن نخست از کین گاهها =</p> | <p>(۱) سکندر که با شرقیان حرب دانست
چو بهمن بزا بلستان خواست شد
اگر جز تو دا ندکه عزم توجیست
(۲) میان دولسکر چو یکروز راه
ندانی که دشمن چو یکروز راند
(۳) وگر خود هزاری و دشمن دویست
شب تیره بنجه سوار از کین
چو خسواهی بریدن بشب را هها</p> |
|---|--|

— ولا تتعقب من حلت به هزيمتك ،
فإنه لا ينبغي أن تبعد كثيراً عن أنصارك .
— ولا تكشف سرّك لكل إنسان
فكثيراً ما رأيتُ الجاسوس نديماً في الشراب^(١) .

فإذا ما انتهت الحرب وكانت الهزيمة للعدو ، فإنه يرسم له الخطّة ، فيما يأتي بقوله :

— إذا انتزعت بلاداً من عدوك
فأرّع أهلها أكثر منه .
— فإنك لو طرقت باب الحرب مرة أخرى
فإنهم جميعاً يقضون عليه^(٢) .
— وإذا انتصرت على عدوك ، فلا تؤذ
وكفاه إيذاء ما تجرعه من الغصه^(٣) .
— وإذا وقع قائد من رجال العدو في الأسر
فينبغي أن تتأني في قتله .
— فلو قتلت ذلك الأسير التعس
فلن تطرف عينك أسيرك^(٤) .

وماذا لو وقعت الهزيمة بجيشك ؟؟ .

— فإذا رأيت أعوانك الخالصين لا يصادقونك
فاغتنم الهزيمة ، وآثرها على الحرب^(٥) .

-
- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| نبايد كه دور اقي أز ياوران ق ٤٧ | = پس در قنای هزیمت سران |
| كه جاسوس همكاسه ديدم بسی ق ٥٦ | (١) منه در میان راز باهر کسی |
| رعیت بساماتر از وی بسمدار | (٢) جو برکندی از دست دشمن دیار |
| بسرآند عام از دباغش دسار ق ٥٥ | كه گرباز گوید در کارزار |
| سرنجانش کورا همین غصه بس ق ١٢ | (٣) جو بر دشمنی باشند دسترس |
| بکشتن درش کرد باید درنگ | (٤) جو سالاری از دشمن أفند بچنگ |
| نبینی دگر بندی خویش را ق ٥٤ | اگر کشتی این بندی ریش را |
| هزیمت ز میدان غنیمت شمار ق ٥٥ | (٥) جو بینی که یاران نباشند یسار |

— وإذا رأيت الجيش قد تفككت أوصاله
 فلا تسلم — إلى الموت — روحك الطيبة .
 — فإن كنت في جانب ، فاجتهد في العودة ،
 وإذا كنت في الميدان ، فالبس لباس العدو^(١) .

٣ — أمور الأجانب

لا يفوت الشاعر — وهو يرسم تلك السياسة العامة في الداخل والخارج —
 أن يعرض لجانب آخر خارجي ، هو علاقة الدولة في الشؤون المدنية بالأجانب .
 فالدولة يقصدها الكثيرون ، إما للتجارة ، وإما للسياحة ، وإما لأمر سياسية ،
 والشاعر في كل ذلك يرسم خططاً معينة :

— إذا بات تاجر — في ديارك
 فمن الخسة أن تمد — إلى ماله — يدك^(٢) .
 — وإذا رغبت أن تكون طيب السمعة
 فارع التجار والرسل رعاية طيبة^(٣) .
 — فكرام القوم ، يرعون السائحين بأرواحهم
 لأنهم يحملون لهم السمعة الطيبة في العالم .
 — كن للغريب صديقاً ، وللوفد نعم الحب
 فإنهم يحبون لك الاسم الطيب^(٤) .
 — والغريب الذي امتلأ رأسه بافتنة
 لا تلحق أذاك به ، لكن ابعده عن المملكة^(٥) .

- | | |
|---|---|
| (١) جو بینی که لشکر زهم دست داد
وگر بر کناری برقتن بکوش | بتنها سده جان شیرین بباد
وگر در میسان لبس دشمن پیوش ق ٤٧ |
| (٢) چو باز رگسان در دیارت بمسرد | بمالس خساست بسود دستبرد ق ١٠ |
| (٣) نکو بایدت نام و نیکی قبسول | نکو دار بازار گان ورسول ق ٦ |
| (٤) بزرگان مسافر بجان پرورنسد
غریب آشنا باش ، وسیاح دوست | که نام نکوئی بعالم برنسد
که سیاح جلاب نام نکوست ق ٦ |
| (٥) غریبی که پر فتنه باشد سرش | مهازار و بیرون کن از کشورش ق ٦ |

۲ - باب الإحسان

رقم ق	رقم المطلع	عدد الآيات	قصة عن سعدی	عن شخصية تاريخية	عامة	المطلع
۱	۱	۱۷			عامة	اگر هو شمندی بمعنی گرای
۲	۱۸	۱۱			»	بدر مرده را سه به برسر فسن
۳	۲۹	۸			»	یکی خار پای یتیمی بکنسد
۴	۳۷	۱۸		سیدنا ابراهیم		شنیدم که یکهفته ابن السبیل
۵	۵۵	۴			»	کره بر سر بند احسان مزن
۶	۵۹	۲۰			»	زبان دانی آمد بصاحب دلی
۷	۷۹	۶			»	یکی رفت و دینار از او صد هزار
۸	۸۵	۵			»	درین روزها زاهدی با پسر
۹	۹۰	۳۲			»	بد ختر چه خوش گفت بانوی ده
۱۰	۱۲۲	۸			»	بزا رید وقتی زنی پیش شوی
۱۱	۱۳۰	۸			»	شنیدم که پیری براه حجاز
۱۲	۱۳۸	۱۰			»	بسر هنگ سلطان چنین گفت زن
۱۳	۱۴۸	۳۴			»	یکی را کرم بود وقوت نبود
۱۴	۱۷۲	۹			»	یکی در بیابان سگی تشنه یافت
۱۵	۱۸۱	۱۰			»	تو با خلق نیکی کن ای نیکبخت
۱۶	۱۹۱	۲۶			»	بنالید درویش از ضعف حال
۱۷	۲۱۷	۱۲		تسبلی		یکی سیرت نیکمردان شنو
۱۸	۲۲۹	۶			»	ببخش ای پسر کادی زاده صید
۱۹	۲۳۵	۹			»	بره بر یکی بیشم آمد جسون
۲۰	۲۴۴	۲۲			»	یکی روبه دید بیدست و پای
۲۱	۲۶۶	۱۵	سعدی		»	شنیدم که مرد بیدست پاکیزه بوم
۲۲	۲۸۱	۲۵		حاتم الطائی		شنیدم در آیام حاتم که بود
۲۳	۳۰۶	۲۷		حاتم الطائی		ندا نم که گفت این حکایت بمن
۲۴	۳۴۳	۱۱		ابنة حاتم		شنیدم که طی در زمان رسول
۲۵	۳۵۴	۱۴		حاتم الطائی		زبنگاه حاتم یکی سیر مرد
۲۶	۳۶۸	۱۴			»	یکی را خری در گل افشاده بود
۲۷	۳۸۲	۱۹			»	شنیدم که مغروری از کبر مست
۲۸	۴۰۱	۴			»	آلاگر طلب کار اهل دل
۲۹	۴۰۵	۶			»	یکی را بزرگم نسد از راه حله

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	قصة عن سعدى	عن شخصية تاريخية	عامية	المطلع
٣٠	٤١١	١٦			عامية	زجاج ملكزاده در منسساخ
٣١	٤٢٧	٢٠			»	يكي زهره خرج کردن نداشت
٣٢	٤٤٧	٢٦			»	جواني بدانگي کرم کرده بود
٣٣	٤٧٣	١٢			»	کسي ديد صحراي محشر بخواب
٣٤	٤٨٥	٩			»	بگفتم در باب احسان بسي
٣٥	٤٩٤	١٤			»	شنيدم که مردی غم خانه خورد
٣٦	٥٠٨	١٠		بهرام گور	»	چه خوش گفت بهرام مھرا نشين
	٥١٨		١ +	٧ +	٢٨ =	٣٦ =

قصص باب الاحسان

تبلغ قصص هذا الباب — كما رأينا — ستا وثلاثين قصة ، في خمسية
وثمانية عشر بيتاً ، وتتوزع القصص كالآتي :

١ — قصة عن سعدى .

٢ — سبع قصص عن شخصيات تاريخية .

٣ — ثمانية وعشرون قصة عامة .

أما قصص هذا الباب فهي أيضاً تتمشي مع الغرض من إقامته ، فالسباب في
الجود والكرم ، ومساعدة المعوزين ، ولا بد له حين يعرض لشخصيات تاريخية من
أن يتناول المشهورين بالكرم ، أو يعد الشخص ليلقي على لسانه قصة مناسبة له .

فقد اتخذ «سيدنا إبراهيم» ، ليدير على لسانه قصة حول الكرم للعام والخاص ،
— ولو مخالفاً في الدين — مما يناسب أن تكون الشخصية فيها نبياً ، وقصص «حاتم»
وابنته ليبين فيها أن الكرم طبع في النفوس ، وقصة «شبل» ليظهر من معاني
الإحسان ، عدم التعرض لأذى الخلق ، ولو كانت حشرة ، وقصة «بهرام» يديرها
إبيان من لا يليق لهم الإحسان ، كما سيتضح ذلك عند تحليلنا لهذه القصص .

قصه سيدنا ابراهيم

وهي الرابعة في الترتيب ، وعدد أبياتها ثمانية عشر بيتاً ، وتضع لها نسخة « سودى » عنوان « إبراهيم عليه السلام وكرمه مع الخالص والعام » . ورقم مطلعها السابع والثلاثون ، وتدور القصة حول المعنى الذى اختير لعنوانها . وهو أن الكرم لوجه الله وحده ، لا تقوم فيه تفرقة ، ولو كانت تفرقة في الدين . واختار لها الشاعر نبياً من الأنبياء ليخلص من القصة بأن الخلاف في الدين لا يقتضى خلافاً في المعاملة .

ومن إحكام القصة عند الشاعر ، أن يجعل من عادة « سيدنا إبراهيم » عدم تناوله طعام إفطاره إلا أن يشاركه فيه أحد أبناء السبيل . فإذا لم يجد ، فيخرج هو يستطلع الطريق بنفسه . يقول في أبيات من المطالع :

— سمعت أب ابن السبيل

انقطع أسبوعاً عن قصر ضيافة إبراهيم الخليل .

— فلم يتناول إفطاره ، جرياً على طيب عادته

لعل غريباً معوزاً يفد من الطريق .

— فخرج ، ونظر في كل ناحيه

وألقي في أطراف الوادى ، ببصره (١) .

ويعنى الشاعر فيقول إنه رأى قادماً في الطريق ، وكان رجلاً مسنناً ، فرحب به ، وخفف عنه وعشاء السفر ، وحمله إلى مائدة الطعام ، وأجلسه معه بين خواصه فلما همّ بتناوله ، لم يبدأ — مثلهم — بذكر اسم الله واهب الرزق ، فيغضب الخليل من أمره ، ويصور الشاعر ذلك في قوله :

— أليس شرطاً عليك ، حين تتناول الطعام

أن تذكر اسم من منحك الرزق ؟ (٢) .

(١) شنيدم كه يکفته ابن السبيل
ز فرخنده خوى نحو ردی بگاہ
برون رفت وهر جانی بگریسد
(٢) نه شرطست وقتیکه روزی خوری

نبايسد بهما نساى خليل
مگر بينواى در آيسد ز راه
بر اطراف وادى نگاه کرد وديد
که نام خداوند روزى برى ؟ =

فيجيبه الشيخ :

— لست أدري هذه الطريقة ؟؟

ولم أعلم ذلك من شيخى الوثنى ! .

عندئذ يهيم الخليل بحرمانه من الأكل . وهنا ينتقل الشاعر إلى المعنى المقصود من القصة .

وعندى أن هذه القصة تدعو إلى الإنسانية العامة ، لا يقتصر مغزاها على الكرم وحده ، وإن يكون للخاص والعام ، بل الأمر فى المحتاج للطعام ، كالأمر فى غيره من وسائل الحاجة ، أى فى المعونة العامة .

وقد أشرك الشاعر شخصية جديدة ، مناسبة للقصة ليزيدها قوة وإحكاماً .
ينزل الله جبريل — فى هيئته — يلوم الخليل قائلاً له :

— لقد منحتُه — مائة عام — الرزق ، وطول العمر

ألمرّةً ، واحدة ، يحزى منك بالنفور ؟؟؟

— إنه ، ولو كان يهوى للنار السجود

فماذا ترد عنه يد الجود ؟ (١) .

قصة شبلى

أتى الشاعر فيها بشخصية صوفية ، ليرز معنى العطف على مخلوقات الله ، فرجال الله يحرصون على عدم إيذاء المخلوقات مهما كانت تافهة ، فالعطف واجب على كل من أصيب بأذى ، سواء أكان ممن يحس الأذى ، ويقدر الخلاص منه أو لم يحسه ولم يقدره ؟ .

كه نشينسدم أزيير آذر پرست
بهبيت ملامت كنان كای خليل
ترا نفرت آسند أزو يكرزمان
تو واس چرا ميبرى دست جود

= بگفت نگيرم طرىقى بسندست
(١) سروش آمد از كرد گدار جليل
منش داده صد سال روزى وجان
گر اوميبرد پيش آتش سمسجود

والقطعة تقع في الباب ، السابعة عشرة ، وأبياتها اثنا عشر بيتاً ، ورقم المطلع

۲۱۷ وهو :

— استمع لسيرة رجل من الأطهار ، الطيبين
إن كنت سعيداً ، سالكا سبل الرشاد^(۱) .

ويمضی الشاعر في عرض القصة فيقول عن «شيلي» إنه اشترى من حانوت
بائع القمح جوالا ، وحمله على ظهره ، ومضى به إلى القرية . فلما بلغها ، رأى
نملة تجوب القمح ، وتسرع حيرى ذات اليمين وذات الشمال . فلم ينم ليله ،
وفكر فيها — رحمة بها — ثم ردها إلى مكانها ، وهو يقول :

— ليس من شرط المروءة
أن أبعد هذه النملة الحزينه^(۲) .

ثم ينتقل الشاعر إلى تقوية هذا المعنى بالاستشهاد ، بأقوال شاعر آخر أقدم
منه ، هو الفردوسي ، في قوله :

— أنعم ! بقول الفردوسي كريم الأصل .

وليطر الله على تربته الطاهرة شأيب رحته .

— لا تؤذ نملة ! من أجل حبة تحملها

فإنها ذات روح ، والروح عزيزة عليها .

— فمن يبغ الأذى لنملة ضعيفه

اسود قلبه ، ورُمي بالقسوه^(۳) .

ثم يختم القصة بالدعوة إلى الرحمة على كل ضعيف مهما كان :

— لا تضرب على رأس العاجز بيدك القوية

فلعل — يوماً — تقع تحت أقدامه كالنملة^(۴) .

اگر نیکبختی وبردانسه رو

پراکنده گردد اتم از جای خسوش

که رحمت بران تربت باکسزاد

که جان دارد وجان سپرین خوشست

که خواهد که موری شود ننگدل

که روزی پایش درافتی چو مور

(۱) یکنی سیرت نیمردان تنسنو

(۲) مروت نباشد که ابن مورریش

(۳) چه خوش گفت فردوسی پاکزاد

سیازار موری که دانه کش است

سسیاه آند رون باشد و سنگدل

(۴) مزن برسر ناتوان دست زور

قصص حاتم

ونحن نكتفي بالإشارة إلى دلالة أحداها ، فهي كلها تدور حول معنى واحد .
وتقع الأولى من قصصه ، الثانية والعشرين ، في خمسة وعشرين بيتاً ، تبدأ من
البيت ٢٨١ . وتدور حول كرم حاتم وجوده ، بأعز ما يملك . ومطلعها :

— سمعت أنه كان عند حاتم
جواد ، كأنه دخان في سرعته ^(١) .

وتمضي القصة في وصف سرعة الجواد وقوته ، فهو سريع كريج الصبا ،
أو خاطف كالبرق ، يصهل في صوت كأنه الرعد .

ويطيل الشاعر في وصف عظمة الجواد ، وقوته ، وسرعته ، حتى يجعل معنى
التضحية به عظيمة . إلى أن يقول إن الناس تناقلت أخبار كرم حاتم ، وعطر ذكره
كل إقليم وقطر ، فنقلوا طرفاً منها إلى ملك الروم ، وقالوا له :

— إنه ليس له ضريب في الكرم
كذلك لا مثيل لجواده في العدو ^(٢) .

وهنا تنتقل القصة إلى نوع من القضايا ، فهذه دعوى يريد الدليل عليها ،
فليطلب ملك الروم هذا الجواد من حاتم ، ولينظر ماذا هو فاعل ؟؟

— هكذا قال الملك ، إلى الوزير الجليل

إنه مخجل ، .. أن تقوم دعوى بلا دليل .

— فسأطلب من حاتم ذلك الجواد العربي

فإن كان كريماً ، سخياً ، مجيب الطلب .

— علمت أن فيه رفعة العطاء

فإن ردّ فهو طبل ملؤه الهواء ^(٣) .

-
- | | |
|---------------------------------|------------------------------|
| (١) شنيدم در أيام حاتم كه بسود | بخيل اندر تن باد يائي جسودود |
| (٢) كه همتاي او در كرم مرد نيست | چواسيش بجسولان وناورد نيست |
| (٣) بد ستور دانا چنين گفت شهباه | كه دعوى خجالت بسود بيگواه |
| من از حاتم آن اسب تازي نسزاد | بخواهم گر اوبكرمت كسرد و داد |
| بداتم كه دروي سگوه سهيست | وگر رد كند بانك طبل تهيست |

ويمضى الشاعر فى القصة فيقول إن الملك قرر إيفاد رسول على رأس بعث من عشرة رفاق . ثم يأخذ فى تقوية الصورة ، فيجعل حاتمًا يقع فى حيرة . الدنيا تمطر كالسيل المنهمر ، والرسول قد لجأ إليه مع رفاقه ، ونزلوا عليه ، دون أن يعرف من أمرهم خبراً ، وفى الوقت نفسه ، لا يملك سوى هذا الجواد ، وهو فى أشد الحاجة إليه .

فماذا يصنع ؟ تنتصر النخوة عليه ، وطبع الكرم ، فيعتمد إلى جواده الوحيد فينجره لضيوفه ، ليعد منه طعاماً لهم .

ثم يبيت الضيوف فيرون ألواناً كثيرة من كرم حاتم ، وحرصه على راحتهم حتى يأتى الصباح ، فيكاشفه الرسول بالأمر ، ويسأله الجواد لملك الروم ، فيخبره حاتم ، والأسف يملاً نفسه :

— أيتها الرسول العاقل !

لماذا لم تبلغنى رسالتك قبل الآن ؟؟ .

— لقد صنعت شواء من أجلكم

واتخذت من الجواد الخاطف طعاماً لكم .

— فلست أعلم فى هول المطر والسيل

أن تبقي فى المراعى الخيل .

— ولم أجِد أمامى غيره

وليس فى منزلى ما أقدمه .

— وليس من المروءة فى مذهبي

أن ينام الضيف على الطوى ^(١) .

چرابیش ازايم ننگفتی بیسام
ز بهر شما دوش کردم کباب
نشايد شدن درچر اگاه خيل
جز اوبر در بارگا هم نبود
که مهمان بخسبنددل ازفاقه ريش

(١) که ای بهرور موبد نيك نام
من آن بادرفتار دلدل شستاب
که دانستم ازهول باران وسسيل
بنوعی دگرروی وراهم نبسود
سروت ندیدم در آبين خسویش

وأخيراً ينتقل الشاعر إلى المعنى الذى يطويه فى القصة ، وهو النظر فى الإحسان إلى المعنى لا إلى الصور ، كما أن الأخلاق الطيبة طبع لا كسب ، فى قوله على لسان حاتم :

— ينبغى أن تظل ذكراى باقية فى الأقليم
ولو فقدت بعد ذلك جوادى الأصيل ! .

ثم فى قول الشاعر :

— أجزل للناس العطاء ونحر لهم جواده
وهكذا الأخلاق الطيبة طبع لا كسب^(١) .

قصة ابنة حاتم

وتقع الرابعة والعشرين ، فى أحد عشر بيتاً ، ورقم المطلع ٣٤٣ .
وتعالج القصة كذلك موضوع الكرم ، وأنه طبع لا تقليد ، ووراثه لا تصنع ،
والجود بالنفس عند الحاجة .

ومدار القصة أنه فى عهد الرسول عليه السلام ، رفضت طى الإسلام ،
فأمضى إليها النبی عليه السلام جيشاً قبضوا على جماعة منهم أسرى ، وأخذوا
بالسيف ، كان من بينهم سيدة ، أجابت أنها ابنة حاتم ، فكف القوم عنها .
ولكنها رفضت أن تبقى دون قومها ، وطلبت أن تلحق بهم ، فسمع الرسول
بأمرها ، فكف عنها ، وعن بقية قومها :

— وهبها أولئك القوم ، ومنحها عطاء
فالجوهر الأصيل ، لن يظهر منه خطأ^(٢) .

(١) مرانام بایسید در اقلیم فاش
کسانرا درم داد وتشریف واسب
دگر مرکب ناسور گویمباش
طبیعیست أخلاق نیگونه کسب
(٢) بیخشوش آن قوم ودیگر عطا
که هرگز نکرد أصل گوهر خطا

قصه بهرام

هى الأخيرة ، وتقع السادسة والثلاثين ، فى عشرة أبيات ، ورقم المطلع ٥٠٨ وتعالج أمراً يتصل بباب العدل ، فهذه القصة والسابتان لها تصلح أن تكون فى ذلك الباب .

فهى تعالج كلها ألواناً من الذين لا ينبغى الإحسان إليهم من الرعايا ، أو الموظفين ، ممن تتعلق بهم سياسة الملك .

واختيار « بهرام » للقصة ، ليلقى على لسانه تجربة من تجاربه فى السياسة ، فهو ملك ساسانى نشأ تنشئة ملكية بين ملوك الحيرة ، وكان يشتهر بصيد حمر الوحش فى الصحراء ، ومن هنا كانت له تجارب ، وكان موضع اختياره ملائماً . كما أن اختيار لوازم القصة التى أعدها الشاعر كان موافقاً ، فقد استخدمها للوصول إلى الغرض المقصود ، وهو التخلص من الذين يسيئون للدولة .

ويفتح الشاعر القصة بعبارة استحسان ، وهى مناسبة لمثل هذه النصيحة :

— ما أحسن قول بهرام ، ربيب الفلاة ! !

حين جمع به جواده ، وعلى الأرض ، ألقاه .

— ينبغى أن يؤخذ من القطيع جواد آخر

فلعل هذا ، يجمع بى مرة أخرى (١) .

وينتقل الشاعر من هذا ، إلى الغرض المقصود من القصة :

— تخلص من الذئب ، إذا وقع فى الشرك !!

وإلا فاقطع الأمل ، من أغنامك (٢) . !!

— والذى يسن لك النظام الفاسد

يملك ، حتى يوردك شر الموارد (٣) .

جو بكران توسن زدش بسر زبين
كه گر سر كشد باز شايد گرفت
بكش ورنه دل بر كن از گوسفند
ترا مى برد تا بانش دهد

(١) چه خوش گفتم بهرام صحرا نشين
دگر اسب از كله بايد گرفت
(٢) چو گرگ خبيث آمدن در كنند
(٣) مد بر كه قانون بد مى نهسد

الرُّفْطَرُ العامَّةُ في بابِ الإحسانِ

يُمكن أن ترد هذه الأفكار إلى الأمور الآتية :

- ١ - دعوة إلى الإحسان . ٢ - من يستحقون الإحسان .
- ٣ - من لا يستحقون الإحسان . ٤ - دعوة إلى السعي والاقتصاد .

١ - الدعوة إلى الإحسان

تبدو هذه الدعوة في مقابلة الإحسان ، بغيره من وجوه العبادة . فالمحسن خير من العابد البخيل ، في قوله :

— والسابقون من الناس ، سبقوا بالإيثار
وليس في إحياء الليل ، وقلوبهم كالأحجار^(١) .
والمحسن خير من المصلّي .

— لا تظنّ — مهما أخذتَ نفسك — بالطاعة
أن تأتي نزيلاً ، على تلك الحضرة .
— فلو استطعتَ أن تجعل قلباً سعيداً بإحسان
فذلك خيرٌ من ألفِ ركعةٍ ، في كل مكان^(٢) .
والمحسن خير من الصائم .

— والذي يفطر في الصيام ، ويعم الناس فضله
خير من صائم الدهر ، والدنيا معبوده^(٣) .

-
- | | |
|--------------------------------|------------------------------------|
| (١) بأيثار مردان سسبق برده انس | نه شب زنده داران دل مرده اند ق . ٢ |
| (٢) میند دار اگر طاعتی کرده ای | که نزلی بدین حضرت آورده ای |
| باحسان آسوده کردن دل | به از ألف رکعت بهر منزلی ق ١١ |
| (٣) خورنده که خبرش برآید زدست | به الصائم الدهر دنیا پرست ق ١٢ |

۲ - من يستحقون الاحسان

الإحسان إلى كل مخلوق .

— إلا لو كنتَ فظاً ، فهُلُمْ بفكرك !!
 واجعل الوفاء مقصداً ، والكرم حرفتك .
 — فلم يفقد الإنسان ما يسديه إلى كلبٍ من الخير
 فكيف لا يلقى الجزاء ، من الأخيار ؟ (١) .
 وعلى الأيتام في قوله :

— أبسط — على اليتيم — ظلال عطفك
 وانثر عنه الغبار ، وانزع منه الشوك .
 — أأنت تعلم حال هؤلاء العجزة ؟
 إنهم كالشجرة ، لا تكونُ بغير جذرٍ غضة (٢) .
 والإحسان إلى الغرباء في قوله :

— لا تطرد الغريب عن بابك ، بغير نصيب !!!
 فلعلك تقف — يوماً — غريباً على الأبواب (٣) .
 والإحسان إلى من أساء في قوله :

— وابذل ما معك من مال ، للطيب ، والردىء
 فإنه كسب للوفاء ، ودفع للبلاء (٤) .
 — وأحسن — أيها الكريم — إلى من أساءك
 فالكلب يراك ، حين تناوله من خبزك (٥) .

- | | |
|----------------------------------|---------------------------------|
| وفاپیش کپرو کرم پیته کن | (١) ألا گر جفا کاری اندیشه کن |
| کیجا گم شود خیر بانیکمرد ق ١٤ | کسی باسگی نیکوی کم نسکرد |
| غبارش بیفشان و خارش بسکن | (٢) پدر مرده را سایه بر سر فسکن |
| بود تازه بی بیخ هرگز درخت؟ ق ٢ | ندانی چه بودش فرومانده سخت |
| بیادا که کردی بدرها غسریب ق ٢ | (٣) مگردان غریب ازدردت بی نصیب |
| که این کسب خیرست و آن دفع شر ق ٦ | (٤) بد و نیک را بذل کن سیم و زر |
| که سگ باس دارچونان تو خورد ق ١٩ | (٥) بدا ترا نوازش کن ای نیکمرد |

والإحسان إلى العدو في قوله :

— واملِكْ رِقَابَ العدوِّ ، بالإحسان ، واللفظ
فلن تستطيع أن تقطع صنيعهما بالسيف .
— فحين يرى العدو كرمك ، ولطفك ، وإحسانك
لن يصيبك شرُّه — مرة أخرى — في حياتك^(١)

٣ — الذين لا يستحقون الاحسان

والشاعر لا ينسى أن يعقد قطعاً مجالها عن الذين لا يستحقون العطف والإحسان
وهذه القطع تأتي آخر الباب من ٣٤ — ٣٦ وهي تدخل في تدبير الملك ، وأخذ
الذين يسيئون بالشدة والقسوة ، وفي طليعة الرابعة والثلاثين يرد هذا البيت :

— كم بسطنا القول ، في باب الإحسان !!
ولكنه ليس شرطاً ، مع كل إنسان^(٢) .

وفي هذه القصص ترد الشخصيات التي يتناولها الشاعر بعدم العطف عليها ،
وهو يدعو إلى شيء من سياسة الحزم في معاملة الأشرار عامة :

— لا تسلك مع الأشرار ، سبيل الخير!

فاحتمال الشر ، يزيد نطاق الشر .

— واقتلع جذراً ، تجني الشوك من ثمره

وارع شجراً ، تنال الخير من ثمره^(٣) .

ومن الذين لا يستحقون العطف ، الرئيس الظالم :

— إذا شاهدت رئيساً ، يعامل الناس بالعنف

فاضرب عنقه — قتلاً — بالسيف^(٤) .

-
- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| (١) عدو را بِالطاف کردن بنسند | که نتوان بریدن بتیغ این کند |
| چو دشمن کرم ببند ولطف وجود | نباید دگر خبث ازو در وجود |
| (٢) بگفتیم در باب احسان بسی | ولیکن نه شرطست باهر کسی |
| (٣) کسی با بدان نیکوی چون کند | بدان را تحمل بد افسزون کند |
| بر انداز بیخی که خار آورد | درختی پرور که بار آورد |
| (٤) چو اندر سری بینی آزار خلق | بشمشیر تیزش ببنداز خلق |

— واسفك دم الظالم ، وصادرو أمواله
وانزع ريش الطائر الغادر ، وجناحه (١) .

والعامل الذى يسىء معاملة الناس :

— تخلص من الظالمين ، واجتز منهم الرؤوس !
فإن الظلم على الظالم ، عدلٌ ، وقسطاس .
— والكاتب ، الذى يسىء لى رعية —
من الخير ، أن تقطع يده بسيفك (٢) .

٤ — الدعوة الى السعى وراء الرزق والاقتصاد

وحتى لا تكون الدعوة إلى الإحسان ، تؤدى إلى التواكل وعدم السعى .
أورد الشاعر أفكاراً فى الباب ، تدعو إلى الكسب والاقتصاد . فالدعوة إلى السعى
والكسب تبدو فيما يلى :

— هلم بقوتك ! واسمع كالأخرين !
ولا تنسقط فضلات الآكلين .
— وعش — ما استطعت — بساعدك
واجعل سعيك ، بقدر جهـدك .
— وتحمل المتاعب ، واعمل لراحة الآخرين
فالحنث هو الذى يأكل من يد المكدودين (٣) .

-
- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| (١) بخور مردم آزار را خون و مال | كه أزرغ بد كند پروبال ق ٣٤ |
| (٢) جفايشگانرا بسده سر بيساد | ستم برستم پيشه عدلست و داد |
| قلمزن كه بد كرد بر زيرو دست | قلم بهتر أورا بشمشير دست ق ٣٦ |
| (٣) بچنگ آر وباديگران نوش كن | نه بر فضله ديگران گوش كن |
| بخور تاتوانى ببازوى خويش | كه سعيت بود در ترازوى خويش |
| چو سردان بهر رنج و راحت رسان | مخنت خورد دست رنج كسان ق ٢٠ |

وَأَمَّا الدَّعْوَى إِلَى الْاِقْتِصَادِ ، فَتَبْدُو فِيهَا يَأْتِي ، مِنْ حَدِيثِ بَيْنِ سَيِّدَةٍ وَابْنَتِهَا :

— قَالَتْ سَيِّدَةٌ ، لَا بُدَّ لَهَا فِي الْقَرْيَةِ

مَا أَحْسَنَ الْاِدْخَارِ فِي السَّعَةِ ، لَوْ قَتَّ الشَّدَّةُ !! .

— اَدَّخَرَى الْمَاءَ ، فِي الْقِرَابِ ، وَفِي الْجَرَارِ

فَلَنْ يَجْرِيَ الْمَاءُ ، دَائِمًا فِي النَّهْرِ ^(١) .

وَكَذَلِكَ تَبْدُو الدَّعْوَةُ فِي الْاِقْتِصَادِ ، حَتَّى فِي ظُرُوفِ الْكَرَمِ :

— لَا تَكُنْ كَرِيمًا ، بِكُلِّ مَا لَدَيْكَ

فَإِنْ ذَلِكَ يُوْدِي ، إِلَى ضَيَاعِ ثَرْوَتِكَ ^(٢) .

— وَلَوْ أَنْفَقْتَ كُلَّ مَا مَلَكَتْ يَدَاكَ

ضَمَقْتَ بِالْأَمْرِ ، إِذَا عَنَّتْ حَاجَةُ لَكَ .

— وَعَيْنُ الشَّيْطَانِ ، يَقْتُلُهَا صَاحِبُ الْيُسْرِ

وَيُوقِعُ الْجَنِّ فِي الْفَخِّ ، بِالْحِيلَةِ ، وَالْمَسْكَرِ ^(٣)

★ * ★

- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| (١) بدختر چه خوش گفت بانوی ده | که روز نوا برك سختی بنسه |
| همه وقت پردار مشک و سبوی | که پیوسته درده روان نیست جوی |
| (٢) نه در خورد سرمایه کردی کرم | تنگ مانه بودی ازین لا جسم |
| (٣) وگر هرچه داری بکف بر نهی | گفت وقت حاجت نماند تهی |
| خداوند زر برکنند چشم دیسو | بدام آورد صخر جنی بسریو |

۳ - باب العشق

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	قصة عن سعدى	عن شخصية تاريخية	عامه	المطلع
۱	۱	۱۳		عامه	عامه	خوشا وقت شوریدگان غمش
۲	۱۴	۸		»	»	ترا عشق همچون خودی ز آب و گل
۳	۲۲	۱۵		»	»	چو عشقی که بنیاد او بر هواست
۴	۳۷	۳۰		»	»	شنیدم که وقتی گسدا زاده
۵	۶۷	۵		»	»	شنیدم که بر لحن خنیاگری
۶	۷۲	۲۴		»	»	چنین دارم از پیر داننده بساد
۷	۹۶	۱۸		»	»	یکی شاهی در سمر قند داشت
۸	۱۱۴	۸۰		»	»	یکی تشنه می گفت و جان می سپرد
۹	۱۲۲	۲۰		»	»	چنین نقل دارم زمردان راه
۱۰	۱۴۲	۱۲		»	»	شنیدم که بیری شبی زنده داشت
۱۱	۱۵۴	۴		»	»	یکی در نشا و دانی چه گفت (۱)
۱۲	۱۵۴	۱۱		»	»	شکایت کند نو عروسی جوان
۱۳	۱۶۴	۲		»	»	یکم روز بر بنده دل بسوخت
۱۴	۱۶۶	۶		»	»	طیبری پری چهره در مرو بود
۱۵	۱۷۲	۷		»	»	یکی بنجه آهنی راست کسرد
۱۶	۱۷۹	۹		»	»	میان دو عم زاده وصلت فساد
۱۷	۱۸۸	۲		»	»	یکی پیشش شوریده حالی نبشت
۱۸	۱۹۰	۷		الحنون و لیلی		بمجنون کسی گفت کای نیک پی
۱۹	۱۹۷	۱۶		محمود و ایاز		یکی خرده بر شاه غزنین گرفت
۲۰	۲۱۳	۱۲	سعدی	»	»	قضا را من و پیری از نسا ریاب
۲۱	۲۲۷	۱۰		»	»	ره عقسل جز پیسچ نیست
۲۲	۲۳۷	۱۲		»	»	رئیس دهی با سپرد رهسی
۲۳	۲۴۹	۴		البراع		مگر دیده باشی که در باغ و راغ
۲۴	۲۵۳	۷		»	»	بشهری در آژشام غوغا فساد
۲۵	۱۶۰	۸		»	»	ثنا گفت بر سعد زنگی کسی
۲۶	۲۶۸	۱۶		»	»	یکی را چو من دل بدست کسی
۲۷	۲۸۴	۱۳		»	»	اگر مرد عشقی گم خویش گیر
۲۸	۲۹۷	۸		»	»	نگویم سماع ای برادر که چیست
۲۹	۳۰۵	۱۰		»	»	شکر لب جوانی فی آسوسوختی
۳۰	۳۱۵	۲۷		الفراشة		کسی گفت پروانه را کای حقیر
۳۱	۳۴۸	۱۶		الفراشة		شبی یاد دارم که چشمم نرفت
	۳۶۴		+	۱		
				+	۵	
					۲۵	
					۳۱ =	

قصص باب العش

مجموع قصص هذا الباب إحدى وثلاثون قصة ، في ثلثمائة وأربعة وستين بيتاً . تتوزع كالآتي :

- (١) قصة واحدة عن سعدى . (٢) قصتان عن شخصيات تاريخية .
(٣) ثلاث قصص عن حيوانات . (٤) خمس وعشرون قصة عامة .
ويلاحظ أن القصة الحادية عشرة توجد في «سودى» ، ولا توجد في نسخة «جراف» . وإن كانت قد أشارت إليها في الهامش ص ٢٠٧ . وأبياتها أربعة . أثبتناها في القائمة دون أن يؤثر اثباتها في القصص العامة .

قصة المجنون وليلى

تضعها نسخة سودى تحت عنوان « المجنون وصدق محبته مع ليلي » وترتيبها الثامنة عشرة ، في سبعة أبيات ، ورقم المطلع ١٩٠ وهو :

— قال شخص للمجنون ، أيها الحب الوفي !!
ماذا دهالك ؟ فلم تعد تأتي إلى الحى !!^(١)

وينكر الرجل على الحب ، هذا الانقطاع عن حبيبته ، لكن المجنون حين يستمع إلى ذكر حبيبته ، يلهبه الحديث عنها ، فينهمر باكياً ، ويسأل الرجل ألا يدكرها ، فإن قلبه جريح ، وذكراها تزيد آلامه ، كما يزيد الملاح آلام الجراح ، حين يوضع عليها . ثم يأخذ الشاعر في تعليل هذا البعد على لسان المجنون ، بهذا المعنى الصوفي :

— إن بُعدى ، ليس دليلاً على اضطبارى
لكن ... كم يكون الابتعاد ضرورياً^(٢) !!!

- (١) مجنونون کسی لفت کای نیک پی چه بودت که دیگر نیائی بچی ؟
(٢) نه دوری دلیل صبورى بسود که بسیار دورى ضرورى بود

وأخيراً ينتقل الشاعر إلى المعنى الملتف في تلك القصة ، وهو الصفاء في المحبة بين الحبيب والمحبوب حتى الفناء . يقول على لسان الرجل في سؤاله للمجنون ، وَرَدَّ المجنون عليه :

— أيها الوفي ، الكريم الطبع !!
أليس لديك ، رسالة أبلغها ليلى ؟ ؟ .
— أجب ! لا تحمل اسمي إلى من أهمُّ
فَدَا جفلاء ، واسمي لديها ، حيث تقيم ^(١) .

قصة محمود وإياز

يبدو أن الشاعر تخير هذه القصة لتناسبها مع باب العشق . فهي نوع آخر من المحبة ، ولكنه يعالج فيها أمراً مناسباً للبَّاب ، ويديرها كما أدار قصة المجنون في أسلوب عَفِيٍّ ، وانتهى منها إلى معنى صوفي يناسب الباب نفسه . وينطوي في القصة قصة أخرى ، جاء بها تأكيداً للمعنى الذي انتهى إليه في القصة السابقة . والقطعة كلها تبلغ ستة عشر بيتاً . وترتيبها التاسعة عشرة ، ومطلعها رقم ١٩٧ يقول :

— طعن رجل في حاكم غزنه ، إذ تملكته الدهشة
فإن معشوقه إياز ، لم يكن ذا فتنة ^(٢) .

ثم أيد الطاعن رأيه في البيت الثاني :

— إن الوردة التي لالون لها ، ولا عطر فيها
عجباً ! أن يقع البلبـل في حبها ^(٣) !!

ثم انتقل الشاعر إلى «محمود» ، وجاء بشخص آخر في القصة لينقلها إلى مسامع السلطان ، وأخيراً ينتهي إلى تأكيد المعنى المقصود منها ، وهو أن الحب ليس على الصورة ، ولكنه على حسن الطبع . يقول على لسان «محمود» :

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| (١) بگفت ای وفا دار فرخنده خسوی | بیامی که داری بلبل بسگوی |
| بگفت مبرنام من بیتش دوست | که حیفتست نام آنجا که اوست |
| (٢) یکی خرده بر شاه غزنین گرفت | که حسنی ندارد ایاز ای تشگفت |
| (٣) گلی را که نه رنگ باشد نه بوی | غریبست سودای بلبل برآوی |

— إن عشقي له ، يا سيدي ، على حسن طباعه!!
وليس ، على فراعة قدّه ، وقوامه^(١) !!.

وهنا يُؤلّف الشاعر قصة أخرى ، للتدليل على ما انتهى إليه من المعاني ، وملخصها أن الشاعر يروي على لسان رجل ، أن جملاً وقع في مكان ضيق ، فانكسر صندوق من الدر ، وانفرط مافيه ، فرأى «محمود» أن يأمر أتباعه كل يأخذ بنصيبه من هذا الدر ، ثم مضى في طريقه مجلّاً ، وانفض الأتباع من خلفه يجمعون الدر ، وانصرفوا عنه ، ولم يبق من أتباعه — في خدمته — سوى «إياز» .

وهنا ينتهي الشاعر إلى تأكيد المعنى المقصود منها ، وهو أن حسن طباع «إياز» لم يحمله على أن ينصرف عن خدمة السلطان ، إلى الاهتمام بأعراض زائلة .
وهكذا يكون الانسان في مطالب العشق السامية ، ينبغي أن يكون مخلصاً ، لآلهيه الصور — مهما كانت — عما وراءها ، بل لا بد أن يكون الإخلاص في المحبة إخلاصاً يلهي الانسان عن كل ما حوله .

ثم يختم القطعة بالمعنى الصوفي « الإخلاص في المحبة حتى الفناء في المحبوب »
ويأتي في نهاية القصة بما يؤكد هذا المعنى :

— إذا كانت عينك ، تنظر حسن الحبيب
فأنت في هوى نفسك ، لا في هوى الحبيب .
— وما دام فك ، مليئاً بحرص المطالب
فلن يهبط أذن القلب ، سرّاً من الغيب .
— إن الحقائق قصر ، كلّها الزينة
والهوى ، والشهوة ، غبار يثار من حوله^(٢) .

- | | |
|------------------------------------|--------------------------------|
| (١) كه عشق من ای خواجه برخوی اوست | نسه برقد ویالای نیکوی اوست |
| (٢) مگر از دوست چشمت بر احسان اوست | تو در بند خویشی نه در بند دوست |
| ترا تادهن باشد از حرص بساز | نیساید بگوش دل از غیب راز |
| حقائق سرائیست آراسسته | هوا وهوس گردد بر خاسسته |

قصّة اليراع

وهذه قصة على لسان الحيوان ، من القصص التي نظمها الشاعر لبيان المعنى الصوفي « وحدة الوجود » ونقع القصة الثالثة والعشرين ، في أربعة أبيات ، وعنوانها « قصة على سبيل التمثيل على لسان اليراع » ومطلعها ٢٤٩ وهي :

— لعلك رأيت في الحديقة ، وفي الصحراء !!

حشرة تضيء كالصباح ، تنشر الضياء .

— فسألها إنسان ، أيتها الحشرة المضيئة ليلاً !!

لماذا لا تظهرين نهـاراً ؟؟ .

— تجيب ، إننى فى الخلاء ، ليل نهار !!

لكنى أمام الشمس ، ليس لى مجال للظهور^(١) .!!

قصتنا الفراشه

وهما متتاليتان تقعان فى الترتيب الثلاثين ، والأربعين . والملاحظ أن الشاعر أدخل هنا نوعاً جديداً من مقومات القصة ، هو الجاد ليخلص منها إلى المعنى الصوفي « المحبة حتى الفناء فى المحبوب » .

وعدد أبيات الأولى سبعة وعشرون بيتاً ومطلعها ٣١٥ يقول فيها :

— سأل رجل الفراشة ، أيتها الحقيرة !!

اذهى ، واطلجى ، بقدر استطاعتك الصداقة !

— اسلكى سبيلا ، ترين فيه طريق الرجاء !!

فبينك وبين محبة الشمع ، بون وعناء^(٢) .!

ويمضى الشاعر فى عرض هذا المعنى ، مدلاً على صدّها عن طريقها ، ببعض

أمثلة أخرى ، ويتخذ لها أمثلة من الحيوانات :

بتايد يشب كرمى جون چسراغ
چبودت كه بير ون نياى بروز؟
ولى بينش خورشيد بيدا نيم
برو دوستى درخور خود بگير
نسو و بهر شمع از كجا تا كجا؟

(١) مگر دیده باشی که در باغ و راغ
یکی گفتمش ای کرمک شب فروز
که من روز و شب جز بصحرانم
(٢) کسی گفت پروانه را کای حقیر
همی رو که بینی طسریو رجا

— لست سمندراً، فلا تحومين حول النار !!
اطلبي البطولة — أولاً — ثم عُدَّة القهر ^(١) . !!
ولكن الفراشة تجيب على صدق محبتها للشمعة المضئة بقولها :
— إن ناراً — كنار الخليل — في قلبي
حتى لتظنين، أن هذه الشعلة، وَرَدَّ عَلَى ^(٢) .
ثم يفسر كنه المحبة بين الحبيب والمحبوب، أو بين العاشق والمعشوق، والصلة
التي بينهما، فهي سر الجاذبية :
— لا يجذب القلبُ الحبيبَ من أطرافه
بل الحبُّ !! إنه جاذبُ الروح من جيبه
— ولست ألقى نفسي — في النار — بنفسي
بل سلاسل الشوق إليها، تجذبني من عنقي ^(٣) . !!
وأخيراً ينتقل الشاعر إلى المعنى المقصود من القصة، وهو معنى « الفناء
في المحبوب » على القرب والبعد :
— ليس يحرقني عندما — في النار — ألقى !!
لكنه يحرقني — مهما كنت منه — في نجوى ^(٤) . !
أما القصة الثانية فتبلغ ستة عشر بيتاً — وموضوعها نفس الموضوع — يدور
الحديث فيها بين الفراشة والشمعة . ترميها الشمعة بدمم الثبات على المحبة مثلها،
وينتهي فيها الشاعر بقوله على لسان الشمعة، في مخاطبة الفراشة، حول معنى العشق :
— إن كان جناحك، قد أحرقته نار العشق
فانظري !! قد أحاط بي الإحراق ^(٥) . !!

-
- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| (١) سمندر نه گرد آتش مسگرد | که مرد انگي بايسد آنکه نبرد |
| (٢) مرا چون خليل آتشی در دلست | که بشداری این شعله بر من گلاست |
| (٣) نه دل دا من دلستان میکشد | که مهرش گریبان جان میکشد |
| نسه خود را بر آتش بخود ميزنم | که زنجیر سوزست در گسردنم |
| (٤) مرا همچنان دور بودم که سوخت | نه این دم که آتشی بمن بر فروخت |
| (٥) ترا آتش عشق اگر بر بسوخت | مرا بین که ازبای تاسر بسوخت |

الأفكار العامة في باب العشق

دراسة هذا الباب ترد كثيراً من الاتهام الذى وجه إلى «سعدى» كيف يتناول مسائل تتصل بالعشق ؟ وكيف يحدثك بنفسه عن حوادث شخصية وقعت له تشير إلى هذا المعنى ؟ . وشبيه بها القصة التى أشرنا إليها سابقاً فى الرحلات ، وهى قصة جامع «كشغر» مع الفتى الذى يقرأ مقدمة الرخشرى .

أمثال هذه القصص ، وغيرها يرى بعض الأدباء أنها مدخولة على الشاعر ، تجنباً منهم أن يسندوا إلى شاعر أخلاقى كبير ، كالشيخ «سعدى» أمثال هذه الحوادث ^(١) .

ولكن تفسيرنا لهذه القصص — على النحو الذى نسير عليه — يرفع كل هذا الحرج ، فالقصة من ورائها مغزى ، هو المقصود منها ، سواء أسندت حوادثها إلى الشاعر أو إلى غيره .

الأمر عند الشاعر أبعد من تلك الصور التى يوردها ، والتى يجعلها موضوع القصة ، إذ هو يتصل بالغرض منها ، يختار لها الشخصية المناسبة . والعشق عنده عشق إلهى صوفى برىء ، وقد رأينا فى تناوله للشخصيات التاريخية كيف انتهى منها إلى المعنى المقصود من اختيارها ؟ .

والباب بجانب هذا ، يتضمن كثيراً من أفكار الشاعر الصوفية ، التى كانت تسود فى ذلك العصر ، وهو يحاول أن يثبت وجود عالم آخر وراء هذه الماديات ، إذا ما قطعت الفواصل بين العالمين — بالسعى والاجتهاد والجد فى الطلب فى طهر وإخلاص — أمكن الوصول إلى العالم الآخر الذى لا يتكشف للإنسان العادى .

ويمكن أن نرتب أفكار الباب العامة على النحو الآتى :

(١) انظر مقدمة الكليستان للإسناذ الكركمانى — ص — مط .

- (۱) أهل الصورة وأهل المعنى . (۲) صفات أهل المعنى .
 ۱ — صفات قبل الوصول . ب — صفات بعد الوصول .
 (۳) عقيدة الفناء في الله . (۴) عقيدة وحدة الوجود .

أولاً — أهل الصورة وأهل المعنى :

وأهل الصورة لا يدركون أهل المعنى في قوله :
 — يبدو لك البحر ، عظيماً بموجه !!
 وتبدو لك الشمس البراقة ، عالية بأوجها .
 — لكن أنى الطريق لأهل الصورة ، فيسلكونه
 ليفهموا أن أهل المعنى ، في ملك غيره ؟^(۱) .
 ولا بد من التجرد عن الماديات لإدراك ما وراءها :
 — إن الهوى حجاب ، ليس له حاصل
 فحين تقطع القيود ، فإنك واصل^(۲) .
 والعالم ملئ بأهل المعنى وطرقهم معروفة ، ولكن المبصرين :
 — إن العالم ملئ بالسماع ، والسكر ، والتوله !!
 ولكن ماذا يبصر الأعشى ، في المرآة ؟؟^(۳) .
 وما دام الإنسان يطلب الصورة فلن يبلغ شيئاً :
 — إذا كانت عينك تنظر حسن الحبيب
 فأنت في هوى نفسك ، لا في هوى الحبيب .
 — وما دام فلك مفتوحاً ، يرى هوى المطالب
 فلن يدخل أذن القلب ، سر من الغيب^(۴) .

- | | | |
|------|--|---|
| ق ۳۱ | بلندست خورشید تابان باوج
که آریاب معنی بملکی در نسد | (۱) عظیمست پیش تو دریا بموج
ولی أهل صورت کجا پی برنسد |
| ق ۲۹ | چو بوندها بگسلی واصلی | (۲) تعلق حجا بست وبی حاصلی |
| ق ۲۸ | ولیکن چه بیند در آینه کور؟ | (۳) جهان پر سماعت وستی و شور |
| ق ۱۹ | تو در بند خویشی نه در بند دوست
نیاید بگوش دل از غیب راز | (۴) گر از دست چشمت بر احسان اوست
ترا تادهن باشد از حرص باز |

ثانياً — صفات أهل المعنى :

١ - صفات قبل الوصول

ضعف العقل أمام العشق :

— کم من عقل ، قوی ، ظافِ
تخیله ثورة العشق ، إلى ضعف ، وأسرٍ (١) !! .

والتجرد عن سلطان النفس :

— إن الذي يوجهك ، إلى معرفة ربك
هو الذي ينقذك ، من سلطان نفسك (٢) .

وعدم الاستماع للناصحين :

— ما أحسن هذه النكتة ، في كتاب السندباد ! !
إن العشق نار ، يا بني ! والنصيحة ريح .
— والريح تزيد النار اشتعالا
وكذا الضرب يزيد النمر قتالاً (٣) .

والجدُّ في الطريق مهما كلفته :

— إن كنت عاشقاً ، فأمسك بأطراف حبيبك
فإن سألك روحك ، فقل له هي ، تلك ! ! .
— فإنك الفائر بالفردوس ، المقيم
في الوقت الذي تمر فيه ، على جحيم العدم (٤) .

-
- | | | |
|------|----------------------------|-----------------------------------|
| ١٤ ق | که سودای عشقش کند زیر دست | (١) بسا عقل زور آور چیر دست |
| ٢٧ ق | که از دست خویش رهای دهد | (٢) ترا با حق آن آشنائی دهسد |
| | که عشق آتشست ای سر پندباد | (٣) چه نغز آمد این نکته در سندباد |
| ٣٠ ق | بلنگ از زدت کینه ورتو شسود | بیاد آتشی نیز برتر شسود |
| | وگر گویدت جان بدو گو بگیر | (٤) اگر عاشقی دامن او بسگیر |
| ٨ ق | که بر دوزخ نیستی بگذری | بهشت تن آسانی آنکه خسوری |

والصبر حتى الوصول إلى الغاية ، وإدراك النهاية :

— لا عتب على ! أنا الغريق !

فإن الصبر ، لا حذله في العشق .

— فلئن ابيضت عيناى ، كما ابيضت عينا يعقوب

فلن أقطع الأمل ، من رؤية يوسف ^(١) .

— وينبغى أن يكون الطالب ، صبوراً ، في احتمال

فلم أسمع أن الكيماوى ، ملّ من العمل .

— فكم من الذهب يلقيه أسودّ التراب !!

لعل — يوماً — يتحول النحاس إلى ذهب .

— والذهب نفيس ، تقضى به حاجاتك

لكن — أى شىء — أغلى من دلال حبيبك ^(٢) .

فإذا اكتملت للعاشق هذه الصفات : السيطرة على عقله ، وعدم الاستماع

لناصحيه ، والجد في الطريق ، والصبر على ما يلقاه فيها ، واحتمال الأذى في سبيلها .

انتهى إلى السعادة الكاملة :

— طوبى !! للمولّين في حب الحبيب !!

سواء أكانوا يرون منه ، جرحاً ، أم مرها .

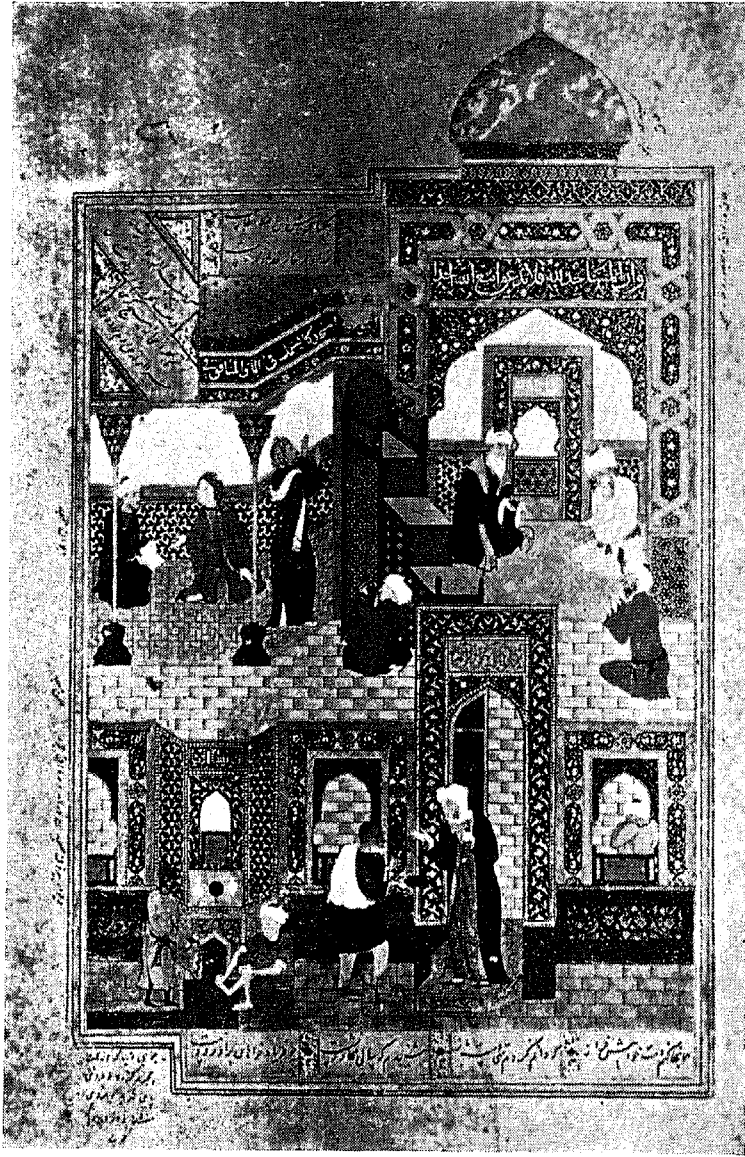
— أنهم سائلون ! ينفرون من السلطنة

لكنهم صابرون على السؤال أملاً في محبته .

— يتجرعون شراب الألم ، في كل لحظة

فإن وجدوه مرأ ، لم ينبسوا بئنت شفّه ^(٣) .

- | | |
|-----------------------------|------------------------------|
| (١) مكن با من ناشكيا عتيب | که در عنقی صورت نبندد شکيب |
| چو يعقوبم أردیده گردد سپيد | نبرم ز دبدار يوسف اميسسد |
| (٢) طلبگار بايد صبور و هول | که نشنیده ام کيميا گر ملول |
| چه زرها بخاک سیه در کند | که باشد که روزی مسی زر کند |
| رز از هر چیزی حريدن نکوست | چه خواهی خريدن به ازنار دوست |
| (٣) خوشا وقت شورید گمان غمش | اگر زخم بیند و گر مسر همش |
| گدایانی از پادشاهی نفور | بأمیدش اندر گدائی صبور |
| دمادم شراب ألم در کنسند | وگر بلخ بیند دم در کشند |



صورة من الداخل لمسجد وجماعة يتعبدون وآخرون يتهيأون للصلاة ،
 وفي أعلى الصورة أبيات من القصة رقم ٩ من باب العشق .
 عن النسخة الخطية بدار الكتب

ب - صفات بعد الوصول

يطلبون المزيد مما هم فيه :

— ينشـدون الحبيب ، وهو في الصـدور

وشفاهم ذابـلة — عطشاً — وهم على شاطئ النهر .

— لا أقول إنهم غير قادرين على الماء

لكنهم — كن على النيل — أصيب بالاستسقاء (١) .

وهم أقوياء بضعفهم :

— هم أصحاب عمل ، لكنهم في عزلة

وأرجلهم من تراب ، لكن أنفاسهم نارية .

— إنهم بصيحة واحدة ، يقتلعون جبلا

وبأنة واحدة يهدمون بلداً .

— هم كالرياح ، سـراع ، مختفون

وكالأحجار ، صامتون ، صائحون (٢) .

ولا يحسون ما يعترضهم من صعب :

— قوم خلت أيديهم ، لكنهم ملأى الحواصل

يقطعون الصحارى ، لكن بغير قوافل (٣) .

وهم في رعاية الله دائماً ، يستمدون قوتهم من قوته :

— إن المستغرقين في الوجد ، والحجب

نحرسهم — ليلاً ونهاراً — عين الله (٤) .

- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (١) دلارام در بر دلآ رام جسوی | لب آز تشنگی خشک بر طرف جوی |
| نگویم که بر آب قادر نینسد | که بر شاطیء نل مستسقیند ق ١ |
| (٢) گروهی عمل دار عزلت نشین | قدمهای خساکى دم آتشین |
| بیك نعره کوهی زجا بر کنند | بیك ناله شهرى بهم بسر کنند |
| چو بادند بنهای وچالاک بسوی | چو سنگند خاموش وتسبیح گوی ق ٣ |
| (٣) تہی دست مردان پر حوصـسله | بیا بان نـورد ند بی قافـله ق ٦ |
| (٤) پس آنانکه دروجـسد مستغرقند | شب وروز در عین حفظ حقند = |

— إنه — من حرارة النار — حفظ الخليل
 كما أنقذ — تابوت موسى — من لجة النيل .
 — ولماذا لا يعتد المدَّعون ؟؟
 أن الأبدال ، على الماء ، وفي النار ، يمسون .

ثالثاً — عقيدة الفناء في الله :

والشاعر يعرض لفكرة « الفناء في الله » في قطعتين مستقلتين . القطعة
 الخامسة من نسخة « سودى » وعنوانها « في معنى أهل المحبة » والقطعة
 الحادية والعشرون وعنوانها « في فناء الموجودات مع وجود الله تعالى » .

وبجانب هاتين القطعتين تتردد تلك العقيدة في الباب عموماً فيما يأتي :

— لا تنتظر أن يكون لي صبر بدونه !!
 ولا يمكن أن يكون لي قرْبى بغيره . !!
 — ليس عندي محل للبقاء ، ولا قدرة على الصبر
 ولا مكان للبقاء ، ولا قدم للفرار .
 — لا تقل لي ! ولَّ وجهك عن هذا الباب !
 ولو وضعوا رأسي — كالوتد — في الأطناب^(١) .
 — ومنذ ذلك الوقت ، الذي طلبني فيه حبيبي
 لم تبق لي معرفة ، مع أحد غيره .
 — ولأقسم بحقه ! حين ظهر لي ما فيه من جمال
 فكل ما سواه ، بدا لي ! كأنه خيال^(٢) .

<p>چو تابوت موسی ز غرقاب نیل که ابدال در آب وآتش روند ق ۲۰ که با او هم امکان نسدارد قرار نه امکان بودن نه سای گریز وگر سر چو میخم نهسد در طناب ق ۴ دگر با کسم آشسنانی نمانسد دگر هر چه دیدم خیالم نمسود ق ۶</p>	<p>= ننگه دارد از تاب آتش خلیل چرا أهل دعوی بدین نگر و نسد (۱) زمن صبر بی او توقع مسددار نه نیروی صبرم نه جای ستیز مگو زين در بر گه سر بتاب (۲) از آنکه که یارم کسی خویش خواند بچش که تاحق جام نمسود</p>
---	--

— واذ كنت حبيباً ، فلا تتحدث عن نفسك
فإنه شرك ، أن تجمع بين الحبيب ، وبين نفسك^(۱) .
— وإذا كانت لك قُربى بأعتابه
فلا تشغل بما في يدك ، عن محبته .
— إن الأولياء يخالفون طريقهم
إذا تمنوا من ربهم ، غير ربهم^(۲) .

رابعاً — عقيدة وحدة الوجود :

و بحوار عقيدة « الفناء في الله » تبدو أيضاً عقيدة صوفیه أخرى هی « عقيدة
وحدة الوجود » فی قطع مختلفه فی الباب :

— ليس طريق العقل ، إلا التواء ، وتعقيداً
وعند العارفين ، ليس سوى الله موجوداً .
— ومن الممكن أن يدرك هذا ، كل خبير
ولكن — أهل القياس — قوم إنكار^(۳) .
ولن يذوق كأس الوحدة إلا من نسي الدنيا والعقبى :
— إن من شرب خمر الوحدة ، ذات الصفاء
هو من نسي الدنيا ، ودار البقاء^(۴) .
والعاشق يرى العالم في وجوده تعالى :
— إنك تضع رأسك — في صدق — تحت أقدامه
حتى ترى العالم — كأنه عدم — في وجوده^(۵) .

- | | | |
|-------------------------------|----------------------------|------|
| (۱) اگر یاری از خویشان دم مزن | که شرکست بایار و با خویشان | ق ۵ |
| (۲) گرت قربتی هست دربار گاه | بخلعت مشو غافل از پادشاه | |
| خسلاف طریقت بود کاولیا | تمنا کنند از خدا جسسز خدا | ق ۱۹ |
| (۳) ره عقل جسز هیچ نیست | بر عارفان جز خدا هیچ نیست | |
| توان گفتن این با حقائق شناس | ولی خسرده گیرند أهل قیاس | ق ۳۱ |
| (۴) می صرف وحدت کسی نوس کرد | که دنیا وعقبی قسراموش کرد | ق ۳ |
| (۵) بصدقش چنان سر نهی در قدم | که بینی جهان با وجودش عدم | = |

— فإذا لم يُقَدَّر الحبيب ، ما لديك من ذهب
فسواء ما عندك ، من تراب ، وذهب .
— وعندئذ ! لا يحس بأحدٍ غَيره
إذ لا يبقى مكان للغير ، مع وجوده .
وعند الصفاء تبدو وحدة الوجود في المخلوقات كلها :

— ثم !! ما هي السماء والأرض؟؟؟
ومن هم أولاد آدم ، والطير ، والوحوش ؟ .
— أيها العاقل ! لقد سألت سؤالاً ، مفيداً
وإني أجيبك ، جواباً سديداً .
— إن الصحارى ، والبحار ، والجبال ، والأفلاك
والجن ، والإنس ، والشياطين ، والملائك .
— كلهم — جميعاً — مهما كان وجودهم
أقل من أن يحملوا — اسم الوجود — مع وجوده .
— ولكن أنى الطريق لأهل الصنوره ؟
فإن أهل المعنى في عالم غير عالمهم ^(١) .

زر و خاك بكسان نمايد برت	= چو در چشم شاهد بیايد زرت
که با او نمائد دگر جای کس ق ۲	دگر باکست بر نیاید نفس
بنی آدم و دام ودد کیسند ؟	(١) که پس آسمان وزمین چیستند
بگویم گر آید جوابت پسند	سندیده پرسیدی ای هوشمنسد
پری و آدمیزاده و دبسو و ملک	که هامون و دریا و کوه و فلک
که با هستیتش نام هستی برسد	همه هرچه هستند از آن کمتر نسد
که ارباب معنی بملکی درسد ق ۲۱	ولی اهل صورت کجا بی برسد

٤ - باب التواضع

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	قصبة عن سعدى	عن شخصية تاريخية	عامه	المطلع
١	١	٤		عامه	عامه	زخاك آفريدت خداوند پاك
-	٥	٥		»	»	يكي قطره باران زأبرى چكيد
٣	١٠	١٢		»	»	جوانى خرد مند پاكيره بسوسوم
٤	٢٢	٨		بايزيد البسطامى	»	شنيدم كه وقتى سحرگاه عيد
	٣٠	١٢		»	»	ز مغرور دنيا ره دين مجسوسى
٦	٤٢	٥١		سيدنا عيسى	»	محدث چنين آورد در كلام
	٩٣	٣٨	سعدى		»	فقيهى كه ن جامه تنه گدست
٨	١٣١	١٤	سعدى		»	چه خوش گفت خر مهره در گلى
٩	١٤٥	٥٧		»	»	يكي پادشه زاده در گنجبه بسود
١٠	٢٠٢	١٤		»	»	شكر خنده انگين مى فروخت
١١	٢١٦	٧		»	»	شنيدم كه فرزانه حق پرست
١٢	٢٢٣	٧		»	»	سگى پاى صحرا نشينى گزيد
١٣	٢٣٠	١٧		»	»	بزرگى هنرمند آفاق بسود
١٤	٢٤٧	٣٥		معروف الكرخى	»	كسى راه معروف كرخى بجست
١٥	٢٨٢	٣٥		»	»	طمع برد شوخى بصاحب دلى
١٦	٣١٧	٢٨		»	»	ملك صالح از پاد شاهان شام
١٧	٣٤٥	٧		كوشيار الحكيم	»	يكي در نجوم آندي دست داشت
١٨	٣٥٢	١٢		»	»	بخشم از ملك بنده سر بتسافت
١٩	٣٦٤	١٢		»	»	زويرانه عارفى ژنده پوش
٢٠	٣٧٦	١٧		حاتم الأصم	»	گروهي بر آنند زأهل مسخن
٢١	٣٩٣	٢٤		»	»	عزيزى در اقصاى تبريز بسود
٢٢	٤١٧	٨		»	»	يكي را چو سعدى دل ساده بود
٢٣	٤٢٥	٣		بهلول	»	چه خوش گفت بهلول فرخنده خوى
٢٤	٤٢٨	١٢		لقمان الحكيم	»	شنيدم كه لقمان سميّه فام بود
٢٥	٤٤٠	١١		الجنيّد	»	شنيدم كه در دشت صنعا جنيد
٢٦	٤٥١	٥		»	»	يكي بر بطى دريغل داشت مست
٢٧	٤٥٦	٢٠		»	»	شنيدم كه در خاك وخش ازسهان
٢٨	٤٧٦	١٧		سيدنا على	»	كسى مشكلى بسرد پيش على
٢٩	٤٩٣	٩		سيدنا عمر	»	گدائى شنيدم كه در تنگنائى
٣٠	٥٠٢	٤		»	»	يكي خوب كردار و خوش خوى بود
٣١	٥٠٦	٢١		ذوالنون المصرى	»	چنين ياد دارم كه سقاء نيل
	٥٢٧		٢ +	١١ +	١٨	٣١ =

قصص باب التواضع

تبلغ قصص هذا الباب احدى وثلاثين قصة ، فى خمسمائة وسبعة وعشرين بيتاً تتوزع كالآتى :

- ١ — قصتان عن سعدى .
- ٢ — إحدى عشرة قصة عن شخصيات تاريخية .
- ٣ — ثمانى عشرة قصة من القصص العامة .

قصة عيسى عليه السلام

وتقع السادسة فى الترتيب ، فى واحد وخمسين بيتاً ورقم المطلع ٤٢ تضع لهما نسخة سودى عنواناً « عيسى عليه السلام والعابد المتكبر والفاسق النادم » . واختيار سيدنا عيسى لهذه القصة مناسب للغرض منها . فهى تدور حول مذهب متواضع ، نادم ، وعابد متكبر . يستحضر فيها الشاعر شخصية أخرى تلائم النبوة ، وهو جبريل يوحى به إلى عيسى .

ويفتتح الشاعر الحديث عن المذهب الذى غرق فى ذنبه ، لكنه عاد فندم . فقبلت توبته ، ورضى عنه ربه ، ثم ينتهى إلى بيان ، أن رحمة الله واسعة ، والأمل فى عفوه كبير :

— هكذا فال محدثى فى الكلام !!

إنه فى عهد عيسى عليه السلام !! .

— أنفق أحد الناس ، عمره فى خسارة

وانتهى الأمر به ، إلى الجهل ، والضلالة^(١) .

(١) محدث حسين آرد در كلام يكى زندگمانى تلف كرده بسود كه در عهد عيسى عليه السلام بجهل و ضلالت سر آورده بود

والشاعر يمضي في تقوية صور الآثام عند ذلك الرجل ، فكان مغامراً
قاسى القلب ، يخجل إبليس من دنسه ، محباً للشهوة ، مخموراً ، غافلاً . ثم ينتهى
في عرض حال الرجل إلى الاستغفار ، والتوبة في قوله :

— كان خجولاً — يردد كلمات الاستغفار — بحرقه
فكم من ليال ! أمضاها في غفلة .
— تمطر عيونه — دمعاً — كالسيل المنهر
قائلاً ! واحسرتا ! لقد أمضيت — في غفلة — عمرى ^(١) .

ويردد الشاعر استغفاراً كثيراً على لسان ذلك المذنب ، ومناجاة ربه
أن يغفر له . وأخيراً ينتقل إلى تصوير حال المتعبد المتكبر ، وقد جمعها في مكان
واحد ، يستمع هذا لتوبة ذاك ، في قوله :

— ومن الجانب الآخر ، كان العابد المغرور
مقطب الحجاب ، على الفاسق الشرير .
— يقول ، ما لهذا التعس ، يسلك سبيلنا !! ؟؟
إنه شرير !! ليس مكانه بيننا .
— لقد انغمس — حتى عنقه — في النار
وأسلم — أدراج الرياح — عزيز العمر .
— وما الخير الذي بدا من نفسه الملوثة
حتى يطلب صحبة المسيح ، وصحبتى ؟ ^(٢) .

ثم يظهر الشاعر مدي ضيق المتعبد المغرور بهذا الرجل المذنب النائب ،
ويدعو الله ألا يحشره معه . وهنا موضع مغزى القصة ، فرحة الله واسعة .
يقول على لسان المغرور :

- | | |
|---|--|
| <p>ز شبهای در غفلت آورده روز
که عمرم بغفلت گذشت ای دریغ
ترش کرده بر فاسق ابرو زدور
نگون بخت جاهل چه در خورد ماست
بیاد همسوا عمر بر داده ای
که صحبت بسود با سیح وینش</p> | <p>(١) خجل زیر لب عذرخواهان بسوز
سروشک غم آزدیده باران چومیغ
(٢) وز آن نیمه عابد سری پر غرور
که این مدبر اندر پی ما چراست
بگردن در آتش در افتاده ای .
چه خیر آمد از نفس تر دامنش</p> |
|---|--|

— إني أنألم من طلعتنه ، وأخشى المصير
 فلعل ناره تلحقني ، وليس من يحير .
 — رب ! ! يوم يساق للحشر العباد
 لا تجمعني — وإياه — في واد^(١) !!! .

وهنا يهيب الشاعر الفرصة لينزل الوحي على عيسى عليه السلام ، فيأتيه هاتف
 من الله عزت قدرنه ! إنه قبل دعاء الاثنين معاً ، فأَمْضَى بالأول إلى الجنة ، استجابة
 لاستغفاره ، ولم يحشر الآخر معه استجابة لدعائه ، فكانت النار نصيبه . يقول :

— بينما كان الغرور يفكر ، وإذا وحي الجليل
 يهبط على عيسى عليه السلام .
 — قائلاً !! إن كان هذا عالماً ، وذاك جهولاً
 فأني تقبلت دعاء الإثنين معاً .
 — فصاحب الأيام ، التي ملأها بالضلال
 تضرع إلىَّ بمحرقة ، وإذلال .
 — وكل من أتاني ، مستغفراً ، ذليلاً
 لا أبغى له عن أعتاب كرمي بديلاً .
 — إني أعفو عنه ، وأغفر أعماله السيئة
 وأنعم عليه — تفضلاً مني — بالجنة .
 — وإن كان يقع في ظن ذلك العابد
 أن من العار ، أن يجالس في الخلد^(٢) .

-
- (١) همی رنجم از طلعت ناخو شش
 بمحشر که حاضر نسوند انجمن
 (٢) درین بود ووحی از جلیل الصفات
 که گر عالسناین وگروی جهول
 تبه کرده آیام برگشته . . . روز
 بیچارگی هرکه آمد بـرم
 ازو درگذا رم عمل های زشت
 وگر عار دارد عبادت مسرست
- مبادا که در من فسد آتشش
 خدایا تو با او مسکن حشر من
 در آمد بعیسی علیه الصلوات
 مرا دعوت همدردو آن قبسول
 بنالید بسرم من بزاری وسوز
 بینسد از من ز آسان کرم
 پانعام خویش آر مش در پشست
 که در خلد باوی بسود هم نشست =

— قل له !! لن يصيبك منه — يوم القيامة — كبير عار
فإنه سيذهب إلى الجنة ، وأنت إلى النار .
ويردّد الشاعر في ختام القصة معنى ، إن القبول عند الله إنما هو على أساس
التواضع ، مهما كانت الذنوب كثيرة ، ومهما كان لون العبادة ، فإن الله لم يقلل
باب غفرانه أمام تائب .

قصة سيدنا عمر

وهي التاسعة والعشرون في الباب ، في تسعة أبيات ، ورقم المطلع ٤٩٣ ، وتصور
مبلغ عدل عمر ، وتواضعه ، وترفعه بالرعية ، مع ما كان له من السلطان ، ثم دعوة
إلى التمثيل بأساليبهم :

— سمعت أن سائلاً ، كان يمر في مكان ضيق
فمضى به « عمر » ، فداس على قدمه ^(١) .

ويصور الشاعر جهل الفقير المسكين ، لم يكن يدري من الذي مضى به ؟ ؟
فتار ، ورمي « سيدنا عمر » بالعمى ، وعدم البصيرة ، فأجابه « عمر » مترففاً :
— لست بالضرير ! ولكني أخطأت المسير
ولم أعلم بك ، فأغفر من ذنبي ^(٢) .

ويخرج الشاعر من هذه القصة بالدعوة إلى المعنى العام ، وهو التواضع .
وعدم ظلم الراعي للرعية .

— إن كنت تخشى ربك ، يوم يطلبك للحساب

فأغفر خطيئة ، الذي يهرب منك العقاب .

— ولا تظلم — أيها الباغي — أتباعك

فإن هناك — كذلك — قوة فوق قوّتك ^(٣) .

که آنرا بچنت برسد این بنار	= بگوئنگ ازودر قیامت سدار
نهادش عمر پای بسر بشت پای	(١) گدائی شنیدم که در تنگجائی
نمدا نستم از من گنه در گذار	(٢) نه کورم ولیکن خطا رفت کسار
از آن کز تو ترسد خطا در گذار	(٣) اگر می بترسی ز روز شمसार
که دستبست بالای دست توهم	مکن خیره بر زیر دستان ستم

قصة سيدنا علي

وتقع الثمانية والعشرين ، في سبعة عشر بيتاً ورقم المطلع ٤٧
وتدل على سعة حمله ، مع تواضعه . ولكنها في ثوب آخر ، وتضع نسخة «سودي»
عنواناً لها « حكاية أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه وسيرته الطيبة في التواضع » .
وتعرض القصة رجلاً ، رفع إلى « عليّ رضي الله عنه » مشكلة من المشاكل
يطلب حلها ، فأجابه ، ولكن أحد القوم اعترض . ويصور الشاعر مدى حلم
« عليّ » ، وتواضعه ، مع ما كان عليه من العلم ، فيقول :
— سمعت أن رجلاً بين المستمعين
قال له ليس الأمر كذلك ، يا أبا الحسن !! .
— فلم يتألم « الحيدر » ، ذائع الصيت
بل قال له ، قل ما تعلم ! فإن كان خيراً ، سمعت ^(١) .
وهنا ينتقل الشاعر إلى تصوير مبلغ حلم « علي » وتواضعه في قوله :
— أعجب ، سـيـد الرجال الجواب
قائلاً لقد كنت الخطيء وأجاب هو الصواب ^(٢)
ثم تمضي القصة في توكيد معنى التواضع والدعوة إليه .

قصة حاتم الأصم ^(٣)

تخير الشاعر لهذه القصة رجلاً يدعى الصمم . ونقع قصته العشرين في الترتيب ،
في سبعة عشر بيتاً ، ورقم المطلع ٣٧٦ .
وتدور القصة حول اصطناع الصمم عند « حاتم » هذا ، حتى يمكنه أن يستمع
— من حيث لا يشعر الناس — لما في طبعه من كمال ونقص ، فيرتد عن النقائص .
واصطناع الصمم ملائم لهذا الباب ، مادام الإنسان سليم الحساسية .

(١) سنيدم كه شخصي در آن انجمن
نرخيد أزو حيدر نامجسوي
بگفتا جنين نيست يابا الحسن
بگفت أز تو داني آزين به بگوي
(٢) پسنديد أزو شاه مردان جسواب
که من بر خطا بودم او بر صواب
(٣) كان رجلاً ولياً يعرف بحاتم الأصم . من قدماء مشايخ بلخ . مات بمدينة « وانشجرد »
سنة ٢٣٧ هـ . وكان مشهوراً بهذا اللقب ؛ ومع ذلك لم يكن أصماً ... ص ٢٩٩ بستان جراف .

فهذا باب في التواضع ، وليس خيراً — في هذا المعنى — من أن يستمع الإنسان لما أخذه ، ليعمل بالخير منها ، ويترك القبيح . فهي تعالج مسألة اجتماعية قلما يعتنقها الناس ، وهي إفساح الصدور للنقد البريء .

يعرض الشاعر تصويراً على لسان متحدث ، أدرك أن « حاتماً » سمع صوت ذبابة وقعت في شباك عنكبوت ، يقول له :

— كيف فهمت طنين الذبابة ؟ ؟

وقد طرق أسماعنا بصعوبة ! ! .

— إنك تدري ، طنين الذباب

فلا ينبغي أن ندعوك أصماً ، لهذا السبب .

— تبسم — ضاحكاً — وقال أيها العاقل

إن الأصم خير ممن يسمع الباطل .

— فالذين يقيمون معي في صفاء

يسترون على العيب ، ويبسطون الثناء .

— وحين يعلم القوم ، أنني أصم

أسمعوني كل ما في من كمالكم^(١) .

قصة لقمان الحكيم

يحضره الشاعر ، ليجري على لسانه بعض الحكم في معنى الاحتمال والتواضع ، بعد أن عانى مشقة كبيرة — مدى عام — وهو يعمل مسخراً .

والقطعة تقع الرابعة والعشرين ، في اثني عشر بيتاً . وبيت المطلع ٤٢٨ ، وعنوانها « لقمان الحكيم وتحمله » . وتصفه بأنه كان أسود اللون ،

(١) مگسرا تو چو نفهم زردی خروش	که ما را بد شواری آمد بگوش
توکا گاه زردی بیانگ مگس	نشاید اصم خواندنت زین سپس
تبسم کنان گفتنس ای تبر هوتس	اصم به که گفتار باطل نیوش
کسانی که با ما بخلوت درند	مرا عیب بوش و ثنا گسترند
چو دالیوه داندندم أهل ننست	بگویند نیک و بدم هر چه هست

ليس في بداته ، ولا لطيف الهندام ، فظنه رجل أنه كان عبده ، فحمله وعاش عنده ذليلاً ، مسخراً في البناء . والشاعر يجعل « لقمان » صامتا ، محتملاً ، مدى هذه المشقة ، تربية لنفسه ، وتواضعاً منه . إذ يقول :

— ذاق منه أذي ، وأذله جوراً وقهراً
حتى بنى له — بعد عام — قصراً^(١) .

وتمضى القصة فتقول ، إنه لما استكمل البناء ، كان الخادم القديم قد عاد فأحس الرجل أنه أساء للقمان فاعتذر إليه ، ولكن لقمان أجابه ، مافائدة الاعتذار بعد أن احتملت جهد عام ؟؟؟ ثم يخرج الشاعر إلى مغزى القصة ، فيجري على لسانه بعض الحكم في معني الاحتمال ، حتى يشعر الإنسان بمدى حاجة الضعفاء إلى معونة الأقوياء .

— من لم يَحْتَمِلْ ظلم الكبار ، الأقوياء
لا يحترق قلبه ، على الصغار ، الضعفاء^(٢) .

قصة كوشيار الحكيم^(٣)

وقصته السابعة عشرة ، في سبعة أبيات ، ويبت المطالع ٣٤٥ وعنوانها « محروم متكبر » . وتدور القصة حول رجل كان على علم واسع في النجوم ، ولكنه كان متكبراً مغروراً . يمضى الشاعر فينقل هذا الرجل إلى « كوشيار » ليتلقى عليه بعض المعارف . ولكن « كوشيار » أعرض عنه — حين رآه مغترأً — ولم يعلمه حرفاً واحداً ، فلما هم بالرحيل عائدًا إلى موطنه ، ألقى عليه « كوشيار » درساً في التواضع ، على نسق الحكمة .

(١) جفا دبد وبا جور وقهرش بساخت بسالى سرائ ز بهرش بساخت

(٢) هر آنكس كه جور بز رگمان نبرد لسوزد دلتش بر ضعيفان وخرد

(٣) هو حكيم آخر من كيلان . كان تلميذاً لابن سينا — هامش نسخة جراف

— زعمت أن عقلك ، يفيض امتلاء
 فكيف — لأكثر من سعة — يحتمل الإناء .
 — إنك ممتلىء ادعاء ، ولهذا عُدَّ خالياً
 وأتينا خالياً !! حتى يمكن أن تمتلىء بالمعاني ^(١) .

قصة بهلول (٣)

وهي من القطع الصغيرة في الباب وعنوانها « بهلول العاقل » ، وعدد أبياتها
 ثلاثة أبيات ، وترتيبها الثالثة والعشرون ، ويمكن أن تكون في باب العشق كما سيبدو :

— ما أحسن قول — سعيد الخلق — بهلول !!
 حين مر على عارف يثير الجدل .
 — لو كان هذا الدعي يدرى الحبيب
 لما أعلن الخصومة لأوهي سبب .
 — ولو كان خبيراً بوجود الحق
 كعدَّ — في طي العدم — جميع الخلق ^(٢) .

قصة أبو يزيد البسطامي (٤)

تخير الشاعر بعض الشخصيات الصوفية ، واختياره لها مناسب للباب تمام
 المناسبة ، وهو يقلد كل شخصية قصة من القصص تدور حول معنى من المعاني ،

-
- (١) تو خو درا گمان برد پر خسرد انائی که پرشدد دگر چون برد ؟
 زد عوی بری زان تہی میروی تہی آی تا پر معانی شسوی
- (٢) بهلول ، هو أحد اخوة هارون الرشيد . انصرف إلى العبادة والانقطاع لها ، حتى عد
 من رجال الله . انظر ص ١١٠ من شرح سودي و ٢٧٤ من شرح جراف .
- (٣) چه خوش گفت فرخنده خوی چو بگذشت بر عارفی جنگجوی
 گر این مدعی دوست بشناختی بپیکار دشمن نسپرد اختی
 گر از هستی حق خبر داشستی همه خلق را نیست پند اشتی
- (٤) هو أبو يزيد طيفور ابن عيسى البسطامي ، كان جده مجوسياً فأسلم ، وكانوا ثلاثة
 أخوة آدم ، وطيفور ، وعلي . وكلهم كانوا زهاداً عباداً . وأبو يزيد كان أجلهم
 حالاً ، قيل مات سنة ٢١١ هـ — الرسالة القشرية ص ١٤ .

وتعالج موضوعاً من الموضوعات ، وقد تخيرها الشاعر من مواطن مختلفة كما سيبدو .
وقصة « أبو يزيد » تقع الرابعة في الباب ، في ثمانية أبيات ، وتدور حول
معنى التواضع ، وعلاج التكبر . خرج « أبو يزيد » يوم العيد من حمامه ، فألقى
عليه رماد من شرفة — وهو في الطريق — فتلوث شعره ، وعمامته ، فمسح وجهه
بكفه ، وهو يقول : « شكراً يا إلهي » . ثم يتخلص الشاعر إلى المعزى المقصود
من القصة ، وهو التواضع .

— إن التواضع يعلى من شأنك
ويهوى بك الكبرياء في حضيض التراب .
— وما الذلّة ، إلا مال كل جبار عنيد
فلا تترفع ، إن كنت الرفع ، تبغى المزيد^(١) .

قصة معروف الكرخي^(٢)

وهي الرابعة عشر ، وتقع في خمسة وثلاثين بيتاً ، وتضع لها نسخة سودى
عنوان « معروف الكرخي ، والمسافر المريض » .
وتعالج القصة موضوعاً يدور حول معنى السكرم ، بجانب التواضع ، فهي
من بعض جوانبها تصلح لأن تكون في باب الإحسان ، ولعل الذي جعلها هنا
أنها تدور حول شخصية صوفية .

وافتحية القصة ينطوى على امتحان « معروف » ومبلغ كرمه . إذ نزل عليه
رجل مريض ، كثير الشكاية ، كثير الأنين ، حتى ضج الناس منه . ويبالغ

(١) تواضع سر رفعت أفسرازدت تكبر بخاك انسدر اندازدت
بگردن قند سر كش تند خوى بلنديت بايد بلندی میجوی
(٢) هو أبو محفوظ معروف الكرخي . كان من كبار المشايخ . يقول البغداديون فبر
معروف تزياف مجرب . وهو بن موالى على بن موسى الرضا . بسات سنة ٢٠٠ هـ
— الرسالة القشيرية ص ١٠

الشاعر في تشويه أمر هذا المريض ، يجعله بذىء اللسان كذلك . يقول
في المطلع ، من معنى الكرم .

— لم يسلك إنسان طريق معروف الكرخی
إلا ألقى عن رأسه تاج المعرفة .
فقد سمعت أن رجلاً طلب ضيافته
وليس بينه — وبين الموت — إلا مدة قصيرة ^(١) .

ويردد الشاعر كثيراً من معاني الكرم بعد هذا المطلع ، ولكنه يشير أيضاً
إلى معنى التواضع في أبيات منها .

— إن الذين ارتفعوا إلى العلياء
هم الذين أقنوا عن رؤوسهم ، تاج الكبرياء ^(٢) .

قصة الجنيد ^(٣)

وتقع الخامسة والعشرين ، في ثلاثة عشر بيتاً ، وتدور القصة حول معنى
التواضع والحلم ، يجعل الشاعر « الجنيد » يلتقي بـ كلبٍ هَرَمٍ ، أهلكته الأيام ،
واستولى عليه الضعف ، فرثى لحاله وأشفق عليه ، وأعطاه نصف زاده .

ثم يطوى في القصة بعض معاني التواضع ، في مقارنة بين حاله ، وحال الكلب
لو لم تزني كسوة المعرفة
فاني أقل — كثيراً — من هذا الكلب ^(٤) .

-
- (١) کسی راه معروف کرخی بچست که بنهاد معروفی از سر نخست
شنیدم که مهمانش آمد یکی ز بهاریش تا بمرگ آنسودکی
(٢) بدولت کسانی سر افراختن سود که تاج تکبر پیندا ختنسود
(٣) أبو القاسم الجنيد . أصله من نهاوند وولده بالعراق ، وكان أبوه يبيع الزجاج فيقال
له القواريري . كان فقيهاً على مذهب أبي ثور . سمات سنة ٢٩٧ هـ — الرسالة
القشيرية ص ٢٠ .
(٤) وگر کسوت معرفت در بسم نمساند بپسار از بن گمسترم

قصه ذى النون المصرى (١)

هى الأخيرة فى الباب ، ورقمها الواحد والثلاثون ، فى واحد وعشرين بيتاً ، وتدور حول التواضع أيضاً . وترى القصة إلى أن رجال الله — مهما علت منزلتهم — هم الذين يدركون أنهم أقل عباد الله ، وأكثرهم شراً . وتصور القصة حادثة وقعت له إذ جفَّ النيل ، وانقطع المطر ، ونزلت بالقوم شدة قاسية . فلبجأوا إلى الله يدعونه ومضى أحدهم إلى « ذى النون » يرجوه أن يدعو إلى هؤلاء المساكين . فان كلام المقرَّب لا يرد عند الله .

ولكى يحبك الشاعر القصة يمضى « بذى النون » إلى خارج القطر لمدة من الزمن . — سمعت أن ذا النون توجه تلقاء « مدين » ولم تنقض مدة طويلة ، حتى سخت السماء . — أمضى « بمدين » عشرين يوماً ، جاء الخبر إن السحاب تساقط ، وانهم — المطر (٢)

فلما ارتدت الحياة — رحية هائلة — عاد ذو النون إلى مصر ، وهنا يظهر معنى التواضع . يجرى الشاعر على لسان شخص آخر سؤالاً « لذى النون » عن سبب سفره إلى « مدين » ، فيجيب « ذو النون » : — سمعت أن الرزق يضيق على النمل ، والدواب ، والطيور بما يقع من آثام ، فعل الأشرار . فكثرت — كثيراً — فلم أرى فى هذا الوطن من — هو أسوأ عملاً — منى (٣) .

(١) هو أبو الفيض ذو النون المصرى . كان أوحدهم وقتهم علماء ووعاءً وحالاً وأدباً ، سعوا به إلى التوكل ، فلما حمل اليه ودخل عليه ، وعظه ، فبكى المتوكل ، ورده إلى مصر . الرسالة القصيرة ص ٩ .

(٢) شتيدم كه ذو النون بمدين گريخت بسى برنياسد كه باران گريخت
خبر شد بمدين بس از روز بېست كه ابر سیه دل بر ایشان گريست
(٣) شتيدم كه بر مرغ ومور وددان شود تنگ روزى بفعل بدان
درين کشور آندیشه کردم بسى پریشان تر از خود ندیدم كسى =

— فذهبت بعينها أحمل ما أنا فيه من شر
حتى لا يغلق الله على عباده باب الخير .
ثم يختم القطعة بتأييد هذا المعنى :

— إن كنت تريد الرفعة فتواضع
فإن الأخيار، لم يروا في الدنيا من هو أسوأ منهم^(١) .

الرؤى العامة في باب التواضع

لا تعدو الأفكار العامة — في الباب كله — ما دار في القصص الشخصية ،
ويمكن أن نجعلها في ناحيتين :
أولاً — دعوة عامة إلى التواضع فإن فيه الرفعة وعلو المنزلة . وليس — كما يفهمه
الناس — حقارة وذلة .

ثانياً — صفات المتواضع .

١ — الدعوة إلى التواضع :

والشاعر نفسه في مستهل الباب لا ينسى أن يجعل المطلع مناسباً للمعنى :

— خلق الله الإنسان من تراب
فتواضع — أيها العبد — وكن كالتراب^(٢) .

ثم يتردد في الباب الدعوة إلى هذا المعنى في مواضع مختلفة :

— إن التواضع يعلى رأس رفعتك
ويلقيك الكبرياء في حضيض التراب^(٣) .

برقم مبادا که از سسیر من	ببندد در خسیر در انجمن
(١) بی بایدت لطف کن کان بهان	ندیدندی از خود بتر در جهان
(٢) ز خاک آفریدت خداوند پاک	پس ای بنده افتادگی کن چو خاک
(٣) تواضع سر رفعت آفرادت	تکبر بخاک آندر انسدادت ق

— وحين تواضعت قطرة الماء أمام البحر
 تَرَبَّى الصدف — عزيزاً — في أحضانها ^(١) .
 — وحين تواضع التراب ، خَلَقَ منه الإنسان
 وحين تعاظمت النار ، خلق منها الشيطان ^(٢) .

٢ — صفات المتواضع :

ألا يغتر بعلمه :

— زَعَمْتَ أَنْ عَقْلَكَ مَلِيئاً بِالْمَعْرِفَةِ
 فكيف يتسع الإِنْدَاءُ لغير ما يَحْتَمِلُهُ ^(٣) ؟؟

ولا بماله :

— ليس الغنيُّ — بماله — أَفْضَلَ النَّاسِ
 فالْحَارِ حَارٌ ، وَلَوْلَبِسَ رِداءٌ مِنْ أَطْلَسٍ ^(٤) .

ولا بمرکزہ :

— إِنْ كُنْتَ شَاغِلاً مِنْصَباً جَلِيلاً
 فَلَا تَسْخَرِ مِنَ الْعَاجِزِ إِنْ كُنْتَ عَاقِلاً ^(٥) .

-
- | | | | |
|------|------------------------------|-----|-----------------------------|
| ٢ ق | صدف در کنارش بجان پرورید | (١) | چو خسود را بچشمی حقارت پدید |
| ١ ق | از آن دیو کردنسد از این آدمی | (٢) | چو آن سرفرازی نمود این گمی |
| ١٧ ق | انائی که پرشسد دگر چون برد ؟ | (٣) | تو خود را گمان برده پر خرد |
| ٨ ق | خر أرجل أطلس پوشید ، خراست | (٤) | نه منعم بمسال از کس بهترست |
| ٥ ق | بر افتاده گمر هوشمندی مخند | (٥) | چو استاده بر مقامی بلند |

٥ - باب الرضا

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	عن سعدى	عن شخصية أو حيوان	عامية	المطلع
١	١	٨			عامية	شبي زيت فكرت همى سسوختم
٢	٩	٧			»	سعادت ببخشایش داو رست
٣	١٦	٥١	سعدى			مرا در سپاهان یکی یا ر بود
٤	٦٧	٧			»	یکی آهینین ییجه در اردیسل
٥	٨٤	٥			»	شبی گردی از درد پهلونخفت
٦	٨٩	٥			»	یکی رومستائی سقط شد خرش
٧	٩٤	٤			»	شنیدم که دیناری از مغلسی
٨	٩٨	٣			»	فرو کوفت پیری پسر را بچوب
٩	١٠١	١١			»	بلند اختری نام او بختیسار
١٠	١١٢	٩			»	یکی مرد درویش در خالک کیش
١١	١٢١	١٢		النسر والحدأة		چنین گفت پیس زغن کرگسی
١٢	١٣٣	٧			»	چه خوش گفت سنا کرد منسوج یاف
١٣	١٤٠	٦		البعیر والناقاة		شتر بیچه بامادر خویش گفت
١٤	١٤٦	٩			»	عبسادت باخلاص نیت نکوست
١٥	١٥٥	٥			»	ندانی که بابایی کوهی چه گفت
١٦	١٦٠	١٠			»	شنیدم که نابالغی روزه داشت
١٧	١٧٠	٣٢			»	سسیه کاری از نرد بانى فساد
	٢٠٢					
			١ +	٢ +	١٤ =	١٧

قصص باب الرضا

وتبلغ قصص هذا الباب سبع عشرة قصة ، فى مائتين واثنين من الأبيات وتوزع كالآتى :

١ - قصة عن سعدى . ٢ - قصتان على لسان الحيوانات .

٣ - أربع عشرة قصة من القصص العامة

قصة كركس وزغن :

أى النسر والحدأة . ينظمها الشاعر ليجرى على لسان هذين الحيوانين حكمة مشهورة « إن الحذر لا ينجى من القدر » .

وتقع القطعة فى ترتيبها الحادية عشرة ، فى إثنى عشر بيتاً ، وبيت المطلع ١٢١ وتدور القطعة بشكل محاوره بين الطائرين . يقول النسر للحدأة لا يوجد من هو أبعد منى بصراً ، فترفض الحدأة التسليم بهذه الدعوى إلا على دليل يقدم . وهنا تدخل القصة فى إطارها الحكم . يرتفع النسر والحدأة فى الجو ، والأرض من تحتهما خلاء صحراء ، فينظر النسر إلى أسفل — على مسافة بعد يوم — فلما بلغا هذا العلو ، ألقى بنظره على الأرض ، فرأى بعينه حبة ملقاة عليها .

وهنا نكتة من نكت القصة ، يوردها الشاعر ليعطى لها شيئاً من القوة . فتعجب الحدأة من ذلك ، ولم يبق لهما صبر ، فيهبطا من علوها فى الحال ، ويهوى النسر على الحبة ، ولكنه يقع فجأة فى الفخ المنصوب ، ويمجد نفسه محاطاً بالشبكة . وهنا ينتهى الشاعر من القصة إلى المعنى المقصود من إيرادها :

— ليست كل صدفة ، حبل بالدر
ولا يصيب الهدف دائماً ، كل شاطر ^(١) .

ثم يمضى الشاعر فى إبراز المعنى الذى قدمناه فى مطلع القصة . تسخر الحدأة من النسر بعد سقوطه فى الشرك . قائلة له . ما الفائدة فى رؤيتك للحبة ، ما لم يكن لك أبصار بشرك الخضم ! ؟؟؟ .

— سمعت أنه كان يجيب ، والقيد فى رفايه
إن الحذر ، لا ينجى من القدر ^(٢) .

(١) نسه آبتن در بود هر صدف نه هر بار ششاطر زند بر هدف
(٢) شنیدم که میگفت گردن ببند نباشد حذر با قدر مسود مند

ويختم الشاعر القصة بتأييد هذا المعنى :
 — لما كان الأجل قد مد يده لسفك دمه
 ضلل القضاء عينه التي ترى دقائق الأشياء .
 — إن الماء الذي لا يظهر فيه الساحل
 لا يصلح فيه كبرياء السابح^(١) .

قصة البعير والناقة :

وتقع في الترتيب الرابعة عشرة ، في ستة أبيات ، بعنوان « شتر بيچه »
 وتجري القصة في حديث يدور بين البعير وأمه . يستخلص منه الشاعر معنى « الجبر
 والاختيار » فما دام الإنسان ليس بخيراً فليرض بما قسمه الله . يدور الحديث بينهما
 في قول البعير لأمه : استريحى أماه ! بعد جهادك الطويل . فتجيبه الأم :

— يا بنى !! لو كان الزمام بأمرى
 فلن يرانى أحد أحمل الأثقال فى القفار^(٢) .

★ ★ ★

تحليل الألفاظ العامة في باب الرضا

والشاعر يردد في هذا الباب دعوة صادقة إلى العبادة الخالصة ، فإنها طريق الرضا
 بما قسم للإنسان ، والنفس الصافية هي التي تصل إلى مطلوبها ، وترضى بمقسومها .
 كذلك يعرض الشاعر في هذا الباب بعض الأفكار الفلسفية . فالأحداث
 قد تكون فوق طاقة الإنسان ، فلا بد أن يسلم با « القضاء والقدر » . كما أن كثيراً
 من الأحداث تحدث ولا اختيار للإنسان فيها ، وهنا فكرة « الجبر والاختيار » .

(١) أجل جون بخونتش بر آورد دست
 در آبی که پیدا نکردد کنسار
 (٢) بگفت ار بدستی منستی مهار
 ندبسدی کسم بارکتش در قطار
 قضا چتم باریک بینش بیست
 غرور شناور نیساید بکار

۱ — القضاء والقدر :

القضاء والقدر لا رد لهما :

— ما دام لم يكن في الوسع رد سهم القضاء

فليس للعبد درع ، إلا الرضا ^(۱) .

وإذا أعرض الطالع نفذ القضاء :

— لما كان الطالع معرضاً عنّا

تخطمت أمام سهم القضاء دروعنا ^(۲) .

والقوة ليست طريق السعادة :

— ومن ذا الذي ينال السعادة بالعمل

ومن ذا الذي يُشفي عين الأعمى بالكحل ^(۳) .

والإنسان مهما بلغ علمه لن يغير من الواقع شيئاً :

— إن جميع فلاسفة اليونان والروم

لن يستطيعوا أن يصنعوا عسلاً من الزقوم ^(۴) .

والطبيب مهما كان حاذقاً لن يغير من الواقع شيئاً :

— وكيف يدرى الطبيبُ طبَّ مريضه؟؟

بل كيف يدفع المسكين الموت عن نفسه ^(۵)؟؟.

— فإن القضاء يجري حتماً عليه

ولو أنه يدفع المرض عن غيره ^(۶) .

-
- | | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| (۱) سپر نیست مر بنده را جز رضای | (۱) چو رد می نگردد خدنگ قضای |
| سپر بنش تر فضا هیچ بسود | (۲) چو طالع زما روی برپنج بود |
| بسمه که بینا کند چشم کور؟ | (۳) که حاصل کند نیکبختی بزور |
| نسدانند کرد انگبین از زقوم | (۴) همه فیلسوفان یونان و روم |
| که بیچاره خواهد خود از رنج مرد | (۵) چه داند طبیب از کسی رنج برد |
| چهل سال از بن رفت و زندست گرد | (۶) فضا را طبیب آندر آن ساعت بمرد |

والبطل لا تغنيه قوته عن رد القضاء :

— وماذا تبدى قبضة البطل المجاهد

ما لم يسعفه من التوفيق ساعد^(۱) ؟ ؟ .

والله هو الموجه حيث يريد ، لا حيث يرغب الإنسان :

— يسوق القضاء السفينة حيث يشاء

ولو تقطع ثياب الربان ، جهداً وعناء^(۲) .

۲ — الجبر والاختيار :

ويبدو في الآيات الآتية :

— إذا كانت صورة حالك سيئة أو طيبة

فهي مصورة ، من يدى تقديره^(۳) .

— لم يضع الله أسباب الاختيار بيدى

حتى أكون سعيداً محدوداً^(۴) .

— والأفلام تجري بسعادتنا وشقائنا

ونحن لانزال فى بطون أمهاتنا^(۵) .

— إذا قلتَ إن زيدا أذانى ، وعمراً جرحنى

ففى هذا اللون ، شركاً خافياً^(۶) .

— وحين لا تستطيع أن تمد إلى الأفلاك يدك

فإن الموافقة على دورانها أمر يلزمك^(۷) .

-
- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| چه بازوى توفيق يارى نسکرد؟ ق ۳ | (۱) چه زور آورد بىنجه جهد مرد |
| وگر ناخدا جامه برتن درد ق ۱۳ | (۲) فضا كشتى آنجا كه خواهد برد |
| نگاه رنده دست تقدير اوست ق ۱۲ | (۳) گرت صورت حال بد يانكويست |
| كه مر خويش را كنم بختيار ق ۹ | (۴) نكردند دردست من اخنيستار |
| نگرديد وما همجنسان درشكم ق ۷ | (۵) بيمد بختى ونيكختى قسيلم |
| كه زيدم بيازرد وعمروم بخت ق ۱۲ | (۶) درين نوعى از شرك نوشيده هست |
| ضروريست باگردشش ساختن ق ۲ | (۷) جوتوان بر افلاك دسب آختن |

٦ - باب القناعة

رقم ق	رقم المطلع	عدد الآيات	عن سعدى	عن ذات	عامة	المطلع
١	١	٢٩			عامة	خدارا ندانست و طاعت نسکرد
٣	٣٠	٩			»	شکم صوفی را زبون کرد و فیرج
٣	٣٩	٩	سعدی		»	مرا حا جی شانه عاچ داد
٤	٤٨	١١			»	یکی با طمع بیش خوا رزمشسناه
٥	٥٩	١٣			»	یکی را کب آمد ز صاحب دلان
٦	٧٢	٩	سعدی		»	چه آوردم از بصره دانی عجب
٧	٨١	٥			»	یکی نیشکر دانت در طبقسری
٨	٨٦	٤			»	یکی را ز مردان روشن ضمیر
٩	٩٠	٨			»	یکی نان خورش جز بازی نداشت
١٠	٩٨	٦		الهرة	»	یکی گریه در خانه زال بسود
١١	١٠٤	٨			»	یکی طفل دندان بر آورده بود
١٢	١١٢	١٢		الابدال	»	شنیدم که در روزگار قدیم
١٣	١٢٤	٥			»	شنیدم که صاحب دلی نیکمرد
١٤	١٢٩	١١			»	یکی سلطنت ران صاحب شکوه
١٥	١٤٠	١٣			»	کمالست در نفس مرد سلیم
١٦	١٥٣	١٢			»	شنیدم ز پیران شیرین سخن
	١٧٤					
			٢ +	٢ +	١٢ =	١٦ =

فصل باب القناعة

تبلغ قصص هذا الباب ست عشرة قصة ، في مائة وأربعة وسبعين بيتاً ،
تتوزع كالآتي :

- ١ - قصتان عن سعدى .
- ٢ - قصة عن الأبدال .
- ٣ - قصة عن الهرة .
- ٤ - اثنتا عشرة قصة عامة .

قصه الابدال :

وتقع الثانية عشرة ، في اثني عشر بيتاً ، وعنوانها « تحول الحجر في يد أبدال الله ذهباً وفضة » .

وتدور القصة حول رجال الله الطاهرين المعروفين « بالأبدال » الذين يمدحهم الله بقوته ، فهي مماثلة لقصة رجل « فارياب » في بلاد المغرب ، حيث انتقل معه الشاعر هناك ، وألقى الرجل سجدته على الماء فطاف عليه .

والشاعر هنا يقول قصته على طريق السماع لا المشاهدة ، ذلك أنه يبدو أنها هذا المطلع :

— سمعت أنه في الزمــــن الأول

تحول الحجر — فضة ، في يد الأبدال ^(١)

وتدور القصة حول الدعوة إلى القناعة ، في مقارنة بين سلطان وفقير .

والقصة تصلح لأن تكون في باب الرضا كذلك ، ففيها دعوة إلى ما قسم الانسان . والشاعر يمضي بعد المطلع في بيان كيف تحول الحجر إلى فضة ؟ والأمر في نظره أمر المعاني ، فالرضا أساس كل شيء .

— لا تظن أن هذا الكلام تعوزه الحجة

فإذا رضيت ، فسواء لديك الحجر والفضة ^(٢)

ويخرج الشاعر إلى عرض معاني القناعة ، في المقارنة بين السلطان والدرويش :

— أخبر الفقير الذي يعبد السلطان

إن السلطان يعيش بائساً مسكِيناً

— فدَرَهُمْ من الفضة بسد رمق المعــــدم

ولكن « فريدون » نصف شعبان ، بملك العجم ^(٣)

شدى سنگ در دست ابدال سيم

چو راضى شدى سيم وسنگت يکيست

که سلطان زدرويش مسکينترست

فسريدون بملك عجم نيم سيمير

(١) شنيدم که در روزگار فديم

(٢) نيندارى اين قول معقول نيست

(٣) خبرده بدرويش سلطان پرست

گدارا کند يکدرم سيم سير

ویردد الشاعر معنى القناعة في هذه المقارنة .
 — إن حراسة الملك يحوطها بلاء التدبير
 والفقير سلطان ، ولكن سمى الفقير
 — والفقير الذى لا شئ يشغل خاطره
 خير من السلطان الذى لا ينتهى شبعه
 — والفلاح وزوجه ، ينامان فى هناء
 يحسدهما السلطان ، الذى يعيش فى عناء (١)

قصة الهرة :

وهى فى الترتيب العاشرة ، فى ستة أبيات ، ورقم المطلع ٩٨ تدور حوادث
 القصة على الهرة . ومغزاها حول القناعة بما قسم للمخلوق من الرزق . يجعل الشاعر
 الهرة فى بيت أرملة عجوز ، لا كسب لها ، ولا مال عندها . فلما أصابها العوز ،
 وسوء الحال ، انطلقت الهرة إلى نزل الأمير ، فضر بها عبيده بالسهم .

— كانت هرة ، فى بيت امرأة ذات ركب
 ولت أيامها ، والحال أدبر
 — فسارعت إلى الأمير تبغى نزله
 فضر بها بالسهم عبيده (٢)

أنظر إلى اختيار كلمة نزل الأمير هنا ، والمعنى من وجوده . أليس قد وجد
 لينزل فيه الناس ، يتناولون فيه ما لذ وطاب ؟ أليس وقد اتسع لهؤلاء ، يتسع لهرة

-
- (١) نگهبانی ملک و دولت بسلاست گدا ، ادشاهسب و نامش گداست
 گدائی که بر خاطرش بند نیست به از بادشاهی که خرسند نیست
 بنشیند خوش روستائی وجفت بذوق که سلطان درابوان نخت
 یکی گریه در خانه زال بسود که برگشته ایام وید حال بسود
 روانشد بمهما نسرای امسیر غلامان سلطان زندنش بسیر

ضعيفة ؟ وتفلت المرة من تحت أيديهم ، والدم يتقاطر من جسمها ، فيقول على لسانها ، وهي مسرعة - تبغى النجاة - من هول ما أصابها .

— إني إن نجوت من ضربة هذا الزاجر
فأني قانعة في خرابة العجوز بالفأر^(١)

وينتهي الشاعر إلى مغزى القصة « لا يتطلع الإنسان إلى رزق شئى
محاط بالشراة » .

— لا يساوى العسل - يا عزيزى - جراح الإبر
فعد القناعة ، خير منه عصير التمر
— والله لن يرضى عن عبده
الذى لا يرضى بما قسمه له^(٢)

الرُّفْظَرُ العامة في باب القناعة

هذا الباب جاء فى وضعه الطبيعى فى الترتيب بعد باب الرضا . فالرضا والقناعة قريبان من بعضهما . وأظهر المسائل التى يدور حولها هذا الباب لا تخرج عن أمرين .

١ — علاج للطمع فى صورته المختلفة .

٢ — دعوة إلى القناعة .

والمعنيان متداخلان فى بعضهما فى كل القصص ، فكل بيان لمساوىء الطمع بيان لقضائل القناعة .

١ — فأما علاج الطمع ، فيبدو فى قوله .

— لا تطلب - من طريق المال - رفعة
فإن الماء الراكد ، فاسد الرائحة^(٣) .

-
- | | |
|----------------------------------|---------------------------------|
| (١) كه گر جستم از دست ابن نبر زن | من وبوش و ويرانه بسير زن |
| (٢) نيرزد عسل جان من زخم نيش | قناعت نكوتر بدو شهاب خويش |
| خداوند از آن بنده خرسند نيست | كه راضى بقسم خداوند نيست |
| (٣) زنعت نهادن بلندي مجسوى | كه ناخوش كند آب استاده بوى ق ٥٠ |

— ولم يعلم قارون عابد النعمة
 أن كنز السلامة، في زاوية السلامة (١).
 — ولماذا تذهب إلى الساطان لتسأله
 إنك سلطان، إذا تماشيت الطمو تركته (٢).
 — ولا تطع النفس التي تعبد الشهوة
 فإن لها قبلة، تقصدها كل ساعه (٣).
 — والنفس الأمارة تُخيل المرء ذليلاً
 فلا تطعها، إن كنت عاقلاً! (٤).
 — وإن كنت محباً لنفسك، فاجعل بطنك طيلة
 واتخذ باب هذا، وذلك، قبلة (٥).
 — وابغ جوفاً طاهراً أينما تذهب
 فإن البطن لن يملأه إلا التراب (٦).
 — ولا تتبع كل ما تميل إليه نفسك
 فإن هوى البدن ينقص نور قلبك (٧).
 — والحُرُّ هو الذي يتخذ الأرض فراشا
 كيف يرضى تقييلها، لأن ينال بساطاً؟؟ (٨).

-
- | | | |
|--------------------------------|-------------------------------|------|
| (١) ندانست قارون نعمت پرست | که گنج سلامت بگنج اندرست | ق ١٤ |
| (٢) چرا پیش خسرو بخواهش روی | چو بکسو نهسادی طمع خسروی | ق ٣ |
| (٣) مبر طاعت نفس شهوت پرست | که هر ساعتش قبله دیگرست | ق ٤ |
| (٤) کند برد را نفس اماره خسوار | اگر هو شمندی عزیزش سدار | |
| (٥) وگر خود پرستی شکم طبله کن | در خانه این وآن قبله کن | ق ٣ |
| (٦) برو اندرونی بدست آر وپاک | شکم پر نخواستی هد شدد الاجالک | |
| (٧) مرو در پی هرچه دل خواهدت | که تمکین تن نور جان کاهدت | ق ٥ |
| (٨) گر آزاده بر زمین خسب و بس | مکن بهر فالی زمین بسوس کس | ق ٨ |

— ولا تبني بيتك يا غلام !! في طريق السيل
فان هذه الدنيا لا تقيم لأحد (١).

٢ — وأما الدعوة إلى القناعة فتبدو فيما يأتي :

— اقنعى أيها النفس بالقليل !!
حتى ترى السلطان ، والفقير ، متساويين (٢).

— والطمع يطردك من كل مجلس
فابعده ! حتى لا يطردك أحد من بابه (٣).

— والله لن يرضى عن عبده
الذي لا يرضى بما قسمه له (٤).

— ولا ترهب أيها الحبيب الشدة
فلعله يرجى أن يكون فيها ماء الحياة.

— ولا تحرق قلبك يائساً بالفكر
فان الليلة حبلى بالنهار (٥).

— والله الذي خلق الناس من التراب
عجباً !! لو ضيع آدميتهم (٦).

— والذي صور الطفل في الأرحام
هو من كتب العمر ، وكفل الطعام (٧).

-
- | | | |
|----------------------------------|-------------------------------|------|
| (١) مكن خانه بر راه سيل ای غلام | که کسرا نگشت این عماره تمام | ق ١٣ |
| (٢) قناعت کن ای نفس بر آند کی | که سلطان و درویش یکنی یکی | ق ٣ |
| (٣) توقع برانسمد زهر مجلس | بران از خودش تا نراند کست | ق ٤ |
| (٤) خداوند از آن بنده خرسند نیست | که راضی بقسم خسرده او ند نیست | ق ١٠ |
| (٥) ز ظلمت مترس ای پسندیده دوست | که ممکن بود کاب حیات دروست | |
| دل از بی مرادی بفکرت مسوز | شب آهستنسست ای سرادر بروز | ق ١٦ |
| (٦) خدائی که از خاک مسردم کند | عجب دا رم ارسردمی گم کند | ق ١٥ |
| (٧) آنکا رنده کودک آندر بسکم | نویسنده عمر و روز بست هم | ق ١١ |

۷ - باب التریسة

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	عن سعدی	عن شخصية	عامة	المطلع
۱	۱	۱۲			عامة	سخن در صلاحست و تدبیر و خوی
۲	۱۵	۱۵			»	اگر پای در دامن آری چو کوه
۳	۳۰	۱۷		نکش		تکش با غلامان یکی راز گفت
۴	۴۷	۱۷			»	یکی خوب خلق و خلق بوش بود
۵	۶۴	۱۰			»	یکی ناسزا گفت در وقت جنگ
۶	۷۴	۱۱		عضد الدولة		عضد را بسر سخت رنجور بسود
۷	۸۵	۴			»	شنیدم که در بزم ترکان مست
۸	۸۹	۵			»	دوکس گرد دیدند و آشوب و جنگ
۹	۹۴	۱۳			»	چنین گفت پبری بسند یده هوش
۱۰	۱۱۷	۱۷		داود الطائی		یکی بیش داود طائی نشست
۱۱	۱۳۴	۵			»	بد اندر حق مردم نیک و بد
۱۲	۱۳۹	۳			»	زبان کرد شخصی بغیبت دراز
۱۳	۱۴۲	۵	سعدی			کسی گفت بنسداد شتم طمیت
۱۴	۱۴۷	۶	سعدی			مرا در نظامیه ادرار بسود
۱۵	۱۵۳	۷		الحجاج		کسی گفت حجاج خون خواره ایست
۱۶	۱۰۱	۴			»	شنیدم که از پارسایان پستی
۱۷	۱۶۵	۱۷	سعدی			بطفلی درم رغبت روزه خاست
۱۸	۱۸۲	۶			»	طریقت شناسان ثابت قسیدم
۱۹	۱۸۸	۸			»	چه خوش گفت دیوانه مرغزی
۲۰	۱۹۶	۶			»	سه کس را شنیدم که غیبت رواست
۲۱	۲۰۲	۳			»	شنیدم که دزدی در آمد زدشت
۲۲	۲۰۵	۱۰			»	کسی گفت باصوفی در صفا
۲۳	۲۱۵	۲۵		فریدون و وزیر		فریدون و وزیری بسندیده داشت
۲۴	۲۴۰	۲۹		الزوجة		زن خوب فرمان بر نارسا
۲۵	۲۶۹	۵		الزوجة		چه نغز آمد این بك سخن زان دوتن
۲۶	۲۷۴	۶		الزوجة		جوانی ز ناسازگاری جفت
۲۷	۲۸۰	۳۰		الأولاد		پسر چون زده برگذشتش ستین
۲۸	۳۱۰	۱۰		الأولاد		خرابت کند شاهی خانه کن

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	عن سعدى	عن شخصية	عامية	المطلع
٢٩	٣٢٠	١٦		العبيد		درين شهر باري بسمعم رسيد
٣٠	٣٣٦	٤		»	»	گروهى نشينند باخوش پسر
٣١	٣٤٠	١٩		بفراط		يكي صورتى ديد صاحب جمال
٣٢	٣٥٩	٤٦		»	»	اگر در جهان از جهان رسته ايست
٣٣	٤٠٥	٣	سعدى			غلامى بمصر اند رم بنده بود(١)
٣٤	٤٠٨	٣٠		»	»	جوانى هرمند وفرزانه بسود
	٤٣٨		٤ +	١٢ +	١٨ =	٣٤

قصص باب التربية

تبلغ قصص الباب أربعاً وثلاثين قصة في أربعائة وثمانية وثلاثين بيتاً تتوزع كالاتى :

- ١- أربع قصص عن سعدى . ٢ - ست قصص عن أشخاص تاريخية .
- ٣ - ست قصص عن أنواع - الزوجات والأولاد والعبيد .
- ٤ - ثمانى عشرة قصة عامة .

قصة تكش

وترتيبها الثالثة ، فى سبعة عشر بيتاً . وتدور القصة حول معينين من معانى التربية

- ١ - كتمان السر وكيف يحفظه الانسان ٢ - علاج اللوشاية

يتخير لها الشاعر سلطاناً من سلاطين التاريخ ، والشرح لا يعرفون عنه إلا أنه من سلاطين الأتراك ، وربما كان المقصود منه تكش إرسال أحد سلاطين

١- أشارت نسخة جراف إلى أنها زائده فى بعض النسخ . وتجعلها نسخة سودى
قطعة مستقلة بذاتها . انظر نسخة جراف ص ٣٦٦ . ونسخة سودى ص ٣٠٥ .

الخوارزماهیین الذی تولى الحكم سنة ۵۶۸ هـ والذی کان یمدحه رشید
الدین الطواط .

واختیار « تکش » لموضوع القصة اختیار عام . فیصلح موضوعها لشخص
غیره إلا أن تكون من الأقاویص الی تنقلت عنه ، فخطبها الشاعر ، لیخرج
منها إلى الغرض الذی یقصدہ . ویمجرى الشاعر حدیثاً علی لسانه فی قوله .

— قال تکش إلى غلمانہ سرّاً من أسرارہ
وأوصاهم ألا یقولونه لأحد غیره^(۱) .

ولکن ما یکاد السر ینفلت من مکمنه فی صدر تکش ، حتی یذاع بین الناس
فیحتدم الغضب فی نفسه ، فیطلب إلى جلادہ أن یحترق رؤوس غلمانہ ، فصاح أحدهم
طالباً الأمان ، قائلاً له !! لا تقتل غلمانک فان مبعث هذا الاتم منك .

ثم ینتقل الشاعر إلى عرض کثیر من المعانی فی حفظ السر ، والتشبیہ به .

— إنک لم تقفله حین کان ینبوعاً فی صدرك !!
وأیة فائدة من سده حین یكون سیلاً یجاوزک؟^(۲)

— إن الکلام شیطان مصفد فی طوایا الجنان
فلا تترکنه ، یجاوز الخلق ، واللسان^(۳) .

أما علاجه للوشایة فی هذه القصة فیبدو فی قوله:

— لا تنقل کلاماً یوقعُ سماعه فی الضر
فانک تحصد الشعیر، من زراعة البر^(۴) .

— ولا تقل کلاماً إذا شاع بین الملاء
وقعوا منه فی محنة وبلاء^(۵) .

- | | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| (۱) تکش باغلمان یکی راز گفت | که ابن را نباید بکس باز گفت |
| (۲) تو اول نبستی که سر چشمه بود | چو سیلاب شد بپیش بستن چسود |
| (۳) سخن دبو بند ست درجاه دل | ببالای کام وز بانن مهـل |
| (۴) مگو آنچه طاقت نداری شنود | که جو کشته گندم نخواهی درود |
| (۵) مگو آنکه گر بر ملا آفتسد | وجودی آزان در بلا آفتسد |

قصة عضد الدولة وابنه

وهي السادسة ، في أحد عشر بيتاً . وتعالج القصة معنى معروفاً من المعاني التي تدور أيضاً حول تربية النفس في موضوع الباب . هو « نجاة الإنسان في حفظ اللسان » . ويتخير لها الشاعر شخصية ملك هو « عضد الدولة البويهى » ولعله كان يهوى تربية الطيور ، حتى يدخلها الشاعر في القصة .

ويدلف الشاعر للقصة فيجعل ابن « عضد الدولة » أصيب بمرض ، حتى عيل صبر أبيه عليه . ثم يأتى بأحد رجال الطريق ، من الزهاد الورعين ، فيشير على « عضد الدولة » بعلاج ابنه ، ويطلب إليه أن يطلق سراح الطيور ، التي وضعها في أحباسها . فأطلقها كلها إلا بلبلًا كان يغرد تغريداً جميلاً ، احتفظ به حبيسا على باب البستان . وهنا مدخل المغزى للقصة .

— أسرع الابنُ صباحاً نحو البستان
فلم يجد سوى ذلك الطائر على طاق الإيوان^(١)

وهنا ينتقل الشاعر إلى المغزى الذي تكلمنا عنه سابقا ، يخاطب الابن الطائر وقد رآه حبيسا في قفصه ، بعد أن انطلق زملاؤه .

— ضحك فائلا أيها البلبل الطيب اللحن !!
إنك بقيت حبيسا في القفص بسبب أحنائك^(٢)
— ما دمت لا تغرد ، فإن المرء لا يعبأ بك
فإن نطقت ، كان الكلام دليلا عليك^(٣)

قصة داود الطائي

تقع العاشرة ، في سبعة عشر بيتاً ، وعنوانها « فضيلة التستر ، وسلامة الصمت » وتعالج القصة موضوعاً اجتماعياً هاماً ، يدور حول معنى الباب في تربية النفس ،

-
- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| (١) پسر صیهدم سسوی بستان شتافت | جز آنمرغ بر طاق ایوان نبافت |
| (٢) بخندید کای بلبل خوش نفس | تو ازگفت خود مانده در قفس |
| (٣) ندارد کس بانو گفته کار | ولیکن چو گفتی دلیلش بیسار |

وهو عدم التشهير بالناس ، ووجوب التستر عليهم . ويتخير الشاعر رجلاً من رجال الصوفية ، يعالج هذه الأمراض ، ورجلاً آخر يشارك في حوادثها ، وتتلخص القصة في أن شخصاً ذهب إلى « داود الطائي » فتحدث عن صوفي رآه سكراناً، ولوث القبيح عمامته وقمصه .

— جلس إنسان أمام داود الطائي

فقال إني رأيت فلاناً سقط من السكر .

ولوَّث القبيح عمامته وقمصه

وضربت الكلاب نطاقاً حوله^(١) .

ثم تمضي القصة ، ويمدحها الشاعر شيئاً من وسائل إحكامه ، فيعهد « داود الطائي » إلى ذلك الرجل بإحضاره ، وهنا تظهر الحيلة ، وبراعة الشاعر ، في جعل شخصية « داود » تقتص من ذلك الرجل الذي شنع ، ونقل الخبر . يقول « داود » للرجل . اليوم ينفع الصديق الشفوق .

— انطلق إليه ، وأت به ، من ذلك المكان الشنيع

فانه عار على أهل الطريق ، وخروج على الشرع^(٢) .

وهنا تدير الحيلة في الاقتصاص من الرجل ، فيتردد بين المعارضة في الأمر وبين التنفيذ ، على الصورة التي سيتم عليها حمل السكران ، ثم انتهى الأمر أخيراً إلى الاستجابة .

— تهيماً ، وحمله ، مضطراً ، على ظهره

ومضى به ، والناس يشنعون عليهما^(٣) .

وهنا موضع طرافة في القصة — إن الجزء من جنس العمل — جزء من

(١) يسكي پيش داود طائی نشست

ق آلوده دستار ویرا هنش

(٢) برو زان مقام شنیعنس بیسار

(٣) میان بست وبی اختبارش بدوش

که دیدم فلان صوفی افتاده مست

گروهی سگان حلقه پیرانش

که در شرع نهیست و در خرقة عار

در آورد و شهری برو عام جوش

شهر بالداس سرّاً أن يشهر به علناً ، يقول على لسان أحد النظاره ممن رأوها على تلك الحال.

— انظر إلى حال هؤلاء الصوفية

الذين يشربون الخمر، ورهنوا فيها خرقهم الممزقة

— مشيراً بيده إلى هذا ، وذاك

إن ذاك ثمل ، وذا نصف سكران^(١).

ثم يختتم الشاعر القصة بالغرض منها ، وهو علاج التشهير .

— لأن يضع العدو الحسام على الرقاب ، في ظلم

خير من تشنيع أهل المدينة ، وضجيج العوام

— لاتهرق في الحى ، أيها الرفيق كرامتك !!

حتى لا يهرق الدهر في المدينة شرفك^(٢).

قصة الحجاج

وترتيبها الخامسة عشرة وأبياتها سبعة ، وتعالج القصة معنى من معانى التربية النفسية فى الباب ، وهى الغيبة . فانها ليست مباحة ، حتى ولو فى ظالم ، واختيار الشخصية فى القصة لهذا المعنى، يعطى لونا من براعة الشاعر فى المناسبة بين الشخصية والمعنى الذى يعالجه حولها .

فهما يبلغ الانسان من القسوة فى المعاملة ، لن يباح للغير أن يصفه — حتى بمافيه — فان ذلك من الغيبة ، وهذه تربية خلقية فى أعلى نواحيها .

وتتلخص القصة فى أن شخصاً قال عن الحجاج إنه كان سفاكاً ، وكأنما قد قلبه من، صخر وتمادى الرجل فدعا الله القصاص منه .

(١) تو این صوفیان بن کهمی خورده اند
اشارت کنان این و آنرا بسدست
(٢) بگردن به ازجور دتمن حسام
مریز آبروی بسرادر بگوی
سرقع بسیمکی گرو کرده اند
که آن سرگراست و آن نیم بست
به از شنعت شهر وجوش عوام
که دهرت نریند بنهر آبروی

— إنه لا يخشى آلام الناس وعويلهم !!
فُتْذُ يا إلهي !! بحق الناس منه. ^(١)

ثم ينتقل الشاعر إلى مغزى القصة ، ولكي يضيف إليها شيئاً من الجدة ،
والقسوة، يدخل فيها بعض الشيوخ المعمرين، يقلده دوراً . فينصح الرجل بقوله:

— إن الله يقتص للمظلوم منه
وكذا يقتص له ممن يفتابه .

— ليس ظلمه أيضاً مقبولاً عندي
ولكن غيتك له لا ترضيني .

— إن الآثم يحمل إلى جهنم آثامه معه
فإن عمله قد فاض بالآثام ، وسود كتابه .

ومن يدري ؟ لعل الذي يطعن فيه اغتياًباً
يذهب إلى الجحيم وحده ^(٢) .

قصة فريدون ووزيره

وتقع الثالثة والعشرين، في خمسة وعشرين بيتاً، تعالج الوشاية، بما يتصل أيضاً
بمعاني التربية النفسية ، فتخير لها الشاعر رجلاً ذا منصب خطير . . تخير لها وزيراً
حكماً مجرباً ، وملكاً حليماً، يزن الأمور ، ويضعها في نصابها، فلا يتسرع في حكمه
ويأخذ الناس بالشدة .

ولكي يجعل الشاعر الوشاية في أمر يخشاه الملك، ينسب إلى الوزير علاقة
مع الجليش ، ويضيف للقصة شيئاً من القوة، فيجعل هذه العلاقة في شبه رشوة تقوم

خدايا تو بسنان أزوداد خلق
بخواهند وازديگران كين أو
نه نیز از تو غيت پسند آمدم
كه بپانه پر كرد وديوان سسيه
سادا كه تنهسا بد وزخ رود

(١) ترسد همی زاه و فرباد خسلو
(٢) كزو داد مظلوم مسكين أو
نه بيداد از او بهره مند آمدم
بد وزخ برد مدبری را گناه
دگر كس بغيب بيتس مبدود

على بذل المال لهم ، ثم يؤكد القوة فيها ، فيجعل المال يرد للوزير بعد انتهاء أجل الملك .

وهنا عقدة القصة. يجعل الواشى هذا التصرف من قبيل مؤامرة الوزير لخيانة المليك، ثم في تبديد مال الدولة دون مبرر ، وعلى صورة لا ترضيه.

وهنا تبرز حكمة الوزير الموشى في حقه ، وحسن تصرفه ، مع حسن تخلصه فيجربى الشاعر على لسان الوزير رداً سديداً ، وينتهي الأمر بأن العقوبة ، تدور على الواشى ، فيبدو حسن التعليل في هذا التصرف .

— قَبَّلَ الوزيرُ الأرضَ أمامَ المليك
وقال حيث سألتنى ، فالحقَّ لا أكتمك.

— إني أريد ، أيها المليك ، الرفيع شأنه
أن يريد الخلقُ لك خيراً مثل الذى أريده.

— فحيث أن طولَ الأجل ميعاد العطاء
فانهم — خوفاً منى — يسألون لك طول البقاء^(١).

وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى إبراز المعنى المقصود من القصة فى علاج الوشاية وخاتمة الواشى .

— لستُ أرى أكثر من الواشى!!
سيء الطالع ، منكس الرأس .

— وليس من العقل أن تشعل ناراً بين شخصين
ثم إحراق نفسك فيما بين الاثنين^(٢) .

نشابد چو بر سیدی اكنون نهفت
كه باشند خلقت همه نيكخواه
بقا بيش خواهندت ازييم من
نگون طالع ويخت برگشته تر
نه عقسلت وخود درميان سوختن

(١) زبين بيش ققتس بوسيد وگفت
چنين خواهيم اي نا مور ادمناه
چو مرگت بسود وعده سيم من
(٢) نديم زغماز سرگشته نسسر
مين دوکس آتش افسروختن

قصه بقراط الحكيم

وتقع الحادية والثلاثين ، في تسعة عشر بيتاً ، وتصلح القصة أن تكون في باب العشق . فهي تعالج أمراً سبق أن عولج في ذلك الباب . هو أن المحبة ينبغي أن تكون المعنى وليست للصورة ، ومن الخير أن يعمل الانسان لما بعد الصور . فالصور زائلة ، والمعاني باقية .

وقد تخير الشاعر للقصة زاهداً من الزهاد ليعطى لها شيئاً من القوة .

— رأى إنسان ، صورة ذات جمال
فصرعته فتنة العشق في التو والخال^(١) .

ثم يأتي دور بقراط فيظهر في القصة . يجعله الشاعر ماراً على ذلك الرجل ، وهو راكب ، ويسأل ماذا جرى لهذا الرجل ؟؟ ثم يظهر في القصة شخص آخر يجيب بقراط بأن هذا عابد زاهد ، لم يأت قط في حياته .

ويمضي الشاعر في عرض كثير من الصور لبيان مدى زهد الرجل ، وأخيراً ينتهي إلى المعنى المقصود من القصة ، بما يدور حول معاني العشق .

— ليست هذه الصورة هي التي تسلب القلب
بل الذي صورها ، هو الذي سلب^(٢) .

على أن الذي يلتبس للشاعر في وضعها في باب التربية ، أنه قصد من ورائها معنى خلقياً في تربية النفس . «إن الإنسان في عمله لا ينظر إلى الصورة ولكن إلى المعنى»

— إن المعاني مستترة ، وراء الحروف السوداء
كما يستتر المعشوق في خدره ، والقمر في السماء^(٣) .

(١) يکی صبورتي دید صاحب جمال
(٢) نه این نقش دل می رباید زدست
(٣) معانیست در زب حرف سسياه
بگردیدش از شورش عشق حال
دل آن میرباید که این نقش بست
چو در برده معشوق ودر میغ ماه

قصص الأنواع :

وهذه القصص ترد متتابعة في الباب ، على الترتيب الذي رأيناه في القائمة ، من القصة الرابعة والعشرين ، إلى التاسعة والعشرين .
وللزوجات منها ثلاث قطع ، وللأولاد قطعتان ، وللعبيد أو الأنباع قطعة واحدة ، ولا نعرض لهذه القصص على النمط الذي نذهب عليه ، فالقصص هنا مقصود منها التربية بالمعنى المعروف ، وليس من وراء القصة غرض يرمى إليه بذاته فيجعل الزوجة أو الولد سبيلا إليه ، ولكنها دعوة إلى نوع التربية، التي تلازم لكل من هذه الأنواع .

قصص النساء :

يتردد فيها وصف للمرأة الطيبة ، ووصف للمرأة السيئة، ثم علاج لشئون الزوجة .
ففي القصة الرابعة والعشرين وصف للمرأة الطيبة .
— إذا اجتمع في المرأة جمال ، وطاعة ، وعفاف
فإنها تجعل الفقير سـلطـانا .
— وإذا كانت طاهرة ، لطيف كلامها
فلا ينبغي أن ينظر ، في حسنها ، وقبحها .
— والمرأة الطيبة ، هي التي تبغى لزوجها الخير
أما السيئة الخلق ، فإلى الله منها المفر^(١) .
أما أوصافه للمرأة السيئة وتصوير حياتها في قوله :
— إن تـسرَّ حافي القدمين ، خير من ضيق الحذاء
ونزاع البيت ، خير منه رحيل في عـناء^(٢) .

(١) زن خوب فرمان بر بارسا
اگر بارسا باشسد وخوش سخن
دلا رام باشسد زن نيکخواه
(٢) تہی ہای رفتن بہ از کفنس تنگ
کند مرد درویش را پادشہا
نگہ در نکوئی وزشتی مکن
وليکن زن بد خستد ايا نمہ
بلای سفر بہ کہ در خانہ جـنـگ

— والذي تعيش في منزله امرأة قبيحة^(١).
 عيد عنده ، هجران منزله
 — واقفل باب السعادة ، والصفاء
 في كل بيت يعلو فيه صوت النساء^(٢).
 — والمرأة الجاهلة ، التي لا استقامة لها
 تجلب البلاء على نفسها ، وحياتها^(٣).
 ويظهر أن سعدى كان برّماً بالنساء إلى حد بعيد ، فيجري على لسان رجلين
 في القصة الخامسة والعشرين ما يفيد هذا المعنى .
 — ما أحسن كلاماً تبادلته رجلان !!
 داخت رأساها من النساء .
 — قال أحدهما ، لا كان للمرء زوجة رديئة !!
 وقال الآخر ، قطعت المرأة نفسها ، من الحياة^(٤).
 ثم هو يدعو إلى تغير النساء كلما دعت الفرصة في قوله :
 — اتخذ يا صاحبي زوجة جديدة كل ربيع
 فان تقويم العام للماضي ، لن يصلح بعد^(٥).
 ولكنه في القطعة السادسة والعشرين ، يدعو إلى تحمل الزوجة اللطيفة ، وقضاء مطالبها .
 — حين تجد السمادة من شجرة الورد
 فعليك أن تحتمل آلام شوكة^(٦) .

-
- | | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| (١) سفر عید باشد بر آن کد خسداى | که با نوى زشتش بود در سراى |
| (٢) درخوى بر سرائى بسه بند | که بانگ زن ازوى برآ بد بلند |
| (٣) زنى را که جهلست ونا راستى | بلا بر سر خود نه زن راستى |
| (٤) چه نگر آمد اين سخن زآندوتن | که بودن سر گشته از دست زن |
| يسكى گفت کرا زن بد مباد | دگر گفت زن درجهان خود مباد |
| (٥) زن نوکن ايدوست هرنو بهسار | که تقويم پارين نيابسد بکار |
| (٦) چو از گلبنى ديسته باشى خوشى | روا باشد ار بار خارش کشى |

قصص الأولاد :

في القطعة السابعة والعشرين ، والثامنة والعشرين .
يردد فيهما ألواناً مختلفة ، من العناية بالأولاد ، وحسن الاشراف عليهم ،
ونوع التربية التي تقصد منهم .

— إذا بلغ الابن عشر سنوات من عمره ! !
فامنعه من الاختلاط بمحارمه ! !^(١) .

— إذا لم تنشأ الابن على علم ورأى
فانك تمضي ، ولن تخلف بعدك إنساناً^(٢) .

— وازجره ، وعلمه ، في الصغر ! !
وعده ، وتوعده ، بالخير ، والشر^(٣) .

— وعلمه في اليد حرفة
حتى ولو كان مثل قارون في ثروة
— فكيس المال ذهباً ، وفضة
ينفذ ولا ينفذ كيس الحرفة .

فان كانت له صناعة في يده
أنتي له أن يمد يده محتاجاً إلي غيره^(٤) ؟ ؟ .

وفي القطعة الثامنة والعشرين ، يعرض لعلاج أمر يتصل بهم ، ويبدو ذلك
من عنوانها «مقال في التغفف عن حسنى الوجوه» .

ففيها دعوة إلى صيانة الأبناء من خلطاء السوء ، خوفاً من التأثير على أخلاقهم

- | | |
|--------------------------------|----------------------------|
| (١) بسر چون ز ده برگذشتن سنين | ز نامجرمان کو فراتر نشين |
| (٢) چو فرهنگ وراست نباشد بسي | بمهری و از تو مسماند کسی |
| (٣) بخردی درس زجر و تعلیم کن | بنیک و بدش و عسده و بیم کن |
| (٤) بیا موزد پرورده را دستترنج | وگردست داری چو قارون بکنج |
| پایان رسد کیسهٔ سیم و زر | نگردد تهی کیسهٔ پیشه ور |
| چو بر پیشه باشد ش دسترس | کجا دست حاجت برد پیش کسی |

والتربية في هذا ، لا تنصب على الابن وحده ، ولكنه يرد الناس — عامة — عن الوقوع في هذا الشر في قوله :

— يَهْدِمُكَ الْفَاتِنُ ، الَّذِي تَقَعُ فِي حَبْلِهِ —
فاذهب ، واجعل بيتك عامراً بزوجتك !!
— ولا تنظر بعين السوء إلى أبناء غيرك
فلعل نفس الشر ، يحيط بأبنائك^(١).

قصص الأتباع :

وهي في القصة التاسعة والعشرين :

— إذا كنت تَرْبِيْ تابِعاً لَكَ
جنيت ثماره ، إذ نشأته على هيبتك .
ولتقفل باب الشهوة على نفسك
فان كنت عاشقاً ، فاحتمل الأذى ، واعصبر رأسك^(٢)

الرُّفْطَرُ الْعَامَّةُ فِي بَابِ التَّوْبَةِ

· قصد الشاعر من إقامة هذا الباب ، هو تقويم الأخلاق ، وفيه دعوة عامة إلى علاج كثير من الأمراض الاجتماعية ، التي تنفث في كل بيئة ، وقد ألمنا سابقاً ببعض هذه الأمراض وعلاجها ، في تحليلنا القصص الشخصية .
ولم يهمل الشاعر أمر أنواع بذاتها ، قصد إلى علاج أمورها قصداً ، وهذه الأنواع

-
- (١) خرابت کند شاهد خانه کن
مکن بد . بفرزند سردم نگاه
(٢) چو تر بنسده را همی پروری .
در شهوت نفس کافسر ببند
برو خانه آباد گردان بسزن
که فرزند خوبشت بر آسند تباه
بهبت بر آرض کزو بر خوری
وگر عاشقی لت خوروسر ببند

تنحصر - كما رأينا - في الابن ، والزوجة ، والتابع ، وقد نادى الشاعر بأرائه في تربيتهم وتقويمهم .

والشاعر قد استهل هذا الباب عامة ، بقصده من أنواع التربية التي يقصدها ، وذلك في مطلع القطعة الأولى .

— الكلام هنا ، في الصلاح ، والتدبير ، وحسن الطباع وليس في الفروسية ، والميدان ، واللعب بالصولجان^(١) .

ولا يفهم من تلك الدعوة ، أن غير هذه الأشياء ، ليس مرغوبا في تعليمها ، واسكن متى اجتمع للمرء تربية قوية ، فنشئ على حب الخير ، وصلاح نفسه وحسن التدبير لأمواره ، ورقة الطباع في معاملة الغير ، فانه بمجموع كل هذه الصفات الحميدة ، يكون قد أعد نفسه لمواجهة كل شيء في الحياة - مهما كان - والشاعر كما يبدو في هذا البيت ، وفي مجموع القصص التي عرضها في الباب ، يدعو إلى نوعين من التربية هما .

١ - التربية العقلية . ٢ - التربية الخلقية .

التربية العقلية :

وتبدو في كثير من أقواله ، نأخذ منها قوله :

— إن وجودك ، مدينة ملؤها الخير والشر وأنت سلطانها ، ووزيرها هو العقل المدبر^(٢) .

— إنك تقيم مع عدوك ، هي نفسك فكيف تفكر ، في قتال الأجنبي عنك ؟

— إن الذين ردوا عنان النفس عن الحرام قد سبقوا في البطولة «رستم وسام»^(٣) .

- | | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سخن در صلاحست و تدبیر و خوی | نه در آسپ و میدان و چوگان و گوی و |
| (٢) وجود تو شهرست یزید و بسد | تو سلطان و دستور دانا خرد و |
| (٣) تو با دشمن نفس همخانست | چه در بسد یگار یگانه |
| عنان باز یان نفس از حرام | بمردی ز رستم گذا شنند و سام و |

— والعاقلة في الحياة هو في نظري
من انصرف إلى تقويم نفسه وشغل بها عن العالم^(١).

التربية الخلقية :

وقد عرض الشاعر في هذا الباب إلى علاج كثير من الأمراض الاجتماعية ،
تجتمع كلها حول هذا المعنى « تقويم الانسان في تقويم اللسان » .
إذ يعرض الشاعر إلى علاج أمور كلها تتصل بتقويم اللسان ، كحفظ السر ،
وتجنب الوشاية ، ومحاربة الغيبة .

— إن الكلام شيطان مصفد في طوايا الحنان
فلا تتركه يجاوز الحلق واللسان^(٢) .
— ولا ينبغي للمرء أن يتسرع فيكشف عن طواياه
فمن الممكن أن يكشفها متى عنَّ له
— فحين يظهر المرء أسرارهِ
يكن إخفاؤها مرة أخرى^(٣) .

وأما نداؤه إلى تجنب الوشاية ومحاربتها في قوله
— لماذا ينقل اللسان كلاماً في الخفاء
لو أفساه ، لاصفر وجهه خجلاً وحياء^(٤) .
— والخصومة بين اثنين كالنار
والواشي التعس بينهما ، مثل ملقى المشيم^(٥) .

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| (١) کسی بیش من در جهان عاقلست | که مغول خود و ز جهان غافلست ق ١٩ |
| (٢) سخن دیو بندست در جاه دل | بیالای کام و ز بانس مهل ق ٣ |
| (٣) ضمیر دل خویش منای زود | که هر گه که خواهی توانی نمود |
| ولیکن چو پیدا شود راز مهر | بکوشش نشاید نهان باز کرد ق ٤ |
| (٤) چرا گوید آنچه ز در خفیه مسرد | که گرفتاش گرددشوی روی زرد ق ٢ |
| (٥) میان دوتن جنگ چون آتشست | سخن چین بد بخت هیزم کشست ق ٢٢ |

— والذين ينقلون أسرار العدو
 إنما هم أكثر عداوة من العدو^(١).
 وأما محاربته للغبية ففي قوله:
 — ليس أسوأ ممن يغتاب الناس
 فهو سيء الطالع ، مدبر الحظ ، منكس الرأس^(٢).
 — ولن ينقل كلام العدو ، إلى صديق له
 إلا من يكون مشاركاً له في العداوة^(٣).
 — وماذا يريد ذلك الأحق من وراء الغيبة؟؟
 إنه لم يصب شيئاً ، وقد سود كتابه^(٤).
 — وإذا كان الحسد لا يعجبك من صديق
 فمن أين علمت أن الغيبة تُرضى؟؟
 — إن كان الحسد قد مضى خسيساً إلى النار
 فأنت أيها المغتاب !! لاحق له من طريق آخر^(٥).

- | | |
|-------------------------------------|------------------------------------|
| (١) کسانی که پیغام دشمن برنهند | دشمن همانا که دشمن ترند ق ۲۲ |
| (٢) ندیدم زغماز سرگشته تفسیر | نگون طالع و بخت بر گمشده تر ق ۲۳ |
| (٣) کسی قول دشمن نیارد بدوست | جز آنکس که در دشمنی یار اوست ق ۳۳ |
| (٤) چه می خواهد از غیبت آن ساده مرد | که دیوان سیه کرد و چیزی نخورد ق ۱۳ |
| (٥) حسودی بسندت نیا مد زدوست | چه معلوم کردت که غیبت نکوست |
| گر او راه دوزخ گرفت از خسی | ازین راه دیگر نو دروی رسی ق ۱۴ |

۸ - باب السكر

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	عن سعدى	عن شخصية	عامة	المطلع
۱	۱	۲۶	سعدى			نفس می نیارم زد از شکر دوست
۲	۲۷	۱۱			عامة	جوانی سر از رای مادر بتافت
۳	۳۸	۱۷			»	به بین تايك اُنْگشت از چند پند
۴	۵۰	۱۱			»	ملك زاده زاسپ اُد هم فتصاد
۵	۶۶	۵			»	يکي گوش کودک بماليد سخت
۶	۷۱	۱۷			»	تنب از بهر آسایش تست و روز
۷	۸۸	۱۱			»	ندانند کسی قدر روز خوشی
۸	۹۹	۱۹		طغزل		شنيدم که طغرل شبی در خزان
۹	۱۱۸	۵			»	يکي راعسس دست بريسته بود
۱۰	۱۲۳	۴			»	برهنه تنی يك درم وام كُرد
۱۱	۱۲۷	۴			»	يکي کرد بر يارسائی گذر
۱۲	۱۳۱	۳			»	ز ره باز پس مانده می گريست
۱۳	۱۳۴	۱۸			»	فقيهی بر افتاده مستی گذشت
۱۴	۱۴۲	۴			»	نگرنا قضا از کجا سير کرد
۱۵	۱۴۶	۱۴			»	يکي گرز يولاد بر مغز خسورد
۱۶	۱۶۰	۱۴			»	نخست او ارادت بدل بر نهاد
۱۷	۱۷۴	۹۹	سعدى			بتی دیدم از عاج در سئومات
	۲۷۳		+	۲		
				+	۱	
					۱۴	۱۷=

* * *

قصص باب السكر

تبلغ قصص هذا الباب سبع عشرة قصة ، في مائتين وثلاثة وسبعين بيتاً ،
تتوزع كالآتي :

- ۱ - قصتان عن سعدى .
- ۲ - قصة عن طغرل .
- ۳ - أربع عشرة قصة من القصص العامة .

قصه طغرل :

وتقع الثامنة في الباب ، في تسعة عشر بيتاً . وتعالج القصة عدم العناية بالرعية وعنوانها « سلطان طغرل باهندوى باسيان » ومعناه «السلطان طغرل والحارس الهندى » والقصة من هذه الناحية تصلح أن تكون في باب العدل ، والشاعر يروى هذه القصة سماعا ، وملخصها أنه سمع أن «طغرل» مرّ ذات ليلة في الخريف على حارس هندي ، وكان المسكين يرتجف كما يرتجف نجم سهيل ، فان الثالج ، والمطر ، والسيول ، كانت تتساقط عليه .

ويشير الشاعر إلى أن السلطان قد مر به عرضاً ، فوجده على تلك الحال ، ورغب أن يعطيه بعض ما عليه من فراء ، ليتقي به هذا الزمهرير ، لكنه أمهله لحظة ، حتى ينتهي إلى قصره ، فيرسلها له مع خادمه إذا ما بلغ ، ولكن المليك انصرف إلى شؤنه ، وشغل عن حارسه . والشاعر يختم القصة ، بالدعوة العامة إلى العناية بالملوك ، والبؤساء ، الذين يحتاجون إلى المساعدة .

— سيدى ! أمسك الزورق على الماء !
فان المساكين قد جاوز الماء رؤوسهم .
— مهلاً ! أيها الشباب الخفاف
ففي القافلة ، شيوخ ضعاف (١) .
وهو ينادى في آخر القصة بما يلائم وضعها في باب الشكر .
— إنك — نائم مستريحاً — في هودج القافلة
لكن مقود الجمل في يد الجمل
— إن النائم في بيوتهم مع من يحبون
ما يديرهم بحال الجائعين ؟؟ (٢) .

-
- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| (١) بدار ای خداوند زورق بر آب | نه بیچارگان را گذشت از سراب |
| توقف کنید ای جوانان جست | نه در کارواند پیران سست |
| (٢) توخو شخخته در هودج کاروان | سهارشنر در کف سساروان |
| به آرام دل خفتگان در بند | چه دانند حال شکم گرسنه |

الرفق العام في باب الشكر

كثير من أفكار هذا الباب، ليست خاصة بالشكر وحده ، بل بعض قصصه - كذلك - يمكن أن تشارك في علاج أمور من أبواب أخرى ، كما رأينا في قصة السلطان طغرل .

ومن القصص التي تناسب باب الإحسان القصة السابعة ، وعنوانها « مقال في النظر في حال البؤساء وشكر نعم الله تعالى » .
ومن معانيها التي تناسب هذا الباب قوله :

— وماذا يعرف قوم « جيجون » من فضل الماء ؟ ؟

اسأل عنه قوماً في حرقة الشمس ومتاهة الصحراء (١) .

— وكيف تمس الليل ، المظلم ، الطويل

وأنت تتقلب من جانب إلى آخر في نعمة ودلال (٢) .

— والسيد يستيقظ على أنغام الطبول

فكيف يدري ليلة الحارس على أية حال (٣) ؟!

ولكن لعل الشاعر لاحظ في وضعه لها في هذا الباب ، انه رأى أن النعمة التي يتقلب فيها العظيم ، موجبة للشكر على ما أولاه الله من نعم ، فهي من تلك الناحية صالحة للباب .

ومما يصلح لباب الرضا القطعة الرابعة عشرة ، وهي في بيان ان الانسان ينبغي أن يقنع بما كتب له . وتدور القصة حول الإيمان بالقضاء والقدر ، وعنوان القطعة نفسه يشير إلى هذا المعنى « حكاية في نظر أصحاب القلوب في الله تعالى لا في الأسباب » والقطعة تبلغ أربعة أبيات .

(١) چه داند جيجونيان فدر آب ؟ روا ماند گمان برس در آفتاب

(٢) ترا تیره نم که نماید دراز که خلطی ز پهلوی پهلوی ناز

(٣) بیا ننگ دهل حواجه بیدار گشت چه اندر نسب پاسبان چون گشت

— تأمل !! ترى القضاء من أين يسير ؟؟

فإنه عمى أن تعتمد على الغير (١).

والقطعة السادسة عشرة، تصلح لأن تكون في نفس هذا الباب فهي في معنى
« الجبر والاختيار » وعنوانها يشير إلى ذلك « مقال في سابق حكم الأزل والتوفيق
إلى الخير » ويتردد في القصة كلها هذا المعنى :

— إذا لم يكن الحق تعالى هو الموفق للخير
فأني يأتي الخير من العبد إلى الغير (٢) ؟؟.

والقطعة الثامنة عشرة، تصلح لأن تكون في باب التربية، ومغزاها « ألا يسخر
الانسان بما كتبه الله على الغير » ونفس المطالع يشير إلى هذا المعنى :

— سرّ قتيبه على ثمل ملقى على الثرى
فاغتر حين رأى نفسه مستورا (٣).

ولكن - مع هذا - يمكن أن نستخرج الأفكار العامة في الباب من قصصه
كلها، وهذه الأفكار تدور حول الشكر لله، وموجبات هذا الشكر.

فالشكر لله على أنه الخلاق، وتفضيله الانسان على جميع مخلوقاته، وشكره
على معونته، ومساعدته، وعلى نعمه المختلفة.

— إنه المبدع، الذي خلق من الطين الإنسان

ووهب له الروح، والعقل، والفكر، والجنان

— تأمل !! كم من النعم أعطاك !!

منذ صورك في صلب أبيك، حتى مشبك (٤).

-
- | | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| (١) نگر تا قضا از کجا سیر درد | که کوری بودتکیه بر غیر کرد |
| (٢) مگر از حق ند بوفیق خیری رسد | که از بنده خبری بغیری رسد ؟ |
| (٣) فقهی بر افاده مستی گدشت | بمستوری خویش مغرور گشت |
| (٤) بدیعی که شخص آفریند ز گیل | روان و خرد بختند و هوش و دل |
| ز بشت یدر تا پاسبان نیب | نگر تاجه تشریف دادت ز غیب ق |

— إن البهائم تمضي ، على وجوهها ذلة
وأنت تعلق قدميك ، كالألف في استقامة
— فلا يليق بك وقد منحك السيادة
أن تمخى رأسك ، إلا في شكره ، وطاعته (١) .
— إن الله منحك عيناً ، وفماً ، وأذناً
فلا تعصه ! إن كنت عاقلاً ! (٢) .
— فلست تمضي — وحدك — قدماً واحدة
بل تدركك المعونة من الغيب كل لحظة (٣) .
— ولا تلو عنقك عن شكر النعم عليك
فإنك ستنتهي إلى اليوم الآخر ولا شيء يعينك (٤) .
— إن عتلاء الطباع الذين يعترفون بالنعمة
هم الذين يمحكون النعمة بأير الشكر (٥) .
— إلهي ! إن قلبي قد تحطم ، وعيني قد قرحت
فأرى نعمك أكثر مما يقال ، مهما وصفت
— لست أقول إن البهائم ، والسباع ، والنمل ، والسمك
بل أقول إن فوج الملائكة ، على أوج الفلك
— لا يزالون كلهم يذكرون القليل ثناء عليك
لا ! بل قالوا واحداً من آلاف جديرة بك (٦) .

- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| (١) بهائم برو اندر افتاده خسوار | تو همچون ألف بر قدمها سوار |
| نزید ترا باچنسین سروری | که سر جز بطاعت فرو داوری |
| (٢) ترا آنکه چشم و دهان داد و گوش | اگر عاقلی در خلافت منکوش |
| (٣) تو قائم بخسود نیستی يك قدم | ز غیبت مدد میرسد دم بدم |
| (٤) مکن گردن از شکر منعم مپیچ | که روز یسین سر بر آری بهیچ |
| (٥) خردمند طبعان منت تشناس | بدوزند نعمت بمخ سسپاس |
| (٦) خدایا دم خون شسود و دیده ریش | که می بینم انعامت از گفیت بیتش |
| نگویم دد و دام و سور و سمک | که فوج ملایک بر أوج فلك |
| هنوزت سپاس اند کی گفنه انس | ز چند بن هزاران یکی گفته اند |

۹ - باب التوبة

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	قصة عن سعدى	عن شخصية تاريخية	عامه	المطلع
۱	۱	۱۰			عامه	بیا ای که عمرت بهفتاد رفت
۲	۱۱	۲۶	سعدی			شبی در جسوانی و طیب نعم
۳	۳۷	۱۷			»	کهن سالی آمد بنزد طبیب
۴	۵۴	۱۱			»	جوانا ره طاعت امروز گیر
۵	۶۵	۲۶	سعدی			شسی خواهم اندر بیابان فید
۶	۹۱	۱۵			»	قضا زنده را رگ جان برید
۷	۱۰۶	۷		جمشید		فرو رفت جم را یکی نازنین
۸	۱۱۳	۲۱			»	بکی پارسا سیرت حق پرست
۹	۱۳۴	۲۲				میان دوتن دشمنی بود وجهت
۱۰	۱۵۶	۲	سعدی		»	زدم تیشه یک روز برمل خاک
۱۱	۱۵۸	۷	سعدی			شی گفته بودم بعزم سفر
۱۲	۱۶۵	۱۴			»	خبر داری ای استخوانی قفس
۱۳	۱۷۹	۱۷	سعدی			زعهده در یاد دارم همی
۱۴	۱۹۶	۱۳			»	یکی بچه گرگ می پرورید
۱۵	۲۰۹	۱۶			»	یکی برد بر پادشاه ستیز
۱۶	۲۱۵	۱۴			»	یکی مال مردم بتلیس خسو رد
۱۷	۲۲۹	۱۳			»	گل آلوده راه مسجد گرفت
۱۸	۲۴۲	۱۶	سعدی			همی بادم آمد زعهده صغر
۱۹	۲۵۸	۱۱			»	بکی غله سر داده تسوده کرد
۲۰	۲۶۹	۶			»	یکی متفق بسود بر منکسری
۲۱	۲۷۵	۱۲		یوسف وزلیخا		زلیخا چو گشت ازوی عشق مست
۲۲	۲۸۷	۹			»	بلیدی کند گربه بر جای باک
۲۳	۲۹۶	۱۲	سعدی			غریب آمدم در سواد حبش
۲۴	۳۰۸	۱۰			»	یکی را بچوگان شه دا مغان
۲۵	۳۱۸	۱۲	سعدی			بصنعا درم طفلی اندر گذشت
	۳۴۱		۸ +	۲ +	۱۵	۲۵ =

قصص باب التوبة

تبلغ قصص هذا الباب خمس وعشرون قصة ، في ثلاثمائة وثلاثين بيتاً
تتوزع كالآتي : —

١ — ثمانى قصص عن سعدى .

٢ — قصتان عن شخصيات تاريخية .

٣ — خمس عشرة قصة عامة .

قصة جمشيد :

وتقع السابعة ، في سبعة أبيات ، وقد أسند الشاعر حوادثها إلى « جمشيد »
ليلقى على لسانه عبرة خلال القرون الماضية على أن الحياة لا دوام لها ، ولا بد أن
يحل دور الرحيل على من يقع عليه ، مهما كان عزيزاً ، يقول في المطلع :

— مات لجمشيد ولد جميل
فكفنه في الحرير ، كما تلتف دودة القز^(١) .

ويمضى الشاعر إلى مرمى القصة ، فيجعل « جمشيد » يدخل القبر بعد مدة
ليكشف عن ابنه ، فيبكيه بحرقه ، وضراعة ، فلما رأى الكفن قد أصابه البلى ، فكر
في نفسه فائلاً :

— إني كنت قد نزعت — من الدود — هذا الحرير
فنزعه منه — ثانية — دود القبر^(٢) .

وهنا مغزى القصة ، واستخلاص العبرة منها ، في تصوير نقلاب الحياة الدنيا
وزوالها . ثم يحتم القصة بما يؤيد هذا المعنى :

(١) فسرو رفت جم را يسكى نازنين كفن كرد چون كرشش أبريشمين
(٢) من از كرم برکنده بودم بزور بکنندند أزوباز كرممان گور

— وأأسف!! إن الزمان — كثيراً — ما يُنبِتُ الوردَ لنا
ومتى حل الربيع ، تفتح ، لكن في غير وجودنا ^(١) .

قصة يوسف وزليخا :

وهي الحادية والعشرون في الباب، في إثني عشر بيتاً، وتدور حول قصة «يوسف وزليخا» في الكتب الدينية، ولكن الشاعر يرمى بها إلى غرض آخر هو دعوة إلى ترك اللذائذ العاجلة، والاستغفار بما وقع الانسان فيه من آثام، قبل فوات الأوان. فاختيار الشخصية مناسب للقصة، من حيث التوبة، وطلب الاستغفار، وقد تصلح لأن تكون في باب العشق الروحي، وخشية الله، إذا نُظر إليها من وجهة موقف «يوسف» ومطلع القصة :

— حين ثملت زليخا من خمرة العشق
هَمَّتْ بيوسف، وأمسكت بيدها أطرافه ^(٢) .

ثم يفرق الشاعر بين عبادة يوسف وعبادة زليخا، فهي تعبد صنماً، وهو عبد الله، ويتخذ الشاعر من وضع الصنم في القصة، مدخلاً إلى الغرض، فيجعل زليخا تستره حين همت بيوسف :

— أخفّت في تلك اللحظة ، وجهه ، ورأسه
حتى لا يرى أعمالها القبيحة ^(٣) .

وماذا كان موقف يوسف ؟؟

— إنك تحجلين من وجه حجر، أنت له من العابدين!!
ألسْتُ أخجل أنا، من رب الطاهرين ؟؟ ^(٤) .

- | | |
|---------------------------------|---------------------------|
| (١) دريغا كه بی ما بسی روزگار | بروید گل و بشکفت نو بهسار |
| (٢) زليخا چو گشت آز می عشق مست | بدامان يوسف در آویخت دست |
| (٣) در آن لحظه رویش بپوشید و سر | ببادا که زشت آیدش در نظر |
| (٤) تو در روی سنگی ندی شر مناک | مرا شرم باد از خداوند پاک |

ثم يختم الشاعر القصة بالتوبة والاستغفار ، بما يلائم أغراض الباب ،
ومرعى القصة :

— اطلب اليوم الاستغفار ، وجدَّ في طلبه !!
ففي الغد لن يبق لك مجال للكلام (١).

الأفكار العامة في باب التوبة

يتردد في هذا الباب ، كثير من الأفكار التي ندور حول الحياة الدنيا وقصرها
ولا بد للعاقل أن ينتهز فرصتها للعمل الصالح . فمن أساء فليتب ، ويستغفر ،
فإن باب التوبة مفتوح ، ولن يرد الله لاجئاً إليه .

ويمكن تلخيص الأفكار العامة فيما يأتي : —

١ — تصوير للحياة الدنيا . ٢ — دعوة إلى العمل الصالح .

٣ — التوبة والاعتذار عن العمل السيء .

١ — تصوير الحياة الدنيا :

الحياة دورة يحل فيها قوم محل آخرين .

— كثيراً ما أقمت مكان غيرك !!

وسيتأتى غيرك ، ليحل مكانك (٢) .

— ولقد مررنا متمتعين — بالهوى — والأمانى

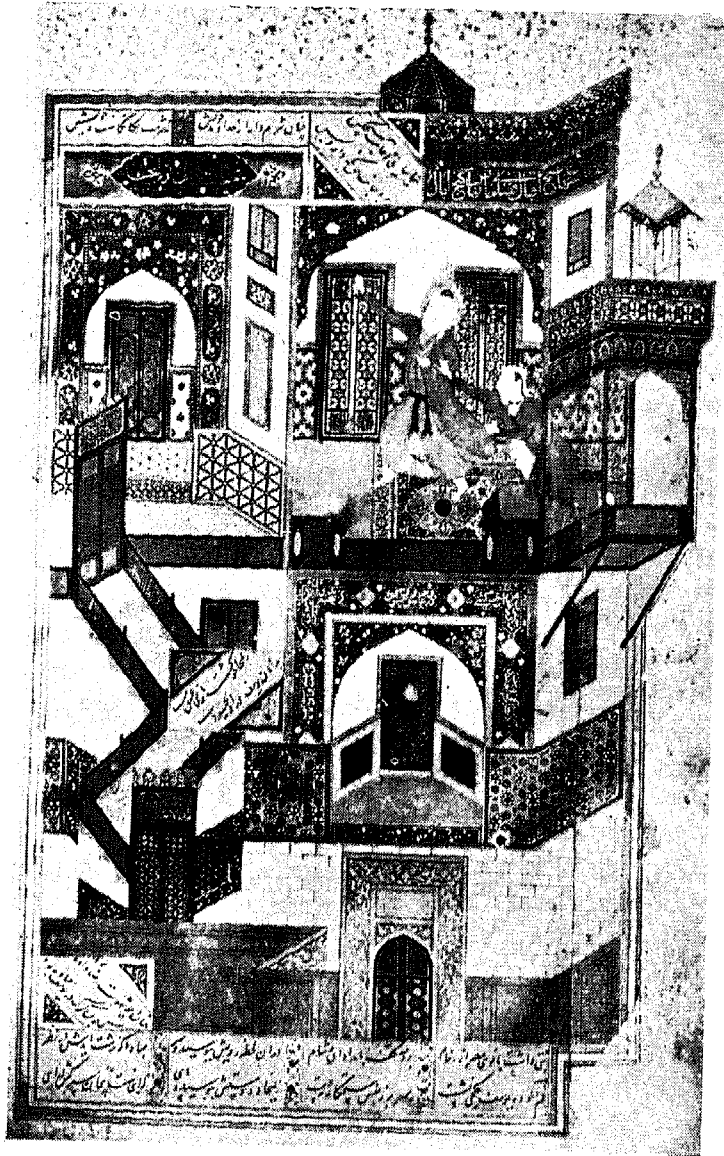
على قبور كثير من الأنعام

— وسيتأتى — من عالم الغيب — غيرنا

ويعرون ، بعد الموت ، على قبورنا (٣) .

(١) بعذر آوری خواهش امروز کن
(٢) نشستی بجای دیگر کس بسی
(٣) تفرج کنان در هسوا وهوس
کسانی که دیگر بغیب اندرند

که فسردها نماند مجال سخن
نسیند بجای تو دیگر کسی فـ
گذ سنم بسر خاک بسیار کس
بیا یند و بسسر خاک ما بگذرند فـ



صورة « يوسف وزليخا » وفي أعلى الصورة وأسفلها أبيات
من القصة . عن النسخة الخطية ص ٥٢ بدار الكتب

وتراب القبور تتمد منه كِبَنَات لِقُبُور الآخرين :

— لماذا تربط - بهذه اللبنة الذهبية - قلبك
فمسي أن يصنعوا كِبَنًا - يومًا ما - من ترابك (١)

والتراب كثيراً ما طوى أجساماً وحواس :

— تخفف الضرب إن كنت شفوفاً !!
فانَّ هنا عينا، وأذنا، ووجهاً، ورأساً (٢).

والحياة لحظة :

— إن تهز فرصتك في الحياة ، فإنها لحظة
واللحظة - لدى العاقل - خير من الحياة (٣).

والفرصة عزيزة ، والوقت سيف :

— لا ينبغي ضياع العمر سدى
فلن الفرصة عزيزة ، والوقت سيف (٤).

٢ - الدعوة الى العمل الصالح :

— ينبغي - الآن - أن تحسب للعمل كل حساب
وليس في الوقت الذي ينشر فيه الكتاب (٥).

— واجتهد الآن ، فان الماء جاوز وسطك
ولا تركنه ، حتى يصير سيلاً فيجتاز رأسك (٦).

- | | | |
|---------------------------------|-------------------------------|------|
| (١) چه نندی درین خشت زرین دلت | که بکروز خستی کنند از گسالت | ف ٨ |
| (٢) که زنهار اگر مردی آهسته نو | که چنم و بنا گوش و رویست و سر | ف ١٠ |
| (٣) نگه دار فرصت که عالم دمیست | دمی یش دانا به از عالمیست | ق ١٢ |
| (٤) مکن عمر ضایع بافسوس و حیف | که فرصت عزیزست والوقت سیف | ف ٥ |
| (٥) کنون کرد باید عمل را حساب | نه وقتی که منشور گردد کسب | ق ٢٢ |
| (٦) کنون کوش کاب از کرد در گذشت | نه وقتی که سلاب از سر گذست | ف ٥ |

— وإذا أفلتت من يدك خمسون عاما
فاغتشم ، الأيام الخمسة ، الباقية (۱)

— ومن بذر الشعير ، وقت الريع
كيف يحني القمح وقت الحصاد (۲) ؟

— والآن — إذا اجتهدت — وقت البذر
وكنت ترجو الأمل بطيب الثمر (۳) .

— وإذا مضى العمر — هباء — في الشر
فأنت كمن أشعل النار في البيدر (۴) .

— ولا تذهب — يوم القيامة — ضيق ذات اليد
فلا وجه لأن تقعد متحسرا (۵) .

— وبوم القيامة حين تعقد سوق الجنة
توزع الدرجات وفق طيب الأعمال

— وتكسب البضاعة بقدر العمل
فإن كنت مفلسا ، فتحمل الخجل (۶)

— والذي يكسب الجنة ، هو من قدم الطاعة
ومن قدّم المال ، تناول البضاعة (۷) .

-
- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| (۱) چو انجاه سالت برون شد زدنت | غنیمت شعر پنجروزه که هست ق ۱ |
| (۲) یسکی در بهاران بینسان جسو | که گنندم ستاند بوقت درو ق ۵ |
| (۳) کنون وقت تخمب اگر پروری | گرآید داری که خرمن بری ق ۵ |
| (۴) اگر از دست بند عمرت اندر بدی | تو آنی که در خرمن آتش زدی ق ۱۵ |
| (۵) بنهر قیامت مرو نت دس | که وجهی ندارد بحسرت نشست ق ۵ |
| (۶) فیامب که بازار مینو نهنسد | سنازل باعمال نبکو دهنسد |
| بضاعت بچندانکه آری بری | وگر مفلسی شمساری بری ق ۱ |
| (۷) بهشت آن ستاند که طاعت برد | کرا نقله بایسد بضاعت برد ق ۱۷ |

۳ - التوبة والاعتذار عن العمل السيئ :

- إذا أدرك المسيء نفسه قبل يوم القيامة ، لم تحسب إساءته ^(۱) .
- ولا تقل إن طائر الدولة ، قد انفلت من القيد فإن طرف الجبل لا يزال باليد ^(۲) .
- وإن جاوزت الحد سيئاتك كنت ظافراً إذا اعترفت بذنبك ^(۳) .
- وإذا كنت عاقلاً ، فاسأل الله ليلاً أن يعفو عما جنت يداك في النهار ^(۴) .
- وابحث عن صلح ، واتخذ طريقاً لك واقصد شنيعاً ، واعتذر عما قدمت يداك ^(۵) .
- وإذا كنت لا تزال ترجو الصلح ، فلا خوف فإن الكريم لا يعلق الباب ، على التائبين ^(۶) .
- واقبل !! ما دمت ترى باب الصلح مفتوحاً فَلَعَلَّ باب التوبة ، يعلق لجأه عليك ^(۷) .
- والنبي الكريم ، هو من ترجى شفاعته لمن تبعه ، وسلك طريق شريعته ^(۸) .

- | | | |
|--------------------------------|------------------------------|------|
| (۱) کسی گرچه بد کرد هم بد نکرد | که پیش از قیامت غم خود بخورد | ق ۲۲ |
| (۲) مگو مرغ دولت ز قیدم بجست | هنوزش سر رشته داری بدست | ق ۱۷ |
| (۳) وگر رفت از اندازه برون بدی | چو گفتی که بد رفت نیک آمدی | ق ۱۶ |
| (۴) اگر هو شمندی زداور بخسواد | شب توبه تقصیر روز گناه | ق ۲۴ |
| (۵) طریقی بدست آر وصلحی بجوی | شفیعی برانگیر وعذری بگوی | ق ۱۶ |
| (۶) هنوز از سر صلح داری چه بیم | در عذر خواهان نبندد کریم | ق ۲۴ |
| (۷) فبرا شو چو بنی در صلح باز | که ناگه در توبه گردد فراز | |
| (۸) پیمبر کسی را شفاعت گریست | که بر جاده شرع پیغمبرست | ق ۱۶ |

١٠ - باب المناجاة

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	قصة عن سعدى	عن شخصية	عامة	المطلع
١	١	١٩	سعدى			بیا تا بر آرم دستی زدل
٢	٢٠	٣١	سعدى			تم می بلرزد چسویاد آورم
٣	٥١	٧		عامة		سیه جرده را کسی زشت خواند
٤	٥٨	٧		*		چه خوش گفت درویش کوتاه دست
٥	٦٥	١٨		مجنوسی		مغی در بروی أزجهان بسته بود
٦	٨٣	٢٩		سکران		تنیدم که مستی زتاب نبیذ
	١١٢		٢ +	٢ +	٢	٦

قصص باب المناجاة

تبلغ قصص الباب ست ، تتوزع كالآتي :-

١ - قصتان عن سعدى .

٢ - قصتان عن مجوسی ، وسکران .

٣ - قصتان عامتان .

قصة المجوسی :

وهذه نوع من القصص المعروفة بموصوفها لا بشخصها ، فلم يتعين فيها اسم لشخص بعينه ، ولكنه يعين فيها بصفته ، وهذا الاختيار مناسب لباب المناجاة نفسه .

وتقع القصة الخامسة في الترتيب ، في ثمانية عشر بيتاً ، وتدل على انتباهة

لطيفة من الشاعر ، فهي ترمي في مضمونها . أنه مها اختلفت العبادة — ولو كانت في أصنام — فإن توجه العابد إلى الخالق ، وتوسل إليه ، لن يردّه خائباً عن مغفرته .

والشاعر يدير القصة إدارة محكمة . فهذا عابد مجوسى ، اعتكف على عبادة صنمه سنين طويلة ، وأقفل الباب على نفسه ليخلص لعبادته ، وبعد بضع سنوات عرضت له مشكلة مستعصية ، فجئى المسكين على قدمى الصنم ، يرجو الخير فى أرض الدير . وناجى الرجل صنمه كثيراً ، وأمضى فى هذا السبيل مدة طويلة ولكن حاجاته لم تنقض .

وهنا يهيبء الشاعر الفرصة للانتقال إلى المعنى المقصود .

— ثار عليها ، قاتلاً يامقل الضلال !
لقد عبدتك سنين ، طويلة ، بالإثم والباطل
فاقض حاجتى التى أنشدها !
’ وإلا !! فانى أسأل الخالق قضاءها ^(١) .

وتبلغ مهارة الشاعر فى التوفيق ، فيجعل هذا الاتجاه سبيلاً لقضاء الله حاجته ، حتى يكون هناك فارق بين الخالق ، وبين الصنم .
بينما لا يزال وجهه ملوثاً بالتراب ، أمام صنمه
إذ قضى الله تعالى ، قصده ، ومراده ^(٢) .

ولكى يعطى الشاعر للقصة شيئاً من الجدة والقوة ، يدخل فيها شخصيات جديدة .

- (١) بر آشفست دای پای بند ضلال
مهمی که دریس دارم بر آر
(٢) هنوز از بت آلوده رویش بخاک
بیاطل پرستید مت چند سال
وگرنه بخواهسم ز پروردگار
که کاش بر آورد یزدان یاک

— تَحْيِرٌ — في الأمر — عارف للحقائق
وتكدر وقته الصافي، وحل به الضيق^(١).

— وقال إن ضالاً، من عبّاد الباطل والنار
لم يزل دماغه ثملاً من خمرة الخمار

— ولم يغسل قلبه من الكفر، ولا يده من الخيانة
قضى الله مقصوده، وأجاب مراده^(٢).

ثم يعرض الشاعر للرد، والتخلص من المأزق، بأمر جدير بالملاحظة،
— خاض فكر المعترض في هذه المشكلة
حتى جاءت رسالة إلى اذن قلبه

— إن الشيخ الناقص العقل أفاض في القول
أمام الصنم، ولم يجد لكلامه أدنى قبول^(٣).

وهنا يعرض الشاعر بهذا العابد الذي يعكف على عبادة الصنم، ويجعله ناقص
العقل، كما يجعل الصنم لا تدرك شيئاً من معنى التوسلات، وبهذا ينتقل إلى المغزى من
وضع القصة، ومن اختيارها لتعالج فكرة صادقة حول قبول التوبة فيمضي في الكلام:

— إذا رُدَّ لاجيء — أيضاً — عن بابنا
فما الفرق إذاً! بين الصنم وبيننا^(٤)؟
محال! إذا وضعت رأسك على أعتابه
أن تُردَّ يدك خالية دون حاجة^(٥).

-
- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| (١) حقایق شناسی در این حیره شد | سر وقت صافی برآو نیره شد |
| (٢) که سرگشتهٔ دون باطل پرست | هنوزش سر از خمر بتخانه مست |
| دل از کفر و دست از خیانت بشت | خداینس برآورد کامی که جست |
| (٣) فسرو رفت خاطر درین مشکلتش | که بیغمی آسبد بگوش دلش |
| که پنبش صنم پیر ناقص عقول | بسی گفت و قولش نیامسد قبول |
| (٤) گر از درگه ماشدود نیز رد | بس آنکه چه فری از صنم تاصمد |
| (٥) محالست اگر سر برین در نهی | که باز آیدت دست حاجت تهی |

قصة السكران :

وهي تعالج أمراً آخر شبيهاً لما في القصة السابقة ، فهو في تلك القصة تخير كافراً ، ضالاً عن عبادة الله ، لجأ إليه وقت الشدة ، وفي هذه تخير ثملاً مذنباً ، ينجو عن سريعة دينه .

ويجري الشاعر على لسانه قصة ملائمة له ، وادخل فيها شخصية أخرى وجعل حوادثها ، في مكان مقدس ليزيد من قوتها ، يقول في المطلع :

— سمعت أن ثملاً ، وهو في حمأة النبيذ

سعى - مجدداً - إلى مقصورة مسجد

وتضرع على أعتاب الكرم ، قائلاً !

يارب !! ابعثني إلى الفردوس الأعلى (١).

ثم يأتي الشاعر برجل المسجد ، وهو المؤذن ، فيدخله في القصة ليزيدها قوة وجدّه ، فيرد الثمل على المسجد مؤنباً له :

— أمسك المؤذن بتلابيبه ، أن أبعثدا !

يا من لا عقل فيه ولا دين عنده ، أكذب ومسجد؟؟

وما العمل اللائق الذي عملته حتى تبحث عن الجنة ؟

أليق بك الدلال ، مع وجهك القبيح؟؟ (٢).

ثم ينتقل الشاعر إلى المغزى من وضع القصة . فيأتي بالرد على لسان السكران

— أتعجب من لطف الله الخالق؟؟

أن يطلب المذنب الرجاء منه !! (٣).

(١) تنلدم كه مستی زناپ نبیستد بمقصوره مسجدی دردوید

بنالید بر آستان کسرم که یا رب بفردوسی أعلى برم

(٢) مؤذن گریبان گرفتی که هین سن مسجد ایفاغ از عقل و دین

چه شایسته کردی که خواهی بهشت نمی زیادت ناز باروی زشت

(٣) عجب داری از لطف یروردگار که باشد گنه کاری امید وار

ثم يخلص الشاعر إلى الحديث العام عن التوبة، والمناجاة، على لسان السكران:

— لست أقول ، لا تكن بالعفو ضنين !!

فإن باب التوبة مفتوح ، وأنت المعين .

انى أستحى من لطف الله الكريم
أن أَعُدَّ ذنبى عظيماً، أمام عفوه العظيم (١)

ثم يمتضى فيدخل في أوصاف الله بما يوسع من آماله في العفو عن الذنوب:

— لو أدرك أحد أصدقائى قليلاً من زلاتى

لشهرّنى بقسالة العقل ، وقبح الصفات

— نحن نخشى بعضنا ، وأنت بنا البصير

ونحن هاتكو الستر، وأنت نعم الساتر

— إن الناس يشهرون ، كلما حلّ بى العار

لكذك الكاشف وراء السترو على عيبك الستار (٢).

— فإن عفوت عفى ، بمقدار جودك

مابقى آثم واحد فى ملكك (٣).

ويختتم الباب في ختام القصة بما يلائم موضوعه تمام الملاءمة

— لم آت ببضاعة إلا الرجاء !

إلهي ! لا تخيب فى عفوك رجائى !! (٤).

در توبه بازاست وحق دستگیر
که خوانم گنه بینس عفوش عظیم
بنا بخردی شهره گردانستم
که تو پرده بوشی وما سرده در
بسو بیننده در پرده و پرده سوش
نمساند گنه کاری اندر وجود
خسدا یا ز عفوم مکن . نا امید

(١) ترامی نگویم که عذر من پذیر
همی شرم دارم ز لطف کریم
(٢) اگر یاری آنک زل دانستم
تو بینا وما خائف از بکدگر
بر آورده مردم زبیرون خروش
(٣) اگر جرم بخشی بمقدار جسود
(٤) بضاعت نبا وردم إلا امید

الرُّفْطَرُ العامَّةُ في باب المناجاة

رأينا أن قصص هذا الباب قليلة جداً بالنسبة لغيره من الأبواب ، ويمكن أن تتوزع كثير من أفكاره على أفكار بعض الأبواب الأخرى ، وخاصة في الباب السابق . والباب في مجموعه لا يعرض لأفكار جديدة أخرى غير المناجاة .

ونحن نتكلم — بكلمة عامة — عن مغزى قصصه الأخرى ، فالقصة الأولى تدور حول المناجاة ، وتشقيق الطريق لها ، وتقع في تسعة عشر بيتاً ، يقول في مطلعها :

— هلم !! حتى نرفع أيدينا عن القلب
فلن نستطيع غداً ، أن نخرجها من التراب (١) .

— ولا تحسبن من رفع يده يرد كائنات
عن ذلك الباب ، الذي لم يعلق أمام تائب .

— رَبِّ ! هلم بـجـودك وكرمك !!
فإن الذنب ، والإثم ، شأن عبيدك (٢) .

— ولا تسلط على من كان مثلي من خلقت
فإن كان لا بد من العقوبة ، فلا تحملها من يدك .

— فليس في الدنيا كـبـير شرٍّ
أسوأ من أن يعاقب المرء البشر .

— يكفيني أننى خجل من رؤيتك
فلا تـجـلنى — بعد ذلك — أمام غيرك (٣) .

- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| (١) بیا تا بر آریم دسستی زدل | که ننوان بر آورد فردا زگل |
| (٢) میند ارزان در که هرگز نیست | که نوید گردد بر آورده دست |
| خسداوند گارا نظر کن بجود | که جرم آید از بندگان در وجود |
| (٣) مسلط مکن چون منی بر سرم | زدست تو به گمر عقوبت بر سرم |
| بگیتی نباشد بتر زین بسدی | جفا بردن از دست هم چون خودی |
| مرا شرمساری ز روی تسو بس | دگر شرمسارم مکن پیش کس ق ١ |

أما قصصه الأخرى فيتردد فيها — بجانب المناجاة — كثير من المعاني المختلفة التي تدور حول معاني باب الرضا ، في القضاء والقدر ، والجبر والاختيار في قوله :
 - إلهي ! نقضنا العهد ضلّةً ، وبلاء
 فكيف تقاوم يد الجهد ، ما جرى به القضاء .
 - لقد أبطلت تدبيرى ، وكل ما فعلته
 فكيف يكون للنفسية ، قوة مع الألوهية (١) .
 - فإذا هديتني الطريق ، أوصلتني إلى الخير
 وإذا أضللتني ، تخلفت عن إدراك كل أمر (٢) .
 - إنك تعلم ضمائر من لا يتكلم
 وإنك — على قلوب المرضى — واطع المرهم (٣) .

-
- | | | |
|-----|-----------------------------|---------------------------|
| (١) | خدايا بغفلت شکستیم عهد | چه زور آورد بافضا دست جهد |
| | همی هرچه کردم تسو برهم زدی | چه قوت کند باخدائی خسودی |
| (٢) | گرم ره نمائی . رسیدم به خیر | وگر گم کنی باز ماندم زسیر |
| (٣) | تسو دانی ضمیر زبان بستگان | تو مرهم نمی بردل خسستگان |
- ق ٢
ق ٣
ق ٤

أرأيت ، إلى تلك الروح السامية، التي تجلت في الشاعر عند عرض أفكاره
وآرائه في كتابه البوستان ؟ ؟

أرأيت ، إلى هذه الإنسانية العامة ، التي تتردد في أبوابه ، لا على الإنسان
فحسب ، بل على جميع المخلوقات ؟ ؟

أرأيت ، إلى هذه الدعوة الصادقة ، في أن ينظر الإنسان إلى أخيه ، من
حيث هو إنسان ، لا من حيث دينه ، أو جنسه ؟ ؟ ؟

أرأيت ، إلى هذا التوازن الاجتماعي الذي عرض له ، في بابي العدل، والإحسان
من أوائل أبواب الكتاب ؟ ؟ ؟

أرأيت إليه ، حين عرض إلى العشق، فأحاله إلى صلة سامية ، في ثوب طاهر
شفاف ، تصفو فيه النفس ، حتى تبلغ أسمى مراتب الروحية ؟ ؟ ؟

أرأيت ، إليه وهو يدعو إلى تلك الصوفية العملية ، التي تقوم على التربية
الروحية في أطهر أنوابها ؟ ؟ ؟

أرأيت إليه ، وهو يقيم من أبواب الرضا ، والتواضع ، والتربية ، والقناعة ،
تربية خالقية في أعلى مراتبها ؟ ؟ ؟

أرأيت إليه، كيف يفهم العبادة على صحتها؟ وكيف لا يقطع الأمل بين
العبد — إذ ما عصى — وبين ربه — إذا ماتاب — في أبواب التوبة ،
والشكر ، والمناجاة ؟ ؟ ؟

أرأيت إليه ، كيف تناول القصة ، وهياً لها من يديرها ، وكيف أحكمها ،
حتى يملك على الإنسان حسه ، ومشاعره ، فينقله معه كيف يشاء ، ويحل به كيف
يريد ، حتى ينتهي إلى الغرض المقصود ؟ ؟ ؟

كل هذا عرضنا له ، وصورنا به الشاعر في كتابه البوستان ، وصح عندنا ما سبق أن أطلقناه عليه ، من أنه طيب أمام مجتمع مريض أخذ يشخص الداء ويعرض الدواء ، أو أنه مصلح اجتماعي ، أقام نفسه للهداية والإرشاد .

ومن هنا كانت أحكام النقاد ، ورجال التاريخ والأدب ، على الشاعر أحكاماً تلمس الحقيقة في كل النواحي التي صور بها ، وصح ما كتبه عنه الغربيون والشرقيون فيما عرضنا له سابقاً .

صح ما كتبه الأستاذ آر برى من أن الشاعر الحق ، والكاتب المبدع هو الذي يجمع من سمو الفكرة وطرافتها ، مع رقة العبارة وسلاستها . ومن هنا كان السبب في إعجاب الكثيرين من الفرنسيين بسعدي .

وصح كذلك ، ما اعترفت به دائرة المعارف البريطانية ، من أنه يعد في طليعة شعراء الأخلاق في الفارسية .

كما صح أخيراً ، ما كتبه الأستاذ على دشتي — سفير إيران — من أن مُلك الكلام قد سلم إليه ، وأنه رب الأدب الفارسي إذا ادعينا النبوة ، وإعجازه هو البوستان ، وديوان الطيبات ، وأن كلياته — عند الفرس — بمنزلة القرآن .



كشاف أسماء الأشخاص والأسر والشعوب

٤٩-٤٨-٤٧-٤٦-٤٥-٤٤-٤٣	ابن خلدون	١٠٢-١٠١-٩٩-٩٧-٩٣-٧٣-٦٢	آباقا
٢٦٤-٧٠٥	ابن خلكان	٢٧٩-٢٥٨-٢٤٧-٢٢٠-١٧٦-١٧٣	
٤٢	ابن الدماغاني	٩٤	أتسز
٤٤	ابن درنوش	٣٣٨-١٤	آدم
٤٢	ابن الدوامي	٢١٤	آذر
٩١	ابن طباطبا	٢٦٥	آذري
٩٧	ابن الطقطقي	٣٢١-٣١٠-٣١١-٢٩٠-١٨٢	آبري
٨٦-٤١-٤٠-٣٤-٢٨	ابن العبري	٧٦-٦٧-٦٣-٦٢-٦٠	آزنولد
٤٢	ابن العلقمي	١١٤-٢٧-٢٦	آل بويه
٩١	ابن هارون المصاطي	١٠٣	آل الجويني
١٧٠-١١٧	أبو اسحق الكازروني	٣٦١	آل زنگي
٣٣٩-٣٠٣	أبو بكر «الصادق»	١٠٩	آل ساسان
١٠٦-٨٣-٢٠-١٩-١٤	أبو بكر بن سعد	٣٢-٨-٣	آل سلغر
١٥٣-١٥٢-١٥١-١٢٧-١٢٢-١١٣		٢٥٦-١٥٤	آل عباس
١٩٠-١٦٧-١٦٤-١٦٣-١٦٠-١٥٩		١١٥	آنو شتنگين
٢٢٨-٢٢٧-٢٢٤-٢٠٩-٢٠٨-٢٠٦		٣٧٩-٣٧٨-٣٧٧	سيدنا ابراهيم
٢٤١-٢٤٠-٢٣٩-٢٣٥-٢٣٣-٢٢٩		٢٧٧	ابراهيم بن ادهم
٢٩٤-٢٨٢-٢٥٤-٢٥٣-٢٤٦-٢٤٥		٤٢٥-٤٢٤-٣٢٢-٢٦٣-٢٦٢	الابدال
٣٢٩-٣١١-٣٠٢		١٣٢-١٢٩-١٢٨-١١٧-٣٢	أبش خاتون
٦	أبو الحسن الشيباني	١٧٦-١٧٥-١٧٤-١٧٢-١٧١-١٥٦	
١٧٩	أبو سعيد الأيلخاني	٤٠٧	ابليس
٣٠٦	أبو سعيد بن أبي الخير	١١٥-٥٥	ابن الأثير
٩٢	أبو سليمان داود البناتكي	١١٠-١٠٩	ابن البلخي
٣٠٥	أبو شكور البلخي	٢٦٤٢١١-٢١٠-٢٠٣-٢٠٢	ابن الجوزي

٣٠٥	الدقيقي	٥٧	أبو الطيب المتنبي
٨٧	أرسطو	١١	أبو العباس أحمد الدمشقي
١١٩	أرسلان بن طغرل	٢٩٥-٢٩٠-١١٩	أبو عبد الله بن الحفيف
٦٣	الأرمن		أبو عبد الله مشرف بن مصلح الشيرازي
١٣١-١٢٠	أزبك بن بهلوان	٢٣٦-٢١٨-٢١٧-٢١٦	
٣٧٤	الاسكندر	٣٥-٢٩	أبو الفدا
٢٦٤	السهر وردي	٢١١-٢٠٢	أبو الفرج
٢٠٠-١٩٩	إقبال — الأستاذ عباس —	٩١	أبو الفرج عز يغوريوس
٢٤٠-٢٣٩-٢٢٦-٢١٠-٢٠٤-٢٠٢		١١٢	أبو كاليجار
٨٧	أقليدس	٣٠٥-٣٠٤	أبو المؤيد البلخي
١٢٣	الإمام علي	١٢٣	أبو نصر أسعد
٣٤٠	أمير ساكس	٤١٤-٤١٣	أبو يزيد البسطامي
١٧٨	أمير محمد بك	٣٥٨	أتابكة آذربيجان
١١٩	أمن الدولة الكازروني	٦٧	الأتابك بهلوان
١٧٥	أنكيانو	١١٧-١١٥-١١٣-١٠٦-٩٨	الأتابكة
٣٦١	آنو شروان	٢٢٥-١٧٦-١٧٥-١٧٢-١٥٩-١٣٣	
٢٨٩	أنوري	٢٨٧-٢٨٢	
٨٤-٧٤-٧٣-٧٢-٧١-٧٠-٦٦	أورغون	١١٣	الأتابكة السلغريون
٩٩-٩٥		١١٧	أتابكة فارس
٢٩٠	أوفيد	١١٤-٩٨	أتابكة يزد
٩٥-٩٠	أوكتاي قاآن	٩	الأتراك
٣٩٤-٣٩٣-٣٩١	إياز	٥٤	الأتراك العثمانيون
١٧٥	أليك أبش	٩٢-٦٢	الحايثو خدا بنده
٢٥٢-٢٧٢-٢٦٤-٢٢٥-٢٢٤	الايروانيون	٨٠-٧٨-٦٠-٥٤	الجويني « عطا ملك »
	ب	١٠٠-٩٤-٩٣-٨٦-٨٤-٨١	
٣٠٥	بابا طاهر	٧٤-٧٠-٦٩-٦٨-٦٧-٦٦	السلطان أحمد
٢٩٠	باربييه دي منار	١٠٠-٩٩-٩٧	
٥٨-٥٧-٥٤-٤٩-٤٨-١٨	بارتولد	٨٤	أحمد بيتكجي
		٣٢٢-٢٥٨-٢٥٧-٢٧٤	الخطا

٤١	الترك	٤٠٥	بايزيد
١٥٩-١٥٥-١٥٤-١١٧	تركان خاتون	٩	نختنصر
١٧٤-١٧١-١٦٩-١٦٨-١٦٧-١٦٥		١٨٥-٧٨-٦٢-٦٠-٥٤-٥٢-١٣	يراون
٢٨٣		٢٤٥-٢٣٧-٢٣٤-٢٢٦-١٩٨-١٩٧	
١١٥	تغ تگين	٣٤٩-٢٨٩-٢٨٧-٢٥٣	
٨٧	تقي الدين الحشاشي	٤١	البربر
٤٣٠-٩٤	تكش بن ايل ارسلان	١١٨-١١٤	بزاة « الأتابك »
١١٥	تكش السلجوقي	٤٥	البستاني
١٥٣-١٢٠-١١٩-١١٧	تكلة	١١٠	البشاري
٣٦١-٣٤٣	تكلة بن زنگي	٤٣٨-٤٣١	بقراط الحكيم
١٧٣-٩٩-٦٧-٦٦-٦٢	تكو دار أحمد	٩	بنو اسرائيل
١٧٨-١٧٤		٩٤-٣١	بنو عباس
٩	تموجين	١٣٣	بنو قيصر
١٤٠	توده پشتي	٩٨-٩٥-٩٤	بهاء الدين الجويني
٣٤٧	توران	٢٧٥	بهار « ملك الشعراء »
١٧٨	تونياق	٣٠٧	بهرام شاه
٣٠٠	تويسركاني	٣٨٥-٣٧٨-٣٥٢	بهرام گور
١٧٠-٨٣	تيمور	١٠٨	بهلون سام بن نوح
	ث	٤١٣	بهلول
		٣٧٤	بهمن
١٠٩	ثمود	١١٦	بهمن كريمي
	ج	٦١-٦٠	البوذيون
١٩٦	جامي	١٧٨	بولغان
١١٤	جاولي « الأتابك »	٧٥-٧٤-٧٣-٧١	بيدو
٤٠٦-٣٣٨	جبريل		پ
٣١٥-٣١٤-٣١٣-٣١٢-٣١٠	جراف	٣٤٤-١٠٨	ايشداديه
٣٣٦-٣٣٠-٣٢٩-٣٢٥			ت
٩٠	جغتاي	١٩١	تازيكو
١٢٣	جلال الدين الخاوي	١٣٦	تاج الدين محمد
٣٠٦-٢٧٩-٢٦٤	جلال الدين الرومي	٨٨-٥٣-٥٢-٣٣-٢٨-١٥-١٤-٩-٨	التتر

خ	جلال الدين منكبرتي ١١-١٢-١٣-١٨
٨١	٩٤-١٢١-١٢٤-١٢٩
٧٥	جمال الدين ١٧٩
٣٥١-٣٤٩-٣٤٣	جمال الدين أبو بكر نعيم المصري ١٤١
٢٨٨-٢٦٥-٢٦٤	جمشيد ٣٤٣-٣٤٤-٣٤٥-٤٥١-٤٥٢
٧٩-٤١-٤٠	الجمعية الآسيوية ٢٨٧
٣٣٩-٢٧٤	الجنيد ٤٠٥
١٤١	جهان بهلوان ١١٩
٩٧	جوجي ٩٠
٤٠٢	الجويني « عطا ملك » ٧-٨-١١-١٢-٢٣
٩٠-٧٨-٩-٨	٣٧-٤٢-٤٧-٥٥-٦٠-٧٨-٨١-٨٠
١٢٢-١١٥-٩٤-٩١	٨٤-٨٦-٩٣-٩٤-١٠٠
١٣٢-١٣١	الجوينيين ١٠٠
د	ج
٣٤٧-٣٤٦-٣٤٣-٧٨	چنگيز خان ٩-١٢-٣٦-٣٧-٥٨-٦١-٧٧
٤٣٤-٤٣٣-٤٣٠	٧٨-٨٦-٩١-٩٢-١٣١
٢٢٧-٢٢٣-٢١٤-١٩٧-١٠٤	جورج الثالث ٢٧١
٢٧٠-٢٦٥-٢٣١-٢٣٠	ح
٥٤	حاتم الأصم ٤٠٥-٤٠٩-٤١١
٩٣	حاتم الطائي ٣٧٧-٣٧٨-٣٨٢-٣٨٣-٣٨٤
١١٥-١١٤-١١٣-١١٢	حافظ الشيرازي ١٩-٢٧١-٢٧٢-٢٨٨
٢٩٠	٢٨٩-٢٩٠
٤٩	الحجاج ١١٠-١١١-٣٥٥-٣٥٦-٤٣٥
٢٩٠	الحسن بن علي ١٥٤
ذ	حسن الصباح ٩٦
٤١٦-٤٠٥	حسين الطاف ٢٧١
ر	حسين بايقرا ٩٢
٤٤٣	حسين ميرزا ٢٧٢
٢٧٧-٢٧٦-٢٧٤	حمد الله المستوفي ١٩٤-٢١٣-٢٢٤-١٣٧
٣٨٣-٣٣٦-٣٢٩-٣١١-٢٨٥-٢٨٢	٢٣٨-٣٠٥

٢٤٢-٢٣٦-٢٣٥-٢٣٠-٢٢٩-٢٢٧	رشيد الدين « فضل الله » ٩٢-٥٥-٣٧
٣٠٢-٢٨٣-٢٥٠-٢٤٦-٢٤٥-٢٤٣	١٤٣-١٣٠
٣٠٣	رشيد الدين الوطواط ٤٣٠-٩٤
٢٧٨	الرصاصي ٢٩-٢٢
سعد الدين	رضا زاده شفق « الدكتور » ٨٨-٥٥
سعد بن زنگي ١٢١-١٢٠-٨٣-١٨-٣	رضا مكى خانه ٢٢٣-٢١٤-١٩٧
١٢٧-١٢٦-١٢٥-١٢٤-١٢٣-١٢٢	١٢٣
١٦١-١٦٠-١٥٣-١٤٢-١٣٩-١٣٠	ركن الدين
٢٢٣-٢٢١-١٨٦-١٨٥-١٨٣-١٨١	ركن الدين خماريگين ١١٤
٢٣٠-٢٢٩-٢٢٨-٢٢٧-٢٢٦-٢٢٤	ركن الدين صلاح الكرمانى ١٣٥
٢٤٢-٢٣٨-٢٣٦-٢٣٤-٢٣٢-٢٣١	الرودى ٣٠٧
٢٩٤-٢٨٥-٢٥١-٢٤٥-٢٤٤-٢٤٣	روز بهان ٢٩٤-١٢٩
٧٣-٧٢	روس ٢٨٩-٢٤٣
سعد الدولة اليهودى	الروم ٤٠
سعيد نفيسى « الأستاذ » ١٨٨	رينان ٢٩٠
السلجقة ١١٥-١١٤-١١٣-٩٤-٩٣-١٨	
١٧٠-١٦٨-١١٨-١١٦	ز
٣٤١	زكريا « النبي » ٣٩
سلطين الأتراك	زليخا ٤٥٣-٤٥٢-٤٤٧
٤٣١	زنگي ١١٧
سلجوقشاه ١٧٠-١٦٩-١٦٨-١١٧-٣٢	زنگي بن مودود ١٢٩-١١٩
٢٨٧-١٧٥-١٧٢-١٧١	زين الدين بن صاعد ٧٣
١١٨-١١٧	
سلغر	س
١٧٤-١٢٩	
السلغريون	
١٦٧-١١٧	
سلغم	٤٤٣
٣٦١-٢٤٠-١٥٣	سام
سليمان « النبي »	٨١
٣٠٧-٣٠٦	سرقيني
السناي	٢٧١
٩٤-٨٢	سروش
سنجر السلجوقي	٣١٠
سنقر بن مودود ١٣٣-١٢٧-١١٨-١١٧	سعد بن أبي بكر ١٣٢-١٢٧-١١٧-١٠٦
سودى ٣٢٣-٣١٥-٣١٤-٣١٠-٣٠٩	١٥٧-١٥٦-١٥٥-١٥٣-١٥١-١٤٢
٤٠٩-٤٠٠-٣٧٩-٣٣٦-٣٢٩-٣٢٥	١٦٣-١٦٢-١٦١-١٦٠-١٥٩-١٥٨
سوغو نجاى ١٧٨-١٧٢-٩٧-٩٦	١٩٠-١٨١-١٧٥-١٧١-١٦٩-١٦٤
سيد أمير على ٧٨	٢٢٦-٢٢٥-٢٢٤-٢٢٣-٢٢٢-٢٢١

ض	سيد شرف الدين إبراهيم	١٧٣
الضحاك	سيد عماد الدين أبو يعلى	١٧٤
٣٤٥	سيف الدولة أبو نصر على	١٣٣
ط	سيف الدولة الباخريزي	٨١
طغرل « السلطان »	ش	
٤٤٧-٤٤٦-٩٤	شاہپور	٣٥١-٣٤٣-١١٠
١١٩	شبلى	٣٨١-٣٨٠-٣٧٨-٣٧٧
١٠٨	شرف الدين بن مصالح « السعدى »	٢١٤
٣٧-٣٤-٢٩	شمس الدولة الحوينى	٢٣٦-٢١٩-٢١٥
٥٥-٤٧-٣٨	٩٧-٩٤-٩٣-٨٩	٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٤-٢٢٠-٢٣٦
٣٨٣	٢٨٧-٢٨٥-٢٨٢-٢٧٨	
طى	شمس الدولة اليهودى	٧٢
ظ	شمس الدين تازيكو	١٩٠
ظفر خاتون	شمس الدين محمد الطيبى	٢٨٠-١٧٩
٦٢	شمس قيس	٢٣٣-٢٢٩-٢٢٨
٣٥٩-٣٥٨	شهاب الدين أحمد الكاتب الدمشقى	٩١
ع	شهاب الدين السهروردى	٢١١-٢٠٤
عاد	شرويه	٢٩٤-٢٦٤
عباس إقبال « الأستاذ »	الشيعة	٣٤٩-٣٤٣
١٠٩	ص	٢٦
١٠٤	صاحب الديوان	٢٨٧-٤٢
٢٦	الصاحب السعيد	١٣٦-١٣٥
٣٢١-١٩٥	الصاحبين	٢٧٩
١٧٩	صدر الدين أشنهى	١٤١-١٤٠
عبد الرحمن الحامى	صفي الدين بن أبى الفتح السيرافى	١٣٦
عبد العزيز الطيبى	صلاح الدين الكرمانى	١٢٣
عبد العظيم المكرمانى « الأستاذ »	صمصام الدولة	١١٢
١٨٢		
عبد الله « والد سعدى »		
٢١٨-١١٤		
عبد الله الأنصارى		
٢٧٧-٢٧٦		
عبد الله بن عمر		
٢٧٧		
عبد الله فضل الشيرازى		
٩٢-٥٥		
عبد الملك بن مروان		
١١١		
عثمان بن عفان		
٣٣٩		
العجم		
١٢٨-١١١		
العرب		
١٣٣-٩١-٧٠-٤٩-٤٥-٤٣-٤١		
٣٢١-١٣٤		

غ	١٧٩	عز الدين
غازان ٩٢-٨٢-٧٦-٧٥-٧٤-٦٦-٥٥	١٤١-١٤٠	عز الدين إبراهيم القيسى
غياث الدين خوارزمشاه ٤٥-١٣١-١٢١	٢٨٢-١٠٦	عز الدين أحمد بن يوسف
غياث الدين خواندمير ٩٣	١٢٠	عز الدين پنهجره
غياث الدين العزدي ١٣٠	١٤٠	عز الدين زركوب
ف	١٢٠	عز الدين السحمره
فاطمة « الزهراء » ٣٣٩	٨٨-٥٧-٤٩-٢٠	عزام بك « الدكتور »
فتح على شاه ٢٧١	١٣٤	عصفور بن راشد بن عمير
الفخر الأخلاطي ٨٧-٨٦	٤٣٣-٤٣٠-١١٢	عضد الدولة
فخر الدولة « اليهودي » ٧٢	٣٠٦	العطار
فخر الدولة أبو بكر ٢٨٢	٩١-٥٥-٤٧-٣٧	عطا ملك « الجويني »
فخر الدين الدامغانى ٤٢-٣٤	٢٢٠-١٠٣-٩٥-٩٤	علاء الدين الجويني
الفخر المراغى ٨٧-٨٦	١٠٤-١٠٣-١٠١-١٠٠-٩٩-٩٧	علاء الدين السمناني
فرج « الجويني » ١٠٠	٢٩٤-٢٨٢	علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلي ٨٥
الفردوسي ٣٨٠-٣٠٥-٣٠٤-٢٨٩	٨١	علي بن أبي طالب ٤١٠-٤٠٥
الفرس ٣٢١-٣٠٧-١٠٩-٧٥-٤٦-٤٤	٣١١-١٦٣	علي بن أحمد البيهستوني
الفرنسيون ٢٩٠	٩٩	علي بن بهاء الدين
فرنكلين ٢٧١	١١٢	علي بن بويه
فروغى ٣٨٣-٢٨١-٢١٦-٢٠٦-١٦٤	٢٩٠-٢٨٣-٢٨١	علي دشتي « الأستاذ »
فريدون ٣١٣-٣١١-٢٨٤	١٢١	عماد الدين زيدان
فضالويه ٤٣٦-٤٣١-٤٣٠-١٥٠	٣٣٩-١٧٨-١٤٨-١٤٧	عمر بن الخطاب
فولتير ١١٥-١١٤	٤٠٩-٤٠٥	عمر بن عبد العزيز ٣١٣-٢٧٧-١١٢
ق	٣٥٤-٣٥٣-٣٤٣-٣١٤	عمر بن الليث
قآن ٣٢١-٢٤٠-١٢٩-٨٤-٧٩	١١٢	عميد الدين أسعد الأبرزى
قارون ٤٢٨	١٢٤	عيسى عليه السلام ٤٠٨-٤٠٦-٤٠٥
قاسم تويسركاني « الأستاذ » ٢٢٥		
٤٧٣		

١٨٣	الكرگانی «الأستاذ عبد العظيم»	٥٥	قاسم غنى «الدكتور»
٢١٧-٢١٦-٢١٣-١٩٩-١٨٩-١٨٦		١٢٨	قتلغ خان
٢٢٥-٢٢٤-٢٢٣-٢٢٠-٢١٩-٢١٨		١١٤	قراجه «الأتابك»
٣٠٠-٢٨٩-٢٧٠-٢٦٦-٢٦٥		١٠٩	قریش
٣٥٣-٣٥٢-٣٤٣	گرگین	٣٦٠٣٥٩-٢٥٨-٢٤٣-٢٠٨	قزل أرسلان
٣٠٥	گشتاسب	٢١١-٢٠٣-١٩٩-٧٨	الأستاذ القزوينی
٢٧١	گور اوسلی	٣٠٢-٣٠٠	
	ل	٨٧-٦٧	قطب الدين الشيرازی
٦٣	اللاتینیون	١٥٤	قطب الدين محمود شاه
٢٩٠	لافونتين	٦٩-٦٨-٦٧-٦٦	قلاوون
١٩٧	لطف علی بك آذر	٦١	قوبلاى
٤١١	لقمان الحكيم		ك
٣٩٢-٣٩١	لیلى		
	م	٨٤	کرای ملك
٥٤	مارکوبولو	٣٥٢	کرد وچين
٣٥٧	المأمون	٢٧١-٢٧٠	کریم خان الزندى
١٣٤	مانع بن علی بن عمیر	٢٧١	الکاتبین کلارک
١٠٤	مجد الدين أسعد الرومى	٣٤٨-٣٤٣	کسرى
٣٥٨	مجد الدين البيلقانی	١٢٠	کلجه
٩٠	مجد الدين الزدى	٢٢٨-٢٢٧	کمال الدين إسماعيل
٢٨٨	مجد همگر	١٠٩	کودرز الأشکانی
٣٩٣-٣٩٢-٣٩١	المنجون	٤١٢-٤٠٥	کوشيار الحكيم
٦٧	محمد «عليه السلام»	١٧٩-٧٣-٧١	کیخاتو
٢٦٤	محمد بن أبى بكر الصديق	٩٠	کیوک خان
١٥٤	محمد الأمين		
٣٠٩	محمد تقى الحسنی		
٣٠٨	محمد بن جعفر الروشنی		

٣٥	مصلح الدين اللارى	١٥٨-١٥٦-١٥٥-١١٧	محمد بن سعد
٢٦	المطيع لله	١٦٨-١٦٤-١٦٢-١٦١-١٦٠-١٥٩	
١٢٩	مظفر الدين	٣٠٢-٢٨٣-١٧٤-١٦٩	
٤١٣-٤٠٥	معروف الكرخى	١١٢	محمد بن القاسم بن عقيل
١٨-١٧-١٢-٧-٦-٥-٤-٣-٢-١	المغول	١١٢-١١١	محمد بن يوسف الثقفى
٣٢-٣٠-٢٩-٢٧-٢٣-٢١-٢٠-١٩		١٥٣-١٣٢-١٨	محمد شاه بن سلغرشاه
٥٥-٥٤-٥٣-٥١-٥٠-٤٦-٤٢-٤٠		١٧٢-١٦٩-١٦٨-١٦٧-١٦٦	
٦٤-٦٣-٦٢-٦٠-٥٩-٥٨-٥٧-٥٦		٣٢٩-٣٠٩	محمد شاه غازى
٨٢-٧٩-٧٨-٧٣-٧٢-٦٧-٦٦-٦٥		٥٥	محمد المنشى النسوى
٩٣-٩٢-٩١-٩٠-٨٩-٨٨-٨٧-٨٣		٣١١-٣٠٨	محمد على فروغى
١٠٦-١٠٢-٩٨-٩٧-٩٦-٩٥-٩٤		٢٦٥	محمد بن غيات الدين
١٣٢-١٣١-١٢٩-١٢٤-١٢٣-١٢٢		٢٣٤-١٢٨	محمد بن قيس
١٦٨-١٥٤-١٥٢-١٤٩-١٤٨-١٤٧		٣٩١-٢٥٩-٨٢	محمود بن سبكتگين
١٧٤-١٧٣-١٧٢-١٧١-١٧٠-١٦٩		٣٩٤-٣٩٣-٣٩٢	
٢٣٤-٢٣٣-٢٠٦-١٧٨-١٧٦-١٧٥		٨٧-٨٦	محيى الدين المغربى
٣٠٧-٣٠٦-٢٨٢		٢٩٠	مدام رولان
١٢٢	ملك خاتون	٣٣-٣١-٣٠-٢٩-٢٨-١٧-٣	المستعصم
١٧٨	الملك السعيد جمال الدين إبراهيم	٢٨١-٢٧٤-١٢٦-١٠٦-٤٤	
١٣٣	ملك سلطان بن قوام الدين	٢٦	المستكفى
١١٥	ملكشاه	١٠٠	مسعود « الجوينى »
٣٤٨	ملوك الأكاسرة	١٨٨	مسعود الكازرونى
٩١	ملوك الترك	٦٠	المسلمون
٣٨٥	ملوك الحيرة	٦٢-٦٠	المسيحيون
٩٣-٩٠-١٨-١٠-٣-٢-١	ملوك خوارزم	٦٤-٦٢-٦١	المسيحية
١١٥		٢١٧-٢١٦-٢١٣	مشرف بن مصلح
١١٦	المماليك	٢١٩-٢١٨	
٩٤-٩١	منتخب الدين بديع الجوينى	٢١٥-٢١٤-١٨١	مصلح الدين سعدى
١١٤	منكوترس « الأتابك »	٢١٨	

هـ	٢٢٣	هدايت	١٧٤-١٧٣-١٧٢	منكو تيمور
	٢٦٥-٢٦٤-٢٤٩-٢٤٨	همام التبريزي	٩٥-٩٠-٢٥-٢٤	منكو قآن
	٢٨٨-٢٦٦		١١٨-١١٧	مودود السلغرى
	٢٤٣-١٠٣	الأستاذ هنرى ماسيه	٢٦٦-٥٥	مولانا جلال الدين الرومى
	٢٩٠	هو راس	٨٧-٨٦	مؤيد الدين العروضى
	٢٦-٢٥-٢٤-٢٣-٢٢-٢١-٢٠	هولاكو	٤٢-٣٤	مؤيد الدين بن العلقمى
	٣٥-٣٤-٣٣-٣٢-٣١-٣٠-٢٩-٢٧		٩٢	مير خواند
	٦٢-٥٥-٤٧-٤٤-٤١-٤٠-٣٨-٣٦		٢١٧	مير عماد
	٩٧-٩٦-٩٥-٩٣-٩٠-٨٥-٨٤-٨١		١٧١-١٧٠	مينكلى بيك
	١٥٨-١٥٦-١٥٤-١٥٣-١٣٢-٩٩			
	١٧٢-١٦٩-١٦٨-١٦٧-١٦٦-١٥٩			
	٢٧٨-١٧٨-١٧٦-١٧٣			
و				
	٨٨-٧٢-٥٥-٤٠-٣٧-٣٥-٣٠	وصاف	٣٨٣	النبي عليه السلام
	١٢٨-١٢٥-١٢٤-١٢٢-٩٨-٩٢-٨٩		٩٩	نجم الدين الأصغر
	١٥٩-١٥٥-١٥٢-١٤٠-١٣٤-١٣١		٨٧	نجم الدين القزوينى
	٢٣٧-١٧٢		٢٤	نجم الدين كبرى
ى			٨٦	النجم دبيران القزوينى
	٢٠	ياجوج	١٤٠	نجيب الدين
	٥٥-٨-٧-٦	ياقوت	٦٣	النسطوريون
	٢٧٧	يحيى بن معاذ الرازى	٩١-٤٢	النصارى
	١٠٩-١٠٠	يحيى « الجوينى »	٨٥-٥٥-٤٧-٣٧	نصير الدين الطوسى
	٤٠٠	يعقوب	٩٠-٨٧-٨٦	
	٩١	اليقويون	١٥٨	نظام أبو بكر
	١٠٩-٧٣-٧٢	اليهود	١١٦-١١٥-١١٤	نظام الملك
	٤٥٢-٤٠٠	يوسف	٢١٥-٢١٣-١٩٩	نفيسى « الأستاذ »
	٣٠٦-٣٠٥	يوسف وزليخا	٢٤٥-٢٣٧-٢١٧-٢١٦	
	٥٤	اليونان	٦٦-٦٢	نقولا
			٧٥	نوروز

كشاف أسماء الكتب والمقالات

ب		الكتب
٣٢١	پریشان	آتش كده ١٩٧-٢١٤-٢٢٢-٢٢٣
	ت	أفرین نامه ٣٠٥
٨٨	تاریخ ادبیات ایران	أحسن التقاسیم ١١٠
٥٥	تاریخ تصوف در اسلام	أخبار الدول وآثار الأول ٧٨
٤٨-١٨	تاریخ الحضارة الإسلامية	أسرار نامه ٣٠٦
١١٨-٨٨-٨٥-٣٥-٢٧-١١	تاریخ گزیده	إلهی نامه ٣٠٦
٢٩٧-٢٩٥-١٧٢-١٣٧-١٢٥-١٢٤		الانجیل ٣٣٨
٢٢٧-٢٢٤-٢٢٢-٢١٥-٢١٤-٢١٣		
٢٣٧-٢٣٦-٢٣٥-٢٣٤-٢٣٠-٢٢٩		ب
٢٣٩-٢٣٨		بدائع سعدی ٢٨٢
٩١	تاریخ مختصر الدول	بهارستان ٣٢١
١٢٢-١٠٠-٣٧	تاریخ وصاف	بوستان ١٥١-١٤٤-١٢٦-١٠٦-١٩-١٤
٢١٤-١٩٨-١٩٥-١٨٣	تذكرة الشعراء	١٨١-١٦٣-١٦١-١٦٠-١٥٨-١٥٧
-٢١٥		٢٠٤-٢٠٣-٢٠٠-١٩٢-١٨٩-١٨٧
٩٨-٩٦-٩٠	تسلیة الإخوان	٢١٢-٢١١-٢١٠-٢٠٩-٢٠٦-٢٠٥
٥٨-٥٦-٢٤	تلفیق الأخبار	٢٣٩-٢٣٢-٢٢٩-٢١٩-٢١٨-٢١٦
٣٣٨	التوراه	٢٥٤-٢٥٣-٢٤٧-٢٤٥-٢٤١-٢٤٠
		٢٦٨-٢٦٦-٢٦٤-٢٦١-٢٥٦-٢٥٥
	ج	٢٩١-٢٩٠-٢٨٦-٢٧٥-٢٧٤-٢٧١
٣٧-٣٥-٣٤-٣٠-٢٤-١٨	جامع التواریخ	٣٠٢-٣٠١-٣٠٠-٢٩٩-٢٩٦-٢٩٣
١٢٣-٩٦-٩٢-٨٨-٨٠-٤٢-٣٨		٣١٠-٣٠٩-٣٠٨-٣٠٧-٣٠٤-٣٠٣
٢٣٧-١٢٥-١٢٤		٣٢١-٣٢٠-٣١٩-٣١٨-٣١٢-٣١١
٢٣٨-٢٢٣-٢٢٢-١٢٤	جهان آرا	٣٢٢

س	جهان گشای ۷-۳۴-۵۵-۵۸-۷۹-۸۶
سایه ۲۸۳-۲۹۰	۸۸-۸۹-۹۰-۹۱-۹۲-۹۳-۹۵-۲۰۷
سبك شناسی ۲۷۵-۲۸۰	۲۷۷
سرخ بت ۳۰۵	جواهر الأسرار ۲۶۵-۲۶۶-۲۹۴
سرگذشت سيدنا ۹۶	ح
سعدی نامه ۱۷۵-۲۱۶-۳۰۰-۳۰۱-۳۰۲	حبیب السیر ۹۳-۱۱۸-۱۲۴-۱۹۵-۱۹۶
سلسله جب ۸۹	۲۱۳-۲۱۴-۲۱۵-۲۲۲-۲۲۳-۲۸۹
سلم السموات ۱۸۸-۱۸۹-۱۸۳	حساب الجمل ۱۹۵
سیر العباد إلى الميعاد ۳۰۶	حدیقة الحقائق ۳۰۶-۳۰۷
ش	حدیقة السنائی ۳۰۷
الشامانية ۵۹	الحوادث الجامعة ۳۱-۳۵-۴۱-۴۲-۸۱
الشاهنامه ۳۰۴-۳۰۵-۳۰۶-۳۴۴	۸۵-۹۸
شیراز نامه ۱۰۴-۱۰۹-۱۱۰-۱۱۱-۱۱۲	حیات سعدی ۲۷۱
۱۱۴-۱۱۶-۱۲۲-۱۲۸-۱۲۹-۱۳۶	خ
۱۳۹-۱۴۰-۱۴۳	خنك بت ۳۰۵
الشكنوانية « قصيدة » ۱۳۶	د
ط	دائرة المعارف الإسلامية ۸۱-۱۰۳-۱۹۸
طرائق الحقائق ۲۷۰	۱۹۹-۲۲۵-۲۴۳
طريق التحقيق ۳۰۶	دائرة المعارف البريطانية ۲۴۴-۲۵۳-۳۰۷
ظ	ديوان البوستان ۲۸۱
ظفر نامه ۲۳۷	ديوان الطيبات ۲۸۳-۲۹۰
ع	ر
العراق بين احتلالين ۲۶-۳۰-۳۵-۵۸	روضة أولى الألباب ۹۲
عشق نامه ۳۰۶	روضات الجنات ۲۶۶
عفو نامه ۳۰۶	رياض العارفين ۱۹۶-۱۹۷-۲۱۴-۲۱۵
عقل نامه ۳۰۶	۲۲۲
عوارف المعارف ۲۶۴	ز
عين الحياة ۳۰۵	زمان تولد وأوايل زندگان سعدی ۲۲۶

م	ف
٣٠٦	المنشئ المعنوى
٨٧	المحسنى
١٩٩	محلة مهر
٢٨	مختصر الدول
١١٢	مرصد الاطلاع
٢٣٤-٢٢٢-١٩٦-١٥٦	مزارات شيراز
٩١	مسالك الابصار فى ممالك الامصار
٣٠٦	مظهر العجائب
٧	معجم البلدان
١٢٨-١٢٤	المعجم فى معاير اشعار العجم
٢٣٨-٢٣٤-٢٣٢-٢٢٧-٢٢٦-٢٢٣	
٤٩-٤٨	مقدمة بن خلدون
٣٩٧-٢٥٨	مقدمة الزنجشبرى
٢٨٩	ملاحة الشعراء
م	ق
١٧٥-١٢٤-٣٢	ممدوحين شيخ سعدى
٢٣٢-٢٣١-٢٢٦-٢٢٢	
٣٠٦	منطق الطير
ن	ك
١١٠-١٠٩	نزهة القلوب
٢٧٩	نصائح الملوك
٢١٤-١٩٦-١٩٥	نفحات الانس
و	س
٣٠٥	وامق والعذراء
٥	وفيات الاعيان
ى	س
٩٠	الياسا
٥٩	الياساق
٧٨	الياساق الكبير
٤٧٩	ل
٩٧-٩١-٤٢-٤١-٢٨	الفخرى
٢٧٩	فيه ما فيه
ق	القرآن الكريم
٢٩٠-١٨٨-١٠٩	قصيدة الأدب فى العالم
٢٠	القصيدة الشكنونية
١٢٤	ك
٨٧	كتاب العين
٣١٠	كشف الظنون
٢٨٠-٢٣٠-١٩٠-١٦٠-١٥٩	الكليات
٢٨٣-٢٨١	كليات سعدى
٢٧٥-٢٣٢-٢٣١-٢٠٢	كليات فروغى
١٥٨-١٥٧-١٤٥-٣١	٢٧٥-١٦٥
٣٠٧	كليات ودمنة
س	س
١٥٨-١٥٧-١٥١-١٣٧-١٩-١٥	٢٢٨-٢٢٧-٢١٦-٢٠٢-٢٠١-١٩٩
٢٧٧-٢٧٦-٢٧٥-٢٦٨-٢٦٦-٢٦٤	٣٠٠-٢٨٩-٢٨٤-٢٨١-٢٨٠-٢٧٩
٣٢١-٣٢٠-٣١٩-٣٠٣-٣٠٢-٣٠١	سكشن خلفا
٣٥	سكشن زار
٣٥	ل
١٢٤	لب التواريخ
٣٠٦	لسان الغيب

كشاف أسماء المدن والأماكن والأقطار

١٣	باميان		
٥٢	بحر قزوين	١٧٢-١١٩-١٣-١٠	آذربيجان
١٣٤-١٣٣-١١٠	البحرين	٥٤-٥٢	آسيا
٤٢	برج العجمي	٢٦٤-٨٣-٥٦-٥٢	آسيا الصغرى
٢٨٤	برلين	٩٦-٩٠-٨٥	آلموت
١٧١-١١٠-٨٦	البصرة	١٠	أرانيه
٢٢٠	بعلبك	١١٠	أرجان
٢٦-٢٣-٢٢-٢١-٢٠-١٨-٥	بغداد	١١٠	أردشير خوره
٤٣-٤٢-٣٨-٣٦-٣٥-٣٤-٣١-٣٠		١٢٢-١١٥-١١١-١١٠-١٠٩	أصطخر
٩٩-٩٧-٩٦-٩٠-٨٦-٧٢-٥٥-٤٥		١٧٠-١٢١-١٠٨-٩٨-٩٥-١٤	أصفهان
١٨٨-١٨٥-١٦٧-١٣٢-١٢٦-١٠٧		٢٥٥	
٢٢٦-٢٢٤-٢٠٦-٢٠٤-٢٠٣-١٩٠		١٣٤	أوال
٢٦٤-٢٥٩-٢٥٨-٢٥٤-٢٥١-٢٣٤		٩	أوترار
٢٨١		٣١٠-٣٠٨-٢٨٤-٥٤-٥٢-١	أوربا
١٠	بلاد الجبل	٥٢-٥١-١٩-١٧-٨-٦-٤-٣-٢-١	إيران
٧٢	بلاد الروم	٩٢-٩٠-٨٨-٨٣-٧٩-٦٦-٥٧-٥٦	
١٥٤	بلاد اللور	٢٥٥-١٧٦-١٦٤-١٠٨-٩٥-٩٣	
١٠	بلا سغون	٣٨٠-٢٧٤-٢٧٢-٢٧١-٢٦٤-٢٥٦	
٢٥٥	بلخ	٣٤٧-٣٠٩	
١٠٥-١٩	البيت العتيق	ب	
٩	البيت المقدس	١١	باب الأبواب
پ		٩٠	باريس
١٧٣	پل گوار	٨٠	باغ منصورية

١١٥-٧٨	خوارزم	ت	
١٧٠	خورشيف	تبريز	١٧٩-١٢٣-١٠١-١٠٠-٩٩-٨١
١١٨-١١٠-١٠٨	خوزستان		٣٠٩-٢٧٩
د		ترکستان	٢٥٥-٢٤٧-٩٠-١٠-٩-٨
٧٢	دار السلام	ترکيا	٣٠٩-٣٠٨
١١٠	داراب جـرد	تفليس	٨٦
٤٧-٤٦-٤٤-٣٧	دجلة	ج	
٢٢٠-١١٥-٨٦	دمشق	الجامع الحديد	١٢٣
ر		جامع الخليفة	٤٠-٣٩
٢٧٠	رکن آباد	جامع القصر	٣٤
٣٨٣-٣٨٢-٣٨٠-٣٦٥	الروم	جامع نو	١٢٣
٢٥٥-١٢١-١٠	الري	جـرنـداب	١٧٤-١٠٠-٩٩
ز		الجزيرة العربية	٢٥٦
٣٧٤	زابلستان	جزيرة قيس	١٣٣
س		جزيرة كيس	١٣٣-١٢٥
١٧١	سجستان	جـوین	٩٤
٣٣٨	سـدرـة المنـهى	جـيـحـون	١٠٨
٧٨-٢٣-١٢-١١-١٠-٩	سمرقند	ح	
٢٢٠	سـورـيا	الحبش	٢٥٥
١١٢	سوق الأمير	الحجاز	٢٦١-٢٥٥-٢٥٤
٢٥٩-٢٥٧-٢٥٥	سومـنـات	حلب	٢٥٦-١٩٢
ش		خ	
٨٢	شام	خراسان	٧٥-٧٢-٥٤-٢٨-١٣-١٠-٧-٦-١
٢٥٦-٢٥٥-٤١-٤-١	الشام	خليج البصرة	١٧٣-١١٨-٩٩-٩٤-٩٢-٧٨
١٢٣	شهر الله	خليج فارس	١٣٤
٤٨١		الخليج الفارسي	١٣٢
			٥٢
		سعدى م - ٣١	

غ	غزنة	شيراز ١١٠-١٠٦-١٠٥-١٠٤-١٠١-١٩
٣٩٣-٨٢-١٣	الغور	١٢٣-١٢٠-١١٩-١١٨-١١٣-١١٢
١٣		١٥٠-١٤١-١٤٠-١٣٨-١٣٧-١٢٤
		١٧٢-١٦٩-١٦٨-١٥٩-١٥٥-١٥٤
ف		٢١٩-١٨٥-١٧٩-١٧٨-١٧٤-١٧٣
٩٦-٨٣-٧٥-٣٢-٢٤-١٩-١٧-٣-١	فارس ١	٢٢٩-٢٢٨-٢٢٧-٢٢٤-٢٢١-٢٢٠
١١١-١١٠-١٠٩-١٠٨-١٩٦-١٠٥		٢٤١-٢٣٦-٢٣٥-٢٣٤-٢٣٣-٢٣١
١٢٤-١٢٣-١٢١-١١٨-١١٥-١١٤		٢٤٩-٢٤٧-٢٤٦-٢٤٥-٢٤٤-٢٤٣
١٣٧-١٣٣-١٢٩-١٢٨-١٢٧-١٢٦		٢٦٨-٢٥٨-٢٥٤-٢٥٣-٢٥١-٢٥٠
١٦٩-١٤٧-١٤٤-١٤١-١٣٩-١٣٨		٣٥٤-٢٩٥-٢٩٤-٢٨١-٢٧١-٢٧٠
١٧٩-١٧٨-١٧٦-١٧٥-١٧٤-١٧٠		٣٥٥
٢٥٤-٢٥١-٢٤٦-٢٤٥-٢٠٠-١٨٦		
٣١١-٣٠٧-٢٩٨-٢٩٤-٢٨٢-٢٨٠		ص
٣٢٩		٣٦٥
٤٢٥-٢٦١	فارياب	٣٦٥-١٩٢
٢٣٤	فرزين	١١١
٣١٠	فيينا	٤٠-١٠
ق		ط
١١٠	قباد خره	١٥٤
٩٥-٧٩-٦٢	قراقور م	٨٠
٧٩	قرشي سودي	٣١١
٦٢-٥٤	القسطنطينية	
١٣٤	القطيف	ع
١١	قفجان	العراق ١١٠-٩٧-٩٥-٢٨-٢١-١٣-١٠-٤
١١٨-١١٦-٤١	القفجاق	٢٥٦-٢٥٥-١٢٣-١٢١-١١١
١٥٣-٨٤-٤٧	قلاع الإسماعيلية	٩٧-٩٣-٦٥
١٣٠-١٢٢	قلعة سفيد	٣٣٨
١٣٦	قلعة شكنوان	٧
١٠١	قهندان	٤
٢٦٦-٢٦٤	قونية	
		صقلاب
		صنعاء اليمن
		صومعة سليمان
		الصين
		طبرتو
		طبرستان
		طهران
		عراق
		العراق العربي
		العزى
		العزيرة
		عين جالوت

١٢٣	مسجد الكوفة	ك	
٤٠-٣٩	مشهد موسى الجواد	١٨٨	كازرون
٢٥٥	مصر: ٤-٦٦-٦٧-٧٩-٨٣-٩٨-١٧١	٣٩٧-٩٩	كاشان
٩٩	مغان	٢٥٧-٢٥٥-٢٤٧-٢١٩-١٠	كاشغر
٤٠-٣٨-٣٧-٣٦-٢٢	مكتبات بغداد	٣٢٢-٢٥٨	
٣١٠-٣٠٩-٣٠٨	مكتبة الجامعة	١٧٠-١٢١-١٨	كرمان
١٣٤-١٢٨	ملك سليمان	٢٨٨	الكعبة
٢٥٩	منات	٧	الكمالية
٨٦-٧٢	الموصل	٢٥٥	كيش
٢٦٥	مولتان	گ	
ن		١١٢	گردقنا خسرو
٢١٤-٢١٠-١٨٨-١٨٥-٥٩	النظامية	ل	
٢٨٦-٢٦٤		٣٣٨	اللات
٨١	نهر جعفر	م	
٩٥	نهر جيحون	١٣	مازندران
٢	نهر السند	٢٥٨-٩٠-٩-٢	ما وراء النهر
١٣	نيسابور	٨٢	المؤمن
٤٠١	النيل	٣٠٠	متحف لندن
هـ		١٣٤-١٣٢-١٠٨	المحيط الهندي
٣٤٨-٣٤٣	هرمز	٤٦-٤٥-٤٤	المدائن
١٠	همدان	١١٩	مدرسة أميني
٢٦١-٢٥٩-٢٥٧-٢٥٥-١٣-١	الهند	١٧٤-١٥٤	المدرسة العضدية
٣٢٢-٣١٤-٣٠٩-٣٠٨-٢٨٧-٢٦٤		١٣٦	مدرسة مقرب
و		٤١٦	مسدين
٨٦-٨١	واسط	٩١-٨٧-٨٦-٨٥-٨١	مراغه
٣٠	وقف	٤	مـرج الصفر
ي		٨٥	المرصد الإيلخاني
١٤٨	ياجـوج	٨٢-١٣-١٢-٨-٧	مرو
١٧١-١٦٩-١٦٧-١٥٤-٩٨	يزد	٢١٠-٥٩	المستنصرية
٢٦١-٢٥٥	المن	١٣٧-١١٩-١١٢	المسجد العتيق

المصادر

أثبتُ هنا فقط المصادر التي تكوّن البحث منها

١ - المصادر العربية

- ١ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : المقدسى . البشارى - الطبعة الثانية . ليدن سنة ١٩٠٩ م .
- ٢ - الاحياء في علوم الدين : الغزالى - أبو حامد محمد بن محمد - المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ هـ .
- ٣ - تاريخ الخلفاء : السيوطى - جلال الدين عبد الرحمن - طبعة الحلبي سنة ١٣٠٥ هـ .
- ٤ - تاريخ أبي الفداء « المختصر في أخبار البشر » : أبو الفدا - إسماعيل بن على عماد الدين - استانبول سنة ١٣٤٠ هـ .
- ٥ - تاريخ الحضارة الإسلامية : بارتولد (ترجمة الأستاذ حمزة طاهر) . مطبعة المعارف سنة ١٩٤٢ م .
- ٦ - تاريخ مختصر الدول : ابن العبرى - غريغورس أبو الفرج بن هارون المملطى . بيروت ١٨٩٠ م .
- ٧ - تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار : م . م . الرمزي . أورونبورغ سنة ١٩٠٨ م .
- ٨ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة : ابن الفوطى - أبو الفضل عبد الرازق البغدادى - بغداد سنة ١٣٥١ هـ .
- ٩ - الحميس في أحوال أنفوس نفيس . الديار بكرى : القاهرة سنة ١٨٢٢ م .

- ١٠ - دائرة المعارف الإسلامية :
الترجمة العربية .
- ١١ - الدعوة إلى الإسلام . :
سير توماس أرنولد . (ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن وآخرين
الشوفاكشي ١٩٤٧ .
- ١٢ - ذكرى أبي الطيب المتنبي :
الدكتور عبد الوهاب عزام بك - بغداد سنة ١٩٤٢ م .
- ١٣ - رحلة ابن بطوطة - تحفة النظار في غرائب الأمصار :
القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ
- ١٤ - الرسالة القشيرية :
أبو القاسم عبد الكريم القشيري - المطبعة الأدبية سنة ١٣٠٠ هـ .
- ١٥ - السلوك لمعرفة دول الملوك :
المقرئ - تقي الدين أحمد بن علي - نشر الدكتور زيادة -
دار الكتب ١٩٣٦ م .
- ١٦ - سيرة جلال الدين منكبرتي :
النسوي - المنشي - شهاب الدين محمد بن أحمد - نشر هوداس
سنة ١٨٠١ م .
- ١٧ - الشهاينة :
الدكتور عبد الوهاب عزام بك - دار الكتب سنة ١٩٣٢ م .
- ١٨ - العبر وديوان المبتدأ والخبر :
ابن خلدون - بولاق سنة ١٢٨٤ هـ .
- ١٩ - العراقة بين احتلالين :
الأستاذ عباس العزاوي - بغداد سنة ١٩٣٥ م .

- ٢٠ - عوارف المعارف . على هامش الأحياء للغزالي :
شهاب الدين السهروردي - المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ هـ .
- ٢١ - الفخري :
ابن طباطبا - المطبعة التجارية سنة ١٩٢٧ م .
- ٢٢ - الفنون الإيرانية :
الدكتور زكي محمد حسن - دار الكتب ١٩٤٦ م .
- ٢٣ - فـوات الوفيات :
ابن شاكر الكتبي - بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .
- ٢٤ - قصة الأدب في العالم :
الدكتورين أحمد أمين بك وزكي نجيب محمود - لجنة التأليف سنة ١٩٤٥
- ٢٥ - الكامل لابن الأثير :
ابن الأثير - على بن أحمد - المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ هـ .
- ٢٦ - كشف الظنون :
ملاحاجي خليفه جلي - طبع مصر سنة ١٣٧٤ هـ .
- ٢٧ - مختصر تاريخ العرب الإسلامي : تأليف سيد أمير علي وترجمة الأستاذ
رياض رأفت - لجنة التأليف والترجمة - سنة ١٩٣٨ م .
- ٢٨ - مسالك الممالك :
تأليف الاصطخري - ليدن سنة ١٨٧٠ م .
- ٢٩ - المسالك والممالك :
ابن خرداذبه - ليدن سنة ١٣٠٦ هـ .
- ٣٠ - معجم البلدان :
ياقوت الحموي - مطبعة الخانجي سنة ١٣٢٣ هـ .
- ٣١ - وفيات الأعيان :
ابن خلكان - طبعة الحلبي سنة ١٣١٠ هـ .

٢ — المصادر الفارسية

- ١ — آتش—كده :
تأليف لطفعلی بیك آذر — طبع بمبي سنة ١٢٧٧ هـ .
- ٢ — بدائع غزليات سعدی :
تأليف سعدی الشيرازی — برلين سنة ١٣٠٤ هـ . ش .
- ٣ — بوستان سعدی — مع قاموس :
طبع كانبور سنة ١٩٠١ م .
- ٤ — بوستان سعدی :
طبع المطبعة العامرة سنة ١٢٨٨ هـ .
- ٥ — بوستان سعدی :
نسخة ج—راف . — فينا سنة ١٨٥٤ م .
- ٦ — بوستان سعدی :
نسخة مخطوطة . تاريخ كتابتها سنة ٩٧٨ هـ .
- ٧ — بهارستان :
عبد الرحمن الجامی — القاهرة سنة ١٢٩١ هـ .
- ٨ — تاريخ تصوف در اسلام :
دكتور قاسم غنى — طهران سنة ١٣٢٢ هـ . ش .
- ٩ — تاريخ عصر حافظ :
دكتور قاسم غنى — طهران سنة ١٣٦١ هـ . ش .
- ١٠ — تاريخ گزیده :
تأليف حمد الله المستوفی . سلسلة جب . نشر براون . لندن سنة ١٩١٠ م
- ١١ — تجربة الأمصار وتزجية الأعصار . المشهور بتاريخ وصاف :
وصاف الحضرة — بمبي سنة ١٢٦٩ هـ .

- ١٢ - تذكرة رياض العارفين :
تأليف رضا قليخان هدايت . طهران سنة ١٣١٦ هـ .
- ١٣ - تذكرة الشعراء : .
دولتشاه السمرقندى - لندن سنة ١٩٠١ م .
- ١٤ - تعليم وتربيت در نظر سعدى :
محمد جناب زاده - مطبعة سروش سنة ١٣١٧ هـ . ش .
- ١٥ - جامع التواريخ :
تأليف رشيد الدين فضل الله . نشر كاترمير . باريس سنة ١٨٤٣ م .
- ١٦ - جامى :
الأستاذ على أصغر حكمت - طهران سنة ١٣٢٠ هـ . ش .
- ١٧ - حبيب السير فى أخبار البشر :
خواندمير - بمبى سنة ١٢٧١ هـ - ١٨٥٧ م .
- ١٨ - حديقة الحقيقة :
السنانى الغزنوى - بمبى سنة ١٨٥٩ م .
- ١٩ - حيات سعدى :
تأليف الطاف حسين وترجمة سيد نصر الله سروش - طهران سنة ١٣١٦ هـ .
- ٢٠ - سننياه :
الأستاذ على دشتى - طهران سنة ١٣٤٢ هـ . ش .
- ٢١ - سبك شناسى :
« الشاعر بهار » طهران سنة ١٣١٩ هـ . ش .
- ٢٢ - سخن سعدى :
الأستاذ قاسم تويسركانى - طهران
- ٢٣ - سعد ينامه :
مجموعة مقالات فى العيد السبعائوى للگلستان سنة ١٣٦٥ هـ .
- ٢٤ - شرح بوستان سعدى :
سودى - استانبول سنة ١٢٨٨ هـ .

- ٢٥ - شـيراز نامه :
أبو العباس أحمد زركوب . نشر الأستاذ بهمن كريمي - طهران
سنة ١٣٥٠ هـ . ش .
- ٢٦ - فارس نامه :
ابن البلخي - طبع كامبردج سنة ١٣٣٩ هـ - ١٩٣١ م .
- ٢٧ - كليات سعدى :
نسخة تبريز - طبع حجر سنة ١٣٥٨ هـ .
- ٢٨ - كليات سعدى :
نسخة الأستاذ محمد علي فروغي . نشر شركة التضامن العلمية .
طهران سنة ١٣٢١ هـ . ش .
- ٢٩ - گلستان سعدى :
نشر الأستاذ عبد العظيم خان الـگـرگانی سنة ١٣١٠ هـ . ش .
- ٣٠ - گلستان سعدى :
نشر بلاتس . لندن سنة ١٨٧٤ م .
- ٣١ - محـملة مـهـر :
السنة الخامسة . الأعداد السبعة الأولى .
- ٣٢ - مجمع النصحاء :
تأليف رضا قليخان هـنايت - طهران سنة ١٢٨٤ هـ .
- ٣٣ - المعجم في معاير أشعار العجم :
تأليف شمس الدين محمد بن قيس - نشر الأستاذ القزويني -
بيروت سنة ١٩٠٩ م .
- ٣٤ - نزهة القاء - - - وب :
تأليف حمد الله المستوفي - سلسلة جب - ليدن سنة ١٨١٠ م .
- ٣٥ - نفحات الأنس :
تأليف الجامي - مخطوط سنة ١٠٣٢ هـ . رقم ٦٨٤ - مكتبة الجامعة .

٣ — المصادر الأفرنجية

1. Arberry, (A.J.),
Kings & Beggars. The First two Chapters of Sa'd's Gulistan,
London 1945.
2. Browne, (A.G.),
A Literary History of Persia, London 1906.
3. Ross, (J.),
Sa'd's Gulistan, New York 1923.
4. The Encyclopaedia Britannica.
5. The Encyclopaedia of Islam.

استدراك خطأ وصواب

وقعت بعض أخطاء يمكن إدراكها ولكننا نشير إليها ونرجو ردعها أما كتبها

ص	س	الخطأ	الصواب
١٥	٢٥	کرد	گرد
١٥	٢٧	هيج	هيج
١٥	٢٧	بيج	بيج
٣٣	٤	جاءا	خدا
٥٠	١٢	المكتبة	المكتبات
٨١	١٣	احديهما	احداهما
٨٢	١٥	الگنبد	الگنبد
٩٠	٥	جھطای	جھطای
٩٦	٢	في الوقع	في الواقع
١٠٣	١	الجويشي	الجويني
١٠٦	٨	طبيع	طبيع
١٢٩	١	قا آخان	قا آن خان
١٣٧	١٧	القضلاء	الفضلاء
١٤١	٨	استفتا	استغنا
١٤١	٨	ودد	ودر
١٤٤	٢٢	کوی	گوی
١٤٨	١٣	أزست	أز زرست
١٤٨	٢٤	نخفل	تجعل
١٦٣	٤	في عهدہ	في عهد

ص	س	الخطأ	الصواب
١٧٠	٣	بلاد الاوز	بلاد اللور
١٨٣	١٦	قبيلة	قبيله
١٨٧	١٦	گنار	کنار
١٨٩	١٠	میکي	میکنی
١٩٠	٢١	برا ددم	برا درم
١٩١	١٧	حد سنه و	حدود سنه
٢٧٠	١٤	مزار من کثیر	مزار کثیر من
٣٠٣	٩	تمدحه	تمدحه
٣٣٦	١٥	٧٩	٩٩
٣٣٨	١٤	قدرتک	قدرک
٣٤٩	٢٥	درعد	در
٣٨٧	٣	إلالو	ألالو
٣٨٧	٢٠	گرم	کرم
٣٩٥	١٢	والاربعین	والواحد والثلاثین
٤١٣	١٧	برد	برده
٤١٥	٢٤	گسترم	کترم
٤٢٨	٤	الطمو	الطمع
٤٢٨	٧	تخیل	تخیل
٤٣٢	١	الخوارز شاهین	الخوارز مشاهین
٤٣٣	٢٤	کس	کسی
٤٣٦	٤	القسوة	القوة
٤٣٧	٢٤	عقسلت	عقسلت
٤٣٨	٢٢	برده	برده
٤٥٨	٨	الأخيار	الاختیار

كتب للهؤلف

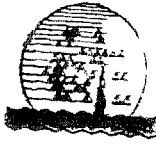
(أ) مطبوعة :

١ - تاريخ الأدب الفارسي « مترجم » شامل في دراسة الحياة الأدبية في إيران قبل الإسلام وبعده . يعرض لتراجم كثير من الشعراء ورجال الأدب والعلم في العصور المختلفة .

٢ - المعجم في اللغة الفارسية . يجري إتمام طبعه الآن في مطبعة مصر . يحتوي قرابة ٢٠ ألف كلمة واستعمال ، ومعانيها المختلفة في العربية ، مع الإشارة إلى الدخيل من هذه الكلمات في اللغة العربية .

(ب) تحت الطبع :

- ٣ - ترجمة بوستان سعدى الشيرازي مع النص .
- ٤ - ترجمة بدائع سعدى الشيرازي مع النص .
- ٥ - ترجمة قصة يوسف وزليخا للشاعر الفردوسي مع النص .



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

يطلب المطبوع من هذه الكتب من :

مكتبة الخانجي ، ودار الفكر العربي ، والمكتبات الشهيرة

